

29.7.09

± 138 mA

V. 1

DATE DUE

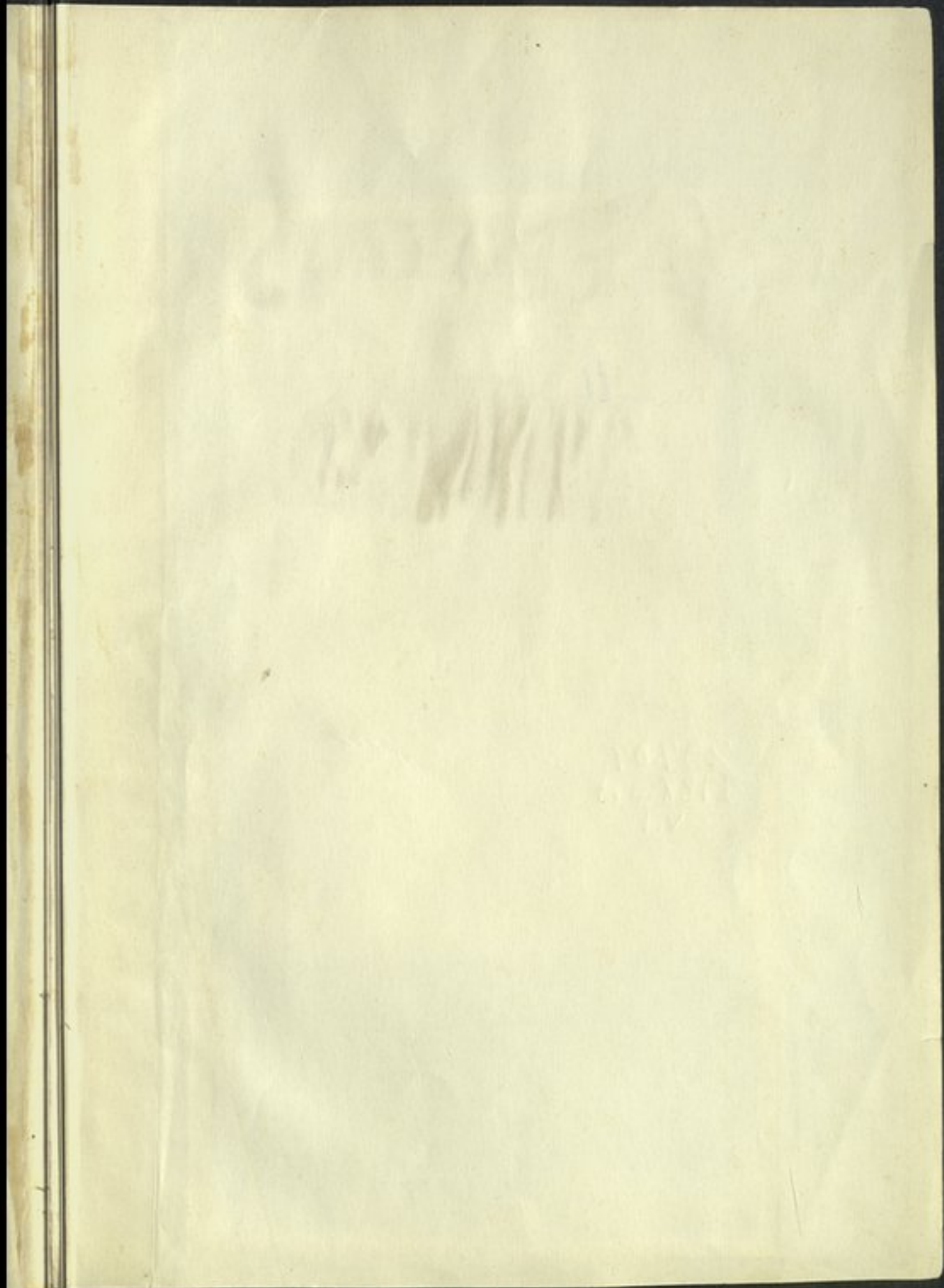
JAFET LIB.

0 1 JUN 1894



JAFET LIB.

~~1894~~



297.09  
I138m A  
V.1

# مفترج الكروب

في أخبار بني أيوب

تأليف

جمال الدين محمد بن سالم بن واصل

(المتوفى سنة ٦٩٧ هـ)

[ الجزء الأول ]

ويتهيء بموت نور الدين محمود بن زنكي في سنة ٥٦٩ هـ

نشره لأول مرة

عن مخطوطات كبرديج وباريس وستانبول

وضبطه وحققه وعلق حواشيه وقدم له ووضع فهرسه

الدكتور جمال الدين السبيعي

أستاذ التاريخ الاسلامي المساعد بجامعة الاسكندرية

مطبوعات إدارة إحياء التراث القديم

وزارة المعارف المصرية . إدارة الثقافة العامة

مطبعة جامعة فؤاد الأول

١٩٥٣

بسم الله الرحمن الرحيم  
الحمد لله رب العالمين  
والصلاة والسلام على  
سيدنا محمد وآله الطيبين  
الطاهرين



بسم الله الرحمن الرحيم  
الحمد لله رب العالمين  
والصلاة والسلام على  
سيدنا محمد وآله الطيبين  
الطاهرين

بسم الله الرحمن الرحيم  
الحمد لله رب العالمين  
والصلاة والسلام على  
سيدنا محمد وآله الطيبين  
الطاهرين

بسم الله الرحمن الرحيم  
الحمد لله رب العالمين  
والصلاة والسلام على  
سيدنا محمد وآله الطيبين  
الطاهرين

بسم الله الرحمن الرحيم  
الحمد لله رب العالمين  
والصلاة والسلام على  
سيدنا محمد وآله الطيبين  
الطاهرين

بسم الله الرحمن الرحيم  
الحمد لله رب العالمين  
والصلاة والسلام على  
سيدنا محمد وآله الطيبين  
الطاهرين

بسم الله الرحمن الرحيم  
الحمد لله رب العالمين  
والصلاة والسلام على  
سيدنا محمد وآله الطيبين  
الطاهرين

بسم الله الرحمن الرحيم  
الحمد لله رب العالمين  
والصلاة والسلام على  
سيدنا محمد وآله الطيبين  
الطاهرين

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مقدمة الناشر

- ١ -

ترجع صلتى بهذا الكتاب « مفرج الكروب » إلى سبعة عشر عاماً مضت منذ عرفتني به ولفت نظري إلى أهميته أستاذي المؤرخ المحقق الدكتور محمد مصطفى زيادة عند ما كنت أعدّ بحثاً تحت إشرافه موضوعه « تاريخ اليمن تحت حكم بني أيوب (١) » ثم شغلت عن الكتاب والبحث مؤقتاً بأعمال علمية أخرى ، ولكنني كنت دائم الرجوع إليه والإقبال على قراءته والإفادة منه ، وفي كل مرة كنت أرجع إليه فيها كانت تتأكد لدى أهميته القصوى كمصدر أساسي لدراسة تاريخ بني أيوب بصفة خاصة ودراسة تاريخ الشرق الأدنى ودوله جميعاً في القرنين السادس والسابع بصفة عامة وهما قرنان حافلان بالأحداث العالمية الهامة وخاصة الحروب الصليبية وغازات التتار .

وكانت تداعب مخيلتي دائماً أمنية عزيزة هي أن أتمكن يوماً ما من التوفر على دراسة هذا الكتاب وإعداده للنشر ، فلما حصلت على الماجستير ، وبدأت أتخير موضوع بحثي الذي أعدته للدكتوراه اتجهت ذهني في الحال إلى « مفرج الكروب » وكان أن أعددت بحثي للحصول على هذه الدرجة العلمية وعنوانه « جمال الدين بن واصل وكتابه مفرج الكروب في أخبار بني أيوب » ، وقتت فيه بدراسة حياة هذا المؤرخ الكبير وجهوده العلمية دراسة تحليلية دقيقة مع العناية بوجه خاص بكتابه « مفرج الكروب » .

(١) أرجو أن أوفق لإخراج هذا البحث قريباً .

فلما انتهت من هذه الدراسة بدأت أفرغ لتحقيق أمنيته القديمة وهي إعداد النص نفسه للنشر ، وها أنذا اليوم أقدم للقارئ الجزء الأول من هذا التاريخ الكبير الهام .

- ٢ -

ولا ينتظر القارئ منى هنا أن أقدم له تلك الدراسة التحليلية التي أعدتها عن المؤرخ والكتاب ، فسيكون موضعها بإذن الله المجلد الأخير من هذه النشرة ، وإنما أنا سأوجز هنا فكرة سريعة للتعريف بابن واصل ولييان موضوعات هذا الجزء الأول ولشرح منهجى الذى التزمته فى نشر الكتاب .

جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سالم بن نصر الله بن سالم بن واصل المازنى التميمى الحموى الشافعى مؤرخ كبير من مؤرخى القرن السابع الهجرى ( ١٣ م ) ولد مع مولد هذا القرن ، وتوفى قبيل نهايته ( ٦٠٤ - ٦٩٧ هـ = ١٢٠٨ - ١٢٩٨ م ) . وطنه الأصلى حماة ، ولكنه طوف فى بلدان الشرق الأدنى الكبرى وعواصمه ، وخاصة دمشق وبيت المقدس وحلب والكرك وبغداد ومكة والمدينة والقاهرة ، وأقام فى عاصمة مصر سنوات طويلة فى عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وشهد أثناء مقامه فى مصر حملة لويس التاسع الصليبية عليها ، واحتضار الدولة الأيوبية وقيام دولة المماليك ، وما عاصر ذلك من غزوات التتار للعراق والشام وسقوط بغداد ، وانتهاء الخلافة العباسية على أيديهم ، ثم انتقالها إلى القاهرة ، ثم اتصل بالظاهر بيبرس وأرسل سفيراً عنه إلى منفرد بن فردريك الثانى ملك الصقليتين وامبراطور الدولة الرومانية المقدسة .

ولابن واصل مؤلفات كثيرة فى الأدب والهندسة وعلم الهيئة والطب والتاريخ ، ضاع معظمها وبقى بعضها مبثراً فى مكتبات العالم المختلفة ينتظر من يعنى بدراسته وإحيائه ؛ ولعل أهم مؤلفاته جميعاً - ماضع منها وما بقى - كتابه التاريخى الكبير « مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب » الذى أزرخ فيه للدولة الأيوبية منذ قيامها إلى نهايتها فى تفصيل واف وتحقيق شامل دقيق ، ولا غرو فقد اتصل بمعظم ملوكهم فى الشام ومصر ، وبمعظم رجال الدولة وأدبائها وعلمائها فى القطين ، فالحوادث التى يرويها - وخاصة فى القسم الثانى من الكتاب - يرويها عن مشاهدة حيناً



وعن مشاركة فيها حيناً آخر ؛ ولهذا كان كتابه الأصيل والمرجع الذي أخذ عنه كل المؤرخين اللاحقين له في القرون التالية ( الثامن والتاسع والعاشر ) عند تأريخهم للدولة الأيوبية .

- ٣ -

وموضوع كتاب « مفترج الكروب في أخبار بني أيوب » . كما يتضح من عنوانه ومحتوياتها التاريخ لدولة بني أيوب منذ قيامها إلى زوالها ، وقد أرخ لصدر الدولة وسنواتها الأولى مؤرخون سابقون لابن واصل ، كما أرخ لها حتى نهايتها مؤرخون معاصرون له ، فما قيمة « مفترج الكروب » وما مكانته بين تلك الكتب ؟

أرخ لصدر الدولة من المؤرخين السابقين :

القاضي الفاضل في ميادينه ( أو متجدداته ) ، وفي رسائله .

والعماد الكاتب الأصفهاني في : الفتح القمى في الفتح القدمى ، والبرق الشامى ،

والعتبي والعقبى ، وخطفة البارق وعطفة الشارق .

وعز الدين بن الأثير في الكامل في التاريخ .

وبهاء الدين بن شداد في السيرة اليوسفية .

وابن أبي الدم في التاريخ المظفرى .

وأرخ للدولة - حتى سنواتها الأخيرة ، أو حتى نهايتها - من المؤرخين

المعاصرين لابن واصل :

سبط ابن الجوزى في مرآة الزمان .

وكمال الدين بن العديم في بغية الطلب في تاريخ حلب .

وأبو شامة في الروضتين في أخبار الدولتين ، والذيل على الروضتين .

وكتاب « مفترج الكروب » لابن واصل يمتاز - كتاريخ كامل لبني أيوب -

عن هذه الكتب جميعاً ، وذلك لأن بعض هذه الكتب أرخ لصدر الدولة وسنواتها

الأولى ، أو لمنشئها ومؤسسها ، أو للنصف الأول منها فحسب ؛ والبعض الآخر

لم يقصد مؤلفوه إلى التاريخ لبني أيوب قصداً ، وإنما هي تواريخ عامة ، أو تواريخ

مدن ، منهجها التاريخ للعالم الإسلامي جملة ، سنة بعد سنة ، وما تضمنته من تاريخ  
بني أيوب جزء من كل .

وكتاب « مفرج الكروب » كتاب ضخم مفصل كل التفاصيل ، فهو بحق أوفى  
تاريخ لدولة بني أيوب ، وهو إلى هذا قد أفاد من معظم من كتبوا قبله عن هذه الدولة ،  
كما أنه أضاف — وخاصة عند كتابته عن النصف الثاني من تاريخ الدولة — الكثير  
من مشاهداته وتجاريبه ورواياته عن المعاصرين .

وقد أرخ لبني أيوب مؤرخون آخرون لاحقون لابن واصل ، نعرف منهم  
مؤرخين اثنين : أولهما مجهول الاسم ، عاش في القرن الثامن الهجري ، وعنوان كتابه :  
« غاية المطلوب في تاريخ بني أيوب » ، وهو مفقود ، وإنما يوجد ملخص له  
عنوانه : « تاريخ زهرة الناظر وراحة الخاطر » ، والملخص مجهول أيضاً ، وإنما يتبين  
من كتابه أنه ألفه بعد سنة ٧٧٨ هـ ( ١٣٧٦ )<sup>(١)</sup> ، وعنى فيه عناية خاصة بالتاريخ  
لملوك بني أيوب أصحاب حصن كيفا ، وأنه اعتمد فيه كثيراً على مفرج الكروب  
لابن واصل .

وأما الثاني فهو قاضي القضاة عز الدين أبو البركات أحمد بن إبراهيم ابن نصر الله  
ابن أحمد الكناني العسقلاني المصري الحنبلي ، ولد بالقاهرة في السادس من ذي القعدة  
سنة ٨٠٠ هـ ، وأخذ التاريخ عن المقرئ والمعيني ، وتوفى سنة ٨٧٦ هـ<sup>(٢)</sup> ، وعنوان  
كتاب : « شفاء القلوب في مناقب بني أيوب » ألفه لمن يسمى العادل من ملوك  
الأيوبيين المتأخرين في حصن كيفا ، وهو يختلف عن « مفرج الكروب » في ترتيبه  
ومنهجه ، لأنه جعله كتاب تراجم لا حوليات ، فقسم ملوك بني أيوب طبقات ،  
وترجم لهم طبقة بعد طبقة ، وقد شرح طريقته في مقدمة كتابه ، قال : « قاعدة الكتاب :  
أذكر أولاً أصل البيت الأيوبي . . . ثم تتبعه بذكر التراجم على الطبقات ، فالطبقة  
الأولى أولاد شادي ، والثانية أولاد أولاده ، والثالثة أولاد أولاده ،

(١) توجد من « زهرة الخاطر » نسخة مخطوطة في : Vienne, MX+325 انظر :  
Cahen: *La Syrie du nord... etc.* p. 88

(٢) انظر ترجمته في : ( السخاوي : الضوء اللامع ، ج ١ ، ص ٢٠٥ — ٢٠٧ )  
و ( الدكتور مصطفى جواد : مؤرخون مصريون مجهولون ، مجلة الاستمع الرق ، المجلد  
السادس ، العدد ٨ ، سنة ١٩٤٥ ) .

وكذا إلى آخر الكتاب ؛ وأقدم من الأخوة أسبقهم موتا ، ثم أتبعهم بمن لم أعلم وفاته ، ثم أتبعهم بأخوتهم النساء كذلك ، ثم أذكر أولادهم في الطبقة التي تلي طبقتهم على حسب ترتيب أصولهم كذلك ، وكذا إلى آخر الكتاب . . . » (١) وهذا أيضاً قد اعتمد اعتماداً كبيراً على ابن واصل .

فهذان الكتابان ولو أنهما يؤرخان للدولة الأيوبية كمفترج الكروب ، إلا أنهما لاحقان له ومتأخران عنه ، فهما لا يتطاولان إلى مرتبته ، لأن ابن واصل معاصر ، وهذان غير معاصرين ، ولأن ابن واصل مفصل وهما موجزان ، ولأن ابن واصل الأصل ، وهما الفرع ، وعنه يأخذان ، وعليه يعتمدان اعتماداً كبيراً ؛ وكل ما لهذين التاريخين المتأخرين عليه من مميزات أنهما يتضمنان الترجمة لبقايا بني أيوب الذين ظلوا يحكمون في حماة أو في حصن كيفا في القرنين الثامن والتاسع . ومن هذه المقارنات جميعاً يتضح لنا أن مكانة مفترج الكروب بين الكتب التي أرخت لبني أيوب قبل ابن واصل وبعده لا يمكن أن تدانيها مكانة كتاب آخر من هذه الكتب . وتزداد معرفتنا بقيمة « مفترج الكروب » إذا علمنا أن جميع المؤرخين المتأخرين الذين عاشوا بعد القرن السابع الهجري أمثال : بيبرس المنصوري ، واليونيني ، وشافع بن علي ، وقرطاني العزى الخازنداري ، وأبي الفدا ، والنويري ، والذهبي ، وابن الفرات ، والمقرزي ، والعيني ، وابن تغري بردي ، والنعمي ، قد اعتمدوا عليه عند التأريخ لبني أيوب اعتماداً كبيراً ، وقلوا عنه النصوص الكثيرة مع التصريح بالأخذ عنه أحياناً ، والسكوت عن ذلك أحياناً أخرى .

— ٤ —

ذكر هذا الكتاب الصفدي في « نكت الهميان » (٢) ، والسيوطي في « بغية الوعاة » (٣) تحت عنوان : « مفترج الكروب في دولة بني أيوب » وذكره أبو الفدا في : « المختصر في أخبار البشر » (٤) وحاجي خليفة في « كشف الظنون » (٥)

(١) شفاء القلوب ، صور شمسية بمكتبة جامعة فؤاد الأول ، رقم ٢٤٠٣٠ ، ص ٣ ب .

(٢) ص ٢٥٠

(٣) ص ٤٤

(٤) ج ٤ ، ص ٣٨

(٥) ج ٢ ، ص ١٧٧٢ .

والزركي في « الاعلام » (١) ، وبروكلمان في « تاريخ الآداب العربية » (٢) تحت عنوان « مفرج الكروب في أخبار بني أيوب » .

والعنوان الثاني هو الصحيح ، لأنه هو الذي اختاره ابن واصل لكتابه ، فقد قال في المقدمة : « وسميته مفرج الكروب في أخبار بني أيوب » (٣) . وقد عرف هذا الكتاب في بعض المؤلفات الحديثة باسم « تاريخ الواصلين » ، وهو عنوان خاطئ تحمله نسخة باريس رقم ١٧٠٢ ، وسناقش هذه التسمية الخاطئة فيما يلي عند تحليلنا لنسخ الكتاب .

- ٥ -

المعروف حتى الآن أنه يوجد من هذا الكتاب في مكتبات العالم أربع نسخ خطية :

١ - نسخة مكتبة جامعة كامبردج رقم ١٠٧٩

وتوجد منها صور شمسية بمكتبة جامعة فؤاد الأول رقم ٢٤٠٥٠ ، (وقد رمزنا لها في هذه النشرة بالحرف ك) ، وتتكون من مجلد واحد يشتمل على الجزء الأول من الكتاب ، فقد كتب على الصفحة الأولى منه :

### الجزء الأول

من مفرج الكروب في تواريخ بني أيوب

ويلى العنوان سطر كان يحمل اسم المؤلف ، غير أنه يبدو أن ورقة صغيرة قد ألصقت عليه لإخفائه ، وتحت هذا السطر « رحمه الله تعالى » مما يجعلنا نرجح أن هذه النسخة قد كتبت قطعاً بعد وفاة المؤلف أى في القرن الثامن الهجري .

(١) ج ٣ ، ص ٨٩٧

(٢) Vol. I, P 322

(٣) مقدمة نسخة كامبردج ، ولاحظ أن كاتب هذه النسخة قد أحدث تغييراً بسيطاً في العنوان عند إثباته على الغلاف فكتبه هكذا « مفرج الكروب في تواريخ بني أيوب » . أما العنوان في نسخة ملاملا چاي فهو « مفرج الكروب في أخبار ملوك بني أيوب » .

وجاء في ص ٦٠٠ وهي آخر صفحة في هذا المجلد : « وبذلك تم الجزء الأول من مفترج الكروب في تاريخ بنى أيوب » ، ولم يثبت النسخ بعد هذا تاريخ الانتهاء من كتابة هذا الجزء ، إذ العادة أن يثبت التاريخ في نهاية الجزء الأخير من الكتاب . ويتكون هذا المجلد من ٦٠٠ صفحة ، بطول ١٨ سم وعرض ١٤ سم ، وعدد السطور في كل صفحة ٢١ سطراً .

وهذه النسخة كاملة منتظمة الترتيب لآخرم فيها ، تشمل على الحوادث متتابعة سنة بعد أخرى ، وتنتهى بالانتهاء من حوادث سنة ٦١٦ هـ ( أى السنة التي مات فيها العادل الأول ، وتولى فيها الكامل محمد حكم مصر ) .

وتمتاز هذه النسخة على غيرها من النسخ الأخرى باحتوائها على مقدمة المؤلف نفسه ، ومنها عرفنا منهجه في تأليف هذا الكتاب والسبب الذي دفعه إلى تأليفه ، ولن ألفه . وهذه النسخة هي الأصل الذي اعتمدها هنا لنشر هذا الجزء الأول من الكتاب .

## ٢ - نسخة باريس رقم ١٧٠٢

وتوجد منها صور شمسية بدار الكتب المصرية بالقاهرة ، رقم ٥٣١٩ ، وصور أخرى بمكتبة جامعة الاسكندرية رقم ٦٤ وقد رجعنا إلى صفحات منها لضبط النص وتصحيحه عند نشر هذا الجزء الأول المطبوع من الكتاب ورمزنا لها بالحرف (س) .

وهذه النسخة تشمل على الكتاب كله - عدا ما بها من خروم - وتتكون من مجلدين ، ولا ذكر فيها لتقسيم الكتاب إلى أجزاء ، وإنما هذا تقسيم المجلد لضخامة الكتاب ، وتحتوى هذه النسخة على ٤٤٢ ورقة ( أى ٨٨٤ صفحة ) قسمت مناصفة على المجلدين ، فكل منهما يحتوى على ٢٢١ ورقة ، طول كل صفحة ١٧ سم ، وعرضها ١٢ سم ، وعدد السطور في كل صفحة ٢١ سطراً .

وهذه النسخة أحدث النسخ جميعاً تاريخاً ، فقد كتبت في القرن التاسع الهجرى ( سنة ٨٢١ هـ ) ، وهي أقلها جميعاً قيمة لما بها من خروم أضاعت من النص صفحات كثيرة ، ولما أصاب الصفحات الباقية عند تجليدها وترقيمها من اضطراب غريب يجعل متابعة النص أمراً عسيراً جداً ، وهي أخيراً قد خضعت لتغييرات كثيرة ،

أحدثها - فيما نرجح - كاتب النسخة ؛ وقد أصابت هذه التغييرات العنوان ؛  
والمقدمة ، والمتن . أما العنوان فهو في هذه النسخة :

## تاريخ الواصلين

في أخبار الخلفاء والملوك والسلاطين

تأليف كاتبه ومؤلفه

وبلى هذا السطر الأخير سطران آخران يحملان اسم المؤلف ووظيفته ، وقد اُحس  
معظم حروفهما ، وقد استطعنا قراءتهما فإذا بهما « شمس الدين كاتب السر » ،  
وهو نفس الاسم الوارد في حرد الكتاب في آخر صفحة من هذه النسخة ، فالنص هناك :  
« . . . وكان الفراغ منه يوم الخميس المبارك حادى عشر محرم سنة إحدى وعشرين  
[ و ] ثمانمائة ، ختمت بالخير والحسن على يد الفقير شمس الدين أحمد بن أحمد بن محمد  
الزبني ، كاتب السر لحضرة مولا [ نا ] السلطان برقوق أدام الله عزه وأنصاره » .

وقد لاحظت أن الخط الذي كتب به لفظا « تاريخ الواصلين » على الغلاف  
يختلف عن الخط الذي كتب به بقية العنوان واسم المؤلف ؛ فالخط الذي كتب  
البيانات الأخيرة أحدث من الخط الذي كتب اللفظين الأولين ، مما جعلني أرح  
أن هذه البيانات أضيفت عند ضم الكتاب إلى المكتبة الأهلية بباريس ، وأن مضيفها  
أخذها عن المقدمة والخاتمة ، فقد ظن - اعتماداً على ما جاء في الخاتمة - أن كاتب  
النسخة هو مؤلفها .

أما المقدمة فتوحى بشئٍ آخر ، توحى بأن كاتب النسخة أراد أن ينسب الكتاب  
لنفسه ، فغير العنوان الأصلي « مفرج الكرب في أخبار بني أيوب » ، واختار له  
عنواناً جديداً هو « تاريخ الواصلين في أخبار الخلفاء والملوك والسلاطين » -  
وهو العنوان الذي أضافه المضيف على الغلاف - .

وأبعد هذا المقتضب مقدمة المؤلف ، وحذف القسم الأول من الكتاب الخاص  
بدولة الأتابكة ، وأوضح أن منهجه التاريخ للحوادث من سنة ٥٣٠ إلى سنة ٦٨٠ ،  
واست أدري لم اختار سنة ٥٣٠ بالذات بدءاً لتاريخه . وقد أوضح هذا كله في مقدمته  
التي اصطنعها للكتاب مكان مقدمة المؤلف ، قال : « . . . وبعد ، فهذا كتاب  
جمعت فيه أخبار الملوك والخلفاء والسلاطين ، وما حدث في أيامهم وأوقاتهم ودولتهم

من النصرارى واليهود والفرس والروم ، مبيناً ذلك بالتفصيل والقول الصحيح ، وسميته : « تاريخ الواصلين في أخبار الخلفاء الملوك والسلاطين » ، مبتدياً من سنة ثلاثين بعد الخمسائة إلى ثمانين وستائة ، وهو نعم الوكيل . . . »<sup>(١)</sup> . والمعجيب أن موضوع الكتاب لا يحقق هذه الأهداف التي أعلنها الناسخ في مقدمته ، فهو أولاً وأخيراً تاريخ لملوك بني أيوب .

وقد أردت بعد هذا التعرف على شخصية هذا الناسخ المغتصب فأعياني البحث ، بل لقد أثار البحث أمامى مشكلات جديدة . فالمؤرخ — كما يتضح من حرد الكتاب — من رجال القرن التاسع الهجرى ، فمن المرجح إذن أن يكون قد ترجم له السخاوى فى « الضوء اللامع » لأنه كان يشغل وظيفة هامة من وظائف الدولة — وهى كتابة السر — ، والسخاوى يترجم للكثيرين ممن لم يكن لهم ذكر أو شأن كالتجار والصناع والفقراء والصوفية وغيرهم . ومع هذا فلم أجد لشمس الدين أحمد ابن أحمد الزينى ترجمة فى الضوء اللامع . ورجعت إلى قائمة كتاب السر التى أوردها كاملة القلتشندى<sup>(٢)</sup> ، وابن تفرى بردى<sup>(٣)</sup> ، فلم أجد بها ذكراً لهذا الرجل ؛ وإنما جاء بها أن الذى تولى كتابة السر من سنة ٨١٦ إلى سنة ٨٢٣ هو ناصر الدين محمد البارزى ، وكذلك نص كاتب النسخة شمس الدين على أنه فرغ من كتابتها فى المحرم سنة ٨٢١ هـ ثم أتبع اسمه بقوله : « كاتب<sup>(٤)</sup> السر لحضرة مولانا السلطان برقوق » ثم دعا للسلطان بقوله : « أدام الله عزه وأنصاره » مما يفهم منه أن السلطان برقوق كان لا يزال حياً فى تلك السنة ( ٨٢١ ) ، وقد بدا لنا هذا أمراً عجيباً حقاً ، فإن السلطان الملك الظاهر برقوق حكم مصر من سنة ٧٨٤ إلى سنة ٨٠١ ، والسلطان الذى كان يحكم مصر فى سنة ٨٢١ هو المؤيد شيخ فقد حكم بين سنتى ٨١٥ و ٨٢٤

(١) انظر المقدمة الأصلية للؤلءف والأجزاء الأولى التى أسقطها الناسخ من الكتاب الأسمى ، فهذه جميعاً تكون الصفحات ١ — ٣٨ من نسخة ك ، والصفحات ١ — ٦٥ من هذا الجزء الأول المطبوع . انظر ما يلى هنا من ٦٥ ، هامش ١ ، و ٦٩ ، هامش ٢ .

(٢) صبح الأعنى ، ج ١ ، ص ٩٩ — ١٠٠ .

(٣) النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ٣٤٠ — ٣٤١ .

(٤) كاتب السر هو من كان يسمى قديماً كاتب الانشاء أو صاحب ديوان الانشاء ، وقد غير هذا القتب إلى « كاتب السر » منذ عهد المنصور قلاوون . انظر : ( ابن تفرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ٣٣٣ وما بعدها ) .

٣ - نسخة باريس رقم ١٧٠٣

وتوجد منها صور شمسية بمكتبة كلية الآداب بجامعة الإسكندرية وتقع في ٢١٦ ورقة (٤٣٢ صفحة) ، ومتوسط عدد سطور الصفحة ٢٣ سطرا .

وتبدأ هذه النسخة بعنوان نصه « ذكر وفاة السلطان الملك الكامل رحمه الله » ،  
أى ببعض حوادث سنة ٦٣٥ هـ . وتنتهى بحوادث سنة ٦٥٩ هـ وذلك في ص ١٧٢ ،  
وجاء في ختامها :

« . . . وأشار على الملك الظاهر أن يولى القضاء بدمشق للقاضى شمس الدين  
أحمد بن خلكان - رحمه الله - وكان ينوب عن القاضى بدر الدين يوسف بن الحسن  
قاضى الديار المصرية بالقاهرة ؛ حين كان القاضى بدر الدين متولياً للقضاء بالديار  
المصرية ؛ فأجاب الملك الظاهر إلى ذلك ، وتقدم إبان يسافر القاضى شمس الدين  
ابن خلكان صحبته ، وفي هذه الأيام ولى الملك الظاهر القاضى برهان الدين الخضر  
ابن الحسن أخا (١١٧٢) القاضى بدر الدين بمدينة مصر وعملها - وهو الوجه القبلى -  
وبقيت القاهرة وعملها - وهو الوجه البحرى - فى ولاية القاضى تاج الدين  
المعروف بابن بنت الأعرز ؛ والله ولى التوفيق . »

أما الصفحات الباقية من هذه النسخة (١١٧٢ - ١٢١٦) فتتضمن ذيلاً لمفترج  
الكروب كتبه أحد تلاميذ ابن واصل ومواطنيه واسمه : « على بن عبد الرحيم بن أحمد  
الكاظم الملكى المظفرى » وكان كاتباً للانشاء فى مملكة حماة على عهد المظفر الثالث ،  
وقد بدأ هذا الذيل بالتأريخ لحوادث سنة ٦٦٠ هـ وختمه بحوادث سنة ٦٩٥ هـ ،  
وافتحه بقوله :

« . . . انتهى إلى هاهنا ما أملاه القاضى الإمام جمال الدين محمد بن سالم  
ابن واصل . . . متع الله بحياته ، ولم يستوعب حوادث سنة تسع وخمسين وستمائة ،  
وكانت المتجددات فى هذه السنوات كثيرة جداً من تنقل التتار فى الأطراف المجاورة  
للشام ، واضطراب الناس وانتراحهم من أوطانهم . . . واستيعاب هذه الأحوال  
على حقيقتها بطول ، وليس ذلك مما نحن بصدده ، لأن الغرض حصول الفائدة ،  
وهذا يتفق إن شاء الله بالقول المختصر . ودخلت سنة ستين وستمائة . . . الخ » .



ولم يسجل على هذه النسخة تاريخ كتابتها ، وإنما سجل أحد مالكيها على الصفحة الأخيرة تاريخ تملكه لها ، وهو : « انتقل بالمبيع الشرعى إلى أفقر عباد الله إلى رحمته الفقير محمد بن أحمد بن إسماعيل البعنى الدمشقى الكنعانى المقلدى فى سنة ١٠١٩ تسعة عشر وألف ، بئى قدره عشرين غروش » . ومع هذا فأنا أرجح أن هذه النسخة كتبت فى القرن الثامن الهجرى ، وبعد وفاة المؤلف والمذيل بقليل .

ولا يفوتنى أن أشير هنا إلى أن نسخة باريس السابقة ( ١٧٠٢ ) تحتوى أيضا على هذا الذيل ، ولكن يبدو أن كاتب النسخة أجرى قلمه فى هذا الذيل بالتعديل والتغيير فأفسده كما أفسد مقدمة الكتاب الأصيل وعنوانه من قبل ، فهو قد نص على أن ابن واصل قد انتهى فى مفرج الكروب بالتاريخ لحوادث سنة ٦٦١ ( لا سنة ٦٥٩ ) ، والذيل فى هذه النسخة أيضا ينتهى بحوادث سنة ٦٨٠ ( لا سنة ٦٩٥ ) — كما نص على ذلك كاتب النسخة السابقة ( ١٧٠٢ ) فى مقدمته — فهذه النسخة الأخيرة إذن تفضل سابقتها فى كثير .

#### ٤ — نسخة استانبول ، مكتبة مللاجهلى رقم ١١٩<sup>(١)</sup>

ومنها صور شمسية بمكتبة جامعة الاسكندرية ، رقم ٤٩٨ ، وتقع فى ٢٠٠ ورقة ( أى ٤٠٠ صفحة ) ، ومتوسط عدد السطور فى الصفحة الواحدة ٢٤ سطراً .  
وهذه النسخة أقدم النسخ جميعا وأقيمها لولا أنه ينقصه أوائل الكتاب وخواتمه ، فهى تحتوى على أواسط الكتاب وتبدأ بالتاريخ للحوادث بعد وفاة صلاح الدين سنة ٥٨٩ هـ ، وتنتهى بحوادث سنة ٦٣٥ هـ بالحديث عن وفاة الملك الأشرف موسى ابن العادل . وتبدأ النسخة بهذا العنوان :

” ذكر ما استقرت الحال عليه من

الممالك بعد وفاة السلطان رحمه الله “

ولا تحمل الصفحة الأخيرة ( ص ٢٠٠ ب ) أى علامة من علامات الانتهاء أو الفراغ من الكتاب مما يدل على أنه كان لهذه النسخة بقية متصلة بها اتصالا تاما ، ولكنها

(١) أتته هذه الفرمة لأقدم الشكر إلى المستشرق المعروف الأستاذ ريتز Ritter ، فهو الذى أرشدنى إلى وجود هذه النسخة ، وهو الذى قام بتصويرها لمكتبة جامعة الاسكندرية إجابة لتوصيى .

اقتربت منها أوضاع ، بدليل أن النص متصل في هذه الصفحة إلى السطر الأخير منها ، وهذه آخر جملة وردت بهذه النسخة :  
« وكان في خدمته ( أى الأشرف ) جماعة من الأماثل وأهل الفضل ، منهم شيخنا في العلوم الرياضية علم الدين قيصربن أبى القسم بن عبد الغنى ، وكان عظيماً في العلوم الرياضية ، وعمر له مواضع حسنة ، منها الجوسق المعروف بطبحة ( كذا ) في مدينة رأس عين ، في غاية الحسن ، على شكل مثنى ، وبإزائه نهر يتصل ببلاد الخابور .  
والصفحة الأولى من هذه المخطوطة تحمل الدليل على منبج المؤلف في تجزيته الكتاب ، فيها ما يشير إلى أن هذه النسخة هي الجزء الثانى ، وهذا هو نص العنوان الذى تحمله هذه الصفحة الأولى :

الجزء الثانى من كتاب

مفترج الكروب

فى أخبار ملوك بنى أيوب

رحمهم الله تعالى

ومنى لأرجح أن هذه النسخة هي نسخة المؤلف نفسه أو أنها على الأقل كتبت أثناء حياته . فقد كتب اسم المؤلف على الصفحة الأولى وتحته « عفا الله عنه » والعادة أن الناسخ إذا كتب الكتاب بعد وفاة مؤلفه أن يدعو له بالرحمة ، فيتبع اسمه بالدعاء المعروف « رحمه الله » . أما النص تحت العنوان فهو :  
« تأليف الفقير إلى رحمة الله تعالى محمد بن سالم بن نصر الله بن سالم بن واصل ، عفا الله عنه » .

ومما يرجح هذا الظن أن نفس الصفحة تحمل بعد ذلك اسم مواطن المؤلف من حماة تملك النسخة بعد وفاة المؤلف بنحو وأربعين سنة فقط ، كما تحمل اسم عالم آخر قريب للسابق نص على قراءته للنسخة فى سنة ٧٨٤ هـ أى بعد وفاة المؤلف بسبع وثمانين سنة . وهذان هما النصان :

« كان فى يد على بن الحسن بن على بن عبد الوهاب الحموى ، ابتاعه بالقاهرة

فى جمادى الآخرة سنة اثنين وأربعين وسبعمائة »

” طالع مفترج الكروب من أوله إلى آخره أقل عبيد  
 أبيوب بن حسن بن علي بن عبد الوهاب ، عفا الله عنه وتاب عا . رحمه طيله  
 وعلى والديه ودعا له بخاتمة الخير ، وذلك في شهر ذى القعدة سنة ( أربعة ) وثمانيين  
 وسبعائة ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا . به وسلم تسليماً كثيراً .

— ٦ —

من هذا العرض كله يتضح أنه لم تصلنا نسخة واحدة كاملة من مفترج الكروب ،  
 وإنما نحن نجد لحسن الحظ أن هذه النسخ الأربعة تكون نسخة كاملة يمكن الاعتماد  
 عليها عند النشر . فالنسخة الأولى — نسخة كبرديج — تحتوي على الجزء الأول في ترتيب  
 متسق وتنتهي بحوادث سنة ٦١٦ هـ . والنسخة الرابعة — نسخة استانبول — تؤرخ  
 للحوادث بعد وفاة صلاح الدين سنة ٥٨٩ هـ وتنتهي بحوادث سنة ٦٣٥ هـ .  
 وبذلك يمكن عند نشر الأجزاء المتضمنة للسنوات من سنة ٦١٧ إلى سنة ٦٣٥  
 الاعتماد على هاتين النسختين .

والنسخة الثالثة ( نسخة باريس ١٧٠٣ ) تتضمن السنوات من ٦٣٥ ( حيث  
 تنتهي نسخة استانبول ) إلى ٦٥٩ أي إلى نهاية الكتاب والحوادث في هذه النسخ  
 الثلاث متسقة الترتيب لا اضطراب ولا خلط فيها ولا يشوبها أي نقص أو خرم .

أما نسخة باريس الأولى ( ١٧٠٢ ) فيمكن — رغم ما يشوبها من عيوب  
 كثيرة — أن يرجع إليها دائماً حيث يتفق النص فيها مع النص في أي نسخة أخرى  
 من النسخ الثلاث لضبطه وتقويمه وتصحيحه . وهذا ما فعلناه عند إخراج هذا الجزء  
 الأول من الكتاب ، وقد تبين لنا أنه على الرغم من أفضلية نسخة ( ك ) فقد ساعدت  
 نسخة ( س ) كثيراً على ضبط النص أو توضيحه أو إثبات جمل قصيرة أسقطها  
 ناسخ ( ك ) (١) .

— ٧ —

وهذا الجزء الأول من الكتاب الذي تقدمه اليوم للقارئ ، قد بدأ المؤلف فيه  
 بذكر نسب بني أيوب ، ثم أرتخ بعد ذلك — في إيجاز غير محل — لدولة الأتابكة  
 مع العناية بعلاقاتها بالدول المجاورة ، وخاصة الخلفائين : العباسية ، والفاطمية ،

(١) انظر مثلاً فيما يلي هنا : ص ٧٤ / ٥ و ٧٨ / ٤ و ١٤٥ / ٢ و ١٤٧ / ٨ و ٢٢١ / ١

والإمارات الصليبية ، ثم انتقل إلى الموضوع الأصيل فبدأ بالتاريخ لنشأة الدولة الأيوبية وعرض أثناء ذلك للدولة الفاطمية في مصر في أواخر أيامها وللصراع العنيف بين قوى الصليبيين وقوى نور الدين في سبيل الاستيلاء على مصر ، ولجهود صلاح الدين وأفراد أسرته وقواده التي بذلت للقضاء على المؤامرات الداخلية والحارجية ، وافتح بلاد النوبة واليمن . ووقفنا في هذا الجزء عند وفاة نور الدين محمود بن زنكي سنة ٥٦٩ هـ ؛ أما الجزء الثاني فسيشتمل بإذن الله على عصر صلاح الدين كله وينتهي بانتهاء حياته سنة ٥٨٩ هـ .

— ٨ —

وقد اعتمدنا عند نشر هذا الجزء على نسخة كبرديج ( ك ) واتخذناها أصلاً للنشر ثم قارنا بينها وبين نسخة باريس رقم ١٧٠٢ ( س ) في الصفحات التي لها مثيل في هذه النسخة الأخيرة . ومع هذا فقد استعنا لضبط النص وتصحيحه بالمراجع الكثيرة الأخرى المعاصرة وغير المعاصرة ؛ وخاصة تلك التي نقل عنها المؤلف ؛ وقد نص ابن واصل أحياناً على المراجع التي نقل عنها . ونقل دون نص أحياناً أخرى ، ومن المراجع التي نص على نقله عنها : البرق الشامي للعماد الاصفهاني ، والسيرة اليوسفية لابن شداد ، والروضتين لأبي شامة ، والكامل لابن الأثير . الخ . وقد طبعت أسماء المؤلفين والمراجع التي نص المؤلف على الأخذ عنها بحروف الرقعة يمكن للقارئ متابعتها .

وأكثر تقوله هنا عن ابن الأثير ، وقد لاحظت عند المقارنة بين النصين أن نص ابن واصل كثيراً ما يتفق ونص ابن الأثير اتفاقاً يكاد يكون تاماً ( انظر ص ٩٣ هامش ٤ ) ، كما لاحظت أنه يختلف عنه - أحياناً أخرى - بإيجازاً أو إطناً ، فرواية ابن واصل في بعض الأوقات أكثر تفصيلاً من رواية ابن الأثير مما يجعل لها قيمة خاصة ومما يرجح ظننا أن المؤرخين كانا ينقلان عن مراجع أخرى لم يذكرها ، وقد استطعت أن أتعرف على مرجع من هذه المراجع وهو « تاريخ ميا قارقين وأمد » لأحمد بن يوسف بن علي بن الأزرق الفارقي « (١) ،

(١) توجد من هذا الكتاب نسختان في مكتبة المتحف البريطاني . الأولى قطعة صغيرة منه كتبت في سنة ٥٦٠ هـ أي في حياة المؤلف ورقمها ٦٣١٠ ، والثانية أكبر وأولى من الأولى بل تكاد تكون نسخة كاملة ، كتبت سنة ٥٧٢ هـ ورقمها ٥٨٠٣ ، وقد نشر آمدرود أجزاء كثيرة منه في هوامش ( القليل على تاريخ دمشق لابن القلانسي ) ولتتريف بالفارقي وكتابه انظر مقالا في ( J. R. A. S. 1902. P. 786 ) .

وقد أثبت بالمقارنة بين نص ابن واصل والفقرات المنقولة عن الفارق في هوامش ابن القلائسي أن تاريخ الفارق كان من مراجع ابن واصل التي نقل عنها دون الإشارة إليها (١).

وكنت ألاحظ أحياناً أن نص ابن واصل مختصر اختصاراً يهيم المعنى ؛ بينما تزدهم المراجع الأخرى التي يختصر عنها أو التي تناولت الموضوع ولم ينقل عنها بالتفصيلات الهامة الموضحة فكنت أنقل في الهوامش فقرات من هذه المراجع لأمكن الدارسين والباحثين من فهم النص فهما واضحاً لا لبس فيه (٢).

وهذا الجزء الأول يشتمل على عدد من الوثائق الرسمية الهامة من رسائل ومناشير وسجلات وتواقيع . الخ ، وقد أثبت المؤلف بعض هذه الوثائق بنصها الكامل ولكنه اكتفى عند الإشارة إلى البعض الآخر بنقل الفقرات الهامة فيها ، وقد وردت بعض هذه الوثائق في المراجع التاريخية الأخرى فعارضنا النص هنا عليها لتصحيحها وضبطها (٣) . وانفرد ابن واصل مع هذا بذكر وثائق لم تكن المراجع الأخرى بإثباتها وبعض هذه الوثائق هام غاية الأهمية ، وخير مثل لها التواقيع التي أصدرها نور الدين لإلغاء المكوس بجميع أنحاء مملكته ، فهي تقدم للباحث ثباتاً هاماً بالمدن والأقسام الإدارية المكونة لمملكة نور الدين وبالمبالغ التي كانت يجبي من ضريبة واحدة وهي ضريبة المكوس (٤) .

أما الوثائق التي اقتصر ابن واصل على نقل فقرات منها ووجدنا نصوصها كاملة في مراجع أخرى ففي العزم — إن شاء الله — أن ننشر هذه النصوص الكاملة ملحقاً بالجزء الثاني .

وينفرد هذا الجزء أيضاً بإيراد نصوص نادرة تليق أضواء جديدة على بعض الموضوعات التاريخية وبعض نظم الحكم ، ففي ص ٦١ مثلا نص يبين مدى ما وصل إليه مركز الخليفة العباسي في العهد السلجوقي ، فقد سلبت منه كل السلطات

(١) انظر مثلا ص ٥٨ — ٧١ فيما يلي هنا .

(٢) انظر مثلا فيما يلي هنا : ص ٨٥ هامش ٣ وص ١٦٩ هامش ١ وص ٢٠١ هامش ٣

وص ٢٢٩ هامش ١ وص ٢٣٧ هامش ٢ وص ٢٤٠ هامش ٥

(٣) انظر فيما يلي هنا : ص ١٦٤ و ١٦٥ و ١٧٠ و ٢٢٥ و ٢٣٥ الخ .

(٤) انظر فيما يلي هنا : ص ٢٧١ — ٢٧٩

الزمنية ، وأصبح عليه - كما يقول النص هنا - أن « لا يدخل نفسه في غير أمر الدين » .

وفي ص ١٥٠ و ٢٨٠ نصان هامان يعينان على فهم نظام الإقطاع في عهد نور الدين بصفة خاصة وفي عهد الأتابكة بصفة عامة .

وفي ص ٢١١ نص هام آخر ذكر فيه المؤلف بعض الحقائق النادرة عن بقايا الأسرة الفاطمية الذين عاشوا في الأسر أو محتفين حتى أواخر الدولة الأيوبية ، بل وأشار إلى أنه قابل واحداً منهم في سجنه بقلعه الجبل بالقاهرة وتحدث إليه ، وقد اعتمد الأستاذ كازانوثا (Casanova) على هذا النص عند كتابة بحثه القيم عن بقايا الأسرة الفاطمية الذي نشره منذ سنوات طويلة في مجلة المعهد الفرنسي بالقاهرة<sup>(١)</sup> .

وهذا الجزء مملوء بالمصطلحات الإدارية والحربية والاجتماعية التي كانت مستعملة في تلك العصور التي يؤرخ لها الكتاب ، ومعظم هذه المصطلحات مأخوذ عن لغات غير عربية كالتركية والفارسية واليونانية وغيرها مثل : الدرگاه ( ص ١٠٢ هامش ١ ) والحشكناج ( ص ١٠٢ هامش ٣ ) واللث ( ص ١٤٠ هامش ١ ) والجامكية ( ص ١٥٠ هامش ٣ ) والمنجنيق ( ص ١٨٠ هامش ٢ ) والقنطارية ( ص ١٨٣ هامش ٢ ) والممزج ( ص ٢٠٣ هامش ٣ ) والبرواناه ( ص ٢٣٤ هامش ٤ ) والقبقي ( ص ٢٦٠ هامش ٨ ) والجوكان ( ص ٢٦٧ هامش ١ ) والترکش ( ص ٢٧٩ هامش ٥ ) الخ . وقد شرحنا هذه المصطلحات في الهوامش شرحاً وافياً بقدر ما سمحت لنا به المراجع ، وأشارنا إلى هذه المراجع في نهاية الشرح ليرجع إليها من أراد ؛ وفي رأبي أن العناية بشرح هذه المصطلحات عند نشر الأصول التاريخية القديمة أمر واجب لأن هذه المصطلحات من الأدوات الهامة التي لا يمكن لمن يريد التأريخ لنظم الحكم في العالم الإسلامي على تلك العصور الاستغناء عنها . وأرجو أن أوفق لإفراد فهرس خاص بهذه المصطلحات في نهاية الجزء الثاني من هذا الكتاب .

وميزة أخرى نذكرها لهذا الكتاب ، وذلك أنه يعتبر مرجعاً هاماً لدراسة تاريخ مدن الشام الكبيرة في العصور الوسطى ، فقد اعتاد المؤلف أن يقف طويلاً وأن يتحدث تفصيلاً كلما ورد ذكر مدينة من مدن الشام ، وخاصة المدن الهامة الثلاثة : حماة - وطنه الأصلي - وحمص وحلب<sup>(٢)</sup> .

(١) انظر قائمة المراجع غير العربية .

(٢) انظر ص ٧٢ ، هامش ١

وفي هذا الجزء نصوص تساعد الباحث على تحديد تاريخ تأليف الكتاب ،  
أو على الأقل تحديد التاريخ الذي بدأ فيه المؤلف تأليف كتابه :  
— فهو يقول مثلاً عند حديثه عن مقتل عماد الدين زنكي : « فحكى ابن الأثير  
رحمه الله . الخ » ولهذا الدماء أهمية خاصة فهو يدل على أن المؤلف كان يكتب  
هذا الجزء من كتابه بعد سنة ٦٣٠ هـ وهي السنة التي توفي فيها ابن الأثير (١) .

— وفي ص ١١٣ يشير إلى وفاة شاهنشاه بن أيوب ، ثم يعرّف به بقوله :  
« وهو جد مولانا السلطان الملك المنصور — صاحب حماة — خلّد الله سلطانه »  
وهذا الدماء يدل على أنه كان يكتب هذا الفصل من كتابه بعد سنة ٦٤٢ هـ وهي السنة  
التي ولي فيها المنصور الثاني حكم حماة (٢) .

— وفي ص ١٥٤ عند حديثه عن إربيل يقول : « وملكها المستعصم بالله  
إلى أن ملكها التتر الملاعين حين ملكوا البلاد » . وهذا النص يدل على أنه كان يكتب  
هذا الفصل بعد سنة ٦٥٦ هـ وهي السنة التي استولى فيها هولاكو على بغداد وقتل  
المستعصم وأرسل قائداً من قواده للاستيلاء على إربيل . وهكذا .  
وهذا الجزء أخيراً يعتبر مرجعاً هاماً لدراسة سيرة المؤلف نفسه فهو يشير في أكثر  
من موضع إلى بعض حوادث هذه السيرة :

— فهو يشير مثلاً في ص ٧٤ إلى أنه كان بالقدس في سنة ٦٢٣ هـ .  
— ويشير في ص ٢٠٤ ، ٢٣٦ إلى كتاب له آخر في التاريخ اسمه التاريخ الكبير .  
— وفي ص ٢١٠ يشير إلى أنه سافر إلى مصر سنة ٦٤١ هـ .  
— وفي ص ٢٣١ يشير إلى أنه حج إلى مكة وزار المدينة سنة ٦٤٩ هـ الخ .

ولا يفوتني أن أشير إلى أنني بذلت غاية جهدي لضبط النص وتقويمه فضبطت  
الآيات القرآنية بالشكل وحددت أرقامها وسورها في الهوامش وكذلك فعلت بالشعر  
فضبطته بالشكل وقارنته بأصوله في الدواوين إن وجدت وبالمراجع الأخرى  
إن ذكرته (٣) .

(١) انظر ص ٩٩ ، هامش ١٤ .

(٢) ص ١١٣ هامش ٣ .

(٣) لم أقم بهذه المقارنات ، وإنما عرضت الشعر الوارد في هذا الجزء عند طبعه على صديق  
الأستاذ الدكتور طه الحاجري فتفضل بتقويم الموضع منه فلحضرته مني أجزل الشكر .

أما الأعلام وأسماء المواقع والبلدان فقد دأبت على التعريف بها في الحواشي ما استطعت إلى ذلك سبيلاً مع الإشارة إلى المراجع التاريخية والجغرافية التي أفدت منها ليرجع إليها من يريد التثبت أو الاستزادة ، وأما الفهارس الأبجدية التفصيلية فقد أرجأتها مؤقتاً لتشمل الجزء الثاني وتنتشر في نهايته .

- ٩ -

وبعد فهذا هو الجزء الأول من كتاب « مفرج الكروب » وهذا هو منهجنا في نشره ، قد بذلنا السنوات الطوال في دراسته وإعداده للنشر حتى كل منا البصر واحتجنا إلى علاجه ، والله نسأل أن يهبنا القوة والصحة لإكماله ، وأن يبسر مواطنينا في مصر والشرق للأفادة منه .

وكتاب له هذه المميزات كان حرياً أن ينال حظاً أوفر من عناية الباحثين والمؤرخين ، وكان حرياً أن ينشر بعضه أو كله منذ سنوات ، ولكننا مع هذا نجده قد بقي مخطوطاً إلى اليوم ، وإياه لما يبعث العجب حقاً أن نحمد جماعة العلماء الذين عنوا بنشر النصوص العربية الخاصة بالحروب الصليبية في مجموعة المؤرخين الصليبيين (*Itocueil des Historiens des Croisades*) قد نشروا منتخبات من الكامل لابن الأثير ، والروضتين لأبي شامة ، وتاريخ حلب لابن العديم ، والمختصر في أخبار البشر لأبي الفدا ، وعقد الجمان للعيني . . . إلخ ، ومع هذا فقد أهملوا مفرج الكروب لابن واصل إهمالاً تاماً .

وقد بدأ المستشرقون المعاصرون يدركون ما لهذا الكتاب من قيمة كبرى وما للتقصير في نشره حتى اليوم من أثر ، وعبر أحدهم وهو الأستاذ كلود كاهن (C. Cahen) عن هذا في كتابه القيم (سوريا الشمالية في عصر الحروب الصليبية) (*La Syrie du nord à l'Époque de Croisades*) فقال بعد الفراغ من حديثه عن مفرج الكروب في فصل المراجع :

« وهو كتاب ذو قيمة كبيرة ، وإلى هذا فهو ومرآة الزمان لسبط ابن الجوزي مرجعنا الأسامي الذي أخذ عنه المؤرخون اللاحقون عند تأريخهم للدولة الأيوبية وقد كان يبدو أن تهيأ لمفرج الكروب مكانة ممتازة عند المؤرخين المحدثين لكثرة ماله من ميزات جعلت الكثيرين يعتمدون عليه ويأخذون عنه ، ولكن شيئاً من هذا لم يحدث .



ومع أنه يوجد لهذا الكتاب مخطوطات صالحة وسهل الحصول عليها ، فقد بقي حتى الآن دون أن ينشر أو يستفاد منه ، وفي هذا فضيحة عالمية لا نعتقد أنه من اليسير التغلب عليها قبل مضي وقت طويل :

“C'est un œuvre de haute valeur. C'est du plus, avec le (mirât az-zaman) de Sibt Ibn Al-Djauzi, notre source principale, indéfiniment reproduite dans l'historiographie postérieure, pour l'histoire des Ayyoubides. Il semblerait que tant de titres fussent assez pour avoir assuré au moufarridj une place d'honneur auprès des historiens modernes. Il n'en est rien, et l'œuvre, dont il existe pourtant des manuscrits très convenables et fort accessibles, reste inédite et presque inutilisée. Il y a là scandale qui ne saurait trop tôt cesser”  
[ *La Syrie du Nord ... etc. P. 70* ]

وعندما علم هذا الأستاذ الحاجة في تاريخ الحروب الصليبية بعزمي على نشر مفرج الكروب كتب لي خطاباً خاصاً قال فيه :

حضرة الزميل العزيز

دعني أعبرك عن ارتياحي الكلي لعلمي أنه وجد أخيراً من يأخذ على عاتقه مهمة العمل لنشر ابن واصل . إنه من العسير أن أتصور أنه كان من الواجب الانتظار حتى سنة ١٩٤٧ ليحدث هذا ؛ كم من الوقت تظن أنه يجب عليك أن تتوفر لإنجاز هذا العمل الكبير الضخم ... الخ .

Monsieur et cher collègue.

Laissez-moi d'abord vous exprimer toute ma satisfaction d'apprendre qu'enfin quelqu'un s'occupe d'éditer Ibn Wacil; il est difficile de comprendre comment il a fallu attendre 1947 pour cela. Combien de temps pensez-vous devoir consacrer à ce travail évidemment gros?

ووصلتني خطابات مماثلة من كثير من المستشرقين الأساتذة بجامعة أوربا وأمريكا أذكر من حضراتهم : الأساتذة برنارد لويس بجامعة لندن ، وجب بجامعة أوكسفورد ، وماسينيون بالكوليج دي فرانس ، وفيليب حتى بجامعة برنستون ، وجميعهم يؤكدون نفس المعنى ويستنجزوني بين الحين والحين الوعد أن أعمل على الإسراع بإخراج الكتاب .

وكذلك وصلتني رسائل كثيرة من المشرق من الأساتذة : المرحوم محمد كرد على  
بدمشق ، والدكتور مصطفى جواد الأستاذ بكلية المعلمين ببغداد ، والشيخ طاهر  
النعماني من علماء حلب ، والسيد قدرى كيلاني من علماء حماة وغيرهم ؛ ورسائلهم  
كلها تؤكد المعنى السابق ، فما قاله الدكتور مصطفى جواد : « . . . وسررتوني  
بعزمكم على إخراج التاريخ الحافل بالجليل - مفرج الكرب - لابن واصل الحموي ،  
فإن هذا المسعى الذي أتم ساعوه في نشره يغطي على غيره من المساعي ؛ وتاريخ  
الواصلين هذا أسميه « نخر التواريخ » لإحاطته بالحوادث واستيعابه الأحداث ،  
واعتماده في الإصدار بعد الإيراد . . . الخ » .

فلهؤلاء الأساتذة الأجلاء جميعاً شكري القلبي الخالص ، فقد استعنت بكلماتهم  
المشجعة الحاتة على التغلب على جميع الصعاب التي اعترضتني .

وشكري القلبي الصادق كذلك لأستاذي الدكتور محمد مصطفى زيادة فقد كان له -  
كما سبق أن أشرت - فضل تعريفى بهذا الكتاب ، ثم ظل يواليه بالتشجيع الدائم  
على العمل فيه ، ثم تفضل أخيراً بمراجعة هذا الجزء قبل تقديمه للطبعة .

والله أسأل أخيراً أن يوفقني للعمل الصالح وتخدمه هذا الوطن العزيز وتاريخه .

جمال الدين الشيبان

القاهرة في { ٢٣ رمضان ١٣٧٢  
٥ يونيو ١٩٥٣ }

## مراجع التحقيق

### (١) المراجع العربية

- ابن أبي أصيبعة ( موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم ) .  
= طبقات الأطباء ، جزءان ، المطبعة الوهيبية بالقاهرة ، ١٢٩٩ ( ١٨٨٢ ) .
- ابن أبي الوفاء ( محيي الدين أبو محمد عبد القادر ) .  
= الجواهر المعنية في طبقات الحنفية ، جزءان ، مطبعة مجلس دائرة المعارف  
النظامية ، حيدر أباد الدكن ، ١٣٣٢ هـ .
- ابن الأثير ( عز الدين أبو الحسن علي ) .  
= الكامل في التاريخ ، ١٢ جزءاً ، المطبعة الأزهرية بالقاهرة ، ١٣٠١ هـ .  
= اللباب في تهذيب الأنساب ، ٣ أجزاء ، القاهرة ، ١٣٥٧ - ١٣٦٩ .
- الادفوى ( كمال الدين أبو الفضل جعفر بن ثعلب ) .  
= الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد . القاهرة ،  
١٣٣٢ ( ١٩١٤ ) .
- ابن الأكفاني ( محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري السنجاري ) .  
= نخب الذخائر في أحوال الجواهر ، نشره الأب أنستاس ماري الكرملي ،  
القاهرة ، ١٩٣٩ ؛ ونشره قبل ذلك الأب لويس شيخو في مجلة المشرق ،  
السنة ١١ ) .
- أفوام ( الأب أغناطيوس الأول ) .  
= الألفاظ السريانية في المعاجم العربية ، بحث في مجلة المجمع العربي بدمشق ،  
أعداد سنة ١٩٥٠ .

بالمخرمة ( أبو محمد عبد الله الطيب بن عبد الله بن أحمد ) .  
= تاريخ ثغرعون ، مع نخب من توارنج ابن المجاور والجندي والأهدل ،  
نشره Oscar Löfgren جزءان ، لندن ، ١٩٣٦

بدر ( الدكتور مصطفى طه ) .  
= محنة الإسلام الكبرى ، أو زوال الخلافة العباسية على أيدي المغول ،  
القاهرة ، ١٩٤٧

البستاني .

= محيط المحيط ، جزءان ، بيروت ، ١٨٦٧ - ١٨٧٠

البيروني ( أبو الريحان محمد بن أحمد ) .  
= كتاب الجماهر في معرفة الجواهر ، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية ،  
حيدر آباد الدكن ، الهند ، ١٣٥٥ هـ

بيتر ( نورمان ) .

= الامبراطورية البيزنطية ، الترجمة العربية للدكتور حسين مؤنس ومحمود يوسف  
زايد ، القاهرة ، ١٩٥٠

ابن تغري بردي ( جمال الدين أبو المحاسن يوسف ) .

= النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ظهر منه ١٠ أجزاء ، مطبعة دار  
الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٢٩ - ١٩٤٩

تيمور ( أحمد باشا ) .

= لعب العرب ، القاهرة ، ١٩٤٨

ثابت ( نعمان ) .

= الجندية في الدولة العباسية ، بغداد ، ١٣٥٨ ( ١٩٣٩ ) .

ابن جبير ( أبو الحسين محمد بن أحمد ) .

= الرحلة ، الطبعة الثانية ، لندن ، ١٩٠٧

الملاحظ .

= البخلاء ، نشر الدكتور طه الحاجري ، القاهرة ، ١٩٤٨ .

- الجواليقي ( أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد الخضر ) .  
 = المعزب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم ، تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر ، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ، ١٣٦١ هـ .
- ابن الجوزي ( أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ) .  
 = المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، الأجزاء ٥ - ١٠ ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد الدكن ، ١٣٥٧ - ١٣٥٨ هـ .
- ابن حاتم ( بدر الدين محمد ) .  
 = السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن . مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ٢٤١١ ، وتوجد منه صور شمسية بمكتبة جامعة فؤاد الأول بالقاهرة ، رقم ٢٦١٣٣ .
- حبشي ( حسن ) .  
 = الحرب الصليبية الأولى ، القاهرة ، ١٩٤٧ .
- نور الدين والصليبيون ، القاهرة ، ١٩٤٨ .
- أبو حديد ( محمد فريد ) .  
 = صلاح الدين الأيوبي وعصره ، القاهرة ، ١٩٢٧ ( ١٧٦١ هـ ) .
- حسن ( الدكتور حسن إبراهيم ) .  
 = الفاطميون في مصر ، القاهرة ، ١٩٣٢ .
- الحسن بن عبد الله .  
 = آثار الأول في ترتيب الدول ، بولاق ، ١٢٩٥ هـ .
- حسين ( محمد أحمد ) .  
 = أسامة بن منقذ ، القاهرة ، ١٩٤٦ .
- حسين ( الدكتور محمد كامل ) .  
 = في أدب مصر الفاطمية ، القاهرة ، ١٩٥٠ .
- حمزة ( الدكتور عبد اللطيف ) .  
 = حكم فراقوش ، القاهرة ، ١٩٤٥ .

الحنبلى (أحمد بن إبراهيم بن نصر الله) .  
= شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب ، صور شمسية بمكتبة جامعة فؤاد الأول  
بالقاهرة ، رقم ٢٤٠٣٠ (والأصل مخطوطة بالمتحف البريطانى رقم ٧٣١١) .

ابن حوقل (أبو القاسم محمد) .  
= المسالك والممالك والمفاوز والممالك ، لندن ، ١٨٢٢

ابن خلكان (شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد) .  
= وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ٣ أجزاء ، القاهرة ، ١٢٩٩ هـ .  
و ٦ أجزاء ، طبعة محيى الدين عبد الحميد ، القاهرة ، ١٩٤٨

الخوارزمى (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف) .  
= مفاتيح العلوم ، القاهرة ، ١٣٤٩ (١٩٣٠) .

دائرة المعارف الإسلامية (الترجمة العربية) .  
مادة : أنابك ، لاريل ، الموت ، جريب .

ابن الدببى (محمد بن سعيد بن محمد) .  
= تاريخه - باختصار الذهبى - نشره الدكتور مصطفى جواد ، الجزء الأول ،  
بغداد ، ١٣٧١ (١٩٥١) .

الدجيلى (قاسم) .  
= بحث فى مجلة لغة العرب ، الأجزاء ١ و ٢ و ٣ سنة ١٩٠١

ابن دحية (أبو الخطاب عمر بن أبى على) .  
= النبى فى تاريخ خلفاء بنى العباس نشره عباس العزاوى ، بغداد ، ١٣٦٥  
(١٩٤٦) .

ابن دقاق (إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلافى) .  
= الانتصار لواسطة عقد الأمصار ، الجزءان ٤ و ٥ ، بولاق ، ١٣٠٩ هـ .

الذهبى (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان) .  
= تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام (ظهر منه حتى الآن ٤ أجزاء) ،  
مكتبة القدسى ، القاهرة ١٣٦٧ - ١٣٦٩

زامباور .

= معجم الأتساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، الترجمة العربية  
للدكتور زكي محمد حسن وحسن أحمد محمود وآخرين ، جزءان ، مطبعة جامعة  
فؤاد الأول ، القاهرة ، ١٩٥١ - ١٩٥٢

الزركلي .

= الأعلام ، ٣ أجزاء ، القاهرة ، ١٣٤٧ (١٩٢٨) .

زكي (محمد أمين) .

= خلاصة تاريخ الكرد وكردستان من أقدم العصور التاريخية حتى الآن ، ترجمه  
إلى اللغة العربية محمد علي عوني ، القاهرة ، ١٩٣٦

زيادة (الدكتور محمد مصطفى) .

= المؤرخون في مصر في القرن الخامس عشر الميلادي ، القاهرة ، ١٩٤٩

ابن الساعي (أبو طالب علي بن أنجب تاج الدين) .

= الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير ، الجزء التاسع ، نشره الدكتور  
مصطفى جواد ، بغداد ، ١٩٣٤

سبط بن الجوزي .

= مرآة الزمان ، الجزء الثامن ، القسم الأول والثاني في مجلدين ، مطبعة مجلس  
دائرة المعارف العثمانية ، حيدرآباد الدكن ، الهند ، ١٣٧٠ (١٩٥١) .

السبكي (تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن تقي الدين) .

= طبقات الشافعية ، ٦ أجزاء ، القاهرة ، ١٣٢٤ هـ .

سركيس (يوسف البيان) .

= معجم المطبوعات العربية والمعربة ، القاهرة ، ١٣٤٦ (١٩٢٨) .

ابن سيده (أبو الحسن علي بن اسماعيل) .

= المخصص ، ١٧ جزءاً ، بولاق ، ١٣١٦ - ١٣٢١

السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر) .

= تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين ، القاهرة ، ١٣٥١ هـ .

- = حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، جزءان ، القاهرة ، ١٣٢٧ .
- ابن شاكر الكتبي ( محمد بن أحمد ) .
- = فوات الوفيات ، طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد ، جزءان ، القاهرة ، ١٩٥١ .
- أبو شامة ( شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن بن اسماعيل بن إبراهيم المقدسي ) .
- = كتاب الروضتين في أخبار الدولتين ، جزءان ، مطبعة وادي النيل بالقاهرة ، ١٢٨٧ - ١٢٨٨ هـ .
- ابن الشحنة ( محب الدين أبو الفضل محمد ) .
- = الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب ، نشره يوسف بن اليان سركيس ، بيروت ، ١٩٠٩ .
- ابن شداد ( بهاء الدين ) .
- = النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية القاهرة ١٣٤٦ هـ .
- شرف ( الدكتور طه ) .
- = دولة التزارية أجداد أفاخان كما أسماها الحسن الصباح ، القاهرة ، ١٩٥٠ .
- الشيال ( الدكتور جمال الدين ) .
- = الاسكندرية ، طبوغرافية المدنية وتطورها من أقدم العصور إلى الوقت الحاضر ، القاهرة ، ١٩٥٢ .
- = جمال الدين بن واصل وتجاوبه مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، بحث لم ينشر بعد .
- = معجم السفن العربية ، مخطوطة لم تطبع بعد .
- الصابوني ( أحمد بن إبراهيم ) .
- = تاريخ حماة ، حماة ، ١٣٣٢ .
- الصفدي ( صلاح الدين خليل بن أبيك ) .
- = الوافي بالوفيات ، نشر المشرق هـ . ريتز ، الجزء الأول ، مطبعة الدولة باستانبول ، ١٩٣١ .



- ابن طباطبا ( محمد بن علي ) .  
 = الفخرى في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٢٣ .
- ابن العماد ( أبو الفلاح عبد الحمى ) .  
 = شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ١٢ جزءاً ، القاهرة ، ١٣٥٠ - ١٣٥٣ .
- العماد الكاتب الأصفهاني ( أبو عبد الله محمد بن محمد ) .  
 = خريدة القصر وجريدة العصر ، القسم الأول - شعراء مصر - في جزأين ،  
 نشره أحمد أمين وشوقي ضيف وإحسان عباس ، القاهرة ، ١٩٥١ - ١٩٥٢ .
- = الفتح القمى في الفتح القدسى ، القاهرة ، ١٣٢١ هـ .
- عمارة ( نجم الدين أبو محمد اليمنى ) .  
 = تاريخ اليمن ، نشره كاي ، لندن ١٣٠٩ ( انظر المراجع غير العربية ) .
- = النكت المصرية في أخبار الوزراء المصرية ، ٣ أجزاء ، نشره درنبرج ،  
 شالون ١٨٩٧ .
- عنان ( محمد عبد الله ) .  
 = تراجم إسلامية ( شرقية وأندلسية ) القاهرة ، ١٩٤٧ .
- أبو الفدا ( الملك المؤيد إسماعيل صاحب حماة ) .  
 = المختصر في أخبار البشر ، ٤ أجزاء ، المطبعة الحسينية ، القاهرة ، ١٣٢٥ هـ .
- ابن الفوطى ( أبو الفضل عبد الرازق البغدادى ) .  
 = الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة ، نشره الدكتور  
 مصطفى جواد ، بغداد ، ١٣٥١ هـ .
- ابن قتيبة ( أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينورى ) .  
 = المعارف ، القاهرة ، ١٩٣٥ .
- ابن قلاقس ( أبو الفتوح نصر الله بن عبد الله ) .  
 = الديوان ، نشر خليل مطران ، مطبعة الجوائب ، القاهرة ، ١٣٢٣ هـ .

- ابن القلانسي ( أبو يعلى حمزة ) .  
 = ذيل تاريخ دمشق ، نشره مع مقدمة انجليزية آمدروز ، بيروت ، ١٩٠٨
- القلقشندي ( أبو العباس أحمد ) .  
 = صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، ٤ أجزاء ، مطبعة دار الكتب المصرية ،  
 القاهرة ، ١٩١٣ - ١٩١٩
- ابن كثير ( عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر ) .  
 = البداية والنهاية ، ٤ أجزاء ، القاهرة ، ١٣٥٨ هـ .
- كرد علي ( محمد ) .  
 = خطط الشام ، ٦ أجزاء ، دمشق ١٩٢٥ - ١٩٢٨
- الكرملي ( الأب أنستاس ماري ) .  
 = ألقاب الشرف والتعظيم عند العرب ، بحث في مجلة الرسالة ، العدد ٤١١ ،  
 ١٩ مايو سنة ١٩٤١
- ابن مالك ( محمد بن أبي الفضائل الحمادي اليمني ) .  
 = كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ، القاهرة ، ١٩٣٩
- ابن ممتي ( الأسعد بن مليح ) .  
 = قوانين الدواوين ، مطبعة الوطن بالقاهرة ، ١٢٩٩ هـ ، ونشره الدكتور عزيز  
 سوريال عطيه ، مطبعة مصر بالقاهرة ، ١٩٤٣ م .
- ابن منظور ( أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري ) .  
 = لسان العرب ، ٢٠ جزءاً ، بولاق ، ١٣٠٢ - ١٣٠٧ هـ .
- ابن ناصر ( صدر الدين أبو الحسن علي ) .  
 = أخبار الدولة السلجوقية ، نشر محمد إقبال ، لاهور ، ١٩٣٣
- النعمي .  
 = المدارس في المدارس ، نشر جعفر الحسني ، دمشق ، ١٩٤٨
- الماوردي ( أبو الحسن علي بن محمد ) .  
 = الأحكام السلطانية ، القاهرة ، ١٢٩٨

مبارك (الدكتور زكي) .

= الأخلاق عند الغزالي ، القاهرة ( بدون تاريخ ) .

مبارك ( على باشا ) .

= الخطط التوفيقية الجديدة ، ٢٠ جزءاً ، القاهرة ، ١٣٠٤ - ١٣٠٦ هـ .

مرضى بن على بن مرضى الطرطوسى .

= تبصرة أرباب الألباب فى كيفية النجاة فى الحروب من الأسواء ، نشر أجزاء

منها مع ترجمة فرنسية وتعليقات الأستاذ كلود كاهن . ( انظر قائمة المراجع

غير العربية ) .

المسمودى ( أبو الحسن على بن الحسين ) .

= التنبيه والإشراف ، القاهرة ، ١٩٣٨

مصلحة المساحة المصرية .

= فهرس مواقع الأمكنة ، بولاق ، ١٩٣٢

المقريزى ( تقى الدين أحمد بن على ) .

= اتعاظ الحنفا بذكر الأئمة الفاطميين الخلفاء ، نشر الدكتور جمال الدين الشيال ،

القاهرة ، ١٩٤٨

= إغاثة الأمة بكشف الغمة ، نشر الدكتورين محمد مصطفى زيادة وجمال الدين

الشيال ، القاهرة ، ١٩٤٠

= السلوك لمعرفة دول الملوك ، نشر الدكتور محمد مصطفى زيادة ( ظهر منه

الجزء الأول فى ٣ مجلدات والجزء الثانى فى مجلدين ولم يتم ) ، القاهرة ،

١٩٣٤ - ١٩٤٢

= المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، ٤ أجزاء ، مطبعة النيل بالقاهرة ،

١٣٢٤ - ١٣٢٦ هـ .

= نحل عبر النحل ، نشر الدكتور جمال الدين الشيال ، القاهرة ، ١٩٤٦

- التعساني ( الشيخ طاهر ) .
- = أسامة بن منقذ ، محاضرة أقيمت في المجمع العلمي العربي بدمشق ، ١٩٢٥ ،  
 طبعت في حماة ( بدون تاريخ ) .
- ابن هشام ( أبو محمد عبد الملك ) .  
 سيرة النبي عليه الصلاة والسلام ، جزآن ، القاهرة ، ١٣٤٦ هـ .
- ابن واصل ( جمال الدين محمد بن سالم ) .  
 = شرح كتاب الأغاني المعروف باسم تجريد الأغاني من المثلث والمثنائي ، نسخة  
 دار الكتب المصرية بالقاهرة ، ٣ مجلدات ؛ رقم ٥٠٧١ أدب ، وصور  
 شمسية بمكتبة كلية الآداب بجامعة الاسكندرية رقم ٢٣١١  
 = التاريخ الصالحى . صور شمسية بمكتبة كلية الآداب بجامعة الاسكندرية .
- ياقوت ( شهاب الدين أبو عبد الله الحموى ) .  
 = معجم البلدان ؛ لينجز ، ١٨٧٠  
 = معجم الأدباء ، طبعة فريد رفاعى ، ٢٠ جزءاً ، القاهرة ، ١٩٣٦

### (ب) المراجع غير العربية

ALLEN.

= History of the Georgian People. London, 1932.

CAHEN (CLAUDE).

= La Syrie du Nord a l'Epoque de Croisades et La Principauté  
 Tranque D'Antioche. Paris, 1940.

= Un Traité d'Armurerie Composé pour Saladin. (Extrait du  
 Bulletin d'Études Orientales. Damas. Tome XII, 1947-1948)

= Correspondance de D iyā ad-Din Ibn al-Athir (B. S. O. S.  
 vol. XIV. part 1).

= La Tughra Seljukide. (Journal Asiatique, 1945).

- CASANOVA  
 = Les Derniers Faṭimides. (Mémoires de La Mission Archéologique Française du Caire, Tome VI, 1893. p. p. 415-445).
- DEMOMBYNES  
 = La Syrie a l'Époque des Mamelouks. Paris, 1923.
- DOZY (R. Q. A.)  
 = Dictionnaire des Noms des Vêtements chez les Arabes. Amsterdam, Müller, 1845.  
 = Supplément Aux Dictionnaires Arabes. Brill, Leiden, 1881.
- DUSSAUD (R).  
 = Topographie Historique de la Syrie Antique et Médiévale. Paris, 1927.
- ENCYCLOPAEDIA OF ISLAM.
- GERALD DE GAURY.  
 = Rulers of Mecca. London, 1951.
- GIBB (H. A. R.)  
 = Arabic Sources for the Life of Saladin. (Speculum. vol. XXV. No. 1. January 1950. p. p. 58-74).
- GOLDZIHNER  
 = Streitschrift des Gazali Gegen die Batiniya-Sekte. Leiden. 1916.
- IBN AL-QALANISI  
 = Damas De 1075 A 1154. (Traduction annotée d'un fragment de l'Histoire De Damas d'Ibn Al-Qalānisī par Roger Le Tourneau). Damas, 1952.
- IBN JUBAYR  
 = The Travels of. Edited by W. Wright, second edition revised by M. J. De Gœje. Leyden, 1907.
- KAY (H. CASSELS)  
 = Yaman, Its Early Mediaeval History. London, 1892.
- KINDERMANN  
 = Schiff im Arabischen. Zwickaw, 1934.

KING

= The Knights Hospitallers in the Holy Land. London, 1931.

LANE-POOLE (ST.)

= Mohammadan Dynasties. Westminster, 1894.

LEWIS (BERNARD).

= The Origins of Ismā'ilism. Cambridge, 1940.

O'LEARY (DE LACY).

= A Short History of the Faṭimid Khalifate. London, 1923.

RUNCIMAN

= A History of the Crusades, vol. 1. The First Crusade. vol. 2  
The Kingdom of Jerusalem. Cambridge University Press.  
1951, 1952.

SOUVAGET

= Monuments Histoaiques de Drmas.

(STERN S. M.)

= The Succession of the Faṭimid Imam Al-Āmir, The Claims  
of the Later Faṭimids to the Imamate, And the Rise of  
Ṭayyibi Ismailism. (Oriens, vol. 4, No. 2, p. p. 193 ff).

STEVENSON.

= The Crusaders in the East. Cambridge University Press.  
1907.

ZAMBAUR (E. DE.)

= Manuel de Genealogie et de Chronologie pour l'Histoire de  
l'Islam. Hanovre, 1927.



KING

= The Knights Hospitaller in the Holy Land. London, 1921.

LAKE-POLAR (St.)

= Mohammedan Dynasties. Worcester, 1851.

LEAHY (Barham).

= The Origin of Jack Bull. Cambridge, 1896.

O'LEARY (De Lacy).

= A Short History of the Crusades. London, 1878.

WYATTEN

= A History of the Crusades, vol. 2. The East, vol. 2.

The Kingdom of Jerusalem. Cambridge University Press.

1882, 1883. بیهزما و بیخه بلا

STEVENS

= Monuments Historiques de Damas  
ب مبراً رفاً الی بیجا

(BIBL. S. M.)

= The Succession of the Fatimid Imam Al-Amir, The Caliph  
of the Later Fatimids to the Imamate, And the Rise of  
Tayyibi Ismailism. (Oriens, Vol. 4, No. 2, p. p. 181 ff.)

STEVENS.

= The Crusades in the East. Cambridge University Press,  
1907.

ZAMMACH (R. DE.)

= Manuel de Géographie et de Chronologie pour l'Histoire de  
Chios. Paris, 1868.



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ [ رَبِّ يَسِّرْ ]

الحمد لله العزيز الغفار ، القوي القهار ، المتعالى عن أن تدركه الأبصار ، أو تحيط به الخواطر والأفكار ، أحمد على أنعمه المتواليه الغزار ، وأصلى على رسوله محمد المنتجب من أشرف نَجَّار (١) ، المخصوص بأعظم فخار ، وعلى آله الأكرمين الاطهار ، وأصحابه البررة الأخيار .

وبعد ؛ فهذا كتاب أوردت فيه أخبار ملوك بني أبوب ، وجمله من محاسنهم ومناقبهم ، إذ كانوا أعظم ممن تقدمهم من الملوك شأنا ، وأجلهم سلطانا ؛ فتح الله تعالى بهم القدس الشريف من أيدى الكافرين ، وأذل بسيوفهم أعناق الملحدين ، وطهروا الديار المصرية من بدع الباطنية (٢) ، وشيّدوا بها أركان الملة الخفية ، فشكر الله سبحانه سعيهم ، وقُدّس أرواحهم الشريفة ، وأنالهم من الآخرة أعلأ الرتب المنيفة .

وخدمتُ به خزانة الجناب (٣) الكريم المولوى الاميرى الكبيرى المعضى

(١) النجار الأصل ، ويوجد أمام هذا اللفظ في الهامش مايلى : « نجار : Color, Natura, Radix, Diversitas » ويبدو أن أحد المستشرقين الذين اطلعوا على هذه النسخة في مكتبة جامعة كبرودج استعصى عليه فهم لفظ « نجار » فكتب أمامها معانيها المختلفة في اللغة اللاتينية .  
(٢) يقصد المؤلف أن الأيوبيين قضوا على الدولة الفاطمية الشيعية التي ظلت محكم مصر نحو قرنين من الزمن .

(٣) كان للألقاب الاسلامية في العصر المملوكى خاصة نظام دقيق عرّفه ديوان الانشاء وحذقه كتابه ، وأمرد القلقشندى الجزء السادس من كتابه صبيح الأعيى للحديث عن هذا النظام ، وقسمها ابتداء من ص ١٣٠ إلى خمس درجات : الدرجة الأولى درجة المقر ، والدرجة الثانية درجة الجناب ، وأورد أمثلة مما كان يكتب لنواب الشام مما يبدأ بلفظ جناب ، وهي لا تختلف كثيراً عن هذه الألقاب التي لقب بها المؤلف هنا الملك المنصور صاحب حجة القدى ألف الكتاب باسمه .

النصيري الاسفهلاري (١) العالمي العادلي المظفري المؤيدي ، ملك الأمراء ، مقدم الجيوش ، مبارز الدين ، سيد الغزاة والمجاهدين ، الملكي المصوري (٢) أعز الله أنصاره ، وضاعف اقتداره ؛ إذ كان الله سبحانه قد خصّه من بين سائر أمراء عصره بالرأي الصائب ، والفكر الثاقب ، والفضل الغزير الباهر ، والعقل الرصين الوافر ، والأخلاق الكاملة الرضية ، والمحاسن الجميلة السنية ، ومحبة العلم والعلماء ، وإيثار الفضيلة والفضلاء ؛ وسمّيته : «مفرج الكروب في أخبار بني أيوب» وبالله المستعان ، وعليه التكلان .

(١) اسفهلار كلمة مكونة من لفظين ، أحدهما فارسي وهو « أسفه » ومعناه المقدم ، والثاني تركي وهو « سِلار » ومعناه المسكر ؛ فكان معناها : « مقدم المسكر » ، وقد استعمل هذا المصطلح في مصر في عهد الدولة الفاطمية ، وكان حامله صاحب وظيفة تلي صاحب الباب وهو كما ذكر ( القلقشندي : ج ٣ ، ص ٤٨٣ ) : « زمام كل زمام ، وإليه أمر الأجناد والتحدث فيهم ، وفي خدمته وخدمة صاحب الباب تقف الحجاب على اختلاف طبقاتهم » ، ثم أصبح هذا القتب في العصر المملوكي مما يختص به أمراء الطبلخانة أو من م في مراتبهم ، ويذكر القلقشندي أن الأمراء في زمانه تركوا استعمال هذا القتب لأن العامة اعتادوا أن يقولوا لبعض من يقف بباب السلطان من الأعوان « اسفهلار » فكره الأمراء « مشاركة بعض الأعوان فيه ، فأضربوا عنه لذلك ، أو لم يفهموا معناه فتركوه » . ( صبيح الأعشى : ج ٦ ، ص ٧ و ٨ ) .

(٢) هو الملك النصور الثاني سيف الدين محمد صاحب حماة ، من نسل الملك المظفر الأول تقي الدين عمر بن شاهنشاه — ابن أخي صلاح الدين — ؛ ولي النصور الثاني حكم حماة سنة ٦٤٢ هـ وظل على عرشها إلى أن توفي سنة ٦٨٣ ، وكان طالما محبا قداماء ، فمات ابن واصل سنين طويلة في كنفه ، وله ألف كتابين من أم كتبه : مفرج الكروب هذا — كما يتضح من النص — ، وشرح كتاب الأغانى .

## ذكر نسب بنى أيوب

لا خلاف في أن الملك الأفضل نجم الدين أيوب — رحمه الله — والد الملوك ، وأخاه الملك المنصور أسد الدين شيركوه ، وهما ابنا شاذى<sup>(١)</sup> بن مروان ، ثم قيل إن مروان هو ابن محمد بن يعقوب ، وقيل مروان هو ابن يعقوب نفسه . وأختلف في أصلهم : فذكر عز الدين بن الأثير — المؤرخ الموصلى — أن أصلهم من الأكراد الروادية<sup>(٢)</sup> ، وهم فخذ من الهذبانىة .

وأنكر جماعة من ملوك بنى أيوب النسبة إلى الأكراد ، وقال : « إنما نحن عرب ، نزلنا عند الأكراد وتزوجنا منهم » [٢] . وادعى بعضهم النسب إلى بنى أمية . وكان الملك المعز إسماعيل<sup>(٣)</sup> بن سيف الإسلام ظهير الدين

(١) هكذا ضبطه (ابن خلكان : الوفيات ، ج ١ ، ص ١٥٢) ، وقال إن هذا الاسم مجمى ومعناه بالعربى فرحان .

(٢) في الأصل : « الروادية » ، وقد صحح اللفظ بعد مراجعة : (ابن الأثير : الكامل ، ج ١١ ، ص ١٢٨) و (أبو شامة : الروصتين ، ج ١ ، ص ١٢٩) و (المقريزى : السلوك ، ج ١ ، ص ٤) و (ابن تغرى بردى : النجوم ، ج ٦ ، ص ٤) ، والحديث عن نسب بنى أيوب وأصلهم الكردى أو الأموى العربى طويل ، أنظر لهذا ولذاك : (ابن حوقل : المسالك والممالك ، ص ١٨٧) و (السمودى : التنبيه والاشراف ، ص ٨٩) و (الحنبلى : شفاء القلوب ، ص ١٣ — ب) و (Enc. Isl. Art. Kurds.)

(٣) خرج من مصر فى أوائل عهد صلاح الدين (٥٦٩ = ١١٧٣) جيش أيوبى لفتح اليمن ، وقد تولى هذا الفتح الملك العظم تورانشاه الأخ الأكبر لصلاح الدين ، وقد تولى هذا الملك حكم اليمن بعد فتحها (٥٦٩ — ٥٧٧ = ١١٧٣ — ١١٨١) ثم خلفه أخ آخر هو سيف الإسلام طفتكين (٥٧٧ — ٥٩٣ = ١١٨١ — ١١٩٦) ، وبعد موته خلفه ابنه الملك المعز إسماعيل (٥٩٣ — ٥٩٨ = ١١٩٦ — ١٢٠١) .

أنظر : (Lane-Poole: *Nohammadan Dynasties*, p. ١8.) و (Zambaur: *Manuel de Genealogie et de Chronologie pour l'Histoire de l'Islam*, p. 98.)

وسيدورخ ابن راصل فيما يلى لفتح اليمن ولشكل ملك من هؤلاء فى شىء من التفصيل .

طُنْتِكِين<sup>(١)</sup> بن أيوب — صاحب اليمن بعد أبيه سيف الإسلام ظهير الدين — يدعى ذلك ، وسمى نفسه : « المعز لدين الله » ، وخطب لنفسه بالخلافة<sup>(٢)</sup> في اليمن ، وذلك في أيام عمه الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب ، فانكر ذلك الملك العادل — رحمه الله — وقال : « لقد كذب إسماعيل ، ما نحن من بني أمية أصلاً .  
والذين ادَّعوا هذا النسب قالوا : « أيوب ، بن شاذي ، بن مروان ، بن الحكم ، ابن عبد الرحمن ، بن محمد ، بن عبد الله ، بن محمد ، بن محمد ، بن عبد الرحمن ، ابن الحكم ، بن هشام ، بن عبد الرحمن الداخل ، بن معاوية ، بن هشام ، ابن عبد الملك ، بن مروان ، بن الحكم ، بن أبي العاص ، بن أمية ، بن عبد شمس ، ابن عبد مناف » ؛ وفي عبد مناف يجتمع نسب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ونسب بني أمية . فهذا قول من جعل نسبهم في بني أمية .

وجماعة آخرون أثبتوا نسبهم في بني مرة بن عوف ؛ ومن أثبت ذلك الحسن ابن غريب [ بن عمران ] الحرسي<sup>(٣)</sup> ، فإنه أوصل نسبهم إلى علي بن أحمد

(١) ضبط هذا اللفظ بعد مراجعة : ( ابن خلكان : الوفيات ، ج ١ ، ص ٤٢٥ — ٤٢٦ )  
ولكنه لم يعرفه وإنما قال : « وهو اسم تركي » ، وقد ضبطه صاحب ( شفاء القلوب ص ٥٤ ب ) : « طُنْتِكِين » وذكر أنه يقال له أيضا « طُنْدِكِين » .

(٢) ذكر هذه الحنيفة عنه كثرة المؤرخين ، فما ذكره ( الحنبلي : شفاء القلوب ، ص ١٧٤ ) مثلا أنه « ادعى أنه أموي ، ورام الخلافة ، ولبس ثيابها ، وكان طول السك نحو عشرين ذراعاً ، وسمى نفسه المهدي ، وأرسل إليه عمه العادل ينهيه عن ذلك ، ويشكر فعله ، وقيل إنه ادعى النبوة » . انظر أيضاً : ( ابن خلكان : الوفيات ، ج ٣ ، ص ٤٧١ — ترجمة صلاح الدين ) ، ( المقرئ : السلوك ، ج ١ ، ص ٤٢ ) .

(٣) في الأصل : « حسن بن غريب الحريني » ، وفي ( شفاء القلوب ، ص ١٣ — ب ) : « ابن غريب » فقط ، وقد صحح الأسم وأضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة : ( ابن خلكان : الوفيات ، ج ٣ ، ص ٤٧١ ) فهو أول من نقل هذا النسب عن هذا المؤرخ النسابة ، الحسن بن غريب حيث قال : « ورأيت مدرجاً رتبة الحسن بن غريب الحرسي يتضمن أن أيوب ابن شاذي بن مروان . . الخ » وعن ابن خلكان نقل هذا النسب المؤرخون اللاحقون كابن واصل وغيره ، هذا ولم أعتز فيما بين يدي من مراجع على ترجمة أو تعريف لحسن بن غريب =

المُرْسِي (١) الذي امتدحه المتنبي بقوله :  
شَرِقَ الْجَوُّ بِالغَبَارِ إِذَا سَا رَ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ الْقَمَّامُ  
وأحضر هذا النسب إلى الملك المعظم شرف الدين عيسى ، بن الملك العادل  
— صاحب دمشق — ، فسمع النسب عليه ، وأسمعه ولده الملك الناصر صلاح الدين  
داود ، في سنة تسع عشرة وستمائة .  
والنسب هو هذا :

« أبوب ، بن شاذي ، بن مروان ، بن أبي علي ، بن عنبرة (٢) ، بن الحسن ،  
ابن علي ، [ بن أحمد بن علي ] (٣) ، بن عبد العزيز ، بن هُدْبَةَ ، بن الحُصَيْن ،  
ابن الحرث ، بن سنان ، بن عمرو ، بن مُرَّة ، بن عَوْف . ثم اختلف النسابون  
بعد ذلك ، فالأكثر قالوا :

« عوف ، بن سعد ، بن ذُبْيَان ، بن بَعِيض ، بن رَيْث ، بن غَطْفَان ، بن سعد ،  
ابن قَيْس [ بن ] عَمِيلَانَ (٤) ، [ بن إلياس ] (٥) ، بن مُضَر ، بن نَزَار ، بن مَعَدَّ ،  
ابن عَدْنَانَ . وبعضهم قالوا :

— الحرسي هذا . ثم قال ابن خلسكان بعد أن ذكر الخبر والنسب : « هذا آخر ما ذكره  
في المدرج ، وكان قد قدمه إلى الملك المعظم شرف الدين عيسى بن الملك العادل صاحب دمشق ،  
وسمه عليه هو وولده الملك الناصر صلاح الدين أبو الفاجر داود بن الملك المعظم ، وكتب  
لها بناءها عليه في آخر رجب سنة تسع عشرة وستمائة » .

(١) لعله يقصد أنه ينتمي بنسبه إلى مرة بن عوف ، وإلا فإن نص ابن خلسكان — وهو الصدر  
الذي ينقل عنه ابن واصل هنا — هو : « إن علي بن أحمد بن علي بن عبد العزيز يقال إنه ممدوح  
المتنبي ويبرف بالخراساني ، وفيه يقول من جملة قصيدة . الخ » .  
(٢) كذا في الأصل ، وفي (شفاء القلوب ، ص ١٣) : « عنبرة » ، وفي (ابن خلسكان :  
الوفيات ، ج ٣ ص ٤٧١) : « عنبرة » ؛ أنظر أيضا : (ابن تفرى بردى : النجوم الزاهرة ،  
ج ٦ ، ص ١٣ هامش ٣) .

(٣) في الأصل : « ابن الحسن بن أبي علي بن عبد العزيز » وقد صححت وأضيف ما بين  
الحاصرتين بعد مراجعة : (ابن خلسكان) و (النجوم الزاهرة) ، الاجزاء والصفحات المذكورة  
في الهامش السابق .

(٤) في الأصل : « قيس عميلان » وقد صححت بعد مراجعة : (ابن خلسكان ، الوفيات)  
و (ابن تفرى بردى ، النجوم الزاهرة) . (٥) ما بين الحاصرتين عن الوفيات والنجوم .

« عَوْف ، بن لُؤَى ، بن غالب ، بن فِهر ، بن مالك ، بن النَّصْر — وهو الذي ينتمي إليه نسب قريش كلهم — ابن كِنانة ، بن خَزَيْمَة ، بن مُدْرِكَة ، بن إِيَّاس ، بن مُضَرَّ ، ابن رِزَّار ، بن مَعَدَّ ، بن عَدْنَان » . والنسابةون مختلفون فيما وراء ذلك ، أي عدنان . والذي ذكره صاحب السيرة ، أنه : « عدنان ، بن أدد ، بن مُقَوِّم ، [ بن ناحور ] (١) ، بن تبرح (٢) ، بن يعرب ، بن يشجب (٣) ، بن نابت ، ابن إسماعيل [٣] ، بن إبراهيم الخليل — صلوات الله عليهما — بن تارخ . وهو آزر ، ابن ناحور ، بن شاروخ ، بن أرغو ، بن فالغ ، بن عابر ، بن أرخشند ، بن سام ، ابن نوح — عليه السلام — بن ملك ، بن متوشلخ ، بن أخنوخ — وهو إدريس عليه السلام — بن يرد (٤) ، بن مهليل (٤) ، بن قينان ، بن أنوش ، بن شِيث ، ابن آدم — أبي البشر عليه السلام — » .

فهذا جملة ما قيل في نسبهم (٥) ، والله تعالى أعلم بحقيقة ذلك .

- (١) أضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة ( السيرة لابن هشام ، ص ٥ ؛ ابن قتيبة : المعارف ، ص ٢٩ ؛ الذهبي : تاريخ الاسلام ، ج ١ ، ص ١٩ ؛ انقلاشندى : صبح الأعشى ، ج ١ ، ص ٣٠٦ — ٣٠٧ ) .
- (٢) في الاصل : « تبرح » وقد صححت بعد مراجعة المراجع المذكورة في الهامش السابق .
- (٣) في الاصل : « شجب » ، وقد صححت بعد مراجعة المراجع السابقة .
- (٤) في الاصل : « بن الباردي بن مهليل » والتصحيح عن المراجع السابقة .
- (٥) واضح من دراسة موطن الأيوبيين الاصلى ونشأتهم الاولى أنهم أكراد الجنس ؛ أما نسبتهم إلى أصل عربي فواضح أيضا أنها مسألة طارئة جدت بعد قيام دولتهم وإقامة ملكهم ، يؤيد هذا آسانيد تاريخية كثيرة ، منها ما يرويه ابن خلكان عن شيخه وأستاذه بهاء الدين بن شداد — مؤرخ صلاح الدين — فقد ذكر أنه سمع شيخه بهاء الدين بمحكي عن السلطان صلاح الدين أنه عندما سمع هذا النسب العربي أنكره . وقال : « ليس لهذا أصل أصلا » ومنها ما ذكره ( المقرئى ، الحفظ ، ج ٣ ، ص ٣٧٨ ) فقد سرد هذا النسب العربي المدمى ثم علق عليه بقوله : « وهذه أقوال الفتهاء لهم ممن أراد الحظ لديهم لما صار الملك إليهم » ؛ أنظر أيضا : ( الدكتور محمد مصطفى زياده ، المؤرخون في مصر في القرن ١٥ ، ص ١١ ) .

## ذكر ابتداء أمر نجم الدين أيوب

وأخيه أسد الدين شيركوه

كان أسد الدين شيركوه (١) أكبر سنّاً من نجم الدين أيوب ، وكانا من أهل مدينة دوين (٢) — وهي بلد من بلاد المعجم قريب من أخلاط (٣) — فاتفق أنهما سافرا منها ، وقصدا العراق ، وخدموا الأمير مجاهد الدين بهروز (٤) الخادم ، وكان شحنة (٥) بندگان من قبل السلاطين السلجوقية ؛ وكانت تكريت (٦)

(١) شيركوه كلمة فارسية تتكون من لفظين : شير ومعناها أسد ، وكوه ومعناها جبل ؛ فالكلمة في مجازها تعني أسد الجبل .

(٢) هكذا ضبطها (ياقوت ، معجم البلدان) وعرفها بأنها بلدة من نواحي أران في آخر حدود أذربيجان بقرب من تفليس ، منها ملوك الشام بنو أيوب ؛ ولكن (ابن خلكان : الوفيات ، ج ٣ ، ص ٤٧٠) ضبطها دوين . وعرفها بما لا يختلف كثيراً عن ياقوت ، قال : هي بلدة في آخر عمل أذربيجان من جهة أران وبلاد السرج .

(٣) هكذا ضبطها (الفقشندی : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٣٥٣) ، ويقال فيها أيضاً خلاط ، وهي إحدى مدن إزمينية الكبرى .

(٤) هكذا ضبطه (ابن خلكان : الوفيات ، ج ٣ ، ص ٤٧٢) . وقال إنه لفظ مجمي معناه يوم جيد على التقديم والتأخير على عادة كلام المعجم ، وذلك أن به معناها جيد ، وروز معناها يوم ؛ وقد كان مجاهد الدين بهروز بن عبد الله النيباني خادماً رومياً أبيض اللون ، تولى شحنة العراق من جهة السلطان مسعود السلجوقي . وكان صاحب مهمة في عمل المصالح الجبلية وعمارة البلاد ، واسع الصدر والصبر في البذل والانفاقات والمطاولات والمراجعة إذا امتنع عليه الغرض ، وبني في بندگان رباطاً وقف عليه وفقاً جيداً ، ومات في رجب سنة ٥٤٠ هـ .

(٥) جاء في القساق : « وشحن البلد بالحيل ملاءمة ، وبالبلد شحنة من الحيل أي رابطة ، قال ابن بري : وقول العامة في الشحنة إنه الأمير غلط » غير أن هذا اللفظ هو ما كان يستعمله الناس دائماً ويتردد في كتب التاريخ العربية في العصور الوسطى ، فالشحنة — ويقال الشحنة — رئاسة الشرطة ، أو محافظ المدينة أو الأمير المنصرف على حراستها ؛ ويجمع هذا اللفظ على : شحن ، وشحنان . انظر أيضاً : (القرنبي : السلوك ، ج ١ ، ص ٣٥ ، ٣٦ ، ٩٧٩ ، ٩٨٢ : Dozy: Sup. Dict. Arab.)

(٦) هكذا ضبطها ياقوت ، وقال : والعامة تقول : تكريت ، وذكر أنها بلدة مشهورة بين بندگان والموصل ، وهي إلى بندگان أقرب ، ولها قلعة حصينة في طرفها الأعلى رابطة على دجلة ، وهي غربي دجلة .

إقطاعه ففتحا عند مجاهد الدين ، وقوَض [ مجاهد الدين ] إلى نجم الدين أيوب  
دُرْدَارِيَّة (١) تَكَرَّيت ، فسارا إليها ، ونزلا بقلمتها ، فأقاما بها مدة .

ولما وقعت الحرب بين الخليفة المسترشد بالله (٢) والامير عماد الدين زنكى  
ابن آق سنقر سنة ست وعشرين وخمسمائة — على ما سنذكره — وكسر الخليفة  
عماد الدين زنكى ، خدم نجم الدين أيوب أتابك زنكى ، وأقام له السفن حتى عبر  
هناك دجلة ، واتبعه أصحابه ، وأحسن نجم الدين أيوب وأخوه (٣) أسد الدين  
شريكوه صحبته . وكان هذا أول المرفقة بين عماد الدين زنكى وبين نجم الدين أيوب  
وأخيه أسد الدين شريكوه ، ومبدأ سعادتھا ، ولكل شىء سبب .

ثم جرى لنجم الدين أيوب ما أوجب صرفه عن ولاية تَكَرَّيت ، فقيل :  
كان السبب أن أسد الدين شريكوه قتل إنساناً بتكريت ظلماً ، فعزل مجاهد الدين  
أخاه [ نجم الدين ] (٤) لذلك ؛ وقيل : إن نجم الدين أيوب رمى مملوكاً من ممالك  
مجاهد الدين يهروز بسهم فقتله ، فغشى نجم الدين ، فتوجّه نحو الموصل ومعه أخوه  
أسد الدين ، فخدم عماد الدين زنكى بن آق سنقر — صاحب الموصل — فأحسن إليهما ،  
وقربهما ، ورعى لهما خدمتهما له ، وبالغ في إكرامهما ، وأقطعهما إقطاعات جلييلة  
وَرَقَّتْ [ ٤ ] أحوالهما عنده ، فلما فتح عماد الدين زنكى بعلبك ، جعل نجم الدين أيوب

(١) كلمة فارسية مكونة من لفظين : دُرْدُ — ويقال دُرْدُ — أى قلعة ، ودار الحافظ  
أو العسك ، فكان منها صاحب القلعة أو متوليها ؛ انظر : ( الجواليقي : العرب ،  
ص ٢٦٧ ؛ ابن خلسكان : الوفيات ، ج ٣ ، ص ٤٧٢ ؛ Dozy : Sap. Diet. Arab ) .

(٢) المسترشد بالله أبو منصور الفضل بن السطهر بالله ( ٥١٢ — ٥٢٩ ) ؛ انظر تفاصيل  
هذه الحرب بينه وبين زنكى فى : ( ابن الجوزى : المنتظم ، ج ١٠ ، ص ٢٦ ؛ ابن الأثير :

السكامل ، ج ١٠ ، ص ٢٨٩ ؛ السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص ٢٨٦ — ٢٨٧ ) .

(٣) فى الأصل : « وأخاه » .

(٤) أضفنا ما بين الحاصرتين ليتضح المعنى .



دِرْذَارًا فِيهَا ، فَلَمْ يَزَلْ مَتَوَلِيهَا إِلَى أَنْ قُتِلَ عَمَادُ الدِّينِ زَنْكِي عَلَى قَلْعَةِ جَعْبَرِ سَنَةِ إِحْدَى (١) وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسِمِائَةَ — عَلَى مَا سَنَدَ كَرَهُ .

وَكَانَ صَاحِبَ دِمَشْقَ إِذْ ذَاكَ مَجِيرُ الدِّينِ أَبَقَ (٢) ، بِنِ جَمَالِ الدِّينِ مُحَمَّدٍ ، ابْنِ تَاجِ المَلُوكِ بُورِي (٣) ، بِنِ ظَهيرِ الدِّينِ طُغْتِكِينَ ؛ وَكَانَ طُغْتِكِينَ هَذَا أُنَابِكُ المَلِكِ شَمْسِ المَلُوكِ دُقَاقَ ، بِنِ تَاجِ الدَّوْلَةِ تُتَشُّ ، بِنِ السُّلْطَانِ أَلْبِ أَرْسَلَانَ السُّلْجُوقِي ؛ فَلَمَّا مَاتَ دُقَاقَ اسْتَقَلَّ طُغْتِكِينَ بِمَلِكِ دِمَشْقَ ، وَمَلِكٌ بَعْدَهُ ابْنُهُ تَاجِ المَلُوكِ بُورِي ، ثُمَّ مَلِكٌ بَعْدَ تَاجِ المَلُوكِ ابْنُهُ شَمْسِ المَلُوكِ إِسْمَاعِيلُ ، قَتَلْتَهُ وَالدَّيْنَةَ ، وَمَلَّكَتْ أَخَاهُ شَهَابَ الدِّينِ مُحَمَّدَ ، بِنِ بُورِي (٣) ؛ ثُمَّ قُتِلَ شَهَابُ الدِّينِ ، وَوَلِيَ أَخُوهُ جَمَالُ الدِّينِ مُحَمَّدٌ ؛ ثُمَّ تَوَفَّى جَمَالُ الدِّينِ ، وَمَلِكٌ بَعْدَهُ وَوَلَدَهُ مَجِيرُ الدِّينِ أَبَقَ (٢) ، وَكَانَ أُنَابِكُهُ وَالقَيْمُ بِأَمْرِهِ مَعِينُ الدِّينِ أُنَّرَ (٤) — مَمْلُوكُ جَدِّهِ طُغْتِكِينَ — .

فَلَمَّا قُتِلَ عَمَادُ الدِّينِ زَنْكِي عَلَى قَلْعَةِ جَعْبَرِ ، رَاسِلَ مَجِيرُ الدِّينِ وَأُنَابِكُهُ مَعِينُ الدِّينِ نَجْمَ الدِّينِ أَيُوبَ لِيَسْلَمَ إِلَيْهِمَا بِعَلْبِكَ ، عَلَى أَنْ يَعْطُوهُ إِقْطَاعًا جَلِيلًا بِدِمَشْقَ ، فَأَجَابَهُمَا إِلَى ذَلِكَ ، وَسَلَّمَ إِلَيْهِمَا بِعَلْبِكَ ، وَنَزَلَ نَجْمُ الدِّينِ أَيُوبَ بِدِمَشْقَ ، وَتَسَلَّمَ الإِقْطَاعَ الَّذِي عُيِّنَ لَهُ ؛ وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّ تَسْلِيمَ نَجْمِ الدِّينِ أَيُوبَ بِعَلْبِكَ

(١) فِي الاَصْلِ : « أَحَدٌ » .

(٢) فِي الاَصْلِ : « أَتَقَى » ، وَقَدْ صَحَّحَ الاِسْمَ بَعْدَ مَرَاجَعَةٍ : (Zambaur, Op. Cit. P. 225) وَمَجِيرُ الدِّينِ أَبَقُ هُوَ سَادِسٌ وَآخِرُ مَنْ حَكَّمَ دِمَشْقَ مِنْ بَنِي بُورِي ، حَكَّمَهَا فِي سَنَةِ ٥٣٤ ، وَظَلَّ يَحْكُمُهَا إِلَى أَنْ عَزَلَهُ عَنْهَا نُورُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بِنِ زَنْكِي فِي سَنَةِ ٥٤٩ .

(٣) فِي الاَصْلِ « نُورِي » .

(٤) تَكَادَ يَجْمَعُ المَرَاجِعُ عَلَى ضَبْطِ هَذَا الاِسْمِ هَكَذَا « أُنَّرَ » وَلَكِنْ الذَّهَبِيُّ انْفَرَدَ بِضَبْطِهِ كَمَا فِي المَنْ وَنَسَّ عَلَيْهِ « عَلَى الأَلْفِ نَعْمَةً وَفَتَحَ النُّونَ » وَقَدْ تَوَفَّى مَعِينُ الدِّينِ أُنَّرُ فِي سَنَةِ ٥٤٤ ، وَدُفِنَ بِدِمَشْقَ بِقَبْتِهِ بَيْنَ دَارِ البَطِيخِ وَالشَّامِيَةِ ، وَبَنَى فِي دِمَشْقَ مَدْرَسَتَهُ المَعِينِيَّةَ لِتَدْرِيسِ المَذْهَبِ الحَنَفِيِّ . انظُرْ : ( النعيمي : الدارس في المدارس ، ج ١ ، ص ٥٨٨ ؛ Zambaur: Op. Cit. P. 30, 225)

إلى صاحب دمشق كان سببه أنه راسل الأمير سيف الدين غازي بن عماد الدين زنكي - وهو أكبر من أخيه نور الدين محمود - رحمه الله - ليسلم إليه بعلبك ويرسل إليه من يحفظها ، فأبطأ عليه بسبب اشتغال سيف الدين بترتيب الممالك الشرقية ، وخاف نجم الدين أن تؤخذ منه عنوة ، وبناله أذى ، فسلمها إلى صاحب دمشق بسبب ذلك .

واتصل الأمير أسد الدين شيركوه بن شاذي - أخو نجم الدين أيوب - بخدمة نور الدين محمود ، بن عماد الدين زنكي ، وصار من أخص أصحابه ، ومقدماً على سائر أمرائه ، لما عرفه من شهامته وشجاعته ، وإقدامه في الحرب على ما لا يقدم عليه غيره ، ولم يزل حاله ينمو عنده إلى أن أقطعه مدينتي حمص والرحبة .

ولما قويت أطاع نور الدين محمود بن زنكي في ملك دمشق [ ٥ ] وأخذها من صاحبها مجير الدين أبق بن محمد ، أمر أسد الدين شيركوه بمكاتبة أخيه نجم الدين أيوب ، وكان بها مقبلاً ، وطلب منه مساعدته على ما هو بصدده ، فطلب هو وأخوه نجم الدين أيوب من الإقطاع شيئاً كثيراً ببلد دمشق ، فبذل لها نور الدين ما طلبا ، وحلف لها على ذلك فساعد نجم الدين في تسليم البلد إلى نور الدين ، فسلمه ، ووفى لها بما حلف لها عليه ، وصارت منزلتهما عنده في أعلا الرتب ، وصار أسد الدين شيركوه مقدم جيوشه وعساكره .

ثم كان من قصد أسد الدين الديار المصرية بعساكر نور الدين ما سنذكره إن شاء الله تعالى .

ولما كان ابتداء أمر نجم الدين وأخيه أسد الدين مبنيًا على الدولة الأتابكية كان الأولى الابتداء بذكر الدولة الأتابكية .

## ذكر ابتداء الدولة الأتابكية

كان قسيم الدولة آق سُنُقُرُ الحَاجِب . جَدُّ نَورِ الدِّينِ مَحمُودِ بنِ زَنبِكي — مملوكاً للسلطان العادل عضد الدولة ألب أرسلان ، بن داود ، بن ميكايل ، بن سلجوق ، فربي مع ولده السلطان العادل جلال الدولة ملكشاه ، واستمر في صحبته إلى حين كبره ، وإفضاء السلطنة إليه ، فجعله من أعيان دولته ، وأكابر أمرائه ، وأخص أوليائه ، واعتمد عليه في أموره كلها ، وعلت مرتبته ومنزلته إلى أن لُقِّب : « قسيم الدولة » .

وفي سنة ست وسبعين وأربعماية سبَّ السلطانُ جلالُ الدولة [ ملكشاه ] فخرَ الدولة بن جهير<sup>(١)</sup> إلى ديار بكر ليتسلمها ، وأعطاه الكوسات<sup>(٢)</sup> ، وسبَّ معه العساكر ، فسار إليها ، ونزل بنواحي آمد .

وفي سنة سبع وسبعين وأربعماية أوقفه السلطان بجيش كثيف من جملتهم الأمير أرتُق بن أكسب<sup>(٣)</sup> — أبو الملوك الأرتُقية — وكان صاحبها وهو ابن مروان

(١) هو أبو نصر غر الدولة محمد بن محمد بن جهير ، ولي الوزارة للخليفين القائم والمقتدى ، وتوفى سنة ٤٨٣ هـ ؛ انظر أخباره في : ( ابن الجوزي : المنتظم ، ج ٩ ، ص ٢ وما بعدها ؛ ابن طباطبا : الفخرى ، ص ٢٦٠ — ٢٦٤ ) .

(٢) عرفها ( القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٩ و ١٣ ) بأنها صنوجات من نحاس شبه الترس الصغير ، يدق بأحدها على الآخر بإيقاع مخصوص ، ومن يتولى ذلك يسمى الكوسي ؛ ويشبه أن يكون المقصود بها موسيقى الجيش أو ( الطبلخانة ) — كما كانت تسمى في مصطلح العصور الوسطى — ؛ وفي ( المنتظم : ج ٩ ، ص ٦ ) جملة توضح هذا المعنى وتؤكد ، قال : « وعقد قوزير غر الدولة على ديار بكر ، وخلع عليه الخلع ، وأعطى الكوسات ، وأذن له في ضربها أوقات الصلوات الخمس بديار بكر ، والصلوات الثلاث : الفجر والمغرب والعشاء في العسكر السلطاني » .

(٣) في الأصل : « أكشت » ، وقد ضبط الاسم بعد مراجعة ( ابن خلكان : الوفيات ، ج ١ ، ص ١٠٧ ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ٥٤ ؛ Lane-Poole : *M. Dynasties*, P. 166 ) وذكر ابن خلكان أنه يقال فيه أيضاً : « أكسك » . وبهذا النطق أخذ ( Zambaur : Op. Cit. P. 230 ) فرسمه هكذا : « Ortoq b. Eksek » ؛ أنظر ترجمة حياته وبياناته بأفراد أسرته في هذه المراجع جميعاً نفس الأجزاء والمفصلات .

الكردي<sup>(١)</sup> — لما نازلته العساكر السلطانية قد مضى إلى الأمير شرف الدولة مسلم ابن قريش بن بدران العقيلي — صاحب الموصل — راجعاً في أن ينصره ويساعده على من قصده ، على أن يسلم إليه آمد ، فأجابته إلى ذلك ، واتفقا عليه ، وتحالفا ، واجتمعا على حرب فخر الدولة بن جبير .

فلما رأى فخر الدولة اجتماعهما مال إلى الصلح ، وقال : « لا أوتر [٦] أن يحل بالعرب بلاء على يدي . » فعلم التركمان ما قد عزم عليه ، فركبوا ليلاً ، وأتوا إلى العرب ، واحتاطوا بهم ، وذلك في ربيع الأول من هذه السنة ؛ والتحم القتال واشتد ، وانهمزت العرب ، ولم يحضر هذه الوقعة فخر الدولة ، ولا أرثق ؛ وغنم التركمان حلل العرب ودوابهم ، وانهمز شرف الدولة ، وحمى نفسه حتى دخل إلى آمد ، فانحصر فيها ، ونازله فخر الدولة ومن معه ، فراسل شرف الدولة [مسلم بن قريش] الأمير أرثق ، وبذل له مالا ، وسأله أن يمن عليه بنفسه<sup>(٢)</sup> ويمكنه من الخروج [من آمد<sup>(٣)</sup>] وكان هو على حفظ الطرق [والحصار<sup>(٤)</sup>] ، فأذن له في الخروج ، فخرج لتسع<sup>(٤)</sup> بقين من ربيع الأول ، وقصد الرقة وأرسل إلى الأمير أرثق

(١) ابن مروان المذكور هنا هو واحد من بني مروان حكام ميافارقين وآمد في القرن الخامس الهجري ، وهو أبو المظفر منصور بن نظام الدين أبو القاسم نصر بن نصر الدولة أبي نصر أحمد بن مروان الكردي ، حكم ميافارقين وآمد في المدة بين سنتي ٤٧٢ و ٤٧٨ ، (Zambaur: Op. Cit. P. 136)

(٢) في الأصل : « أن يمن على نفسه » ، وما هنا عن ( ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ٥٤ ) . ويلاحظ أن المؤلف ينقل هذه الحوادث عن ابن الأثير نقلاً حرفياً في معظمه وبإيجاز يسير في أقله دون أن ينس على ذلك ؟ والرأي عندي أن ابن واصل إما أنه ينقل عن ابن الأثير فنشأ به التام بين النصين وإما أنه ينقل عن المرجع الذي أخذ عنه ابن الأثير ، وذلك لأن ابن الأثير لم يكن معاصراً لهذه الحوادث .

(٣) ما بين الحاصرتين زيادات عن ابن الأثير للايضاح .

(٤) في ابن الأثير : « نخرج منها في الحادي والعشرين من ربيع الأول » ، وما فعله ابن واصل في المتن نموذج لأسلوبه في الإيجاز عن ابن الأثير أو عن مرجع ابن الأثير .

ابن أکسب بما [ كان (١) ] وعده [ به (١) ] ، ثم سار فخر الدولة بن جهير إلى ميافارقين ، ومعه الأمير بهاء الدولة [ منصور (١) ] بن مزید — صاحب الحلة — وابنه الأمير سيف الدولة صدقة ، ففارقوه ، وعاد إلى العراق . ثم نازل فخر الدولة خِلاط . ولما بلغ السلطان جلال الدولة (ملكشاه) انهزام شرف الدولة وحصره بآمد ، لم يشك في أسرهِ ، فخلع على الوزير عميد الدولة بن فخر الدولة بن جهير ، وسيرهُ في جيش كثيف إلى الموصل ، وسير معه من الأمراء : الأمير قسيم الدولة آق سنقر الحاجب — المقدم ذكره — ؛ وكان الأمير أرتق قد رجع إلى السلطان ، وعاد صحبته (٢) عميد الدولة من الطريق ، ونازلوا الموصل وأرسلوا إلى أهلها يشيرون عليهم بطاعة السلطان ، ففتحوا البلد وسلموه إليهم ؛ وسار السلطان بنفسه إلى بلاد شرف الدولة ليملكها ، (٣) وكانت بلاده الموصل ، وديار ربيعة أجمع ، ومدينة حلب ، ومنبج ، وما بينهما من البلاد الجزيرية والفراتية (٤) ؛ فأناه الخبر بحركة أخيه تكش بخراسان ، ورأى شرف الدولة قد خرج من الحصر ، فأرسل مؤيد الملك بن نظام الملك إلى شرف الدولة — وهو مقابل الرحبة — فأعطاه العهود والموائيق ، فحضر إلى عند السلطان — وهو بالبوازيج (٥) — فخلع عليه ، وذلك سلخ رجب ، وكانت أمواله قد ذهبت ، فاقترض ما خدم به [ ٧ ] ، وحمل للسلطان خيلاً رائعة (٥) ،

(١) ما بين الحاصرتين زيادات عن ابن الأثير للايضاح .

(٢) في الأصل : « واحد عن صحبه عميد الدولة » . والتصحيح عن : ( ابن الأثير : ج ١٠ ،

ص ٥٤ — ٥٥ ) .

(٣) هذه الجملة غير موجودة في ابن الأثير ، وإنما أضافها ابن واصل للايضاح ، وهكذا اعتاد عند ذكر أسماء الأعلام والبلدان أن يضيف اليها ما يعرف بها .

(٤) في الأصل : « البوازيج » ، وقد ضبطت بمد مراجعة ابن الأثير وياقوت ، وقد عرفها الأخير في ( معجم البلدان ) بأنها بلد قرب تسكريت على فم الزاب الأسفل حيث يصب في دجلة ، ويقال لها بوازيج الملك وهي من أعمال الموصل ؛ ثم قال : وبوازيج الأنبار موضع آخر .

(٥) في الأصل : « رابعة » ، والتصحيح عن ابن الأثير .

من جعلتها فرسه بشار — وهو فرسه المشهور الذي نجاه من المعركة على ما هو مذكور في أخباره — وكان لا يجارى ، فأمر السلطان أن يُسابق به الخيل ، فجاء سابقاً لها كلها ، فقام السلطان قائماً لما بداخله من العجب .

وأقر السلطان شرف الدولة على بلاده ، وأعاد إليه الموصل ، وهذا كله مذكور في موضع آخر يليق به ، وإنما سقناه هنا لتتصل أخبار آق سنقر التي نحن بصدددها . وكان صاحب قونية وأقصر وما يتصل بهما من البلاد الرومية الملك سليمان ابن قطلمش — وهو ابن عم السلطان جلال الدولة ملكشاه — فقصد في هذه السنة — أعني سنة سبع وسبعين وأربعمائة — مدينة أنطاكية وهي بيد الروم — وكان ملكوها سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة .

وكان صاحبها الفردوس الرومي قد سار عنها إلى بلاد الشام ، ورتب فيها شحنة ، — وكان الفردوس سيي السيرة في رعيته وفي جنده جداً — ، وكاتب ( سليمان ) الشحنة وابن الفردوس . لأن أباه ( الفردوس ) كان قد حبسه ، فكاتبها سليمان ليسلما البلد إليه ، وركب البحر وقصدها في ثلاثمائة فارس ، وراجل كثير ، ثم خرج من البحر ، وسار في جبال وعرة ومضائق شديدة حتى وصل إليها للموعد . فنصب عليها السلايم باتفاق من الشحنة وابن الفردوس ، وصعد السور ، واجتمع بالشحنة ، ودخل البلد ، وذلك في شعبان ، فقاتله أهلها ، فهزمهم ( مرة ) بعد أخرى ، وقتل كثير من أهلها ، ثم عفا عنهم ، وتسلم القلعة المعروفة بالقُسيان (١) ، وأخذ من الأموال ما يجاوز الإحصاء وأحسن إلى الرعية وعدل فيهم ، وأمر بعمارة ماخرَّب ، ومنع أصحابه من التزول في دورهم ومخالطهم ، وأرسل إلى السلطان جلال الدولة ملكشاه يبشره بذلك .

(١) هكذا ضبطها ياقوت وقال إنها واد ولم يزد .

وأرسل الأمير شرف الدولة [ مسلم بن قريش <sup>(١)</sup> ] - صاحب حلب والموصل - إلى الملك سليمان يطلب منه ما كان الفردوس يحمله من المال ، ويخوفه معصية السلطان ، فأجابته : « أما الطاعة للسلطان فهي شعاري وذناري ، والخطبة له والسكوة في بلادى [ ٨ ] وقد كاتبته بما فتح الله على يدي بسعاده من هذا البلد [ وأعمال الكفار <sup>(١)</sup> ] ، وأما المال الذي كان يحمله صاحب أنطاكية [ قبلي <sup>(١)</sup> ] فهو كان كافراً ، وكان يحمل جزيته وجزية أصحابه ، وأنا بحمد الله مؤمن ، ولا أحمل شيئاً ، فذهب شرف الدولة بلد أنطاكية ، فتهب سليمان بلد حلب ، ووقعت بينهما فتنة <sup>(٢)</sup> اقتضت أنهما التقيا في يوم الجمعة الرابع والعشرين من صفر في سنة ثمان وسبعين وأربعمائة فانهزم شرف الدولة وأصحابه بعد أن قتل بين يديه أربعائة غلام من أحداث حلب [ ثم قُتل شرف الدولة مسلم بن قريش في نفس اليوم - الرابع والعشرين من صفر <sup>(٣)</sup> ] .

[ ولما قُتل شرف الدولة سار سليمان بن قتلش إلى حلب ] ، فخصرها إلى خامس ربيع الآخر ، فلم يبلغ منها غرضاً ، فرحل عنها . وكان [ سليمان بن قتلش <sup>(٣)</sup> ]

(١) ما بين الحاصرتين زيادات عن ابن الأثير للايضاح .

(٢) انظر تفاصيل هذه الفتنة في ( ابن الأثير : السكامل ، ج ١٠ ، ص ٥٦ ) فقد تجاوز ابن واصل عنها هنا إيجازاً .

(٣) النس هنا لا يستقيم مع المعنى ، لأن شرف الدولة قتل في هذه السنة بعد هزيمته مباشرة ، والذي تولى حصار حلب بعد موته هو سليمان بن قتلش ، والراجع عندي أن المؤلف لم يلتفت إلى هذا الخطأ وهو يوجز عن ابن الأثير ، أو أن هنا سقطاً من عمل الناسخ سبب هذا الاضطراب في المعنى ، وقد أضفنا ما بين الحاصرتين لتصحيح والايضاح بعد مراجعة ( ابن الأثير : ج ١٠ ، ص ٥٧ ) ، وقد ترجم هناك لشرف الدولة بعد ذكر موته ترجمة مختصرة مفيدة تؤثر نقلها هنا إتماماً لفائدة ، قال : « وكان أحول ، وكان قدمك من السندية التي على نهر عيسى إلى منبع من الشام وما والاها من البلاد ، وكان في يده ديار ربيعة ومفر من أرض الجزيرة والموصل وحلب ، وما كان لأبيه وعمه قرواش ، وكان عادلاً حسن الديرة ، والأمن في بلاده عام والرخم شامل ، وكان يسوس بلاده سياسة عظيمة بحيث يدبر الراكب =

قد أرسل إلى ابن الختيتي (١) العباسي — مقدم حلب — يطلب منه تسليمها إليه ، فأفند إليه مالا ، واستمهله إلى أن يكتب السلطان جلال الدولة ملكشاه ، وأرسل ابن الختيتي إلى الملك تاج الدولة تثنش ابن السلطان العادل عضد الدولة ألب أرسلان — أخى السلطان — وهو يرمئذ صاحب دمشق ، يعده أن يسلم إليه حلب ، فسار تاج الدولة [ تثنش ] طالبا حلب ، وذلك في (٢) سنة تسع وسبعين وأربعمائة ، فسار إليه ابن عمه سليمان بن قُظلمش (٣) ، ومع تاج الدولة الأمير أرتق بن أكسب ، وكان قد فارق ابن جهير خوفاً أن ينهى إلى السلطان إطلاق شرف الدولة من آمد — كما ذكرنا — وصار إلى خدمة تاج الدولة ، فأقطعه البيت المقدس وما يتصل به . ثم التقى العسكران ، فانهزم أصحاب الملك سليمان ، وثبتت هو في القلب ، فلما رأى انهزام عساكره قيل إنه أخرج سكيناً [ كانت ] معه فقتل بها نفسه ، وقيل بل قُتل في المعركة ، واستولى تاج الدولة على معسكره .

وكان سليمان في السنة الماضية — في صفر — أفند جثة شرف الدولة ملفوفة في إزار على بغل ، وطلب من أهل حلب أن يسلموها إليه ، وفي هذه السنة — في صفر — أرسل الملك تاج الدولة جثة الملك سليمان في إزار على بغل ، وطلب من أهل حلب أن يسلموها إليه ، فأجابته [ ابن ] الختيتي أنه يكتب السلطان ، ومهما أمره فعل ، فحصر تاج الدولة البلد ، وضيّق على أهله ، وسلم ابن الختيتي كل برج من أبراجها

— والراكبان فلا يخافان شيئا ، وكان له في كل بلد قرية حامل وقاض وصاحب خبر بحيث لا يتعدى أحد على أحد .

أنظر أيضاً : (Zambaur: O p. Cit. p. 135).

(١) في الأصل : « الختيتي » والتصحيح عن ابن الأثير .

(٢) في الأصل : « وذلك في » وبها انتهى السطر ، ثم بدأ السطر التالي بقوله :

« وفي سنة تسع وسبعين الخ » وقد سمحت بمد مراجعة ( ابن الأثير : الكامل . ج ١٠ .

ص ٦٠ ) .

(٣) رسم هذا اللفظ في الأصل تارة بالثاء وتارة بالطاء .



إلى رجل من أعيان البلد ليحفظه ، [ ٩ ] وسلّم برجاً من أبراجها إلى إنسان يعرف  
بإبن الراعوني (١) .

ثم إن ابن الحنيتي أوحش هذا الرجل بكلام أغلظ له فيه ، وكان شديد القوة ،  
ورأى ما الناس فيه من ضيق الحصار ، فراسل تاج الدولة يستدعيه ، وواعده ليلة  
يرفع الرجال إلى السور في الحبال ، فأتى تاج الدولة [ تَنُش (٢) ] للميعاد ، فأصعد الرجال  
في الحبال والسلام ، وملك تاج الدولة البلد .

واستجار ابن الحنيتي بالأمير أرتق فشفع فيه ، وكان بالقلعة سالم بن مالك  
ابن بدران العقبلي — وهو ابن عم شرف الدولة [ مسلم بن قريش (٢) ] — فأقام  
تاج الدولة يحصر القلعة سبعة عشر يوماً ، ثم بلغه وصول مقدمة أخيه السلطان ،  
فرحل عنها إلى دمشق .

وكان ابن الحنيتي قد كاتب السلطان [ ملكشاه (٢) ] ليسلم إليه حلب ،  
فسار إليه من أصفهان ، وعلى مقدمته الأمير برسق ، وُبُرَّان (٣) ، وغيرهما من الأمراء ؛  
وجعل طريقه على الموصل ، فوصلها في رجب ، وسار عنها ووصل إلى حَرَّان فسلمها  
إليه ابن الشاطر ، فأقطعها الأمير محمد بن شرف الدولة بن بدران ، ثم سار إلى الرُّها  
— وهي بيد الروم — فحصرها وملكها ، وكانوا قد اشتروها من ابن عطير .

ثم سار إلى قلعة جَعْبَر ، فحصرها يوماً وليلة وملكها ، وقتل جمعاً من بني قُشَيْر (٤) ،  
وأخذ جَعْبَرًا صاحب القلعة (٥) — وكان شيخاً أعمى — وولدين له ، وكانوا يقطعون  
الطريق ويخيفون السبيل ، ثم عبر منها الفرات ، فملك مدينة منبج في طريقه .

(١) كذا في الأصل ، وفي ابن الأثير : « ابن الراعوى » .

(٢) أضفنا ما بين الحاصرتين للإيضاح .

(٣) كذا في الأصل ، وفي ابن الأثير : « بوزان » .

(٤) في الأصل : « بشير » ، والتصحيح عن : ( ياقوت : معجم البلدان ، مادة جعبر ) .

(٥) ذكر ( ياقوت : معجم البلدان ) أن جعبر قلعة على الفرات بين بلس والرقة قرب صين ،  
وكانت قديماً تسمى « دوسر » فلما حاربها رجل من بني قشير أعمى يقال له جعبر بن مالك ، ولما قصد السلطان  
جلال الدين ملك شاه بن أرسلان ديار ربيعة ومضر نازلها وأخذها من جعبر ونق عنها بني قشير .

ولما قارب حلب رحل أخوه تاج الدولة — كما ذكرنا — على البرية ،  
ومعه الأمير أرتق ، وكان أشار أرتق على تاج الدولة أن يكبس السلطان ، وكانوا  
قد وصلوا ، وبهم وبدوا بهم من التعب ما لم يبق معه امتناع ، ولو فعل لظفر بهم ؛  
فقال تاج الدولة : « لا أكسر جاه أخي الذي أنا مستظل بظله ، فإنه يعود على بالوهن  
أولا » . وسار إلى دمشق .

ولما وصل السلطان إلى حلب تسلم المدينة ، وسلم إليه شمس الدولة سالم  
ابن مالك (١) بن بدران القلعة على أن يعوضه عنها قلعة جعبر ، وكان قد امتنع  
بالقلعة أولاً [ ١٠ ] فأمر السلطان أن يرمى إليه بالنشاب رشقاً واحداً ، فرمى الجيش كله  
عن يد واحدة ، فكادت الشمس أن تحتجب من كثرة النشاب فعوضه السلطان عنها  
قلعة جعبر ، ولم تزل بيده ويد أولاده إلى أن أخذها منهم الملك العادل نور الدين  
محمود بن زنكي (٢) — رحمهم الله — على ما سنذكره .

وأرسل الأمير نصر (٣) بن علي بن منقذ الكناني — صاحب شيزر — إلى السلطان ،  
ودخل في طاعته ، وسلم إليه اللاذقية ، وكفر طاب ، وقامية ، [ فأجابته إلى المسألة ،  
وترك قصده ، وأقر عليه شيزر (٤) ] .

(١) في الأصل « مالك بن سالم » ، والتصحيح عن ابن الأثير و (Zambaur: Op. Cit. p. 135)

(٢) ولي شمس الدولة سالم بن مالك بن بدران العقيلي قلعة جعبر من سنة ٤٧٩ إلى ٥١٩ ،  
ثم وليها من بعده شهاب الدولة مالك بن علي بن سالم إلى سنة ٥٦٤ حيث ملكها نور الدين محمود ،  
أنظر : (Zambaur: Op. Cit. P. 135) .

(٣) في الأصل : « نصير » وهو الأمير عز الدولة أبو مرهف نصر بن علي بن نصر بن منقذ .  
(Zambaur: Op. Cit. p. 104)

(٤) ما بين الحاصرتين زيادة عن ابن الأثير للإيضاح ، وقد أسقطها المؤلف عند الاختصار ،  
هذا وفي ابن الأثير فقرة أخرى — أسقطها المؤلف أيضاً — تشير إلى مصير ابن الحتيتي ،  
وقد آثرنا ذكرها هنا لثمة الفائدة ، قال : « وأما ابن الحتيتي فكان وانقا بأحسان السلطان  
ونظام الملك إليه ، فانه استدعاهما ، فاما ملك السلطان البلد طلب أهله أن يفهم من ابن الحتيتي ،  
فأجابهم إلى ذلك واستصحبه معه ، وأرسله إلى ديار بكر ، فانتقر وتوفي بها على حال شديدة  
من الفقر ، وقتل ولده بأفطكية ، قتله الفرنج لما ملكوها » .

## ذكر استيلاء الأمير قسيم الدولة آق سنقر

### الحاجب على مدينة حلب

ولما تسلّم السلطان حلب سلمها إلى حاجبه الأمير قسيم الدولة آق سنقر في هذه السنة - أعني سنة تسع وسبعين وأربعمائة - وقيل بل سلمها إليه سنة ثمانين ، فاستولى عليها وعلى أعمالها : كمنبج ، واللاذقية ، وكفر طاب ، وأقطع السلطان مدينة الرّها بمجاهد الدولة بُرّان (١) ، وأقطع أنطاكية الأمير باغى سيان (٢) ، وظهرت كفاة الأمير قسيم الدولة وحمايته ، وعظمت هيئته في جميع بلاده .

ثم إن السلطان استدعاه إلى العراق فقدم عليه في نجمل عظيم ، ولم يكن في عسكر السلطان من يقاربه ، فاستحسن ذلك منه ، وعظم محله عنده ، ثم أمره بالعود إلى حلب ، فعاد إليها ، ورخصت الاسعار في أيام الأمير قسيم الدولة ، وأقيمت الحدود الشرعية ، وعمرت الطرقات ، وأمنت السبل ، وقتل المفسدون بكل فج ، وكان كلما سمع يفسد أو يقاطع طريق أمر بصلبه على أبواب المدينة .

وفي سنة إحدى وثمانين وأربعمائة جمع الأمير قسيم الدولة عسكره ، وقصد شيرز وحاصرها وصاحبها نصر بن علي بن منقذ ، وضايقها ونهب ربضها ، ثم صالحها صاحبها وعاد إلى حلب .

(١) هو أبو الفوارس مجاهد الدين بوزان بن ماعين الكردي ، توفي سنة ٥٥٥ هـ ، أنظر أخباره وترجمته في : ( ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٣٥٩ والصفحات المذكورة في الفهرس الأبيجدى ) .

(٢) في الأمل : « باغى سيار » ، وقد ضبط الاسم بعد مراجعة : ( ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢١٧ ) ، وهو في ( ابن الأثير : ج ١٠ ، ص ١١٣ ) : « باغيسيان » وفي ( ياقوت : معجم البلدان ، مادة أنطاكية ) : « بقيسفان » ، وعن أخباره واستيلاء الفرنج على أنطاكية أثناء حكمه لها أنظر : ( حسن حبشي : الحرب الصليبية الأولى ، ج ٤٨ وما بعدها وما به من مراجع ) .

وفي سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة أسس القاضي أبو الحسن بن الخشاب (١) منارة حلب ، وكان بحلب بيت معبد نار ، قديم العماره ، وصار بعد ذلك أتون حمام ، فأخذ ابن الخشاب حجارتها ، وبنى بها المنارة ، فأتهى بمض حساده إلى الأمير قسيم الدولة خبره ، ففضب على القاضي ابن الخشاب ، فاستحضره وقال : « هدمت معبداً هو لى وملكى » . فقال : « أيها الأمير ، هذا معبد للنار ، وقد صار أتوناً [ ١١ ] فأخذت حجارتها لأعمر بها معبداً للإسلام ، يُذكر فيه الله وحده لا شريك له ، وكتبتُ اسمك عليه ، وجعلت الثواب لك ، فإن رسمت غرمت ثمنه لك (٢) ، ويكون الثواب لى ، فعلتُ » . فأعجب الأمير كلامه ، واستصوب رأيه ، وقال : « بل الثواب لى ، وافعل ما تريد » . فشرع فى عمارة المنارة وانتهى فى سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة .

### منازلة قسيم الدولة حمص واستيلاؤه عليها

فى هذه السنة نازل الملك جلال الدولة توتش بن السلطان ألب أرسلان ، والأمير قسيم الدولة آق سنقر ، والأمير مجاهد الدولة بُرّان (٣) — صاحب الرها — حمص ، وسبب

(١) هو القاضي أبو الحسن محمد بن يحيى بن محمد بن الخشاب ؛ والمؤلف لا ينقل هنا عن ابن الأثير ، وإنما ينقل قطعاً عن تاريخ حلب لابن العديم ، فقد نقل هذا النص عنه ابن الشحنة فى : ( الدر المنتخب فى تاريخ مملكة حلب ، ص ٦٦ — ٦٧ ) ، وعليه راجعنا النص هنا وصحناه لأننا لم نتسكن من مراجعة تاريخ ابن العديم فإنه لم يطبع بعد ؛ وأنظر ترجمة القاضي أبى الحسن فى : ( ابن الشحنة ، ص ٦٨ ) .

(٢) النص فى ابن الشحنة : « فإن رسمت لى أن أعمر ثمن الأحجار ويكون الثواب لى فعلت » وأنظر هناك أخباراً تفصيلية عن هذه النار وتاريخها .

(٣) فى الأصل : « مجاهد الدولة بن ألب أرسلان » وهو خطأ ، والصحيح ما ذكرناه بعد مراجعة : ( ابن الأثير : ج ١٠ ، ص ٨٣ ) أنظر أيضاً ما فات ، ص ١٩ ، هامش ١ .

ذلك أنها كانت بيد سيف الدولة خلف بن ملاعب الأشمهي (١) ، فأساء السيرة ، ونزل على سلمية ، وأخذ الشريف إبراهيم الهاشمي ، ورماه بالمنجنيق إلى برج سلمية ، وأخذ قوماً من بني عمه مأسورين ، ففضى من بقي منهم واستغاثوا إلى السلطان جلال الدولة ملكشاه ، فخرج أمر السلطان إلى أخيه تاج الدولة — صاحب دمشق — وقسيم الدولة — صاحب [ حلب — ومجاهد الدولة بزّان — صاحب الرها — بالتزول على حصص ، والقبض على ابن ملاعب وتسييره ؛ فنزلوا على حصص وحاصروها ، وأخذوه وسيّروه إلى السلطان ، فأقام في الحبس إلى أن توفي السلطان ، فأطلقت خاتون زوجة السلطان . وتسلم آق سنقر قلعة حصص ومدينتها ، ولما خلاص ابن ملاعب من الحبس صار إلى مصر ثم عاد منها وتسلم حصن أظامية ، وبقيت في يده سبع عشرة سنة وكان مدة ملكه بمحص سبع عشرة سنة .

وفي سنة أربع وثمانين وأربعمائة تسلم قسيم الدولة حصن أظامية .

ثم سار تاج الدولة ، ومعه قسيم الدولة آق سنقر ، إلى طرابلس ، فحاصرها ، وبها صاحبها جلال الملك بن عمار ، فرأى جيشاً لا يدفع بحيلة ، ولم ير فيهم مطعماً ، وكان مع الأمير قسيم الدولة آق سنقر وزير (٢) فراسله ابن عمار ، فرأى فيه ليئلاً ، فاتممه وأعطاه ، فسمى مع صاحبه قسيم الدولة في إصلاح حاله ، ليدفع عنه ، ويحمل إليه ثلاثين ألف دينار ونحوها بمنزلها ، وعرض عليه [ ١٢ ] المناشير التي بيده

(١) كذا بالأصل ، ولم أجد أحداً من المؤرخين نعته هذا النعت غير ابن واصل ، وإنما اتفقوا جميعاً على تسميته بخلف بن ملاعب السكلابي ، أنظر : ( ابن الفلاني ، ص ١١٥ ، ١١٦ ، ١٢٠ ، ١٤٩ ) و ( ابن الأثير : ج ١٠ ، ص ٨٣ وما بعدها ) و ( كرد علي : خطط الشام ، ج ١ ، ص ٢٦٩ وما بعدها ) .

(٢) ما بين الحاصرتين ورد بهامش الأصل ، وأشير إلى مكانه بعلامة في المتن .

(٣) في الأصل : « وزيراً » وقد ذكر ( ابن الأثير : ج ١٠ ، ص ٨٣ ) أن هذا الوزير

كان اسمه : « زرين كمر (?) » .

من السلطان بالبلد ، والتقدم إلى النواب بتلك البلاد بمساعدته ، والشد معه (١) والتحذير من مخالفته ؛ فقال قسيم الدولة لتاج الدولة : « لا أقاتل من هذه المناشير بيده » . فأغلظ له تاج الدولة ، وقال : « هل أنت إلا تابع لي ؟ » فقال قسيم الدولة : « أنا أتابعك ؛ إلا في معصية السلطان فلا » . ورحل من الغد عن موضعه ، فاضطر تاج الدولة إلى الرحيل ، فرحل غضبان ، وعاد بمجاهد الدولة بُزَّان إلى بلاده .

وفي سنة خمس وثمانين وأربعمائة اجتمع مع الأمير شرف الدين إبراهيم ابن قريش بن بدران العقيلي — صاحب الموصل — عرب كثير ، وكان معتقلا في قبضة أخيه ، فلما قتل استبد بالأمر ، وانضاف إليه خلق كثير من العرب ، وكان محبوباً كريماً ، فلقبه الملك جلال الدولة ، والأمير قسيم الدولة ، فهزموه ، ونهبوا من معه من العرب ، وسبوا نساءهم (٢) .

وفي هذه السنة توفي السلطان جلال الدولة ملكشاه ببغداد ، فطعم أخوه (٣) تاج الدولة — صاحب دمشق — في السلطنة ، واستمال قسيم الدولة — صاحب حلب — ، ومجاهد الدولة بُزَّان — صاحب الرُّها — ، وكان تاج الدولة — قبل ذلك — في خدمة أخيه ببغداد ، فلما انفصل راجعاً إلى بلاده ، بلغته وفاة أخيه وهو بهيئت ، فسار إلى دمشق ، وتجهز وجمع العساكر ، وأنفق الأموال ، وسار نحو حلب ، فخرج قسيم الدولة إلى خدمته ، ودخل في طاعته ، وأرسل إلى ياغيسيان (٤) — صاحب أنطاكية — ، و بُزَّان — صاحب الرُّها — وأشار عليهما بالدخول في طاعة السلطان تاج الدولة حتى يروا ما يكون من أولاد السلطان ملكشاه ،

(١) في الأصل : « منه » ، والتصحيح عن ابن الأثير .

(٢) أنظر أخبار إبراهيم بن قريش بن بدران العقيلي التفصيلية من سنة ٤٨٢ إلى أن تمت عليه الهزيمة في هذه السنة ٤٨٥ في : ( ابن الأثير : ج ١٠ ، ص ٩١ ) .

(٣) في الأصل : « أخاه » .

(٤) في الأصل : « بلغي سيار » ؛ أنظر ماقات ، ص ١٩ ، هامش ٢ .

فإنه كان بينهم يومئذ حلف كبير ، ففعلوا ذلك ، ودخلوا تحت طاعته ، وانفقوا على الخطبة له على منابر بلادهم ، ثم قصدوا الرحبة ، وحاصروها ، وملكوها في المحرم (١) سنة ست وثمانين وأربعمائة ، وخطب لنفسه بالسلطنة ، ثم سار إلى نصيبين — وبها نواب إبراهيم بن قريش بن بدران العقيلي — صاحب الموصل — فحصرها وفتحها عنوة [ ١٣ ] وقتل من أهلها خلقاً كثيراً ، ونهب الأموال ، وفعل الأفعال القبيحة ، ثم سلمها إلى الأمير محمد بن شرف الدولة بن بدران ، وسار يريد الموصل .

وكان الأمير إبراهيم بن قريش بن بدران قد استدعاه السلطان ملكشاه سنة اثنتين وثمانين ليحاسبه ، فلما حضر عنده اعتقله ، وأنفذ فخر الدولة بن جهير إلى البلاد ، فملك الموصل وغيرها ، وبقى إبراهيم مع ملكشاه ، وسار معه إلى سمرقند ، وعاد إلى بغداد ، فلما مات السلطان [ ملك شاه ] أطلقت زوجته تركان (٢) خاتون ، فسار إلى الموصل .

وكانت صفية — عمة السلطان [ ملكشاه (٣) ] وزوجة شرف الدولة (٤) ، [ ولها منه ابنه (٥) ] على — ثم تزوجت بعد شرف الدولة بأخيه إبراهيم ، فأقطعها

(١) يتفق هذا التاريخ مع ما جاء في ( ابن الأثير : ج ١٠ ، ص ٩١ ) فهو ينقل عنه نقلاً يكاد يكون حرفياً ، أما ( Zambaur, Op. Cit. P. 30 ) فيذكر أن السلاجقة استولوا على الرحبة ونصيبين في سنة ٤٨٥

(٢) في الأصل : « بركات » ، والتصحيح عن : ( ابن الأثير : ج ١٠ ، ص ٩١ ) و ( أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ، ج ٢ ، ص ٢٠٣ ) .  
(٣) أضفنا ما بين الحاصرتين عن ابن الأثير للإيضاح .

(٤) في الأصل : « شرف الدين » والتصحيح عن ابن الأثير ، أنظر أيضاً السطور التالية هنا .

(٥) في الأصل : « وابنه علي » وبها يفسد المعنى ، والتصحيح عن : ( ابن الأثير : ج ١٠ ، ص ٩١ ) حيث ينقل عنه ابن واصل هنا نقلاً يكاد يكون حرفياً .

السلطان [ مدينة <sup>(١)</sup> ] بَلَدٌ؛ فلما مات السلطان قصدت الموصل ومعها ابنتها علي ،  
فقصدها محمد بن شرف الدولة ، وأراد أخذ الموصل ، فافترق العرب فرقتين : فرقة معه ،  
وفرقة مع صفية — عمه السلطان — وابنتها علي ؛ فاقتلوا بلموصل عند الكناسة ،  
فظهر <sup>(٢)</sup> علي ، وانهزم محمد ، وملك سعد الدولة علي بن شرف الدولة الموصل .  
فلما وصل إبراهيم إلى جهبنة — وبينه <sup>(٣)</sup> وبين الموصل أربعة فراسخ —  
سمع أن الأمير علياً — ابن أخيه — قد ملك الموصل ، ومعه أمه صفية خاتون  
— عمه السلطان [ ملكشاه <sup>(١)</sup> ] — ، فأقام مكانه ، وراسل صفية ، وترددت الرسل  
بينهما ، فسلمت إليه البلد ، فأقام به ، فلما ملك تاج الدولة [ تَنُش <sup>(١)</sup> ] نصيبين ،  
أرسل إليه يأمره أن يخطب له بالسلطنة ، ويمطيه طريقاً إلى بغداد لينحدر إليها ،  
[ ويطلب الخطبة بالسلطنة <sup>(١)</sup> ] فامتنع إبراهيم من ذلك ، فسار إليه تاج الدولة ،  
وتقدم [ إبراهيم أيضاً <sup>(٤)</sup> ] نحوه ، فالتقوا بالمضيق <sup>(٥)</sup> — من أعمال الموصل —  
في ربيع الأول ؛ وكان إبراهيم في ثلاثين ألفاً ، وتاج الدولة في عشرة آلاف ؛  
وكان قسيم الدولة في الميمنة ، وبُزَّان في الميسرة ، فتمت الهزيمة على العرب ، وأسر  
إبراهيم ، وجماعة من أمراء العرب ، فقتلوا صبراً ، وأخذت أموالهم ، وسُبيت  
نساؤهم ، وقتل كثيرٌ من نساء العرب أنفسهن ، خوفاً من الفضيحة .

وملك تاج الدولة [ تَنُش ] الموصل ، وولاها للأمير سعد الدولة علي بن  
شرف الدولة — ابن عمته — ، وأرسل إلى بغداد يطلب من الخليفة المقتدى

(١) أضفنا ما بين الحاصرتين عن ابن الأثير للايضاح .

(٢) في ابن الأثير « فظفر » .

(٣) في الأصل : « وبينها » ، والتصحيح عن ابن الأثير .

(٤) في الأصل : « تاج الدولة » ولا يستقيم المعنى به ، والتصحيح عن ابن الأثير .

(٥) في الأصل : « بالمضيق » وما هنا عن ابن الأثير ، ولم أجد لهذا المكان تعريفاً

فيما بين يدي من مراجع .



بأمر الله الخطبة [١٤] له بالسلطنة ، — وكان الشحنة ببغداد كوهرايين (١) وقيل لرسوله : « إنا ننتظر وصول الرسل من العسكر » . وعاد إلى تاج الدولة الجواب ثم سار السلطان تاج الدولة تُدش فملك مياًفارقين ، وديار بكر أجمع ، وقويت شوكته ، وعظم أمره ، وسار إلى أذربيجان ؛ وكان ابن أخيه — السلطان ركن الدين بركيارق بن ملكشاه — قد قوى ، وصارت بيده الري وهمدان وما يليهما ، فسار بالعساكر ليمنع عمه من البلاد ، ففارق قسيم الدولة آق سنقر ومجاهد الدين بزبان تاج الدولة ، وانحازا إلى السلطان ركن الدين بركيارق ، فعاد تاج الدولة إلى الشام .

### ذكر مقتل الأمير قسيم الدولة آق سنقر

ولما عاد السلطان تاج الدولة من أذربيجان لم يزل يجمع العساكر حتى عظمت جموعه ، وكثر حشده ، فسار في جمادى الأولى (٢) سنة سبع وثمانين وأربعمائة [عن دمشق (٣)] نحو حلب ، فحشد الأمير قسيم الدولة والأمير مجاهد الدين [بوزان (٣)] — صاحب الرها — وأمدهما السلطان بركيارق بالأمير كرتبوقا (٤) ،

(١) في الأصل : « كوهرايين » ، والتصحيح عن ابن الأثير ؛ وقد رسم هذا الاسم في ( صدر الدين أبو الحسن علي بن ناصر : أخبار الدولة السلجوقية ، نشر محمد إقبال ، ص ٥١ ، ٥٤ ، ٧٢ ) « كهرائين » . أنظر ترجمة سعد الدولة الكوهرايين بالتفصيل في : ( ابن الجوزي : المنتظم ، ج ٩ ، ص ١١٥ — ١١٦ ) .

(٢) في الأصل : « جمادى الآخرة » ، والتصحيح عن ( ابن الأثير ، ج ١٠ ، ص ٩٥ ) فهو الأصل الذي ينقل عنه ابن واصل . أنظر أيضا ما يأتي ص ٢٦

(٣) ما بين الحاصرتين عن ابن الأثير للإيضاح .

(٤) في الأصل : « كرتبوقا » والتصحيح عن ابن الأثير ، وهو أبو سعيد قوام الدولة كرتبوقا أو كرتبوقا حاكم الموصل ، أنظر أخباره في : ( ابن القلانسي ، ص ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٣٤ ، ١٤٠ ) و ( Zambaur, Op. Cit. P. 38 ) وقد توفي كرتبوقا سنة ٤٩٤

فالتقى الجمعان بمكان يعرف بنهر سبعمين (١) ، قريباً من تل السلطان (٢) ، بينه وبين حلب ستة فراسخ ، فاقتلوا قتالاً شديداً ، فغاصر بعض المسكر الذين مع قسيم الدولة ، فانهزموا ، وتمت الهزيمة بسبب انهزامهم ؛ وأخذ آق سنقر أسيراً ، وأحضر بين يدي السلطان تاج الدولة ، فقال : « لو ظفرت بي ما كنت صنعت بي ؟ » قال : « كنت أرى قتلك » . قال : « فأنا أحكم عليك بما كنت تحكم علي » ، فقتله صبراً .

وسار [ تاج الدولة ] نحو حلب ، وكان قد دخلاها (٣) : كزبوقاً ، وبزبان (٤) ، فحفظاها ، فحصرها تاج الدولة ، وجأ في حصرها ، فسلمها إليه المقيم بقلعة الشريف (٥) ، ومنها دخل البلد ؛ وكانت الواقعة التي قُتل فيها قسيم الدولة يوم السبت لتسع مضين من جمادى الأولى ، وكان نزوله على حلب يوم الأحد غد هذا اليوم ، ومعه رأس قسيم الدولة ، وتسلمها العصر من ذلك اليوم ، وبات بقلعة الشريف ، وتسلم قلعة حلب يوم الاثنين لإحدى عشرة ليلة مضت من جمادى [ الأولى ] ، وأخذ بزبان

(١) ضبط هذا اللفظ بعد مراجعة ( ياقوت : معجم البلدان ) ، ولكنه لم يذكر أنه نهر ، وإنما عرفه بقوله : سبعمين قرية بباب حلب كانت إقطاعاً السنيني من سيف الدولة .

(٢) كان يعرف هذا المكان قبل بالمرج الأحمر ، وإنما عرف بتل السلطان بعد ذلك لأن السلطان ألب أرسلان الساجوقى خيم به مدة فنسب إليه ، هكذا ذكر ( ابن الشحنة : الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب ، ص ١٣٦ ) .

(٣) كذا في الأصل ، ويلاحظ أن ابن واصل كثيراً ما ياتزم مذهب « أكلوني البراغيث » فيستعمل الفعل المثني والفعل الجمع مع وجود الفاعل ، ولم نشأ نحن أن نغير ما التزمه المؤلف محافظة على أسلوبه .

(٤) في الاصل : « كزبوقاً ونزاب » والتصحيح عن ( ابن الاثير ، ج ١٠ ص ٩٦ ) أنظر أيضاً ما فات .

(٥) لم نجد لهذا المكان ترميماً في المراجع التي بين يدي ، والظاهر أنها كانت إحدى القلاع المهمة القائمة في حلب وقتذاك ، فقد قال ( ابن القلانسي ، ص ١١٨ ) في حوادث سنة ٤٧٨ : « وفيها شرع في عمارة القلعة الشريف بحلب وترميم ما كان هدم منها وإعادةها إلى ما كانت عليه في حال عمارتها » .

وَكِرْبُوقًا [ ١٥ ] أُسِيرْتَن ، وَبُعِثَ إِلَى حِرَّانَ وَالرُّهَا ، — وَكَانَتَا لِبِرَّانَ —  
أَنْ [ يَسْلُمَهُمَا مِنْ بَيْهَمَا (١) ] إِلَيْهِ ، فَامْتَنَعَ أَهْلُهَا مِنَ التَّسْلِيمِ ، فَقَتَلَ بِرَّانَ ، وَأَنْفَذَ  
رَأْسَهُ إِلَيْهِمْ ، وَتَسَلَّمَ الْبَلَدَيْنِ ، وَبُعِثَ كِرْبُوقًا إِلَى حِمصَ ، فَخَبَسَ بِهَا ، وَكَانَتْ لَأَقِ  
مَسْتَقَرًّا ، فَتَسَلَّمَهَا ، وَسَلَّمَهَا إِلَى جَنَاحِ الدَّوْلَةِ حَسِينِ أَنْابِكِ وَوَلَدِهِ الْمَلِكِ فَخْرِ الْمَلِكِ رِضْوَانَ ،  
فَلَمَّا قُتِلَ تَاجُ الدَّوْلَةِ أُخْرِجَ الْمَلِكُ رِضْوَانُ كِرْبُوقًا مِنَ الْخَبْسِ .

### ذِكْرُ سِيرَةِ الْأَمِيرِ قَسِيمِ الدَّوْلَةِ (٢) — رَحِمَهُ اللَّهُ —

[ كَانَ ] أَمِيرًا عَادِلًا ، حَسَنَ السَّيْرِ ، جَمِيلَ السِّيَاسَةِ ، وَكَانَ شَرْطَ عَلَى أَهْلِ  
كُلِّ قَرْيَةٍ مِنْ بِلَادِهِ أَنْهُمْ مَتَى أَخَذَ عِنْدَهُمْ قَفْلًا أَوْ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ ، غَرَّمَهُمْ جَمِيعَ  
مَا يَتَّخِذُونَ مِنَ الْأَمْوَالِ — قَلِيلًا أَوْ كَثِيرًا — ، فَكَانَتِ السَّيَّارَةُ إِذَا بَلَغُوا قَرْيَةً  
مِنْ بِلَادِهِ ، أَلْقَوْا رِحَالَهُمْ ، وَنَامَوْا ، وَحَرَسَهُمْ أَهْلُ تِلْكَ الْقَرْيَةِ إِلَى أَنْ يَرْحَلُوا ،  
فَأَمَّنَتِ السَّبِيلَ .

وَكَانَ عِنْدَهُ وِفَاءٌ عَظِيمٌ وَحَسَنُ عَهْدٍ ، وَمَرْوَةَ غَزِيرَةَ ، وَإِنَّمَا كَانَ قَتْلَهُ وَفَاءً  
لِسُلْطَانِهِ وَرَبِّ نِعْمَتِهِ جَلَالِ الدَّوْلَةِ ، وَحَفِظًا لَوَلَدِهِ مِنْ بَعْدِهِ ، وَإِنَّمَا صَارَ مَعَ تَاجِ  
الدَّوْلَةِ فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ خَوْفًا مِنْهُ ، وَلَئِنْ بَنَى صَاحِبُهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ اتِّفَاقٌ ، فَلَمَّا اسْتَفْجَلَ  
أَمْرَ السُّلْطَانِ بَرَكِيَّارِقَ — وَوَلَدَ صَاحِبِهِ — انْحَازَ إِلَيْهِ وَقَتَلَ فِي هَوَاةٍ .

(١) فِي الْأَصْلِ : « وَكَانَتَا لِبِرَّانَ أَنْ يَسْلُمَهُمَا إِلَيْهِ » ، وَهُوَ خَطَأٌ فَضَّلَ عَنْ أَنَّهُ اخْتِصَارٌ مَخْلُوعٌ  
بِالْمَعْنَى ، وَقَدْ صَحَّحَتِ الْعِبَارَةُ وَأَضِيفَ مَا بَيْنَ الْمَخَاصِرَتَيْنِ بَعْدَ مَرَاجَعَةِ ابْنِ الْأَثِيرِ .

(٢) أَنْظَرَ تَرْجُمَتَهُ فِي : ( ابْنُ خَلْسَكَانَ : ج ١ ، ص ١٣٩ ) .

## ذكر أخبار عماد الدين زنكي

ابن قسيم الدولة آق سنقر — رحمه الله —

لم يخلف [ آق سنقر ] من الولد غير أتابك زنكي ، وكان عمره حين توفي والده عشر سنين ، فاجتمع عليه مماليك والده وأصحابه ، وفيهم الأمير زين الدين علي كوجك بن بكتكين<sup>(١)</sup> ، وهو صبي أيضاً ؛ ولما تخلص كزبوقا من سجن حمص — بعد مقتل تاج الدولة تنش — توجه إلى حران ، واجتمع إليه جماعة ، فملكها ، وملك نصيبين ، ثم ملك الموصل وماردين ، وعظم شأنه وأحضر مماليك قسيم الدولة آق سنقر ، وأمرهم بإحضار عماد الدين زنكي ، وقال : « هو ابن أخي ، وأنا أولى الناس به وبثريته » . فأحضروه عنده ، وأقطعهم الإقطاعات السنية ، وجمع عماد الدين زنكي مماليك أبيه ، واستعان بهم في حروبه ، وأقام عماد الدين في صحبة كزبوقا إلى أن توفي في سنة أربع وتسعين وأربعمائة .

وملك الموصل موسى التركاني<sup>(٢)</sup> ، ثم شمس الدولة جكرميش<sup>(٢)</sup> — أحد مماليك السلطان [ ١٦ ] جلال الدولة ملكشاه — فقرب عماد الدين زنكي ، واتخذاه ولداً إلى أن توفي جكرميش في سنة خمسمائة .

ثم ولي بعد جكرميش جاولي سقا ، واتصل به عماد الدين زنكي .

(١) في الأصل هنا وفيما يلي دائماً « علي كوجل بن بكتكين » وقد ضبط الاسم بعد مراجعة : ( ابن القلانسي ، ص ٢٨١ ، ٢٨٥ ، ٣٠٧ ، ٣٣٧ ، ٣١٦ ) و ( Zambaur, Op. Cit. ) P. 38 . وستوالى ضبط الاسم كما بالمتن كلما ورد ذكره بعد ذلك دون الإشارة .

(٢) ملك الموصل ستة شهور من سنة ٤٩٥ ، ثم أخذها منه جكرميش ( Djekermish ) في ذي الحجة من نفس السنة وظل يتولاها إلى سنة ٥٠٠ ؛ انظر : ( Zambaur, Op. Cit. )

ثم ولي الموصل الأمير مودود<sup>(١)</sup> — من نسل السلطان غياث الدين محمد  
ابن ملكشاه — وصحبه عماد الدين زنكي ، وحضر معه حروبه .  
ثم قُتل مودود بدمشق ، فأقطع السلطانُ الموصل لجيوش بك ، وسيرَّ معه  
الملك مسعود — ولده — ، وسيرَّ قسيم الدولة اسباسلار<sup>(٢)</sup> البرُسُقي<sup>(٣)</sup> آق سنقر  
في الجيوش لقتال الفرنج<sup>(٤)</sup> ، وكانوا قد ملكوا سواحل الشام وفتحوا البيت المقدس ؛  
فسار وصحبه عماد الدين زنكي ، فحاصروا الرُّها ، وأخربوا بلاد سروج وسنجار  
وميساط ، ثم عادوا ، وأقام عماد الدين زنكي بالموصل في صحبة الملك مسعود بن السلطان  
محمد ، والأمير جيوش بك .

وفي سنة إحدى عشرة وخمسة وُلد نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي ،  
وفيها توفي السلطان محمد ، فأقر ولده السلطان محمود بن محمد أخاه مسعوداً<sup>(٥)</sup> بالموصل  
مع جيوش بك .

وفي سنة أربع عشرة وخمسة خرج مسعود عن طاعة أخيه السلطان محمود ،  
فخطب لنفسه بالسلطنة ، ثم التقى الاخوان ، فكسر مسعود ، وأمنه السلطان ، وأمن  
جيوش بك ، وأقطع الموصل قسيم الدولة آق سنقر البرُسُقي سنة خمس عشرة

(١) ولها من سنة ٥٠٢ إلى سنة ٥٠٧ ؛ أنظر المرجع بالهامش الثاني من الصفحة السابقة .

(٢) أنظر مافات ص ٢ هامش ١

(٣) في الاصل هنا وفيها يلي : « البرسقي » وقد ضبط الاسم بعد مراجعة : ( ابن خلكان ،  
الوفيات ، ج ١ ، ص ١٤٠ ) ، وهو أبو سعيد سيف الدين قسيم الدولة آق سنقر البرسقي ؛  
صاحب الموصل ، ملكها بعد قتل الأمير مودود سنة ٥٠٧ ، وقتل البرسقي سنة ٥٢٠ ففك  
الموصل بعده ابنه عز الدين إلى أن مات في سنة ٥٢١ فملكها بعده عماد الدين زنكي ، وسيضبط  
الاسم فيما يلي دون الاشارة إلى ذلك في الهوامش .

(٤) في الأصل : « لقتال آق سنقر الفرنجي » وهو لاشك خطأ من الناسخ .

(٥) في الأصل : « مسعود » .

وخمسمائة ، وأمر السلطانُ آق سنقر [ البرُسُقي ] بحفظ عماد الدين زنكي وتقديمه والوقوف عند إشارته ، ففعل ذلك .

وفي سنة ست عشرة وخمسمائة أقطع عماد الدين زنكي شُحْنَكِيَّة (١) البصرة وواسط ، وعظم شأنه ، وهابه الأمير دُبَيْسُ بن صدقة — صاحب الحلة — وهمَّ دُبَيْسُ بقصد بغداد ، فسار إليه آق سنقر البرُسُقي بنفسه ، وتبعه الخليفة المسترشد بالله ، فانهزم عسكر دُبَيْسُ ، وقتل منهم وأسر خلق كثير ، وكان لعماد الدين أثر حسن في هذه الواقعة ، وذلك في أول المحرم سنة سبع عشرة وخمسمائة .

ولحق دُبَيْسُ بالسلطان طُغْرُلُ بن السلطان محمد ، [ ١٧ ] وكان معه عاصياً على السلطان محمود ، وأمر السلطان لآق سنقر البرُسُقي أن يرجع إلى الموصل فعاد ، فقال عماد الدين لأصحابه : « قد ضجرنا مما نحن فيه ، كل يوم يملك البلد أمير ، ويؤمر بالتصرف على اختياره وإرادته ، فتارة نحن بالعراق ، وتارة بالشام ، وتارة بالموصل ، وتارة بالجزيرة » . فسار من البصرة إلى السلطان محمود ، وأقام عنده ، فكان يقف إلى جانب تخت الملك عن يمينه ، لا يتقدم عليه أحد ، وهو مقام والده قسيم الدولة [ آق سنقر ] من قبله ، وبقي لعقبه من بعده .

ثم بلغ السلطان أن العرب قد اجتمعت ، ونهبت البصرة ، فأعلم عماد الدين زنكي بالمسير إليها ، وأقطعه إياها ، لما بلغه عنه من الحماية لها في العام الماضي وقت اختلاف العساكر والحروب ، ففعل ذلك ، فعظم عند السلطان ، وزاد محله عنده ، وكان جرى بين برتقش (٢) الزكوي — شُحْنَة (١) بغداد — وبين الخليفة المسترشد بالله فقرة ، فتهدده المسترشد ، فسار عن بغداد إلى السلطان شاكياً

(١) أنظر ماقات ، ص ٧ ، هامش هـ .

(٢) كذا في الأصل ، وفي ( ابن الجوزي : المنتظم ، ج ٩ ، ص ٢٤٩ ) : « برتقش » .

من المسترشد ، وحذر السلطان جانبه ، وأعلمه أنه قد جمع العساكر عازماً على منعه من العراق ، فسار السلطانُ إلى بغداد ، وجرت حروب ووقائع ، ليس هذا موضع (١) ذكرها

## ذكر تولى الأمير عماد الدين زنكي (٢)

شحنكية (٣) بغداد

ثم نظر السلطان محمود بن محمد فيمن يصلح لشحنكية العراق ، بحيث يأمن معه من الخليفة ، ويضبط الأمور ، فرأى أن زنكي أصلح الناس لذلك ، فولاه الشحنكية — مضافاً إلى ما بيده من البلاد والإقطاع — وسار السلطان من بغداد .

وفي سنة عشرين وخمسة قُتل آق سنقر البرُستقي ، قتله الباطنية (٤) ، وكانت بيده الموصل وحلب .

## ذكر استيلاء عماد الدين زنكي على الموصل

لما توفى البرُستقي قوض السلطان الأمر بعده بالموصل إلى ولده الأمير عز الدين مسعود بن آق سنقر [ البرستقي ] ، فلم تطل أيامه ، وتوفى في سنة إحدى وعشرين وخمسة ، وولى بعده أخ له ، وقام بتدبير أمره مملوك لأبيه ، يقال له جاولي ، فأرسل إلى السلطان محمود [ ١٨ ] يطلب تقرير البلاد على ولد آق سنقر البرُستقي ،

(١) أنظر تفاصيل هذه الحروب والوقائع في ( ابن الجوزي : المنتظم ، ج ٩ ، ص ٢٤٩ وما بعدها ) .

(٢) أنظر ترجمته في : ( ابن خلكان : الوفيات ج ١ ، ص ٣٤٣ — ٣٤٤ ) و ( أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ٢٧ وما بعدها ) .

(٣) أنظر ماقات ، ص ٧ ، هامش ه .

(٤) أنظر تفاصيل قتله في : ( ابن خلكان : الوفيات ، ج ١ ، ص ١٤٠ ) .

وبذل الأموال الكثيرة على ذلك ، وكان الرسول في ذلك القاضي بهاء الدين أبو الحسن  
على بن القاسم الشهرزوري ، وصلاح الدين محمد الياغيسيانى (١) — أمير حاجب  
البرسقى — فحضرا دَرَكَاهُ (٢) السلطان ليخاطباه في ذلك ، وكانا بخافان (٣) جاولى  
ولا برضيان بطاعته ، فاجتمع صلاح الدين [محمد الياغيسيانى] ونصير الدين جقر (٤) ،  
وكانت بينهما مصاهرة ، وذكر له صلاح الدين ما ورد فيه ، وأفتى (٥) إليه سره ،  
فخوفه نصير الدين [من (٦)] جاولى ، وقبَّح عنده طاعته ، وقرَّر في نفسه [أنه (٦)]  
إنما أبقاه وأمثاله لحاجته إليهم ، ومتى أجيب إلى مطلوبه لا يبقى على أحد منهم .  
وتحدث معه صلاح الدين في أن يخاطب السلطان في ولاية عماد الدين زنكى ،  
وضمن له الولايات والإقطاع الكثير ، وكذلك للقاضى بهاء الدين بن الشهرزورى ،  
وخاطباه في ذلك ، وضمننا له كلما أراد ، فوافقهما على ما طلبا .

وركب هو وصلاح الدين إلى دار الوزير شرف الدين أنوشروان [بن (٧)] خالد ،  
فقالا : « إنه قد علمت أنت والسلطان أن ديار الجزيرة والشام قد تمكن الفرنج منها ،

(١) في الأصل : « الباعسانى » ، أنظر ماقات ص ١٩ ، هامش ٢

(٢) الدركاه — والجمع دركات — عرفها (Dozy, Supp Diet Arab.) فقال إنها  
لفظ فارسى معناه القضاء أو للمر المؤدى إلى مدخل قصر أو بناء كبير : (Cour devant un :  
palais, vestibule, portique, porte)

(٣) في الأصل : « يخافا » .

(٤) هو نصير الدين جقر بن يعقوب نائب عماد الدين زنكى على الوصول إلى سنة ٥٣٩  
حيث قتل ، وقد رسم هذا الاسم في (Zambaur, Op. Cit. P. 38) هكذا : « نصير الدين  
تشفرا Nasiraddin Tschaghra » ، أنظر بعض أخباره في : (ابن القلانسى : ص ٢١٧ ،  
٢٦٣ ، ٢٨٠ ، ٢٨١) .

(٥) في الأصل : « وأفتى » بالألف .

(٦) أضنا ما بين الحاصرتين عن : (ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ٢٧٤)  
وذلك للإيضاح .

(٧) ما بين الحاصرتين عن ابن الأثير ، نفس الجزء ، والصفحة ، وهو شرف الدين أنوشروان  
ابن خالد بن محمد الكاشانى ، ولى الوزارة للسلطان محمود السلجوق فى العراق من ربيع الثانى  
سنة ٥٢١ إلى رجب سنة ٥٢٢ ، أنظر : (Zambaur, Op. Cit. P. 225) .



وقد قويت شوكتهم فاستولوا على أكثرها ، وقد أصبحت ولايتهم من حدّ ماردین إلى عريش مصر — ما عدا البلاد الباقية بيد المسلمين — ، وقد كان البرسقي — مع شجاعته — يكفّ بعض عاديّتهم ، فذ قُتل زاد طمعهم ، وولده طفل ، ولا بد للبلاد من رجل شهيم شجاع ذی (١) رأى وتجربة يذب عنها ويحمي حوزتها ، وقد أنهيّا الحال إليك لثلاثي جري خلل أو وهن على المسلمين ، فيختص اللوم بنا ، ويقال لنا : لم لا أنهيتم إلينا جليلة الحال . فأنهى الوزير ذلك إلى السلطان ، فشكرها عليه ، وأحضرها ، واستشارها (٢) فيمن يصلح للولاية ، فذكر (٣) جماعة ، منهم : عماد الدين زنكي ، وبذلا عنه — تقربا إلى خزانة السلطان — مالا جليلا ، فأجاب [ السلطان ] إلى ذلك ، لما يعلمه من كفايته لما يليه ؛ وولاه البلاد كلها ، وكتب منشوره بذلك (٤) وضم إليه ولده الملك ألب أرسلان — المعروف بالملجاني — وجعله أتابك ، فمن ثم قيل لزنكي : « أتابك (٥) » ، فسار أتابك زنكي (٤) .

(١) في الأصل : « ذو » .

(٢) في الأصل : « واستشاره » والتصحيح عن ابن الأثير حيث ينقل عنه هنا ابن واصل نقلا يكاد يكون حرفياً مع تغييرات طفيفة في اللفظ دون المعنى .

(٣) في الأصل : « فذكرها » والتصحيح عن ابن الأثير .

(٤) هذه الجملة لا توجد في ابن الأثير وإنما أضافها ابن واصل من عنده للإيضاح ، وهو إيضاح له أهميته لتحديد التاريخ الذي لقب فيه عماد الدين بآتابك وهو الآتاب الذي ميز الدولة التي حكمت من نسبه .

(٥) « أتابك » لقب يتكون من لفظين تركيبين : أطا بمعنى أب ، وبك بمعنى أمير ؛ وذكر صاحب ( صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ١٨ ) أن أول من لقب بهذا اللقب هو نظام الملك وزير ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي ( ٤٦٥ — ٤٨٥ هـ ) حين فوض إليه ملكشاه تدير المملكة ؛ ثم أصبح ملوك السلاجقة يطلقون هذا اللقب على كبار قواد جيشهم الذين يولونهم الرصاية على أبنائهم القاصرين . وكثيراً ما كان الأمير الآتابك يتزوج أم الطفل الموصى به ، وبذلك تصبح العلاقة بينه وبين هذا السلطان القاصر علاقة شبه أبوية . أنظر أيضاً : ( Demombynes: La Syrie à l'Époque des Mamlouks, Pref P. XXVII, LVI ) و ( دائرة المعارف الإسلامية : مادة أتابك ) .

وبدأ بالبوازيج<sup>(١)</sup> [١٩] فملكها ، وتقوى بها ، وجعلها وراء ظهره ،  
لأنه خاف من جاولي أنه ربما صدّه عن البلاد ، ثم سار من البوازيج إلى الموصل ،  
فلما سمع جاولي بقربه من البلد ، خرج إلى تلقيه ، ومعه سائر العسكر ، فلما رآه  
جاولي نزل عن فرسه ، وقبّل الأرض بين يديه ، وعاد في خدمته إلى الموصل ،  
فدخلها في رمضان ، وأقطع [ عماد الدين زنكي ] جاولي الرحبة ، وسيرّه إليها ،  
وأقام بالموصل يصلح أمورها ويقرر قواعدها ، وولّى نصير الدين جقر دزدارية<sup>(٢)</sup>  
[ القلعة<sup>(٣)</sup> ] بالموصل ، وجعل إليه دزدارية سائر القلاع ، وجعل صلاح الدين محمداً  
أميراً حاجباً<sup>(٤)</sup> ، وبهاء الدين قاضي القضاة في البلاد جميعها .

### ذكر استيلاء عماد الدين

على جزيرة ابن عمر<sup>(٥)</sup>

ثم سار عماد الدين إلى جزيرة ابن عمر ، وبها ممالك البرسقي ، فامتنعوا  
من التسليم ، فحصرهم وراسلهم ، وبذل لهم البذول الكثيرة على أن يجيبوه ،  
فلم يجيبوا ، فجدّ في قتالها ، وبينه وبين البلد دجلة ، فأمر الناس بالقاء أنفسهم  
في الماء ، ليعبروا إلى البلد ، ففعلوا ، وعبر بعضهم سباحة ، وبعضهم في السفن ،

(١) عرفها ( ياقوت : معجم البلدان ) بأنها بلد قرب تسكريت على فم الزاب الأسفل  
حيث يصب في دجلة ، ويقال لها بوازيج الملك ، وهي الآن ( أي في زمن ياقوت ) من أعمال  
الموصل ، ثم قال : وبوازيج الأنبار موضع آخر .

(٢) أنظر ماقات ص ٨ ، هامش ١

(٣) ما بين الحاصرتين عن ( ابن الأثير ، ج ١٠ ، ص ٢٧٥ ) .

(٤) في الاصل : « أمير حاجب » والتصحيح عن ابن الأثير .

(٥) عرفها ( ياقوت : معجم البلدان ) بأنها بلدة فوق الموصل بينهما ثلاثة أيام تحيط  
بها دجلة إلا من ناحية واحدة شبه الهلال ، ثم قال : وأحسب أن أول من عمرها الحسن بن عمر  
ابن الخطاب التغلبي وكانت له امرأة بالجزيرة .

وبعضهم في الأكلاك (١) ، وتكاثروا على أهل الجزيرة ، وكانوا قد خرجوا من الجزيرة إلى أرض بين الجزيرة ودجلة ، تعرف بالزلاقة ، ليمنعوا من بريد عبور دجلة ، فلما عبر العسكر إليهم قاتلوهم ومانعوم ، فتكاثر عسكر عماد الدين عليهم ، فانهزم أهل البلد ، وتحصنوا بأسواره ، واستولى عماد الدين على الزلاقة ، فلما رأى ذلك أهل البلد علموا أن لا خلاص لهم منه ، فسلموا إليه البلد بالأمان ، فدخل إليه هو وعسكره ، وزادت دجلة في تلك الليلة زيادة منكرة ، بحيث لحقت (٢) سور البلد ، وامتلأت الزلاقة ماء ، ولو أنهم أقاموا ذلك اليوم ، ولم يتفق لهم الدخول للبلد ، لغرقوا ولم يسلم منهم أحد ، فعلم الناس أن ذلك بداية سعادة ، وأن أمر هذه الدولة لعظيم .

### استيلاء عماد الدين زنكى على نصيبين

ثم سار عماد الدين زنكى إلى نصيبين ، وكانت للأمير حسام الدين تيمرتاش ابن إيلغازى ابن أرتق (٣) — صاحب ماردين — فلما نازلها سار حسام الدين إلى ابن عمه ركن الدولة (٤) داوود ابن معين [ ٢٠ ] الدين [ سُقْمَان (٥) ] ابن أرتق

(١) السكك — والجمع كسكات أو أكلاك — لفظ فارسي معنا السفينة الصغيرة وجاء في (عبط المحيط) : « السكك مركب يركب في أنهر العراق ويعرف بالطوف » أنظر أيضاً : (Dozy : Supp. Diet. Arab.) حيث ذكر أن هذا اللفظ استعمل في قصة السندباد البحري ، وللإيضاح كذلك أنظر : (قاموس الدجيلي في مجلة لغة العرب ، الأجزاء ١ و ٢ و ٣ سنة ١٩٠١) و (Kindermann : Schiff im Arabischen) وما به من مراجع . وراجع أيضاً : (البطريوك أغناطيوس أفرام الأول : الألفاظ السريانية في المعاجم العربية . بحث نشر في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، أعداد سنة ١٩٥٠) حيث يرى أن اللفظ من أصل سرياني .

(٢) في س « أخفت » ، وما هنا من ابن الأثير .  
(٣) في الأصل « يرتق » ، وقد صححت بعد مراجعة (Zambaur , Op.cit. p. 228, 230) .  
وقد حكم حسام الدين هذا ماردين من سنة ٥١٦ إلى ٥٤٧ هـ .  
(٤) في الأصل : « الدين » والتصحيح عن : (ابن الأثير ، ج ١٠ ، ص ٢٧٥) و (Zambaur. p. 228) .  
(٥) في الأصل : « شهاب الدين بن أرتق » والتصحيح عن المرجعين المذكورين في الهامش السابق . وقد حكم ركن الدولة داود هذا حصن كيفا من سنة ٥٠٢ إلى سنة ٥٣٩ هـ .

صاحب حصن كيفا ، فوعده النجدة ، وجمع العسكر ، وعاد حسام الدين إلى ماردين ، وأرسل رقاعا على جناح طائر إلى نصيبين ، يعرف من بها من العسكر أنه وابن عمه سائران إليهم في العسكر الكثير ، ويأمرهم بحفظ البلد خمسة أيام ، فسقط الطائر على خيمة عماد الدين ، فقرأها ، وأمر أن يكتب بطاقة غيرها ، مضمونها : إني قصدت ابن عمي ركن الدولة (١) ، وقد وعدتني النصر ، وجمع العساكر ، وما تأخر عن الوصول أكثر من عشرين يوماً ، ويأمرهم بحفظ البلد هذه المدة إلى أن يصل ، وجعل البطاقة في الطائر وأرسله ، فوقع بنصيبين ، فلما وقف أهل البلد على البطاقة أسقط في أيديهم ، وعلموا معجزهم عن حفظ البلد هذه المدة ، فسلموا البلد إلى عماد الدين ، فسلمه ، وهذا من غرائب الاتفاق .

### استيلاء عماد الدين زنكي على سنجار والخابور

ثم سار إلى سنجار ، فامتنع من يها عليه ، ثم صالحوه ، وسلموها إليه ، وسبب منها الشنن إلى الخابور ، فملكه جميعه ، ثم سار إلى حران

### استيلاؤه على حران

ولما قاربها ، خرج أهلها مدعين له بالطاعة ، لأنهم كانوا في ضرر عظيم وضيق من الفرنج — لعنهم الله — فإنه كانت بأيديهم يومئذ الرها وسروج والبيرة ، وتلك البلاد ، وتلك النواحي جميعها .

ولما ملك حران أرسل إلى جوساين — صاحب الرها وتلك البلاد — وهادته مدة يسيرة ، ليتفرغ لإصلاح البلاد ، وتجنيد الأجناد ، وكان أهم الأمور إليه أن يعبر الفرات ويملك البلاد الشامية .

(١) في الأصل : « الدين » أفضل ما فات من ٣٥ ، هامش ٤

## ذكر استيلاء الشهيد عماد الدين زنكي

على مدينة حلب

وكان آق سنقر البرُمنقي قد ملك حلب ، فلما قُتل آق سنقر [هذا (١)] بالموصل كان ولده عز الدين مسعود بقلعتها (٢) فسار إلى الموصل وملكها ، واستناب بقلعتها رجلا يقال له : « قومان (٣) » ، ولما استتب أمره (٤) سار إلى الرجة ليحاصرها . وورد إلى حلب غلام السلطان محمود ، يقال له : « خُتلغُ أبه (٥) » أتى بتوقيع من الأمير عز الدين يتضمن تسليم حلب إليه ، وصحبته سنقر [٢١] الطويل الملقب عمدة الدين — صاحب حَرَّان — المعروف بدران (٦) ، فسلم التوقيع إلى قومان (٣) ، فلم يقبل واحتج بعلامة بينه وبين عز الدين لم يتضمنها التوقيع ، واعترف بالخط ، وكان بينهما العلامة صورة غزال ، لأن عز الدين كان أحسن الناس نقوشاً وتصاور ، وكان مفرط الذكاء ، وطال الأمر على خُتلغُ أبه ، ولم يسلم إليه البلد ، فأشير إليه بالعود ، فعاد ، وكان عز الدين محاصراً الرجة ، فوصل [ ختلغ (١) ] في خمسة أيام ، فوجد مسعوداً قد مات ، وهو مطروح على قطعة بساط ، والعسكر مشغولون عن دفنه ،

(١) أضفنا ما بين الحاصرتين للإيضاح .

(٢) الضمير هنا يعود على حلب .

(٣) في الأصل : « قومان » ، والتصحيح عن (ابن الأثير) و (Zombaur: Op. Cit. p. 34)

(٤) الضمير هنا طائد على عز الدين مسعود بن آق سنقر البرسقي صاحب حلب .

(٥) كذا في الأصل ، ويرسم أيضاً « قتلغ » أنظر المرجعين بهامش ٣

(٦) كذا في الأصل ، ولم أستطع تحقيق الاسم بعد مراجعة المراجع المتداولة هنا في الحواشي ، ويلاحظ أن ابن واصل لا ينقل في هذا الجزء عن ابن الأثير ، وفيما أورده هنا عن الاستيلاء على حلب تفاصيل كثيرة لا توجد في السكامل لابن الأثير أو ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي أو المختصر لأبي الفدا . وأغلب الظن أنه ينقل هنا عن تاريخ حلب لابن العديم وإن كنت لم أطلع عليه فهو لا يزال مخطوطاً ، وهذا الاختلاف حيناً والاتفاق حيناً آخر بين النصين يؤكد ما ذهبنا إليه من أن المؤرخين يأخذان عن مرجع واحد .

وقد نهب بعضهم بعضا ، فعاد خُتْلُغُ أبه إلى حلب في ثلاثة أيام ، وعرف الناس موته ، فأدخله الرئيس فضائل بن بديع — رئيس حلب — المدينة ، واستنزلوا قومان من القلعة بعد ماصح عنده وفاة صاحبه ، فصانعهم على ألف دينار ، وسلم القلعة إلى خُتْلُغُ أبه ، واستحلفه الحلبيون ، واستوثقوا منه .

وطلع [ خُتْلُغُ ] إلى القلعة لست بقين من جمادى الآخرة سنة إحدى وعشرين وخمس مائة ، فبقي أياماً يظهر منه شر عظيم وفسق كبير ، فتشوشت قلوب الرعايا منه ، وحمله قوم على الطمع ، فصار يختم على تركة من يموت ، ويرفعها إليه ، ولا يكشف : هل له ورثة أم لا ؟ فاشتدت نفرة الناس منه وعرف الرئيس فضائل والأمير بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار بن أرتُق — الذي كان قبل ذلك صاحب حلب — أنه قد عزم على قبضهما ، فتحالفا ، واتفقا ، واتفق معهما أحداث حلب ، فناروا ليلة الثلاثاء ثانی شوال من هذه السنة ، وكان خُتْلُغُ أبه وحجابه وخواصه في قلعة ، وكلهم يشربون في البلد عند أصحابهم ، لأنه عشية يوم العيد ، فقبض عليهم الحلبيون ، وملاؤا منهم الحبوس والمساجد ودار ابن الاقريطشى ، وقيدوهم ، وزحف الناس إلى باب القلعة ، وحاصروها ، فقاتلواهم النهار أجمع ، ولما كان الليل نزل وأحرق القصر ، فتلفت سقوفه وأبوابه ، وذهبه وأخشابه ورخامه .

وهجم الناس [ ٢٢ ] صبيحة تلك الليلة ، وأخذوا منه ما قدروا عليه ، وقتل خلق كثير من الناس ، ووصل الأميران حسن وحسان — ابنا البعلبكي صاحبا منبج — من بزاعة<sup>(١)</sup> صابع شوال ، فساماه الخروج ، فأبى ، ثم وصل الجوسلين — ملك الفرنج — في مائتي فارس إلى بانقوسا ، ونفذ رسوله يصانعوه فدفعوه .

(١) في ( ابن الأثير ، ج ١٠ ، ص ٢٧٦ ) : « فوصل إلى حلب حسان صاحب منبج وحسن صاحب بزاعة » .

وفي آخر شوال وصل الملك إبراهيم بن رضوان بن تاج الدولة تَنُش ، فأدخله أهل حلب البلد ، ونادوا بشعاره ، ثم وصل بيمنند الأفرنجي — صاحب أنطاكية — وضايق البلد ، فركب الملك إبراهيم وبدر الدولة سليمان بن أرتُق والرئيس فضائل ابن ربيع في خلق من الحلبيين ، وترددت الرسل بينهم حتى استقر الأمر على الهدنة مدة ، وحل إلى بيمنند ما اقترحه بعد أن أشرف البلد على الهلاك .

وطال الحصار على خُتْلُغْ أبه إلى نصف ذي الحجة ، فوصل الأمير سنقر دراز والأمير حسن قراقوش ، ومع سنقر وحسن توقيع سلطاني عماد الدين زنكي بالموصل والجزيرة والشام ، ومعهما جماعة من الأمراء ، واتفق الأمر على أن يسير خُتْلُغْ أبه وبدر الدولة [ بن عبد الجبار ] إلى الأمير عماد الدين زنكي فلمن ولي استقر الأمر (١) ، ففضيا إلى باب عماد الدين ، وبقي في البلد حسن قراقوش والياً ولاية مستعارة .

ولما مضى بدر الدولة وخُتْلُغْ أبه إلى عماد الدين أصاح بينهما ، ولم يوقع لأحد ، وطمع في البلد ، وسير جيشاً مع الأمير صلاح الدين الياغيسباني — حاجبه — فصعد إلى قلعة حلب ، ورتب الأمور فيها .

ثم سار الأمير عماد الدين إلى الشام — في جيوشه وعساكره — فملك بزاعة ومنبج في طريقه ، وخرج أهل حلب إليه ، فالتقوه واستبشروا بقدومه ، ودخل البلد ، واستولى عليه ، ورتب أموره ، ثم قبض على خُتْلُغْ أبه ، وسلمه إلى ابن بديع ، فكحله (٢) بداره بحلب ، فمات ، فاستوحش ابن بديع ، فهرب إلى قاعة جمبر ، واستجار بصاحبها فأجاره .

(١) كذا في الأصل ، والمعنى غير واضح ، والمقصود أن أي الرجلين يولي عماد الدين يستقر له الأمر .

(٢) في الأصل : « فصله » والتصحيح عن ( ابن الأثير : ج ١٠ ، ص ٢٧٧ ) حيث يعود النس هنا فيتفق ونس ابن الأثير اتفاقاً كبيراً .

وولى عماد الدين ربيعة حاب أبا الحسن علي بن عبد الرزاق ، وكان دخول  
عماد الدين مدينة حاب واستقراره بها في [٢٣] جمادى الآخرة من سنة اثنتين  
وعشرين وخمسمائة .

ثم سار من حاب إلى خدمة السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه — في نجمل  
عظيم — ، وعاد من عنده إلى الموصل في سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة ، ومعه  
منشوره بالجزيرة والشام وما اتصل بهما ، بعد أن يحمل إلى السلطان وأصحابه ما يزيد  
على مائة ألف وعشرين ألف دينار .

وفي مستهل رجب سنة أربع وعشرين وخمسمائة وصل عماد الدين زنكي  
إلى الفرات ، وفتح قلعة السن (١) ، وسير عسكرياً أغاروا على بلد عزاز (٢)  
— وهي للفرنج — وعاثوا في بلد جوسلين ، وذلك للبايتين بقيتا من رجب ؛  
وخيم عماد الدين ظاهر حاب ، وترددت الرسل بينه وبين الفرنج ، واصطاحوا  
مائة ؛ ولعشر بقين من شعبان تزوج الأمير عماد الدين خاتون بنت الملك رضوان  
ابن تنش .

(١) كذا في الأصل ، ولم أستطع تحقيق هذا الموقع لأن أخبار استيلاء عماد الدين على هذه  
القلعة وعلى عزاز ثم خبر زواجه لم ترد جميعاً في حوادث سنة ٥٢٤ في المراجع السكينة المتداولة  
في هذه المواضع ، ولعل المقصود قلعة البيرة فهي واقعة على الفرات .  
(٢) عزاز — وربما قيلت بالألف في أولها — بليده فيها قلعة ولها رستاق شمال حاب ، بينهما  
يوم . (ياقوت : معجم البلدان) .



## ذكر استيلاء الأمير عماد الدين

على مدينة حماة

وكانت حماة للأمير ظهير الدين (١) أتابك طغتكين — صاحب دمشق —  
قد قتلها عقيب موت صاحبها شهاب الدين محمود بن قراجا (٢) سنة سبع عشرة  
وخمسة ، ثم سلمها الأمير ظهير الدين إلى الأمير بهاء الدين إبراهيم بن سوار ،  
ثم توفي إبراهيم بعد موت ظهير الدين ، فولّى تاج الملوك بوري بن طغتكين  
— صاحب دمشق — حماة ولده بهاء الدين سيونج بن بوري .

ولما كانت هذه السنة — أعني سنة أربع وعشرين وخمسة — أرسل عماد الدين  
زنكي إلى تاج الملوك بوري بن طغتكين — صاحب دمشق — يستنجد به على الفرنج ،  
وأظهر الزم على الجهاد ، فأجابته إلى ذلك ، وأرسل من أخذ له اليهود والموائيق ،  
ثم جرد عسكراً من دمشق مع جماعة من الأمراء ، وأرسل إلى ابنه سيونج — صاحب  
حماة — يأمره بالتقدمة على العسكر والمسير بهم إلى خدمة عماد الدين زنكي ، فساروا  
بأجمعهم إليه ، فأكرمهم وأحسن ملتقاهم ، وكان عنده الأمير صمصام الدولة خنرخان (٣)

(١) هو أبو سعيد سيف الاسلام ظهير الدين معتمد الدولة طغتكين — أتابك دقاق بن تقيش —

توفي في صفر سنة ٥٢٢ هـ ( Zambour, Op. Cit. p. 225 ) .

(٢) ترجم لهذا الحاكم ( ابن الفلانسى ، ص ٢١٠ ) في شيء من التفصيل ، قال في حوادث  
سنة ٥١٧ : « وفي هذه السنة ورد الخبر بأن محمود بن قراجا ( كذا ) والى حماة خرج  
في رجاله ، وقصد ناحية أقامية وهم ريفها ، فأصابه سهم من الحصن في يده ، ولما قلع منه  
عمت عليه وتزايد أمرها فبات منه ؛ وكان طاهراً ظالماً متمرداً ، وقتل جماعة من أعيان حماة  
ظالماً وتمدياً بسعاية بعضهم على بعض ، ولما عرف ظهير الدين ذلك أنهض إلى حماة من تسلمها  
وتولى أمرها من ثقاته .

(٣) كذا في الأصل ، وقد أورد ( ابن الفلانسى ، ص ١٨٢ ، ١٩١ ، ٢٠٩ ، ٢٢٨ ،

٢٥٢ ) هذا الاسم على أشكال ثلاث : ( خنرخان ، خيرخان ، قرخان ) ، وهو في ( ابن الأثير :  
ج ١٠ ، ص ٢٨١ ) : « قرجان » ، ولقبه صمصام الدين أو الدولة ، وقد ولي حمص بعد وفاة أبيه  
قراجا في سنة ٥٠٥ هـ .

ابن قَرَاجَا — صاحب حمص — فحَسَنَ لعماد الدين الغدر بيهاه الدين سِيُونِجَ ، والقبض عليه وعلى أصحابه ، وأخذ حماة (١) ، ففعل ذلك ، وارتكب أمراً قبيحاً أنكره الناس عليه ، ولا شيء أقبح من الغدر ؛ [ ٢٤ ] ولما عزم على تلك الفعلة الشنعاء استفتى الفقهاء في ذلك ، فأفتاه منهم من لا دين له ، وجوّز له ما لا يحل ولا يحسن شرعاً و عرفاً ، فقبض على بهاء الدين وعلى جماعته ، وأنبه الخليل والنخيم ، وقبض على جميع أصحابه ، واعتقل الأمراء بالقلاية والجنند بحلب .  
ثم سار في العشر الأول من شوال إلى حماة وتسلمها ، ثم غدر بصمصام الدين خترخان ، وسيرّه إلى حلب ، وحبس بقلعتها .

وسار إلى حمص فنازلها ، وطلب عماد الدين من أولاد صمصام الدين خترخان تسليم قلعة حمص ، فامتنعوا ، فألح في حصارها ، ونقب النقبون القلعة ، فبطل عليهم النقب ، وأمر بنصب المجانيق عليها فبطلت ، وطالت مدة الحصار ، وهجم الشتاء ، فعاد بالسكر إلى حلب ، وترددت الرسل بين تاج الملوك بوري — صاحب دمشق — وعماد الدين زنكي في إطلاق ولده بهاء الدين سِيُونِجَ وأصحابه ، فاستقر الأمر على خمسين ألف دينار ، فأجاب تاج الملوك إلى حملها ، ولم ينقزم بينهم أمر .

وفي منتصف ذى الحجة من هذه السنة سيرَّ عماد الدين زنكي ألقي فارس ، وهجمت مَعْرَةَ مَصْرِيْن (٢) — وهي للفرنج — ونهبت وقتل من فيها ، وشن الغارة على تل

(١) حديث ابن واصل هنا عن أخذ عماد الدين لحماة فيه إسهاب وتفصيل أكثر مما ورد في الراجع المختلفة المتداولة في هذه الحواشي كابن القلانسي وابن الأثير وأبي الفدا . . الخ ولا يجب لحماة وطن ابن واصل ومسقط رأسه ، وسنلاحظ عنايته الدائمة بذكر تاريخها مفصلاً كلما ورد ذكرها فيما يلي .

(٢) ضبطت بمد مراجعة ( ياقوت : معجم البلدان ) حيث ذكر أنها بليدة وكورة بنواحي حلب ومن أعمالها ، بينهما نحو خمسة فراسخ ؛ أنظر أيضاً : ( ابن الشحنة : الدر المنتخب ، الصفحات المذكورة بالفهرس ) .

باشراً (١) والآثار (٢) ، وأوقع بخيل من الآثار ، فقتل منهم جماعة كبيرة ،  
وذكر ابن الأثير (٣) أنه فتح في هذه السنة حصن الآثار .  
وفي المحرم سنة خمس وعشرين وخمسة توجّه الأمير عماد الدين زنكي راجعاً  
إلى الموصل ، وفي ربيع الآخر من هذه السنة رد السلطان محمود أمر العراق إلى عماد الدين  
مضافاً إلى ما بيده من الشام والموصل والجزيرتين ؛ وفي هذه السنة فتح الأمير  
عماد الدين قلعة للآكراد حصينة يقال لها مجييم (٤) .

### ذكر قبض الأمير عماد الدين

على دُبَيْس بن صدقة المزيدي (٥) صاحب الحلة (٦)

وكان السلطان محمود قسم بغداد سنة ثلاث وعشرين من عند عمه السلطان  
سنجر بن ملكشاه - صاحب خراسان - ، ومعه الأمير دُبَيْس بن صدقة ، ليصاح

(١) ذكر ( ابن الشحنة ، ص ١٦٩ ) أنها كانت من أعمال حلب ولها قلعة مسمورة  
وبساتينها كثيرة .

(٢) ذكر ( ياقوت : معجم البلدان ) أنها كانت قلعة معروفة بين حلب وأنطاكية ، بينها  
وبين حلب نحو ثلاثة فراسخ ، ثم قال : وهذه القلعة الآن ( القرن السابع الهجري ) خراب  
وتحت جبلها قرية تسمى باسمها .

(٣) هذه تارة يشير فيها ابن راصل إلى مرجع من المراجع التي أخذ عنها ، انظر  
مافات هنا ص ٣ ، وفي ( ابن الأثير : ج ١٠ ، ص ٢٨٢ ) تفاصيل وافية عن فتح عماد الدين  
زنكي لحصن الآثار في سنة ٥٢٤ هـ .

(٤) لم تشر المراجع المختلفة إلى استيلاء عماد الدين على هذه القلعة ، ولهذا لم أتصمّن من ضبطها .  
(٥) في الأصل : « الزيدي » ، وقد ضبط الاسم كما بعد مراجعة : ( ابن الفلاني ،

ص ٢٠٢ ، ٢٠٥ ، ٢١٠ ، ٢٣٠ ، ٢٥١ ) و ( Zambour, Op. Cit. p. 137 ) وقد حكّت  
أسرة مزبد الأسيدي مدينة الحلة ابتداء من سنة ٤٠٣ هـ ، أما دبيس المذكور هنا فهو نور الدولة  
ديس الثاني أبو العز بن سيف الدولة صدقة الأول المزيدي ، حكم الحلة من سنة ٥٠١ إلى  
ذى الحجة سنة ٥٢٩ هـ ، وقد قتل في أوائل سنة ٥٣٠ هـ ، قتله السلطان مسعود بن محمد السلجوقي .

(٦) عرفها ( ياقوت : معجم البلدان ) بقوله : الحلة علم لعدة مواضع ، وأشهرها حلة بني  
مزبد ، مدينة كبيرة بين الكوفة وبغداد ، كانت قبل تسميها الجامعين ، وكان أول من عمرها  
وزلها سيف الدولة صدقة بن منصور بن دبيس بن علي بن مزبد الأسيدي .

بينه وبين الخليفة المسترشد بالله ، فتأخر دُبَيْس عن السلطان ، ثم وصل دُبَيْس ، ونزل بدار السلطان ، فاسترضى السلطان الخليفة عنه ، فامتنع أن يُؤتَى دُبَيْس [ ٢٥ ] شيئاً من الأعمال ، وبذل الخليفة للسلطان مائة ألف دينار لأجل ذلك ، وبلغ الأمير عماد الدين أتابك زنكي أن السلطان قد عزم على تولية دُبَيْس الموصل ، فسافر إلى خدمة السلطان — كما قدمنا — ، ولم يشعر السلطان به إلا وهو عند السر ، وبذل الجملة العظيمة التي ذكرناها ، وخلع عليه ، وأعيد إلى بلاده — كما ذكرنا — .

ثم رحل السلطان عن بغداد ، ومرض ، وبلغ دُبَيْساً (١) مرضه ، فطمع وجمع جمعاً كثيراً ، وقصد الحلة ، وكان بها يهروز — شحنة بغداد — ، فهرب ، ودخلها دُبَيْس ، فعاث في البلاد ، فسير إليه السلطان [ آق سنقر (٢) ] الأحمدى ليكيف شره ، فأرسل دُبَيْس يستعطف الخليفة ، وقال : « إن رضيت عني رددت أضعاف ما أخذته » ، وترددت الرسل في ذلك ، ودُبَيْس يجمع ويحشد ، فاجتمع إليه عشرة آلاف فارس ، ثم سار السلطان إلى بغداد فأهدى له دُبَيْس هدايا جلييلة ، من جملتها ثلاثمائة حصان منمولة بالذهب ، ومائتا ألف دينار ليرضى عنه الخليفة والسلطان ، فلم يُجِبْ إلى ذلك .

ولما دخل السلطان بغداد قصد دُبَيْس البصرة ، وأخذ منها أموالاً جلييلة ، فسير إليه [ السلطان ] عشرة آلاف فارس ، فقارق البصرة ، ودخل البرية ، وسار متوجهاً إلى الشام ، فقيل إنه قصد قلعة صرخد ، لأن سرية (٣) لصاحبها

(١) في الاصل : « ديبس » .

(٢) أضيف ما بين الحاصرتين عن ( ابن القلافسي ، من ٢٣٨ ) .

(٣) ذكر ( ابن الأثير : ج ١٠ ، من ٢٨٤ ) أن صاحب صرخد توفي في هذه السنة وكان خصياً ، وخلف جارية سرية له فاستولت على القلعة وما فيها ، وعلمت أنها لا يتم لها ذلك إلا بأن تتصل برجل له قوة ونجدة ، فوصف لها ديبس بن صدقة وكثرة عشيرته ، وذكر لها حاله وما هو عليه بالعراق ، فأرسلت تدعوه إلى صرخد لتتزوج به وتسلم القلعة وما فيها من مال وغيره إليه ، فأخذ الأتلاء معه وسار من العراق إلى الشام ، ففضل به الأتلاء بنواحي دمشق .

كتبت إليه وأطمعته فيها ، وضلَّ به الأدلاء الطريق بنواحي دمشق ، فنزلت (١) بناس من كلب كانوا شرقي الغوطة ، فقبضوا عليه ، وحملوه إلى تاج الملوك يوري ابن طغتكين — صاحب دمشق — فحبسه عنده ، وبلغ ذلك عماد الدين زنكي ، فأرسل إلى تاج الملوك يطلب دُبَيْسًا ، على أن يطلق ولده بهاء الدين سيونج وَمَنْ عنده من المأسورين ، فإنه إن امتنع من تسليمه سار إلى دمشق وحصرها ، فأجابه تاج الملوك إلى ذلك ، فأرسل دُبَيْسًا ، وأرسل إليه عماد الدين بهاء الدين سيونج وأصحابه ، وتسلم عماد الدين دُبَيْس بن صدقة ، فأحسن إليه عماد الدين ، ودفع إليه من الأموال والسلاح ما لم يكن في ظن دُبَيْس .

فأرسل [٢٦] الخليفة المسترشد بالله لما سمع بالقبض على دُبَيْس سديد الدولة ابن الأنباري (٢) وأبا بكر بن بشر الجَزْرِي (٣) ، يطلبان من تاج الملوك دُبَيْسًا ، لما بينه وبين الخليفة من العداوة ، فسمع سديد الملك — وهو في الطريق — بمصير دُبَيْس إلى عماد الدين ، فسار إلى دمشق ولم يرجع ، ووقع في عماد الدين وذمّه ، واستخف به ، وبلغ ذلك عماد الدين فأرسل إلى طريقه من يأخذها إذا عادا ، فلما رجعا من دمشق قبضوا عليه (٤) وعلى ابن بشر ، وحملوها إليه فأطلق ابن بشر ، وسجن ابن الأنباري ثم أطلقه .

وكان مصير دُبَيْس إلى عماد الدين سنة خمس وعشرين وخمسمائة ، وفيها مات السلطان محمود بن محمد .

(١) الضمير هنا يعود على الأدلاء .

(٢) هو سديد الدولة أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم بن الأنباري ، كان كاتباً للخليفة المسترشد ؛ أنظر : ( ابن القلانسي ، ص : ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٦٠ ) .

(٣) ذكر ( ابن الأثير : ج ١٠ ، ص ٢٨٥ ) أنه سمي هكذا نسبة إلى موطنه جزيرة

ابن عمر .

(٤) الضمير هنا عائد على ابن الأنباري .

وكان الأمير عماد الدين زنكي قد عبر الفرات (١) ، ووصل إلى مدينة حلب في أول شوال ، ثم توجه إلى حمص ، فحاصرها يوماً واحداً ، وتوجه نحو أطراف الشام ، وتسلم دُبَيْسًا ، وأطلق سِيُونَج — كما ذكرنا — وبلغه وفاة السلطان وهو بالقرية (٢) — من عمل حمص — لأربع عشرة بقية من شوال ، فسمع عماد الدين ودُبَيْسُ بن صدقة (٧) وكان عنده ولدان للسلطان (٣) محمود — أحدهما ألب أرسلان الخفاجي ويكنى أبا طالب وهو الذي جعله (٤) السلطان أتابكاً — وقد ذكرناه (٥) — والآخر (٦) عند دُبَيْس (٧) .

فأرسل الأمير عماد الدين إلى الخليفة المسترشد بالله يسومه أن يخطب ببغداد لأبي طالب ألب أرسلان بن السلطان محمود ، فاعتذر المسترشد بالله بأنه صبي ، وأن السلطان عهد بالسلطنة لولده داوود بن محمود — وهو بأصبهان — وقد وردت رسل الأطراف بالخطبة له ، ونحن منتظرون كتاب السلطان سنجر بن ملكشاه ، فإنه عمم القوم .

(١) في الأصل « الفرات » .

(٢) « القرية » قرية كبيرة من أعمال حمص في طريق البرية بينها وبين سحنة وآرك ، أهلها كلهم نصارى (ياقوت : معجم البلدان) .

(٣) في الأصل : « السلطان » وقد صححت كما بالمتن ليتضح المعنى .

(٤) الضمير هنا طائد على عماد الدين زنكي ، والمقصود أن السلطان جعل عماد الدين أتابكاً لابنه أبي طالب ألب أرسلان الخفاجي .

(٥) أنظر ماقات ، ص ٣٣

(٦) لم يذكر اسم الابن الثاني ، والمعروف أن السلطان محمود كان له أولاد خمسة : ألب أرسلان وفروخ زاد ، وداود ، وهلك شاه الثاني ، ومحمد . أنظر القوائم الملحقة بكتاب (Zambaur) .

(٧) هذه الجملة لازالت مضطربة المعنى ، ولم أستطع تقويمها أكثر من ذلك ، فهي مما اعتاد ابن واصل زيادته عند النقل عن غيره رغبة في التعريف والايضاح .

## ذكر الواقعة الكائنة بين الخليفة المسترشد بالله

وبين عماد الدين زنكي

لما مات السلطان محمود خطب بهمدان وأصفهان والجلال وأذربيجان لولده السلطان داوود ، وسار من همدان إلى رَمَكَن (١) ، وكان عمه السلطان مسعود ابن محمد قد سار من جرجان ووصل إلى تبريز (٢) ، فاستولى عليها ، فسار إليه داوود في ذي [ ٢٧ ] القعدة من هذه السنة — أعنى سنة خمس وعشرين وخمسمائة — ، وحصره بها ، وجرى بينهما قتال إلى صلح المحرم سنة ست وعشرين وخمسمائة ، ثم اصطالحوا وتأخر داوود مرحلة ، وخرج السلطان مسعود من تبريز (٣) واجتمعت إليه العساكر ، وسار إلى همدان .

وكانت رسل داوود تقدمت في طلب الخطبة ، فأجاب الخليفة : « إن [ الحكم في (٣) ] الخطبة للسلطان سنجر ، من أراد خطب له » وأرسل السلطان سنجر : أن لا يأذن لأحد في الخطبة ، وأن الخطبة ينبغي أن تكون له وحده ، وأرسل السلطان مسعود إلى عماد الدين زنكي يطلب مساعدته ، فوعده النصرة .

وسار السلطان سلجوق شاه — ومعه أتايكه قراجا الساقى صاحب بلاد فارس وخوزستان — في عسكر كثيف إلى بغداد ، ونزل بدار السلطنة ، فأكرمه الخليفة ،

(١) ضبطت هكذا بعد مراجعة ياقوت ، ولم يرفها بأكثر من قوله إنها موضع ، وفي ( ابن الأثير ، ج ١٠ ، ص ٢٨٧ ) أنه سار إلى زنجان لارمكَن .

(٢) في الأصل : « تورين » ، والتصحيح عن ( ابن الأثير : ج ١٠ ، ص ٢٨٧ ) .

(٣) أنشيف ما بين الحاصرتين عن ( ابن الأثير ) للايضاح ، ويلاحظ أن النص هنا يعود فينتفق كثيراً ونص ابن الأثير .

واستحلفه لنفسه ؛ ثم وصل السلطان مسعود يطلب الخطبة ، ويتهدده إن منعهما ، فلم يُجِبْ إلى ما طَلَبَ ، فقتل عباسية (١) الخالص .

وبرز الخليفة وسلجوق شاه وقراجا الساقى عازمين على قتال مسعود ، وتوجه عماد الدين زنكى إلى بغداد — ومعه دُبَيْس بن صدقة — ، وكانت رسل السلطان سَنَجَر قد وردت إلى عماد الدين بتوليته شَحَنَكِيَّة بغداد ، وإقطاع الحِلَّة لدُبَيْس ، وبلغ الخليفة وقراجا الساقى وصول عماد الدين إلى المَعشوق (٢) ، فبهر قراجا إلى الجانب الغربى ، وتقدم إلى الملك سلجوق شاه بمرافقة أخيه السلطان مسعود إلى أن يفرغا من حرب عماد الدين ، وسار الخليفة في يوم وليلة إلى المعشوق ، فواقع عماد الدين زنكى فهزمه ، وأسر كثيراً من أصحابه .

وسار عماد الدين إلى تكريت ، وعبر منها دجلة ، وكان الدزدار بتكرت يومئذ نجم الدين أيوب بن شادى — والد صلاح الدين يوسف — فأقام لعماد الدين المعابر (٣) ، فله عبر أمن الطلب ، وسار لإصلاح بلاده ، فكان هذا الفعل من نجم الدين سبباً

(١) فى الأصل : « عباسية » والتصحيح عن ابن الأثير ، وقد ذكر ياقوت جملة مواضع تحمل اسم العباسية إحداهما كانت محلة بغداد بين الصرائين قرب المحلة المعروفة بباب البصرة وتنسب إلى العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس ، وقد كنت أحسبها هذه ، لولا أن الأستاذ المحقق الدكتور مصطفى جواد تفضل فكتب إلى : أن « عباسية الخالص » قرية على نهر الخالص فى الجانب الشرقى من دجلة ، وقد ذهب اسم القرية مع كثير من قرى الخالص ، أما النهر فلا يزال من أنهار المقاطعات فى شرق بغداد ، وإنى أنهز هذه الفرصة لأشكر الدكتور مصطفى جواد لتفضله بتعريف بعض المواقع العراقية التى استفسرت منه عنها .

(٢) عرفه ( ياقوت : معجم البلدان ) بأنه قصر تظيم بالجانب الغربى من دجلة قبالة سامراء فى وسط البرية ، بينه وبين تكريت مرحلة ، عمره المتمد على الله ، ولا تزال بقاياه قائمة حتى العصر الحاضر .

(٣) المعبر والمعبرة — والجمع معابر — من أسماء السفن العربية ، وقد عرفه صاحب اللسان بأنه ما عُبر به النهر من فُكَّ أو سفينة أو قنطرة أو غيره . راجع كذلك : ( ابن سيده : المخصص ، ج ١٠ ، ص ٢٦ ) ومخطوطتنا التى لم تطبع بعد ( معجم السفن العربية ) و ( Kindermann )  
*Schiff im Arabischen. pp. 62, 102.*



للسعادة التي آلت به إلى أن صار ولده ملوك الأرض ، فليُنظر العاقل إلى ثمرة الجميل  
وقفل الخير .

وسار السلطان مسعود من العباسية إلى الملكية (١) ، ووتعت الطلائع بعضها  
على بعض ، وآل الأمر [ ٢٨ ] إلى أن اصطَلح الأخوان مسعود وسلجوق على أن تكون  
السلطنة لمسعود ، وسلجوق ولي عهده ، وأن العراق يكون للخليفة (٢) ، وتحالفوا  
على ذلك واتفقوا .

وعاد السلطان مسعود إلى بغداد ، ونزل بدار السلطنة ، ونزل سلجوق بدار  
الشحنكية ، وكان ذلك في جمادى الأولى سنة ست وعشرين وخمسة .

وأما السلطان سنجر فإنه سار من خراسان إلى همدان — وصحبته ابن أخيه  
السلطان طغرل بن محمد — مريداً تملكه ، لأنه كان قد لازمه ، فوصلا إلى الري  
ثم إلى همدان ، فلما بلغ ذلك الخليفة والسلطان مسعود ، تجهزا وسارا إلى لقائه ،  
ومعهما قراجا الساقى وسلجوق شاه ، ثم تأخر عنهما الخليفة خوفاً من عماد الدين زنكى ،  
لما بلغهم أنه على قصد بغداد ، فاستعد للدفاع ، وجنّد الأجناد ، ومضى الباقون ،  
فكانت الوقعة بينهم وبين السلطان سنجر بقولان (٣) بقرب الدينوز ، فانكسر  
السلطان مسعود وأخوه سلجوق شاه ، وأخذ قراجا الساقى أسيراً ، فقتله السلطان  
سنجر صبراً ، وأحضر ابن أخيه السلطان مسعود ، فأكرمه ، وعاتبه على مخالفته ،

(١) لم أجدها تعريفاً في المراجع الجغرافية ، وإنما ذكر لي الدكتور مصطفى جواد  
في خطاب منه أن « الملكية » ضيعة من ضياع الخالص بشرق دجلة قرب بغداد ، وقد ذكرها  
ابن الأثير أيضاً في حوادث سنة ٦١٤ مع مواضع الجانب الشرقى التي أغرقها دجلة .

(٢) في ( ابن الأثير ، ج ١٠ ، ص ٢٨٨ ) : « وأن يكون العراق لوكيل الخليفة » .

(٣) في الأصل « بنولان » وفي ( ابن الأثير ) : « بنولان » ، ولم يشر ياقوت إلى أيهما ،  
وإنما ورد فيه « بنولان » وعرفها بأنها موضع ولم يزد .

وأعادته إلى كَنْجَة (١) ، وأجلس ابن أخيه السلطان طغرل بن محمد في السلطنة ، وأمر بالخطبة له في جميع البلاد ، وكانت هذه الوقعة في ثامن رجب سنة ست وعشرين وخمسةائة .

ثم عاد السلطان سَنَجَر إلى نيسابور ، وكان السلطان سَنَجَر قد كاتب الأمير عماد الدين ودُبَيْس بن صَدَقَة ، وأمرها بقصد العراق ، قاصداً بغداد ، وبلغ الخليفة المسترشد ذلك ، فأسرع العود إليهما ، وعبر إلى الجانب الغربي ، وسار فنزل بالعباسية ونزل عماد الدين زنكي بالمنارية من دُجَيْل ، ثم التقيا في السابع والعشرين من رجب بمكان يقال له عَقْرَقُوف (٢) ، واقتتلا قتالا كبيراً ، فحمل الأمير عماد الدين على ميمنة الخليفة ، — وفيها جمال الدين (٣) إقبال — فانهزموا ، وحمل نظر الخادم — وكان في ميسرة الخليفة — على [ميمنة] (٤) عماد الدين ودُبَيْس ، وحمل [٢٩] الخليفة بنفسه ، واشتد القتال ، فانهزم دُبَيْس ، ورأى الأمير عماد الدين تفرق الناس عنه ، فانهزم ، وقُتِل من العسكر جماعة ، وأسرجاعة ، وبات هناك الخليفة ليلة ، وعاد إلى بغداد .

حكى الأمير مؤيد الرولة أسامة بن مرسر بن علي بن سنقر في كتاب ألفه ، وذكر فيه شهامة الخليفة المسترشد بالله وشجاعته ، قال : « كان الإمام المسترشد بالله يلحق بالصدر الأول من سلفه في علو الهمة ، وحسن السياسة ، والإقدام العظيم ، فإنه لما التقى هو وعماد الدين زنكي بن آق سنقر في المصاف بعقرقوف وأنا حاضر المصاف ، ضرب له خيمة أطلس أسود ، ووضع له فيها تخت ، وجلس عليه ،

(١) عرفها (ياقوت) بأنها مدينة عظيمة وهي قسبة بلاد أرمغان ، وهي من نواحي لرستان بين خوزستان وأصهان ، وأهل الأدب يسمونها جنزة .

(٢) قرية من قرى دجيل بينها وبين بغداد أربعة فراسخ (ياقوت) . والذي ذكره (ابن الأثير ، ج ١٠ ، ص ٢٨٩) أنها التقيا بمحمن البرامكة . أنظر خريطة العراق الحديث

(٣) في ابن الأثير : « جمال الدولة » .

(٤) ما بين الحاصرتين عن ابن الأثير .

والخيل تطرد ، فسكر عسكر أتابك ، وذلك يوم الاثنين السابع والعشرين من رجب سنة ست وعشرين وخمسمائة ، فاستولى على كل ما فيه ، وانهمز أتابك زنكي إلى الموصل ، وذلك الإقدام العظيم كان سبب تلفه .

قلت : إن الخلفاء كان قد ضعف أمرهم من أيام المتقي بالله (١) ، واستولت عليهم الملوك ، خصوصاً في أيام المستكفي بالله (٢) ، فإن بني بويه الديلم ملكوا العراق وغيرها من الممالك ، وصارت الخلفاء تحت حجرهم ، ثم ظهرت السلاطين السلجوقية ، فتغلبوا أيضاً وتحكموا ، وهلم جرا إلى أيام المسترشد ، فاتفق وقوع الخلف بين السلاطين السلجوقية ، واغتم ذلك الخليفة المسترشد ، فكانت نفسه أبية ، وشجاعته عظيمة ، فجنّد الجنود ، وباشر القتال بنفسه ، وأدى ذلك إلى أن أسره السلطان مسعود ، وقتل في معسكره - كما سذكروه إن شاء الله تعالى - .

وبويع ببغداد لولده الراشد ، ووصل السلطان إلى بغداد ، فهرب الراشد ، وأقعد السلطان عمه المتقي ، وحكم عليه إلى أن مات السلطان مسعود ، ثم بعد ذلك قوى المتقي ، وملك العراق ، وقامت حشمة الدولة العباسية ، واستمرت قوتها إلى أن زالت بالتتار الملاعين سنة ست وخمسين ومائة ، وللمسترشد بالله شعر يدل [٣٠] على قوة نفسه وبعد همته ، وهو :

أَنَا الْأَشَقْرُ الْمَوْعُودُ بِي فِي الْمَلَاخِمِ وَمَنْ يَمْلِكُ الدُّنْيَا بِغَيْرِ مُزَاجِمِ  
سَتَبْلُغُ أَرْضَ الرُّومِ خَيْبِي وَتَنْتَهِي (٣) بِأَقْصَى (٤) بِلَادِ الصِّينِ بِيضُ صَوَارِمِي

(١) حكم بين سنتي ٣٢٩ و ٣٣٣ (٩٤٠ - ٩٤٤) .

(٢) ولي بعده من ٣٣٣ إلى ٣٣٤ (٩٤٤ - ٩٤٦) .

(٣) في (السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ٢٨٧) : « وتنتهى » .

(٤) في الأصل : « بأقصا » .

وكان الأمير إبراهيم<sup>(١)</sup> بن سُقْمَانَ بن أَرْثُوقَ — صاحب حصن كيفا — لما سمع بقصد عماد الدين بغداد قد خرج من حصن كيفا نجدة للخليفة ، في جمع كثير ، وأغار على نصيبين .

### ذكر منازل الخليفة المسترشد بالله مدينة الموصل

وفي العشرين من رمضان سنة سبع وعشرين وخمسة ، حصر الإمام المسترشد بالله مدينة الموصل ، وكان السبب في ذلك ما تقدم من الفتنة بينه وبين عماد الدين ، فقصد باب الخليفة المسترشد — رحمه الله — جماعة من الأمراء السلجوقية ، وخدموه ، وقوى بهم لاسيما واتفق اشتغال السلاطين بالخلف الواقع بينهم ، فأرسل الخليفة الشيخ بهاء الدين أبا الفتوح الاسفراييني — الواعظ — إلى عماد الدين برسالة فيها خشونة ، وزادها أبو الفتوح — زيادة في الحجة — ثقة بقوة الخليفة وناموس الخلافة ، فقبض عليه عماد الدين زنكي ، وأهانته ولقأه ما يكره .

ولما كان في شعبان سار الخليفة عن بغداد في ثلاثين ألف مقاتل ، فلما قرب من الموصل فارقها عماد الدين زنكي ببعض عسكره ، وترك الباقي بها مع نائبه نصير الدين جُجَر — دزدارها والحاكم في دولته — فنازلها الخليفة ، وضيَّق على من بها ، وسار عماد الدين إلى سنجار ، وكان يركب في كل ليلة ، ويقطع الميرة عن العسكر ، ومتى ظفر بأحد من العسكر أخذه ونكَّل به ، فضاقت على العسكر الأمور ، وتواطأ جماعة من الجصاصين<sup>(٢)</sup> بالموصل على تسليم البلد ، فسمى بهم ،

(١) حكم حصن كيفا بعد أبيه سُقْمَانَ ، وذلك من سنة ٦٩٨ : إلى سنة ٥٠٢ ؛ وقد ظل حصن كيفا تحت حكم الأرتقيين إلى أن استولى عليه الملك الكامل محمد الأيوبي في سنة ٦٢٩ ، أنظر : ( Zambaur, Op. Cit. P. 228, 230 ) و ( ابن القلانسي ، ص ١٣٧ — ١٣٨ نقلًا عن الفاروق ) .

(٢) في ( ابن الأثير ، ج ١١ ، ص ٢ ) : « الجصاصين » .

فأخذوا وُصلبوا ، ودام الحصار نحو ثلاثة أشهر فلم يظفر الخليفة منها بشيء ، فعاد إلى بغداد ، وقيل كان سبب رحيله أنه بلغه أن السلطان مسعوداً (١) قصد بغداد ، فعاد لذلك ، والله أعلم .

## استيلاء شمس الملوك صاحب دمشق على حماة وأخذها من عماد الدين

وفي هذه السنة — أعنى سنة [ ٣١ ] سبع وعشرين وخمسة — قصد شمس الملوك إسماعيل بن تاج الملوك بوري — صاحب دمشق — مدينة حماة ، وكان والده تاج الملوك قد توفي سنة ست وعشرين ، وجلس [ هو ] في الأمر مكانه .

وكنا قد ذكرنا أن حماة كانت لبهاء الدين سيونج — أخى شمس الملوك — وأن عماد الدين قبض عليه وأخذ منه حماة ، فلما نزل شمس الملوك على حماة حاصرها ، وذلك في العشر الآخر من رمضان من هذه السنة ، وكان الوالى بها ، وهو سنقر — غلام صلاح الدين محمد بن الياغسياني (٢) — مقطوعاً قد سمع الخبر ، فاستكثر من الرجال والدخائر ، فزحف إليها شمس الملوك يوم العيد ، ثم عاد عنها ذلك اليوم ، وزحف إلى البلد من جميع جوانبه ، فملكه قهراً ، وأمن أهله ، وحصر القلعة ، ولم تكن يومئذ حصينة على ما هي اليوم ، وإنما عمرها بعد ذلك الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب ، فعجز الوالى عن حفظ القلعة ، فسلمها إليه ، ثم رحل عنها إلى شيزر فحصرها ، ونهب بلدها ، فصانعه صاحبها ابن منقذ (٣) بمال ، فرجع .

(١) في الأصل : « مسعود » .

(٢) في الأصل : « الياغسياني » ، أنظر ما سبق هنا ، ص ١٩ ، هامش ٢

(٣) كان صاحب شيزر في تلك السنة هو مجد الدين أبو سلامة مرشد بن علي بن مقلد بن نصر ابن منقذ — والد المؤرخ المشهور أسامة — ولد سنة ٤٦٠ وتوفي سنة ٥٣١ ؛ انظر : ( محمد أحمد حسين : أسامة بن منقذ ، ص ٧ وما بعدها ) و ( Zambaur, Op. Cit, p, 104 )

## ذكر الواقعة بين عماد الدين وصاحب حصن كيفا

سنة ثمان وعشرين (١) وخمسمائة

اجتمع الامير عماد الدين أتابك زنكي والامير حسام الدين تيمرتاش بن إيلغازي ابن أرتق [صاحب ماردين (٢)] وقصدا مدينة آمد وحاصراها ، فأرسل صاحبها — وهو [سعد الدولة أبو منصور ايكلدي بن فخر الدولة إبراهيم (٣)] إلى الامير ركن الدين [داود (٤)] بن سُقْمَان بن أرتق يستنجده ، فجمع العساكر ، وسار ليرحلها عنها ، فالتقوا على باب آمد ، واقتتلوا ، فانهزم ركن الدين ، وعاد مغلولاً ، وقتل من أصحابه جماعة كثيرة ، وأقام عماد الدين [زنكي] وحسام الدين [تيمرتاش] على آمد محاصرين لها ، وقطعا الشجر ، وشعثا البلد ، ثم عادا عنها من غير بلوغ غرض .

### (٥) استيلاء عماد الدين على قلعة الصور

ثم قصد عماد الدين قلعة الصور من ديار بكر ، فحاصرها وضايقتها ، ثم ملكها في رجب من هذه السنة (٥) .

(١) في الأصل : « وخمسين » وهو خطأ واضح .

(٢) في الأصل : « يرتق » ، وقد صححت وأضيف ما بين الحاصرتين عن ابن الأثير .

(٣) في الأصل : « ابن إبراهيم بن كيكلدي » وقد صحح الاسم بعد مراجعة (Zambaur.

Op. Cit. P. 139) وقد حكم سعد الدولة هذا حصن آمد من سنة ٥٠٣ إلى سنة ٥٣٦ .

(٤) أضيف ما بين الحاصرتين عن ( ابن الأثير ، ج ١١ ، ص ٥ ) للايضاح .

(٥) ما بين القوسين ورد في الهامش وأشير إلى مكانه في المتن بعلامة .

## استيلاء عماد الدين على قلاع [ الأكراد<sup>(١)</sup> ] الحميدية<sup>(٢)</sup>

وفي هذه السنة تملك عماد الدين قلعة العقر<sup>(٣)</sup> ، وقلعة شوش<sup>(٤)</sup> ، وغيرها ، وكان عماد الدين قد أقرَّ الأمير عيسى الحميدي — صاحب هذه القلاع — عليها ، لما ملك البلاد ، فلما نازل الخليفة المسترشد بالله الموصل ، نزل عيسى إلى خدمة الخليفة ، وحشد له [ ٣٢ ] الأكراد ، فلما رحل الخليفة أمر عماد الدين بمنازلة القلاع ، فنوزلت وملك في هذه السنة .

## استيلاء عماد الدين على قلاع الهكارية<sup>(٥)</sup>

كان صاحب هذه القلاع الأمير أبا الهيجاء بن عبد الله وكانت له آشب<sup>(٦)</sup> و الجديدة<sup>(٧)</sup> وتوشى<sup>(٨)</sup> وجبل لهيجة ، فأرسل عماد الدين من استحلفه وحمل إليه مالا ، ثم سافر عماد الدين ، وأخرج معه من آشب ولده أحمد — وهو والد الأمير سيف الدين علي بن أحمد المشطوب الذي سنذكره في أخبار صلاح الدين رحمه الله —

(١) أضيف ما بين الحاصرتين عن ( ابن الأثير ، ج ١١ ، ص ٥ ) للايضاح .  
(٢) بغير ضبط في الأصل ، وقد ذكر ( ياقوت ) أكثر من مكان كان يسمى بالعقر ، أحدها هو المنصور هنا ، وعرفه بقوله : المقر قلعة حصينة في جبال الموصل أهلها أكراد وهي شرق الموصل ، تعرف بمقر الحميدية ، أي أنها تنسب إلى الحميدية وم طائفة من الأكراد .  
(٣) شوش قلعة عظيمة طالية جداً قرب مقر الحميدية من أعمال الموصل ، قبل هي أعلى من المقر وأكبر ولسكنها في القدر دونها . ( ياقوت : معجم البلدان ) .  
(٤) طائفة من أكبر طوائف الأكراد . ( انظر عباس المزاري : العشاير الكردية ) .  
(٥) بدون ضبط في الأصل ، وهي قلعة قديمة للأكراد ، عمرها عماد الدين زنگي في سنة ٥٣٧ فسلبت إليه وسميت منذ ذلك بالهادية . وهي — كما وصفها ياقوت — قلعة حصينة مكيئة في شمالي الموصل ، ومن أعمالها .

(٦) ضبطت بعد مراجعة ياقوت حيث عرفها بأنها قلعة في كورة بين النهريين التي بين نصيبين والموصل ، وأكثر ما تكون لصاحب الموصل ، وأعمالها متصلة بأعمال حصن كيفا .  
(٧) في الأصل : « بوشى » وفي ( ابن الأثير ) : « نوشى » ، وقد ضبطت بعد مراجعة : ( محمد أمين زكي : خلاصة تاريخ الكرد وكرديستان ، ص ١٥٤ ) .

وإنما فعل ذلك خوفاً من أن يتغلب عليها ، وأعطاه توشي ، واستخلف أبو الهيجا  
بآشِب كَرديا يقال له باو الأرجبي (١) .

ولما قدم أبو الهيجا على عماد الدين توفى عنده بالموصل ، فسار من توشي  
إلى آشِب ليملكها ، فتمعه باو وأراد حفظها لولد صغير لأبي الهيجا اسمه علي ،  
ثم نازل عماد الدين آشِب فملكها ، وذلك أنه استجرحهم (٢) لما قازلهم ، وانهمزم  
من بين أيديهم حتى أبعدهوا عن القلعة ، ثم عطف عليهم فانهزموا ، فوضع السيف  
فيهم ، وأكثرت القتل والسبي ، ثم سار عنها .

وفي غيبته استولى نائبه نصير الدين [جقر (٣)] على جبل لهيجة وتوشي وقلعة  
الجلاب (٤) ، وحاصر جميع حصون الهدبانية (٥) : وهي قلعة الشهباني (٦) ، وقرح ،  
وكوآشي (٧) ، والزعفراني ، وغيرها (٨) فملك الجميع ، واستقام الجبل ، وأمنت الرعايا  
بأمن الأكراد ، فإنهم كانوا معهم في ضر عظيم .

- (١) في الأصل : « لا باد » وما هنا عن ( ابن الأثير ، ج ١١ ، ص ٥ ) .
- (٢) الضمير هنا طائد على أهل آشِب ، وصيغة ابن الأثير أكثر وضوحاً وهي : « وسبب  
ملكها أن أهلها نزلوا كلهم إلى القتال فتركهم ذنكي حتى قاربوه واستجرح حتى أبعدهوا عن القلعة  
ثم عطف عليهم فانهزموا . . الخ » .
- (٣) أصيب ما بين الحاصرتين عن ابن الأثير للايضاح .
- (٤) ضبطت بمد مراجعة ياقوت ، قد ذكر أن جلاب اسم نهر بمدينة حران التي بالجزيرة  
مسمى باسم قرية يقال لها جلاب .
- (٥) فرقة أخرى من أكبر فرق الأكراد .
- (٦) ذكرها ( محمد أمين زكي : خلاصة تاريخ السكردوكردستان ، ص ١٥٤ و ٣٩٠ )  
وذكر لي الدكتور مصطفي جواد في خطابه أن مؤلف ( إجابة السائل ) المخطوط بياريس  
ذكرها باسم « الشهبانية » .
- (٧) في ابن الأثير : « كوشر » ، وما هنا هو الصحيح ، والضبط عن ياقوت ، حيث  
ذكر أنها قلعة حصينة في الجبال التي في شرق الموصل ليس إليها طريق إلا لراجل واحد وكانت  
قديماً تسمى « أردمشت » .
- (٨) أردف ابن الأثير هذه الأسماء بقوله : « وهي حصون المهرانية » ، والمهرانية قبيلة  
من قبائل الأكراد .



وباقى بلاد الهكاريّة فتحها قرأجانبنا (١) صاحب العماوية بعد قتل عماد الدين وهذا قرأجا أقطمه الأمير زين الدين بلاد الهكاريّة بعد زنكى ، ولما فتح عماد الدين آشب بنى قلعة العماوية ، وهى التى كانت تسمى قلعة الجلاب ، وإنما سميت العماوية (٢) نسبة إلى عماد الدين .

### منازلة عماد الدين دمشق

وسبب ذلك أن صاحب دمشق شمس الملوك إسماعيل بن بورى بن طفتكين كان ظالماً سبى السيرة إلى الغاية القسوى ، مع بخل زائد ودناءة نفس ، فكرهه أصحابه وأهله ورعيته ، ولما استشعر بغض أصحابه له ، وخاف منهم راسل الأمير عماد الدين زنكى بجنه على سرعة [٣٣] الوصول إلى دمشق ليسلمها إليه ، وأخلى (٣) المدينة من الذخائر والأموال ، وحملها إلى صرخد ، وتابع الرسل إلى عماد الدين بجنه على الوصول ، ويقول : « إن أهملت الحجى سلمت المدينة إلى الفرنج » .

وتحقق ذلك أصحابه ، فواطأوا أمه على قتله فقتلته وانضاف إلى ذلك سبب (٤) آخر هو مذكور فى أخباره ، ولما قتله أمه أقامت فى الأمر بعده أخاه شهاب الدين محمود بن بورى ، وحلقت الناس له .

ووصل عماد الدين زنكى إلى دمشق ، ونازلها فى جمادى الأولى [سنة تسع وعشرين وخمسة] (٥) ، وكان لما عبر الفرات أرسل رسلاً فى تقرير

(١) كذا فى الاصل ، وهو فى ابن الاثير : « قرأجا » فقط ، ولم يتمكن من ضبط الاسم الثانى .

(٢) هذا يختلف مع تعريف ياقوت لهمانية وآشب ، انظر ما فات ، ص ٥٥ ، هامش .

(٣) فى الأصل : « اخلا » .

(٤) ذكر هذا السبب الآخر (ابن الاثير : ج ١١ ، ص ٨) وخلاصته أن أم شمس الملوك اتهمت باتصالها بأحد القواد فأزعم شمس الملوك قتلها فأسرعت هى بقتله .

(٥) أضيف ما بين الحاصرتين عن ابن الاثير للايشاح .

قواعد التسليم ، فأوا الأمر قد فات فسار إلى دمشق فحصرها ، وكان نزوله أولاً من شمالها ، ثم انتقل إلى ميدان الحصى<sup>(١)</sup> ، وزحف وقاتل ، فرأى قوة ظاهرة وشجاعة عظيمة ، وكان القائم بأعباء هذه الحروب معين الدين أتر<sup>(٢)</sup> مملوك طفتكين ، قمام في حفظ البلد قياماً مشهوداً .

وبينا عماد الدين يحاصر البلد إذ ورد عليه أبو بكر بن بشر الجزرى رسولا من الراشد بالله بن المسترشد ، ليتوجه إليه وينجده على السلطان مسعود ، ويأمره بصلح صاحب دمشق ، والرحيل عنها ، فصالحهم ، وخطبوا بدمشق للملك ألب أرسلان بن السلطان محمود ، وكانت الخطبة له في جميع بلاد عماد الدين .

### ذكر مقتل المسترشد وخلافة الراشد بالله

حكى الأمير مؤيد الدين سربير الرولة أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم ابن الأنبارى<sup>(٣)</sup> — كاتب الانشاء — قال :

كان وقع بين السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه وبين الخليفة المسترشد بالله خلف ، وخرج الخليفة لقتاله مرتين وكسر ، فلما مات السلطان محمود وولى السلطنة أخوه السلطان مسعود بن محمد ، استطال نوابه بالعراق ، وعارض الخليفة في إقطاعه ، ف وقعت بينهما وحشة ، فتجهز المسترشد بالله وعزم على الخروج ، وجد في ذلك ،

(١) في الأصل : « الحصا » .

(٢) في الأصل : « أتر » ، انظر ماقات ص ٩ ، هامش ٤

(٣) طاش ابن الأنبارى بين سنتي ٤٦٩ و ٥٥٨ ( ١٠٧٦ — ١١٦٣ ) ، وأقام كاتباً للانشاء

نيفاوخسين سنة ، وناب في الوزارة ، وبعث رسولا إلى الملك سنجر وغيره ، وكان بينه وبين الحريرى صاحب القامات مكاتبات ومراسلات . انظر ترجمته في : ( ابن الجوزى : المنتظم ، ج ١٠ ، ص ٢٠٦ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٢٤٧ ؛ وابن تفرى بردى : النجوم ، ج ٥ ، ص ٥٦٤ ؛ والزركلى : الأعلام ، ج ٣ ، ص ٩١٩ ) ، ولا يعرف عن ابن الأنبارى أنه ألف في التاريخ أو غيره ، وأغلب الظن أن هذا الخبر روى عنه شفاها .

فدخل إليه الوزير شرف الدين على بن طراد الزينبي<sup>(١)</sup> وكال الدين<sup>(٢)</sup> صاحب  
المخزن<sup>(٣)</sup> ، وأنا معهما ، وكان المسترشد قد طرد نواب السلطان عن البلاد ، ورتب  
صاحب المخزن للنظر في المظالم<sup>(٤)</sup> ، فقال له الوزير شرف الدين : « يا مولانا ، في نفس  
الملوك [ ٣٤ ] شيء ، فهل يؤذن له في المقال ؟ » فقال : « قل » ، فقال : « إلى أين  
نمضي وبمن نعتضد وإلى من نلتجئ ومقامنا ببغداد أمكن لنا ، ولا يقصدنا أحد ،  
والعراق فنيه لنا الكفاية ، فإن الحسين بن علي — عليهما السلام — لما خرج  
إلى العراق جرى عليه ما جرى ، ولو أقام بمكة ما اختلف عليه أحد من الناس ؟ » .  
فقال لي الخليفة : « ما تقول يا كاتب ؟ » فقلت : « يا مولانا ، الصواب المقام ،  
وما رآه الوزير فهو الرأي ، ولا يقدم علينا أحد ، وليت العراق يبقى لنا » .

فقال لصاحب المخزن : « يا وكيل ، ما تقول ؟ » فقال : « في نفسي ما في نفس  
مولانا » . فأنشد الخليفة قول المتنبي :

وإذا لم يكن من الموت بدءٌ فمن العجز أن تموت جباناً

ثم إنه تمجَّزَّ وجمع وحصل في خدمته جماعة من أمراء الأتراك ، فأعطاهم مالا  
عظيما ، ثم خرج ، وخرجنا معه ، فلما قاربنا همدان ، وقع المصاف بين الخليفة

(١) هو وزير المسترشد والمقتدي ، انظر ترجمته في : ( ابن طباطبا : الفخرى ،  
ص ٢٧١ ، ٢٧٥ ) .

(٢) في الفارقي ( بهامش ابن القلانسي ، ص ٢٥٠ ) : « جمال الدين طلمعة » .

(٣) لم أشر على تعريف لهذه الوظيفة ، وإنما سمى متولياها في ( ابن الساعي : الجامع المختصر )  
بصدر المخزن المعمور وذكر هناك في أكثر من موضع أنه عند توليها كان يتخلع عليه قبس أطلس  
نقطي وقيار مغربي ، ويحمل وراءه ثلاثة أسياف على أيدي مماليك ترك رجالة ويركب في جمع كثير  
من حجاب الديوان العزيز وحاشية المخزن المعمور ( المرجع المذكور ص ١٤٣ ، ١٤٤ ، ٢٢٠ ) .

ويبدو من النص هنا أنها كانت وظيفة كبيرة تلي في الأهمية وظيفتي الوزارة وكتابة الإنشاء .  
(٤) للتعريف بهذه الوظيفة انظر : ( الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ٦٤ ، والفتنشيدي :  
صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٢٧٧ ) .

المسترشد بالله والسلطان مسعود بن محمد بمكان يسمى وادي مرك<sup>(١)</sup> — وهو قريب من جبل بهستون<sup>(٢)</sup> بالقرب من همدان — ، فلما اصطفت المساكر فرًّا من معسكرنا جميع الأتراك ، ومالوا إلى ناحية السلطان ، ثم وقع القتال ، فانهزم الخليفة ومن بقي معه ، ونهب عسكره ، وقبض على الخليفة وأرباب المناصب ، وحمل الوزير وصاحب الخزن وأنا ونقيب العلويين إلى قلعة سرجهان<sup>(٣)</sup> — بالقرب من قزوین والرى — وبقي الخليفة مع السلطان وسار معه في بلاد أذربيجان إلى أن وصلوا إلى مراغة ، وهجم على الخليفة ثلاثة نفر من الملاحدة الباطنية ، وهو في خيمته ، فقتلوه ، وقتلوا معه [ أبا عبد الله<sup>(٤)</sup> ] ابن سكينه — وكان يصلى به — ، وذلك يوم الخميس لأربع بقين من ذى القعدة<sup>(٥)</sup> سنة تسع وعشرين وخمسمائة<sup>(٦)</sup> .

(١) كذا في الأصل ، وفي ( ابن الأثير : ج ١١ ، ص ١٠ ) : « دایمراج » ولم يرد لها ذكر في ياقوت .

(٢) هكذا ضبطها ياقوت وقال إنها قرية وجبل ، أما القرية فبين همدان وحلوان ، تبعد

عن همدان أربع مراحل ، أما الجبل فرتفع ممتنع لا يرتقى إلى ذروته لأنه أملس كأنه منحوت .

(٣) هكذا ضبطها ياقوت وقال إنها قلعة حصينة على طرف جبال الديلم تشرف على قاع قزوین

وزنجيان وأبهر ، ونص على أنه رأها فوجدها من أحسن القلاع .

(٤) ما بين الحاصرتين عن ابن الأثير وابن الجوزي .

(٥) كذا في الأصل ، وفي ( ابن الجوزي : المنتظم ، ج ١٠ ، ص ٤٩ ) : ( وابن الأثير ،

ج ١١ ، ص ١٠ ) أنه قتل يوم الخميس سابع عشر ذى القعدة .

(٦) انقرد ابن واسل بنقل هذا الحديث — هنا وفيها بلى — عن ابن الأتباري كاتب

إنشاء المسترشد ، ولهذا الحديث أهمية خاصة لأن ابن الأتباري كان شاهداً عياناً لهذه الحوادث

جميعاً كما أنه شارك فيها ، ولم يرد لهذا الحديث أي ذكر أو إشارة في كل المراجع الهامة التي كتبت

عن هذا العصر والتي أشير إليها دائماً في هذه الحواشي ، وهي المنتظم لابن الجوزي ، والسكامل

لابن الأثير ، والبدایة والنهاية لابن كثير ، وتاريخ الخلفاء لسبوطي ، وإنما استطعت أن أحقق

أنه نقله عن تاريخ الفارقي ، فقد نقل نصه عنه آمدروز في هوامش كتاب ( ذيل تاريخ دمشق

لابن الفلاني ، ص ٢٥٠ — ٢٥١ ) وعليه عارضنا نص ابن واسل لتصحيحه ، وقد نص الفارقي

على أن هذا الحديث جرى بينه وبين ابن الأتباري ، قال : « ولقد سألت السعيد مؤيد الدين

أبا عبد الله محمد بن عبد الكريم الأتباري رحمه الله في سنة ٥٣٤ ببغداد حين نزلت إليه في هذه السنة

عن حال المسترشد والوقعة وما جرى ، فقال رضي الله عنه : « إلخ » ثم روى الحديث كما جاء هنا .

قلت (١) : وصل في اليوم الذي قتل فيه الخليفة رسول إلى السلطان مسعود من عمه السلطان سَنَجَر شَاه بن ملكشاه - صاحب خراسان - برسالة ظاهرها التقدم إليه بتعظيم الخليفة ورده إلى سرير ملكه ، وباطمها التدمير عليه والراحة منه ، ووردت الملاحظة صحبة الرسول ، فلما قتل الخليفة أظهر [ ٣٥ ] السلطان مسعود الجزع العظيم والحزن الكثير ، ودفن الخليفة بمراغة .

ووصل الخبر بذلك إلى العراق ، فحزن الناس عليه حزنا عظيما وبويغ بالخلافة ولده الراشد بالله ببغداد ، واستقرت خلافته بها ؛ ثم قدم السلطان وضرب عنق دُبَيْس ابن مَزِيد صاحب الحِلَّة .

قال مؤيد الدين سربر الرولة بن الأنباري : ( لما قُتِل الخليفة المسترشد بالله أحضرنا السلطان مسعود - وكان نقيب العلويين قد مات بقلعة سَرَجَهَان ، ودفن هناك - فلما حضرنا عنده ، قال : « ما الرأي وما التدبير في أمر الخلافة ، ومن ترون ؟ » فقالوا : « يامولانا ، الخلافة لولي العهد - يعني الراشد بالله - ، وقد بايعه الناس ببغداد ، وجلس واستقر ، وبويغ له من قبل قتل أبيه بولاية العهد ، وبويغ له الآن بالخلافة » . فقال السلطان : « ما إلى هذا سبيل ، ولا أقره عليها ، فإنه يحدث نفسه بالخروج مثل أبيه المسترشد ، ومن حين تولى أبيه لم يترك الخروج علينا ؛ كان قد خرج على أخي محمود مرتين ، وعلى مرة ، وهذه أخرى ، وتم عليه ما تم ، وبقيت علينا شناعة عظيمة وسبة إلى آخر الدهر ، فإنه يقال : قتلوا الخليفة ، وهم كانوا السبب في عود الخلافة إلى هذا البيت ، ولا أريد بلى الأمر إلا رجل لا يدخل نفسه في غير أمور الدين (٢) ، ولا يجند ، ولا يجمع ولا يخرج على

(١) هذا تعليق من المؤلف قطع به حديث ابن الأنباري ، وسيعود إليه مرة ثانية .

(٢) هذا نص واضح يدل على مبلغ ما وصلت إليه مكاة الخليفة العباسي في ذلك العهد الساجوني أن « لا يدخل نفسه في غير أمور الدين » .

ولا على أهل بيتي ، وفي دار الخلافة جماعة ، فاعتمدوا على شيخ منهم صاحب عقل  
ورأى وتدبير ، يلزم نفسه ما يجب من طاعتنا ، ولا يخرج من داره ؛ ولا تُعْرَجُوا  
عن هارون بن المقتدى بأمر الله ، فهو شيخ كبير ، ولا يرى الفتنة ، وقد أشار به  
عمي سنجر .

وكان في دار الخلافة في ذلك الوقت سبعة من أولاد المقتدى بأمر الله ، وهم أعمام  
المسترشد بالله بن المستظهر بالله بن المقتدى بأمر الله ، وبقى من السبعة من هو حي  
إلى سنة نيف وخمسين وخمسة ؛ وكان في الدار من أولاد المستظهر بالله — أخوة  
المسترشد بالله — سبعة ، وهم : الأمير أبو عبد الله محمد ، وأبو طالب ، وأبو نصر ،  
وأبو القاسم ، وأبو علي ، وإسماعيل ، ويحيى ؛ ولهم أولاد جماعة ؛ وكان للمسترشداً أولاد  
جماعة ، منهم الراشد بالله ؛ وللراشد نيف وعشرون ولداً ، أكبرهم [ ٣٦ ] حملت أمه به  
وعمر الراشد تسع سنين ، وهذا من أعجب الأشياء ؛ فحكى عن من كان يدخل إلى دار  
الخلافة ، ويطلع على أسرارهم أن الخليفة المسترشد أعطى لولده الراشد — وعمره أقل  
من تسع سنين — عدة جوار ، وأمرهن أن يلاعبنه ويمكّنه من أنفسهن ،  
وكان فيهن جارية صفراء حبشية ، فحملت من الراشد ، فلما ظهر الحمل ، وبلغ ذلك  
المسترشد أنكره ، فأحضرها وتهدها ، فقالت : « والله ما تقدم إلى سواه ،  
وأنه قد بلغ الحلم » ، فسأل عن ذلك بقية الجوارى ، فقلن مثل ذلك ؛ فأمر أن تُحْمَل  
الجارية قطناً ، ثم وطئها الراشد ، فلما قام عنها أخرج القطن والمنى عليه ، وفضل ذلك  
ببقية الجوارى ، فخرج وعليه المنى ، ففرح المسترشد بذلك ، ووضعت الجارية ابناً ،  
فسماه المسترشد « أمير الجيش » ، وسر به سروراً شديداً .

وهذا لم يسمع بمثله إلا في الحجاز ، فإنه قيل إن نساء تهامة يحضن لتسع ، وتبلغ  
صبيانها لتسع ، وروى أن عمرو بن العاص كان أكبر من ابنه عبد الله بإثني عشر .

قال ابن الأثير: « وأرسل السلطان مسعود إلى عمه السلطان [سنجر] (١) يستشيريه فيمن يولى الخلافة ، فأرسل إليه يقول : « لاتولى إلا من يضمه الوزير وصاحب المخزن وابن الأنباري » ، فلما وصل السلطان إلى همدان اجتمع بنا ، وأشار بهارون بن المقتدى ، وعرفنا ما أمر به عمه السلطان سنجر ، فقال الوزير : « إذا كان الأمر يلزمنا ، فنحن نولى من نريد ، وهو الزاهر الدين الذي ليس في الدار مثله » ، فقال السلطان : « من هو ؟ » فقال : « الأمير أبو عبد الله محمد بن المستظهر بالله » ، فقال : « وتضمن ما يجرى منه ؟ » فقال الوزير : « نعم » ، وكان الأمير [أبو] (١) عبد الله صهر الوزير على ابنته ، فإتيا دخلت يوما الدار في خلافة المستظهر بالله ، فرآها الأمير أبو عبد الله ، فطلب من أبيه تزويجها ، فزوجه بها ، فدخل بها وبقيت عنده ، ثم توفيت ، فقال السلطان : « ذلك إليكم » ، وكتبوا الحال لثلاثين شهر الأمر ، فيقتل الراشد بالله عمه الأمير أبو عبد الله ، ثم رحل السلطان والجماعة نحو بغداد (٢) .

وأما الراشد فإنه لما بويغ له ببغداد بالخلافة [٣٧] بعد مقتل أبيه المسترشد بالله . أرسل إلى الأمير عماد الدين زنكي بن آق سنقر يستدعيه لنجدته ، وضمن له أن يكون السلطنة والملك للملك ألب أرسلان بن محمود بن محمد بن ملكشاه الذي عند أتابك ، وأن تكون أتابكية السلطنة والخلافة بحكم عماد الدين ، فوردت الرسالة على عماد الدين زنكي بذلك ، وهو بظاهر دمشق محاصرها ، وبها شهاب الدين محمود بن بوري ، فصالحه عماد الدين زنكي ، ورحل عنها ، ووصل إلى حماة ، وبها شمس الخواص الليثاش (٣) — نائب صاحب دمشق — وكان قد نزع يده من طاعة صاحب دمشق ،

(١) ما بين الحاصرتين عن الفارق ( ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢٥١ ، الهامش ) .

(٢) بهذا اللفظ ينتهي حديث ابن الأثير كما رواه الفارق وعنه ابن واصل .

(٣) كذا في الأصل ، وهو في ( ابن القلانسي ، ص ٢٤٨ ) : « شمس الخواص » فقط .

فالتجأ إلى عماد الدين ، فقبض عليه عماد الدين ، وأخذ منه حماة ، وسلمها إلى صاحبه صلاح الدين الياغيسباني ، فاستناب فيها ولده شهاب الدين أحمد .

ثم توجه عماد الدين زنكي إلى بغداد لنصرة الراشد بالله ، وورد إلى بغداد جماعة من ملوك الأطراف متفقين على قتال السلطان مسعود ، ونصرة الراشد ، وهم : السلطان داود بن محمود (١) بن ملكشاه — صاحب أذربيجان — ، وبرنقش — صاحب قزوین — ، والبقرش الكبير — صاحب أصفهان — ، وصدقة بن دُبَيْس — صاحب الحِلَّة — الذي قتل السلطان أباه دُبَيْساً ، ومعه عنتر بن أبي العسكر ، يدبره — لصباه — وورد أيضاً ابن الأحمدي ، وانضاف إلى هؤلاء مقدمو (٢) عساكر بغداد ، وهم : كج أبه ، وطر نطاي ، وغيرهما ، واضطربت بغداد ، ونقلوا أموالهم إلى دار الخلافة .

وأمر الخليفة أن يخطب بالسلطنة بعده للسلطان داود ، وتحالف الخليفة والسلطان داود والأمير عماد الدين زنكي ، وأرسل الخليفة الراشد إلى عماد الدين ثلاثين (٣) ألف دينار ، ووصل بعد ذلك سلجوق شاه بن محمد — أخو السلطان مسعود — إلى واسط ، وقبض على الأمير بك أبه ، ونهب ماله ، فأنحدر إليه عماد الدين زنكي ، فدفعه عنها ، ثم اصطالحا ، وعاد عماد الدين إلى بغداد .

(١) في الأصل : « محمد » . والصحيح ما ذكرناه .

(٢) في الأصل : « مقدمين » .

(٣) في ( ابن الأثير ، ج ١١ ، ص ١٥ ) : « مائتي ألف دينار » . ولاحظ أن نص

ابن واصل يعود فينتفق ونص ابن الأثير ، وأغلب الظن أن المؤرخين بنقلوا عن الفارق .



## ذكر قدوم السلطان محمود بن مسعود بن محمد إلى بغداد

وهروب الراشد بالله وعماد الدين زنكي إلى الموصل

ثم عبر الأمير عماد الدين زنكي إلى خراسان ، وحث على جمع العساكر للقاء السلطان مسعود ، وسار السلطان داوود [ ٣٨ ] نحو طريق خراسان ، وأظهر أنه يمضي إلى مراغة ، ثم عاد عماد الدين إلى بغداد ، (١) وبرز الراشد بالله إلى ظاهر بغداد أول شهر رمضان سنة ثلاثين وخمسة ، وسار على طريق خراسان ثلاثة أيام ، ثم عاد ونزل عند جامع السلطان ، ثم دخل بغداد ، وراسل المسكر وسائر الأمراء ، وأمرهم بالعود ، فعادوا ، ونزلوا في الخيام ، واتفقت كلمتهم على قتال السلطان مسعود .

ثم قدم السلطان مسعود في العساكر الكثيرة إلى بغداد ، ونزل بالملكية ، وشارف بعض المسكر البغدادى عسكره ، وطاردوهم ، ثم نزل السلطان بغداد ، وحاصرها نيفا وخمسين يوماً ، فلم يظفر بطائل ، فعاد إلى التهرؤان عازماً على العود ، فوصله طرظاي — صاحب واسط — ، ومعه سفن كثيرة ، فعاد إليها ، وعبر إلى غربي دجلة ، واختلفت كلمة العساكر الذين ببغداد ، وعاد السلطان داوود إلى بلاده .

ولما أحس الخليفة الراشد بالله بقوة السلطان مسعود ، وعلم أنه لا بد أن يولى الخليفة غيره جمع الأمراء من أهل بيته — الذين هم في الدار — ، وجمعهم في سرداب ،

(١) هنا تبدأ نسخة س ، فقد نص كاتبها على أنه سيبدأ الكتاب بالتأريخ لحوادث سنة ٥٣٠ هـ ، غير أن نص س في أوله مختصر كثيراً عن نص ك . وفيما يلي نص السطور الواردة في ( ا ب ) من نسخة س وهي المقابلة لفقرة المذكورة هنا بين الرقبن : « سنة ثلاثين وخمسة » وما وقع فيه ( كذا ) من الحوادث والاختبار : انتهت هذه السنة والخليفة هو المتفق بأمر الله ابن المنظر بالله ، وسلطان الوقت هو السلطان مسعود زنكي ( كذا ) ؛ قال بدر الدين بن الأتباري : « في هذا العام برز الراشد بالله لظاهر بغداد ، وسار على طريق خراسان ثلاثة -

وتقدم بأن يطبق عليهم ؛ فحكى أبو القاسم<sup>(١)</sup> على — المعروف بحاجب الباب<sup>(٢)</sup> — :  
« أنه لما جمعهم الراشد في السرداب استعاني ، وأشار إلى سيف بين يديه ، وقال :  
« يا علي ، خذ هذا السيف » وأخذ بيده سيفاً آخر ، وقال : « إحذر أن يسبق سيفي  
سيفك ، فإني أريد أن أخرج كل من في السرداب ، وأقتل الجميع ، حتى لا يبقى  
من يصلح للخلافة ، فإن هؤلاء ربما دخلوا وولوا غيري » ؛ ثم أمر بفتح السرداب ،  
وإذا انظر قد جاءه أن عماد الدين أتاك زنكي قد هرب ونهب الحرم الطاهري<sup>(٣)</sup> ،  
وتوجه إلى الموصل ، فرمى السيف من يده ، ودخل الدار ، وأخرج معه من الجواهر  
مالاً يعرف قيمته ، وأعطاني مثل ذلك ، وأخرج معه [ قاضي القضاة<sup>(٤)</sup> ] الزينبي ،  
وجلال الدين أبا الرضا بن صدقة ، — وكان قد استوزره — وخرجت معه ، ولحقنا  
بعمد الدين زنكي على طريق الموصل ، ووصل الراشد ، وصحبته عماد الدين زنكي  
إلى الموصل .

— أيام ، ورجع ثانياً ، وكاتب المسافر ، وأمرم فمادوا ، وجاء السلطان مسعود إلى بغداد  
وحاصرها سبع ( كذا ) وخمسين ( ؟ ) ، ثم رجم إلى النهروان واستعد ، وطادوقل بها الجيب ،  
فلما أحس به الراشد ، قام وجم الأمراء في سرب ( كذا ) وقتلهم ، قال أبو القاسم المعروف  
بحاجب الباب : « وكنت عنده إذ ذاك — فأحلفني ، ومضيت إلى منزلي ، وأرسل ثانياً وطالبني »  
وقال : أما تدري أن الفتى نجياً في بيت الرجل الذي كان عندنا ؟ »  
هذا هو نص س المقابل لهذه الفقرة هنا ، والفرق واضح بينهما إيجازاً وتفصيلاً ، وبنيابة  
النص تنتهي س ( اب ) ، وهناك سقط بينها وبين أول س ( ١٢ ) فإن المتن غير متصل ،  
أنظر مايلي . س ٦٩

(١) مما يؤكد ترجيحنا السابق أن تاريخ الفارق هو الرجم الذي يأخذ عنه كل من ابن  
الأثير وابن واصل أن هذه القصة لم ترد في ابن الأثير ، وإنما نقلها آمدروز عن الفارق  
في ( ابن القلائس : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢٥٩ — ٢٦١ ، الهوامش ) . ولقد نص الفارق  
على أن هذه القصة مما حدثه به زين الدولة أبو القاسم على حاجب الباب .

(٢) في الأصل : « الظاهري » وفي الفارق ( الطاهر ) ؛ وما هنا عن ( ياقوت : معجم  
البلدان ) حيث ذكر أنه بأعلى مدينة السلام بغداد في الجانب الغربي ، منسوب إلى طاهر بن الحسين ،  
وبه كانت منازلهم ، وكان من لجأ إليه آمن ، فلذلك سمى الحرم وكان أول من جعلها حرماً  
عبد الله بن طاهر بن حسين .

(٣) ما بين الحصريين عن الفارق .

## ذكر البيعة بالخلافة

للمقتنى لأمر الله بن المستظهر بالله

[٣٩] قال مؤيد الدين بن الأنباري<sup>(١)</sup>. كاتب الانشاء : — « لما كان هذا اليوم — وهو يوم الأحد سابع عشر<sup>(٢)</sup> ذى القعدة — من هذه السنة — أعني سنة ثلاثين وخمسمائة — مضى الوزير شرف الدين علي بن طراد الزينبي إلى دار السلطان ونحن معه ، وأخذ السلطان خط الوزير وخطوطنا بالضم ، ثم صرنا إلى دورنا ، وأصبحنا يوم الاثنين فحضرتنا عند الأمير أبي عبد الله محمد بن المستظهر بالله ، وتحدث الوزير معه ، وتحدثنا معه ، وشرطنا عليه القيام بأمر الخلافة وطاعة السلطان ، وأعلمناه أننا قد ضمننا للسلطان جميع ما اقترحه علينا ، فرضى بذلك ، وانفصلنا عنه ، ومضينا إلى السلطان ، وأعلمناه ماجرى ، وأنه رضى بما اشترطنا عليه ، فقال السلطان : « إذا كان كما قلت فبايموه » ، فلما كان الغد صعدنا إلى الدار فأخرجنا منها أشياء من الآلات التي تصلح للغناء ، وأشياء لاتليق ، وشهد جماعة من أهل الدار أن الراشد كان يشرب الخمر ، فأفتى العلماء بخلمه ، وحكم القضاة بذلك ، فخلعوه من الخلافة .

ودخلتُ إلى الأمير عبد الله محمد ، أنا والوزير وصاحب الخزن ، وتحدثنا معه ، وتناولته رقعة<sup>(٣)</sup> مما يلقب به ، فكان فيها : المقتنى بأمر الله ، والمستضى بنور الله ،

(١) هذا الحديث منقول أيضاً عن الفارق .

(٢) في الفارق : « عاشر ذى القعدة » ، وهو خطأ واضح لأنه قال بعد ذلك : « وأصبحنا يوم الاثنين سابع عشر ذى القعدة . . » .

(٣) الفارق : « رقعة فيها ما يسمى به من القتب » .

والمستجير بالله<sup>(١)</sup>، فقال الخليفة: « ذلك إليكم »، ثم قال لى الخليفة: « ماذا ترى ؟ »  
قلت: « المقتنى لأمر الله » فقال: « مبارك » ثم مد يده، فأخذها الوزير وقبلها،  
وقال: « بايعتُ سيدنا ومولانا الإمام المقتنى لأمر الله أمير المؤمنين على كتاب الله  
وسنة رسوله — صلى الله عليه وسلم — واجتهاده »؛ ثم أخذها صاحب المخزن وقبلها،  
وباره على مثل ذلك، ثم أخذت يده، وقلت بعد أن قبلتها: « بايعتُ سيدنا ومولانا  
الإمام المقتنى لأمر الله أمير المؤمنين على ما بايعت عليه أباء وأخاه وابن أخيه في ولاية  
عهده —، وكنت بايعت الإمام المستظهر بالله لما خدمته في وكالة الدار سنة اثنتين<sup>(٢)</sup>  
وتسعين وأربعمائة، وبقيت إلى سنة سبع وخمسمائة<sup>(٣)</sup> وبايعت المسترشد، وبايعت  
الراشد بولاية العهد — [ ٤٠ ] قال: ثم قت من عنده، ودخل أمراء الدار وبايعوه،  
ودخل الدماء والقضاة والفقهاء وأكابر الناس أجمع فبايعوه، ثم حضر السلطان مسعود  
عنده، وكلمه المقتنى بالله بكلام وعظه فيه وعرفه ما يلزمه من طاعة الخلافة،  
وأمره بالرفق بالرعية، والإحسان إليهم، وخوفه عاقبة الظلم، فبايعه السلطان،  
وقبل يد الخليفة، ورجع إلى دار السلطنة.

وأما الراشد بالله فإنه أقام بالموصل مع عماد الدين أتابك زنكى، وانخطبة  
بالموصل وسائر بلاد عماد الدين للراشد بالله، ثم أرسل عماد الدين زنكى إلى بغداد  
القاضي كمال الدين محمد بن عبد الله بن الشهرزورى وصحبته رسول الراشد بالله،  
فأما رسول الراشد فلم تسمع رسالته، وأما كمال الدين فأحضر في الديوان وسمعت رسالته،

(١) كذا في الأصل، وفي الفارقي: « والمستجيب بالله ».

(٢) الفارقي: « سنة ٩٠ » فقط.

(٣) في الأصل: « وخمسين » والتصحيح عن الفارقي.

فحكى عن كمال الدين (١) أنه قال : « لما حضرت الديوان قيل لى : « تباع أمير المؤمنين ؟ » فقلت : « أمير المؤمنين عندنا بالموصل (٢) ، وله فى أعناق الخلق بيعة متقدمة » . وطال الكلام وعدت إلى منزلى ، فلما كان الليل جاءتنى امرأة عجوز سرّاً (٣) ، فاجتمعت بى وأباغتتنى رسالة عن الخليفة المنتفى لأمر الله ، مضمونها (٤) عتابى على ما قلت ، واستنزالى عنه ، فقلت : « غداً أخدم (٥) خدمة يظهر أثرها » ؛ فلما كان الغد أحضرت (٦) الديوان ، وقيل لى فى معنى البيعة ، فقلت : « أنا رجل فقيه قاضى ، ولا يجوز لى أن أباع خليفة إلا أن يثبت عندى خلع المتقدم » . فأحضروا الشهود وشهدوا عندى بالديوان بما أوجب خلمه ، فقات : « هذا ثابت لا كلام (٧) فيه ، ولكن لا بد لنا فى هذه الدعوة من نصيب ، لأن أمير المؤمنين قد حصل له خلافة الله فى أرضه ، والسلطان فقد استراح ممن كان يقصده ، فنحن بأى شىء نمود ؟ » فرفع الأمر إلى الخليفة فأمر أن يُقطع عماد الدين زكى صريفين (٨)

(١) هذا الحديث يرويه ابن واصل عن ابن الأثير ، فقد ذكره الأخير سردياً عن أبيه حيث قال (ج ١١ ، ص ١٧) : « حكى لى والذى عنه — أى عن كمال الدين — » .  
(٢) عند هذا اللفظ يبدأ الاتفاق ثانية بين نصي (س) ، (ك) ، فان ص (١٣) من نسخة س تبدأ بهذين اللفظين : « عندنا بالموصل ... الخ » ، ويلاحظ هنا أيضاً أن الخلاف لا زال واضحاً بين نصي النسختين ، فان ما هنا — أى نص ك — مفصل ، وما فى س ملخص عنه .  
(٣) فى (س) : « شريفة » ، وما هنا هو الصحيح لاتفاقه مع نص ابن الأثير وهو المرجع الذى ينقل عنه المؤلف هذا الحديث .  
(٤) فى (س) : « تتضمن » وهذا مثل يدل على الطريقة التى يتبعها كاتب هذه النسخة عند الاختصار .

(٥) فى (س) : « أخدمه » ، وما هنا هو الصحيح لاتفاقه مع ابن الأثير .  
(٦) فى (س) : « أحضرت إلى الديوان » ، وفى (ابن الأثير) : « حضرت إلى الديوان » .  
(٧) فى (س) : « لا كلام لأحد فيه ولا بد » ، وما هنا يتفق ونص ابن الأثير .  
(٨) فى (س) : « صريفين » بدون نقط ، وصريفين — أى صريفون كما رسمها ياقوت — فى سواد العراق فى موضعين : أحدهما قرية كبيرة قرب عكبراء وأرادنا على ضفة نهر دجيل والثانية من قرى واسط ، أنظر (ياقوت : معجم البلدان) .

ودرب<sup>(١)</sup> هرون وحزمي<sup>(٢)</sup> مالكا — وهي من خاص الخليفة — وأمر بأن يزداد في ألقابه<sup>(٣)</sup> ، وقال : « هذه قاعدة لم يسمح لأحد بها من زعماء الأطراف أن يكون له نصيب [ ٤١ ] في خاص الخليفة » .

فبايعت وعدت مقضى الخوارج ، وقد حصلت<sup>(٤)</sup> على جملة صالحه من الأموال والتحف ، وكانت بيعة القاضي كمال الدين للخليفة المنتقى لأمر الله<sup>(٥)</sup> سنة إحدى وثلاثين وخمس مائة .

ولما عاد كمال الدين [ الشهرزوري ]<sup>(٦)</sup> سبَّ على يده المحضر بخام الراشد ، فحكَّم به قاضي القضاة الزينبي بالموصل — وكان عند عماد الدين<sup>(٧)</sup> — وخطب للمنتقى بالموصل وسائر البلاد العمادية ، ثم فارق الراشد بالله الموصل ، وسار نحو الري ، ثم توجه نحو همدان ، ولم تزل الأحوال تترامى به إلى أن عرض له مرض شارف به التلف ، ثم وثب عليه جماعة من الباطنية في يوم الثلاثاء سادس شهر رمضان سنة اثنين وثلاثين وخمسمائة ، قتلوه ودفن بشهرستان في جامعا<sup>(٨)</sup> .

(١) في الأصل : « وصرف » والتصحيح عن ( ابن الأثير ) ، ( س ) ، هذا ولم يوفق الناشر لتعقب موضع هاتين المهمتين ، وإنما طاد ابن الأثير إلى ذكرهما مرة ثانية في حوادث سنة ٥٦٨ ، وذلك في ( ج ١١ ، ص ١٤٨ ) ، قال : « وبها أرسل نور الدين محمود رسولا إلى الخليفة ... يطلب تقليدا بما بيده من البلاد ... وأن يطلى من الاقطاع بسواد العراق ما كان لأبيه زكي وهو : صريفين ودرب هارون ، والنمس أرضا على شاطئ دجلة بينها مدرسة لشافعية ووقف عليها صريفين ودرب هارون .. » .

(٢) كذا في الأصل ، وفي ( ابن الأثير ، ج ١١ ، ص ١٧ ) : « وجرى ملكا » وفي ( س ) : « وحرص مالكا » .

(٣) في ( ابن الأثير ) : « ويزداد في ألقابه » وفي ( س ) : « وأمر أن يزداد في الألقاب » .

(٤) في ( س ) : « خلصت » .

(٥) في الأصل : « بالله » وما هنا عن ( س ) وهو الصحيح .

(٦) ما بين الحاصرتين عن : ( ابن الأثير ) .

(٧) هنا يفصل ابن الأثير عن ابن واصل ، ويورد تفاصيل مختلفة عن حوادث أخرى .

(٨) ورد تاريخ قتل الراشد في نسخة ( س ) متأخراً عن الخبر ومكان الدفن ، وهو هنا متقدم .

وفي (١) سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة نازل عماد الدين دَقُوقًا (٢) وملكها  
بعد أن قاتل على قلعتها قتالاً شديداً .

### منازلة عماد الدين مدينة حمص (٣)

قد ذكرنا أن حمص كانت لصمصام الدين خترخان بن قراجا، وأن عماد الدين  
قبض عليه سنة أربع وعشرين وخمسمائة، وحبسه في قلعة حلب، ثم نقله إلى الموصل  
فحبسه بها، وقتل في الحبس سنة تسع وعشرين وخمسمائة، فولى حمص بعده  
ولده عين الدولة إيلخان (٤) بن خترخان، والمدبر لأمره اسباسلار خمرتاش  
— مملوك أبيه — .

ولما كان في سنة ست وعشرين وخمسمائة وثب على عين الدولة مملوكه [ومملوك  
أبيه (٥)] بزغش فقتله، وكان بالقلعة زوج لجارية خترخان، ومعه ابن لخترخان،  
فقتل بزغش، وأجلس في الأمر قريش بن خترخان (٦)، والمدبر لأمره اسباسلار  
خمرتاش، ثم سلم خمرتاش حمص الأمير شمس الملوك إسماعيل بن بوري — صاحب  
دمشق — وأخذ منه عوضاً اقترحه عليه، فلما قُتل شمس الملوك، وولى أخوه

(١) قبل هذا الخبر في (س) ورد هذان اللفظان : « قال الرازي » دون أن يحدد من  
هو وأغلب الظن أن كاتب نسخة (س) كتبها بالاملاء عن غيره ، وأن هذين اللفظين كانا من  
مستلزمات العلي .

(٢) في الأصل : « دقوقا » وقد ضبط اللفظ بعد مراجعة ياقوت حيث ذكر أنها مدينة  
بين إربيل وبنداد .

(٣) هذا العنوان غير موجود في (س) والكلام هناك متصل .

(٤) رسم هذا اللفظ في الأصل هكذا : « أي لخان » وهو في (س) : « أبي طان » .

(٥) ما بين الحاصرتين عن : (س) ص ٢ ب .

(٦) في الأصل : « ختلخان » ، والتصحيح يقتضيه النص .

شهاب الدين محمود بن بوري (١) سلم حصص للأمير معين الدين أنر (٢) — مملوك جده طفتكين — ، فلما كانت هذه السنة — سنة إحدى وثلاثين وخمسةائة — توجه الأمير عماد الدين من الموصل إلى حمص ، وحصرها ، وقبل وصوله إليها نازلها حاجبه [ ٤٢ ] الأمير صلاح الدين محمد بن أيوب البياغيسياني — صاحب حماة ، وهو أكبر أمرائه — ، وكان ذا مكر وحيل ، أرسله عماد الدين (٣) ليتوصل مع من فيها ليسلموها إليه ، فوصل إليها وفيها الأمير معين الدين أنر (٢) — وهو أكبر أمراء دمشق وإقطاعه حمص — ، فلم ينفذ فيه مكره ، ثم وصل عماد الدين فحصرها ، وعاود معين الدين في تسليم البلد غير مرة ، تارة بالوعد وتارة بالوعيد ، فاحتج بأنها ملك شهاب الدين ، وأنها بيده أمانة لا يسلمها إلا عن غلبة (٤) ، فأقام عليها إلى العشرين من شوال ، ثم رحل عنها من غير بلوغ غرض .

### ذكر فتح قلعة بارين (٥) وكسر الفرنج — لعنهم الله —

ثم سار الأمير عماد الدين من حمص ونازل بارين — وهي للفرنج بالقرب من مدينة حماة — ، وزحف إليها ، فحشد الفرنج فارسهم ورجالهم ، وساروا إلى عماد الدين

(١) هذه الفقرة السابقة لهذا الرقم كلها استطراد من ابن واصل لتفصيل هذه الحادثة من تاريخ حمص ، وهو استطراد هام للغاية إذ لا يوجد له شبيه في كل المراجع التي تؤرخ لهذا العصر ، وهذه ميزة لابن واصل ولسكانه فقد استاد أن يقف طويلاً وأن يتحدث تفصيلاً كلما ورد ذكر مدينة من مدن الشام الشمالية ، وخاصة المدن الهامة الثلاثة : حماة — وطنه الأصلي — وحمص ، وحلب .

(٢) في الأصل : « أنر » أنظر ما فات هنا ص ٩ ، هامش ٤

(٣) في (س) : « عماد الدين إليها ليسلموها » ، وما هنا يتفق ونس ابن الأثير ( ج ١١ ، ص ١٩ )

(٤) في (س) : « عن إذنه » وما هنا يتفق ونس ابن الأثير .

(٥) في الأصل : « ماردين » وهو خطأ ، والتصحيح عن : (س) و ( ابن الأثير ) ؛ أنظر أيضاً النص فيما يلي . وهي في ( ابن الأثير ، ج ١١ ص ٢٠ ) : « بشرين » ؛ والرمضان صهيحان ، وإنما بشرين هو ما تستعمله العامة ، وبارين تقع بين حماة وحلب ، ( ياقوت : معجم البلدان ) .



في ملوكهم وقامصتهم (١) وكنودهم (١) ليرحلوه عن بارين فلقبهم وقاتلهم أشد قتال ، وصبر الفريقان ، فهزم الفرنج ، وأخذتهم سيوف المسلمين من كل جانب ، فاحتس ملوكهم وفرساتهم بحصن بارين — لقربه منهم — ، فحصرهم المسلمون ، ومنع عماد الدين منهم كل شيء ، وتعذر وصول الأخبار إليهم ، ودخلت القسوس والرهبان بلاد الروم والفرنج وما والاها من بلاد النصرانية ، مستنصرين على المسلمين ، وأعلموهم أن زنكي إن أخذ حصن بارين ومن فيها من الفرنج ملك جميع بلادهم في أسرع وقت لعدم المحمي عنها ، وأن همة المسلمين مصروفة إلى فتح بيت المقدس ، فغشدت النصرانية وجمعت ، وقصدوا الشام مع ملك قسطنطينية .

وجد عماد الدين في حصار بارين ، وهدمت عندهم الذخائر حتى أكلوا الدواب ، فأذعنوا بالتسليم ليؤمنهم ليعودوا إلى بلادهم ، فلم يجبههم [ إلى ذلك (٢) ] فلما سمع بقرب ملك الروم واجتماعه بمن بقي من الفرنج أعطاهم الأمان ، وتسلم منهم الحصن ،

(١) يتردد ذكر « القومس » كثيراً في السكتب المريية التي أرخت للحروب الصليبية كالمؤرخين لابن شامة والكامل لابن الأثير ، وهو تعريب حرفي للفظة اللاتينية « Comes » أي الأمير ، ومعناها الأصلية في اللاتينية « الرفيق » لأنه كان في بادئ الأمر يرافق الملك في حروبه وتقلبه ، ثم سمى بالأمير ، وقد تختلف المراجع في رسم هذا اللفظ ، فهو القومس ، أو القومس أو القومس ، أو القومس ، وم تارة يؤثثونه فيقولون : القومصية ، أو القومصة ، وكما اختلفت المراجع في رسم اللدرد اختلفت أيضاً في رسم الجمع ، فهو عندم : قوامس ، وقامصة ، وقامصة ، وقوامس ؛ واللفظة (Comes) هي التي حورت في اللغة الفرنسية إلى (Comte) وهذه هي ما اعتادت نفس المراجع أن تعربها إلى « كند » ؛ واختلفوا في رسم هذا اللفظ أيضاً فهو عندم : كند ، وقد ، وم يجمعونهم على كنود . وهو عين اللفظ الذي اعتاد السكتاب المحدثون أن يسموه هكذا « كنت » أو « كرفت » ، ومعنى القنظين واحد وهو الأمير ، وإنما الأول مأخوذ عن اللاتينية (Comes) والثاني عن الفرنسية (Comte) أنظر : ( الألب استاس ماري الكرملي : ألقاب الشرف والتعظيم عند العرب ، مجلة الرسالة ، العدد ٤١١ ، ١٩ مايو سنة ١٩٤١ ) .

(٢) ما بين الحاصرتين عن (س) و(ابن الأثير) .

وقرر عليهم خمسين ألف دينار [٤٣] يحملونها<sup>(١)</sup> إليه ، ووقعت الإجابة إلى ذلك ، فلما فارقوا الحصن وتحققوا خروج ملك الروم لنصرتهم ندموا حيث لم ينفعهم الندم<sup>(٢)</sup> .

### ذكر فتح المعرة وكفر طاب

وفي مدة حصار بارين تسلم عماد الدين — رحمه الله — المعرة وكفر طاب من الفرنج<sup>(٣)</sup> ، وكان الضرر ياحق المسلمين بالفرنج الذين فيها لتوسطهما البلاد الإسلامية<sup>(٤)</sup> ، ولقد سلك الأمير عماد الدين من العدل في أهل المعرة لما استفتقدها من الفرنج طريقة لم يسلكها أحد قبله ، سمعت<sup>(٥)</sup> والدي — رحمه الله — يقول — ونحن بالبيت المقدس سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة ، وكان الملك المعظم شرف الدين عيسى بن أبي بكر بن أيوب قد قدم إليها فاجتمع به والدي بالحرم الشريف — قال : « سألت اليوم السلطان الملك المعظم : هل كان للمعرة سور ؟ قات : « نعم » ، قال : « فن هدمه ؟ » قلت : « أتأبى زنى لما ملك المعرة واستفتقدها من الفرنج » ، ثم ذكرت له عدل أتأبى زنى ، وقلت له : إنه كان حنفي المذهب ، ومن مذهب أبي حنيفة — رحمه الله — أن الكفار إذا استولوا على بلد وفيه أملاك للمسلمين خرجت تلك الأملاك عن ملك أصحابها<sup>(٥)</sup> لصيرورة البلد دار حرب<sup>(٥)</sup> ، فإذا عاد البلد

(١) في الأصل : « يحملوها » وما هنا عن : (س) و (ابن الأثير) وهو الصحيح .

(٢) هذه الحوادث رواها ابن الأثير أكثر تفصيلا ، والنصان متفقان في اللفظ في أكثر

من موضع .

(٣) نص (س) يختلف عما هنا بسن الشيء وهو : « وكان الضرر بالأفرنج الذين نبها

على المسادين عتليا لتوسطهما البلاد الإسلامية » .

(٤) هذه فقرة من الفقرات الكثيرة الهامة التي يشير فيها ابن واصل إلى أبيه وإلى نفسه ،

ومن هذه الفقرات استطعنا أن نعرف الشيء الكثير عن حياة ابن واصل وحياة أبيه مما لم تتضمنه

كتب التراجم .

(٥) هذه الجملة ساقطة من (س) .

بعد ذلك إلى المسلمين كانت تلك الاملاك لبيت المال ، فلما فرغ أتابك المعرة جاءه (١) المعريون يطلبون تسليم أملاكهم إليهم ، فاستفتى أتابك الفقهاء [ على ] (٢) ذلك ، فأفتوه بما يقتضيه مذهبهم ، وهو أن الاملاك لبيت المال ، ولاحظ لأصحابها فيها ، فقال رحمه الله : إذا كان الفرنج يأخذون أملاكهم (٣) ، ونحن نأخذ أملاكهم ، فأى فرق بيننا وبين الفرنج ؟ كل من أتى (٤) بكتاب يدل على أنه مالك لأرض فليأخذها ، فرد إلى الناس جميع أملاكهم ، ولم يعترض لشيء منها . وقال : « فاستحسن [ السلطان ] (٥) الملك المعظم هذه الفعلة » . قلت (٦) : وأما ابن الأثير (٧) فإنه في تاريخه روى ذلك على غير هذه الصورة ، وقال : « إن الفرنج لما ملكوا المرة أخذوا أملاك أهلها ، فلما فتحها [ عماد الدين ] (٨) زنكي ، حضر من بقي من أهلها ومعهم أعقاب من هلك ، فطلبوا [ ٤٤ ] أملاكهم ، فطلب منهم كتبها ، فقالوا : إن الافرنج أخذوا كل ما لنا ، وذهبت الكتب التي للأملاك (٩) ؛ فقال لأصحابه : « اطلبوا دفاتر ديوان حلب ، فكل من عليه خراج على ملك يـلم إليه » ، ففعلوا ذلك ، وعاد الناس إلى أملاكهم (١٠) ؛ وهذا من أحسن الأفعال وأعدلها » — رحمه الله وقدم روحه — .

(١) في الأصل : « جاءوا » وما هنا عن س .

(٢) ما بين الحاصرتين عن (س) .

(٣) في (س) : أملاكهم ولا تردّها نحن ، فأى فرق ... الخ » .

(٤) في الأصل : « أتا » بالألف .

(٥) ما بين الحاصرتين عن (س) .

(٦) مكان هذا اللفظ في س : « قال صاحب الكتاب الناضى جمال الدين بن واصل قاضى

القضاة بجماعة » .

(٧) هذا مثل من أمثلة كثيرة ستأتى فيما بعد تدل على أن ابن واصل لم يكن يقتنع بالرواية الواحدة حتى ولو كان رادها أبوه نفسه ، بل كان يقارن بين روايات المؤرخين المختفين كلما وجد خلافاً بين هذه الروايات .

(٨) ما بين الحاصرتين عن (س) و( ابن الأثير : الكامل ، ج ١١ ، ص ٢٠ ) .

(٩) نص ابن الأثير : « كل ما لنا والكتب التي للأملاك فيها » .

(١٠) نص ابن الأثير : « وأعاد على الناس أملاكهم » .

## ذكر خروج ملك الروم إلى بلاد الإسلام

لما مضت القسوس والرهبان إلى بلاد الروم واستفروهم على المسلمين بسبب عماد الدين ومنازلته بارين ، وخوفوهم من أخذها واستئصال من فيها ، فتجهز الروم وركبوا في البحر من قسطنطينية ، وساروا إلى أنطاكية ، وهي لهم يومئذ ، فأرسوا بها منتظرين المراكب التي فيها الأثقال والسلاح ، فلما وصلت ساروا إلى مدينة نيقية فنزلوها وحاصروها ، ثم صولحوا على مال يؤدي إليهم ، ثم ساروا إلى مدينة أذنة والمصيصة ، — وهما لابن ليون (١) الأرميني — فحصرهما ملك الروم وملكهما ، ثم نازل عين زربي (٢) ، فملكها عنوة ، وملك تل حمدون ؛ وحمل ملك الروم أهله إلى جزيرة قبرس ، ثم وصل إلى الشام فحصر مدينة أنطاكية في ذي القعدة من هذه السنة — أعني سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة — ، وضيق على أهلها ، وبها يميند الافرنجبي ، ثم اصطلحا ، ورحل إلى بغراس ، ثم دخل بلد ابن ليون ، فينزل له ابن ليون مالا ، ودخل في طاعته .

## ذكر استيلاء عماد الدين على حمص (٣)

ولما فرغ عماد الدين من بارين سار إلى حماة ، ثم سار إلى بقاع بعابك ، فملك حصن الجدل — وهو لصاحب دمشق — وأطاعه مستحفظ بانياس

(١) هو ليون الثاني Lion II ملك أرمينية في تلك السنة . وتسميه مراجع العصر العربية أيضاً « ابن لاون » ، انظر : دائرة المعارف الإسلامية ، مادة « أرمينية » .  
(٢) في الأصل : « عين زربة » ، وفي س « عين رومه » ، وفي (ابن الأثير ، ج ١١ ، ص ٢٠) : « عين زربة » والتصحيح عن معجم البلدان لياقوت حيث عرفها بأنها بلد بانفسر من نواحي المصيصة ، ثم ذكر أنها بقيت بيد المسلمين إلى أن استولى عليها الروم في أيام سيف الدولة الحمداني ، ثم قال : « وهي في أيديهم إلى الآن ، وأهلها اليوم أرمن ، وهي من أعمال ابن ليون » .  
(٣) هذا العنوان غير موجود في س .

— وهي لصاحب دمشق أيضاً<sup>(١)</sup> — ، ثم سار إلى حمص فحصرها ، فلما نازل ملك الروم حلب — على ما تذكره — رحل عن حمص ونزل على سلمية ، ثم نزل على حماة — على ما تذكره — ، فلما انحلت قضية الروم عاد إلى حمص فنازلها ، ثم وقعت بينه وبين شهاب الدين [ صاحب دمشق <sup>(٢)</sup> ] مراسلة ، فأنهى الأمر إلى الصلح ، وسلم إليه حمص ، وخطب زمرد خاتون — أم شهاب الدين <sup>(٣)</sup> — [ ٤٥ ] وهي التي ذكرنا أنها قتلت ولدها شمس الملوك ، وزفت إليه في رمضان سنة اثنين وثلاثين وخمسمائة واعتقد [ عماد الدين ] أنه إذا تزوجها كان ذلك طريقاً إلى تملكه دمشق ، فلما لم يحصل له ذلك أعرض عنها .

### ذكر منازلة الروم حلب ثم شيزر<sup>(٤)</sup>

ثم لما صالح ملك الروم ابن ليون قصد بزاعة<sup>(٥)</sup> فحصرها ، فسير عماد الدين جماعة من العسكر إلى حلب ليمنعوها من الروم إن قصدوها ، ثم ملك الروم بزاعة

(١) هذه الجملة في س مضطربة الألفاظ والمعنى ، ونصها : « وأطاعه وهو مستحفظ بإياس وهو لصاحب دمشق أيضاً » .

(٢) أضفنا ما بين الحاصرتين عن : ( ابن الأثير ، ج ١١ ، ص ٢١ ) وذلك للإيضاح .

(٣) هذان القمطان لم يذكر في س ، وقد أضاف ابن الأثير لتعريف بهذه السيدة قوله : « وهي التي بنت المدرسة بظاهر دمشق المطلة على وادي شقرا ونهر بردى » .

وهذه المدرسة هي المروفة باسم « المدرسة الخاتونية البرانية » ، بنتها لحنفية ، وأدقت عليها الأوقاف في سنة ٥٢٦ ؛ وزمرد خاتون هي صفوة الملوك ابنة الأمير جادى ، أخت دقاق لأمه ، وزوجة تاج الملوك بوري ، وأم ولديه : شمس الملوك إسماعيل ، ومحمود ، وقد تزوجها فيما بعد أتابك عماد الدين زنكي . فبقيت منه تسع سنين ، فلما قتل حجت وجارث بالمدينة المنورة إلى أن ماتت ودفنت هناك بالبقيع في سنة ٥٥٧ ، أنظر أيضاً : ( النعماني : الدارس في المدارس ، نشر جعفر الحسني ، ج ١ ، ص ٥٠٣ - ٥٠٧ ) .

(٤) هذا العنوان غير موجود أيضاً في س ، ويلاحظ أن النص متصل دائماً في نسخة س ، وأن العناوين الموضحة قليلة ، وسنكتفي بهذه الإشارة وما سبقتها إن هذه الظاهرة ثم نسكت عنها بعد ذلك لتكرارها في معظم الصفحات والموضوعات .

(٥) نص ( ابن الأثير ، ج ١١ ، ص ٢١ ) فيه زيادة لتعريف بالمدينة ، قال : « وهي مدينة لطيفة على ستة فراسخ من حلب » .

بعد أن نصب على أهلها المنجنيقات ، وضيق عليهم ، فسلموها إليه بالأمان في الخامس والعشرين من رجب سنة اثنين وثلاثين وخمسة ، وقتل وأسر وسبا ، وكان عدة من خرج إليه من أهلها خمسة آلاف وثمانمائة نفس ؛ وتنصّر قاضيها وجماعة من أعيانها — نحو أربعمائة نفس — وأقام الروم عشرة أيام يطلبون من اختفى ، فقتل لهم : « إن جماعة نزلوا في المغارات » ، فخنّوا عليهم ، فهلكوا في المغاير .

ثم (١) رحل ملك الروم إلى حلب ، فنزل على نهر قويق ومعه الفرنج الذين بساحل الشام ، وزحفوا إلى حلب بخيلهم ورجلهم ، فخرج إليهم أحداث حلب ، فقاتلهم قتالاً شديداً ، فقتل من الروم وجرح خاق كثير ، وقتل بطريق عظيم التندر عندهم ، فأقاموا [ على حلب (٢) ] ثلاثة أيام ؛ ولم يظفروا بطائل ، فرحلوا إلى قلعة الأتارب ، فهرب من بها من المسلمين ، فلكوها الروم تاسع شعبان وتركوا (٣) بها سبي بزاعة والأسرى ، ثم رحلوا عنها ، فلما سمع برحيلهم ابن سوار — نائب عماد الدين بحلب — رحل فيمن معه من العسكر ، فأوقع بمن في الأتارب من الروم ، وخلص الأسرى والسبي ، وعاد إلى حلب .

ونزل عماد الدين سلمية — كما ذكرنا — وعبر ثقله الفرات ، وأقام بسلمية جريدة ، ليتبع الروم ويقطع عنهم الميرة .

ثم قصد الروم قلعة شيزر — وصاحبها الأمير أبو العساكر [ سلطان بن علي ابن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني (٤) ] — فآزلوها ونصبوا عليها ستة عشر منجنيقاً ، فسار عماد الدين ونزل على النهر المعروف بالماصي [ ٤٦ ] — بينها وبين حماة —

(١) قبل هذا اللفظ في س (ص ٤ ب) عنوان كبير هو : (ذكر مناظرة ملك الروم حلب) .

(٢) ما بين الحاصرتين عن س .

(٣) في الأصل : « ونزلوا » والنصحیح عن س (ص ١ ب) و (ابن الأثير ، ج ١١ ، ص ٢٢) .

(٤) ما بين الحاصرتين عن : (س ، ص ٤ ب) ، (ابن الأثير ، ج ١١ ، ص ٢٢) .

وكان [ عماد الدين ] كل يوم يركب هو وعسكره ويسرون إلى شيزر ، ويقفون  
بمحيط برام الروم ، ويرسل السرايا فتأخذ من ظفر به منهم .

## ذكر توجه القاضي كمال الدين بن الشهرزوري

إلى السلطان مسعود في معنى الروم واستنجاهه [ به (١) ] عليهم

ولما كان الروم على بُزاعة أرسل الأمير عماد الدين زكي القاضي كمال الدين  
أبا الفضل محمد بن عبد الله بن القاسم الشهرزوري إلى السلطان مسعود بن محمد بن  
ملكشاه يستنجاهه ويطلب منه العساكر ، فقال [ القاضي (١) ] له ماد الدين حين أرسله :  
« أخاف (٢) أن تخرج البلاد من أيدينا ويجعل السلطان هذا حجة [ علينا (١) ] ،  
وينفذ العساكر ، فإذا توسطوا البلاد ملكوها » . فقال الأمير عماد الدين :  
« إن هذا العدو قد طمع في البلاد ، وإن أخذ حلب لم يبق بالشام إسلام ،  
وعلى كل حال فالمسلمون أولى من الكفار بها » . قال كمال الدين : [ فسرت طالب  
بغداد ، وجديت في السير (٣) ] ، فلما وصلت بغداد [ وحضرت قدام السلطان (٣) ]  
وأديت الرسالة بإفناذ العساكر ، وأنا أخاطب ولا أزداد على الوعد [ شيئاً (٣) ] ،  
فلما رأيت قلة اهتمام السلطان بهذا الأمر العظيم أحضرت فلانا — وهو فقيه  
كان ينوب عني في القضاء — فقلت [ له ] : « خذ هذه الدنانير وفرقها في جماعة  
من أوباش بغداد والأعاجم ، وإذا كان يوم الجمعة وصعد الخطيب المنبر يجامع  
القصر قاموا وأنت معهم واستغاثوا بصوت واحد : « وا إسلاماه ! وا دين محمداه ! »

(١) ما بين الحاصرتين عن س (س ٤ ب) .

(٢) هذا الحديث بين القاضي وعماد الدين غير مثبت في (ابن الأثير) ويلاحظ أن نصي  
ابن واصل وابن الأثير يفتقان في معظمها ، وقد يختلفان إيجازاً وإطناباً ، وسقوط هذا الحديث  
مثل ذلك . والأمانة بمد هذا كثيرة مما يرجح رأينا أن المؤرخين ينقلان عن مرجع آخر لا نعرفه .

(٣) ما بين الحاصرتين زيادات عن : س (س ٥ ا) .

ويخرجون من الجامع ويتصدون دار السلطان مستغيثين ؛ ثم وضعت إنسانا آخر فعل ذلك في جامع السلطان ؛ فلما كانت الجمعة وصعد الخطيب المنبر قام ذلك الفقيه وشق ثوبه وألقى عمامته عن رأسه ، وصاح ، وتبعه ذلك النفر بالصياح والبكاء ، فلم يبق في الجامع إلا من قام وبكى ، وبطلت الخطبة ، وسار الناس كلهم إلى دار السلطان ؛ وقد فعل أولئك الذين يجامع السلطان مثلهم ، فاجتمع أهل بغداد وكل من بالمسكن عند دار السلطان يبكون ويصرخون ويستغيثون ، وخرج الأمر عن الضبط ، وخاف السلطان في داره [ ٤٧ ] وقال : « ما الخبر ؟ » فقيل : « إن الناس قد ناروا حيث لم ترسل العساكر إلى الغزاة <sup>(١)</sup> » ، فقال : « أحضروا [ القاضي ] ابن الشهرزوري » ، قال : فحضرت عنده وأنا خائف منه ، إلا أنني قد عازمت على صدقه وقول الحق .

فلما دخلت قال : « يا قاضي ، ما هذه الفتنة ؟ » فقلت : « إن الناس قد فعلوا هذا خوفاً من الفتنة والشر ، ولا شك أن السلطان لم يعلم كم بينه وبين العدو ، وإنما بينكم نحو أسبوع ، وإن أخذوا حلب انحدروا إليكم في الفرات وفي البر ، وليس بينكم بلد بينهم عن بغداد » ، وعظمت الأمر عليه حتى كأنه ينظر إليه ؛ فقال : « اردد هؤلاء العامة عنا ، وخذ من العساكر ماشئت ، والأمداد تاحقك » . قال : « فخرجت إلى العامة ومن انضم إليهم ، وعرقتهم الحال ، وأمرتهم بالعود ، فعادوا وتفرقوا ، وانتخبت <sup>(٢)</sup> من عسكره عشرة آلاف فارس [ من خيار المسكر <sup>(٣)</sup> ] ، وكتبت إلى الشهيد أعرفه الخبر وأنه لم يبق غير المسير ، وأجدد استئذانه في ذلك ، فأمرني بتسييرهم والحث على ذلك ، وعبرت بالعساكر الجانب الغربي ، فبينما نحن

(١) في س (س ه ب) : « العراق » وهو خطأ واضح .

(٢) في الأصل : « وانتخب » ، وما هنا عن س .

(٣) ما بين الحاصرتين زيادة عن س (س ه ب) .



تنجز للحركة ، وإذا قد وصل نجاب من الشهيد يخبر بأن الروم والفرنج رحلوا عن حلب خائبين لم ينالوا منها غرضا ، ويأمرني بترك استصحاب العساكر ؛ فلما خاطبت السلطان في ذلك أصر على إنفاذ العساكر إلى الجهاد وقصد بلاد الفرنج وأخذها ، وكان قصده أن تطأ عساكره البلاد ويملكها ، ولم أزل أتوصل مع الوزير وأكابر الدولة حتى أعدت العساكر إلى الجانب الشرقي ، وسرت إلى الشهيد .

## ذكر تخذيل<sup>(١)</sup> عماد الدين

### بين الفرنج والروم حتى رحلوا خائبين

قد ذكرنا مناظرة الروم والفرنج شيزر ، ونزول عماد الدين زنكي — رحمه الله — على العاصي بالقرب منهم ، ثم إنه أرسل إلى ملك الروم يقول له : « إنكم قد تحصنتم مني بهذه الجبال ، فانزلوا منها إلى الصحراء حتى نلتقى ، فإن ظفرت بكم أرحت المسلمين منكم ، وإن ظفرتم بي استرحتم وأخذتم شيزر وغيرها » ؛ ولم يكن لعماد<sup>(١)</sup> الدين بهم طاقة ولا قوة ، وإنما كان يومهم بهذا القول وأشباهه ، فأشار الفرنج على ملك الروم بمصافقته<sup>(٢)</sup> [ ٤٨ ] وهو نوا أمره عليهم ، فلم يفعل ، وقال : « أتظنون أنه ليس له من العسكر إلا ماترون ؟ وإنما يريد أنكم تلقونه فيجىء إليه من [نجادات] <sup>(٤)</sup> المسلمين مالا حد عليه .

وكان أيضا عماد الدين يرسل إلى ملك الروم يومه بأن فرنج الشام خائفون منه ، فلو طارق مكانه لتخلوا عنه ، ويرسل إلى فرنج الشام يخوفهم من ملك الروم ، ويقول لهم :

(١) في س : « محدد » .

(٢) في الأصل : « بعماد » ، وما هنا عن س ( ص ١٦ ) .

(٣) في ( اللسان ) : « أصفقوا على الأمر اجتمعوا عليه ، وأصفقوا على الرجل كذلك » .

(٤) ما بين الحاصرتين عن : س ( ص ١٦ ) ، ( ابن الأثير ، ج ١١ ، ص ٢٢ ) .

« إِنْ مَلَكَ بِالشَّامِ حَصَنًا وَاحِدًا مَلَكَ بِلَادَكُمْ جَمِيعًا » ؛ فاستشعر كلٌّ من صاحبه ،  
فرحل ملك الروم (١) من شيزر في هذه السنة ، وترك المجانيق وآلات الحصار بمجالها ،  
فاتبع عماد الدين ساقاة العسكر ، فظفر بجماعة منهم ، وأخذ جميع ما تركوه ، ورجع ملك  
الروم خائبًا إلى بلاده .

وفي خروج ملك الروم إلى الشام وحلب وعوده عنها خائبًا يقول المسلم (٢)  
ابن خضربن قسيم الحموي قصيدة يمدح بها الأمير عماد الدين زنكي — رحمه الله — .

أولها :

بِعَزْمِكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ الرَّحِيمُ      تُدَلُّ لَكَ الصَّعَابُ وَتَسْتَقِيمُ

[ ومنها يقول (٣) ] :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ كَلْبَ الرُّومِ لَمَّا      تَبَيَّنَ أَنَّكَ الْمَلِكُ الرَّحِيمُ  
فَجَاءَ يُطَبِّقُ الْفَلَوَاتِ جَيْشًا (٤)      كَانَ الْجَحْفَلَ اللَّيْلُ الْبَهِيمُ  
وَقَدْ نَزَلَ الزَّمَانُ عَلَى رِضَاهُ      وَكَانَ (٥) نَخْطِبُهُ الْخَطْبُ الْعَظِيمُ  
فَحِينَ رَمَيْتَهُ بِكَ (٦) فِي خَمِيسٍ      تَبَيَّنَ أَنَّ ذَلِكَ لَا يَدُومُ

(١) كان امبراطور الدولة البيزنطية في هذه السنة ( ٥٣٢ = ١١٣٨ ) هو الامبراطور  
يوحنا الثاني كالوجوهانيز Calojohannes [ ١١١٨ — ١٥٤٣ ] ؛ انظر كتاب ( الامبراطورية  
البيزنطية ، تأليف نورمان بينز ، وترجمة الدكتور حسين مؤنس ، والأستاذ محمود يوسف زايد ،  
ص ٤٠١ ) .

(٢) لم أعثر على ترجمة مفصلة لهذا الشاعر ، وإنما ذكر ( الصابوني ، تاريخ حماة ، ص ١٠٠ )  
أنه كان من الشعراء المجيدين ، وأنه توفي سنة ٥٣٤ ، ثم استشهد بهذه الآيات المذكورة هنا .

(٣) ما بين الحاصرتين عن : س ( ص ١٦ ) ، ( ابن الأثير ، ج ١١ ، ص ٢٣ ) .  
(٤) كذا في الأصل ، وهي في : س ( ص ١٦ ) : « حيناً » ، وفي ( ابن الأثير ) :  
« خيلاً » .

(٥) كذا في الأصل وفي س ، وهي في ( ابن الأثير ) : « ودان » .

(٦) كذا في الأصل وفي ابن الأثير ، وهي في س : « لك » .

وَأَبْصَرَ فِي الْمَفَاضَةِ مِنْكَ لَيْثًا (١) فَأُخْرِقَ لَا يَسِيرُ وَلَا يَقِيمُ  
كَأَنَّكَ فِي الْمَجَاجِ شِهَابٌ نُورٌ تَوَقَّدَ وَهُوَ شَيْطَانٌ رَجِيمٌ  
أَرَادَ بَقَاءَ مُهْجَتِهِ قَوْلِي وَلَيْسَ سِوَى الْجَمَامِ لَهُ حَمِيمٌ

ولما رجع ملك الروم وصل إلى عماد الدين زنكي رسول الخليفة الإمام المقتفي  
لأمر الله أمير المؤمنين ، وهو مؤيد الدين سديد الدولة بن الأنباري — كاتب الإنشاء  
ورسول السلطان مسعود — بالخلع ، فلبس خلعة الخليفة والسلطان وركب بهما ،  
وذلك بظاهر مدينة حمص يوم عرفة [ ٤٩ ] من هذه السنة — أعني سنة اثنين  
وثلاثين وخمسمائة — ودخل بزمرد خاتون أم الأمير شهاب الدين محمود ، صاحب  
دمشق — كما تقدم — .

وفي المحرم سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة وصل الأمير عماد الدين — رحمه الله —  
إلى حلب ، واستقر أهلها وأهل حماة وأهل منبج على حصن بزاعة حتى فتحه بالسيف  
[ وقتل كل من فيه من الروم والفرنج (٢) ] وجمعت رؤوس القتلى وبنيت منها منارة  
أُذِّنَ عليها ؛ ثم تحول بالعسكر إلى حصار قلعة الأنارب ففتحها في صفر ، ثم توجه  
إلى البلاد الشرقية .

وفي هذه السنة نازل عماد الدين قلعة دارا ، وهي للأمير حسام الدين تيمرتاش  
[ ابن ] ايلغازي بن أرتق (٣) [ فلم ينل منها طائلا ، وخاف على المسلمين ، ثم رحل منها  
إلى حران (٢) ] .

(١) في س : « لبت » ومعظم الكلمات الأخرى غير منقوطة ، أما في ( ابن الأثير )  
فالنس يختلف ، وهو :

وَأَبْصَرَ فِي الْمَفَاضَةِ مِنْكَ جَيْشًا فَاحْرَبَ لَا يَسِيرُ وَلَا يَقِيمُ

(٢) ما بين الحاصرين زيادات عن س ( ص ٦ ب ) .

(٣) في الأصل : « يرتق » والتصحيح عن س ، وحسام الدين ثاني أمير من فرع الأراقة  
الذين حكموا ماردين ، وإيها من سنة ٥١٦ إلى سنة ٥٤٧ . أنظر : ( Zambaur. Manuel de  
Genealogie et de Chronologie pour l'Histoire de l'Islam. P. 228 ).

## ذكر استيلاء عماد الدين زنكي على حرّان ثانيا

كنا قد ذكرنا أن عماد الدين ملك حرّان سنة اثنتين وعشرين وخمسة ، ولما ملكها أقطعها سودكين الكرجي ، فعصى عليه وانضاف إلى عسكر الخليفة المسترشد بالله لما نازل الموصل ، وسار معه حين رحل عن الموصل ، وترك فيها والياً من قبله ، ثم مات [ بعد ذلك ] (١) سودكين فنازلها في هذه السنة عسكر عماد الدين ، فسلم المدينة ، وبقيت القلعة وفيها الوالي ، ثم تسلم عماد الدين القلعة في منتصف ذي القعدة من هذه السنة — أعني سنة ثلاث وثلاثين وخمسة — .

## ذكر استيلاء عماد الدين زنكي

### على شهرزور وأعمالها

كانت شهرزور (٢) وما يضاف إليها من الأعمال في يد قفجاق بن أرسلان باش التركاني ، وكان نافذ الحكم على قاصي التركان ودانيم ، وكان الملوك يتحامون قصد ولايته لخصانتها ، فعظم شأنه وازداد جمعه ، فقصد عماد الدين ، وهزم عسكره ، وملك بلاد شهرزور وغيرها ، وأضافها إلى ولايته ، وأصلح أحوالها ، وخفف عنهم ما كانوا يلقونه من التركان .

وفي ذي الحجة من هذه السنة رجع عماد الدين إلى الشام ، ونزل بظاهر حلب على قويق ، ثم رحل إلى أرض حماة ، واستصحب من أهل حماة تسعة آلاف راجل يخدمون الركاب .

(١) ما بين الحاصرتين زيادات عن س ( ص ٦ ب ) .

(٢) هكذا ضبطها ياقوت في معجم البلدان ، وقال إنها كورة واسعة في الجبال بين أربيل وهمدان ، أحدثها زور بن الضجك ، ومعنى شهر بالفارسية الدنية .

وفي هذه السنة قُتل الأمير شهاب الدين محمود<sup>(١)</sup> بن بوري بن طفتكين صاحب دمشق ، وذلك في ليلة الجمعة [ ٥٠ ] لثلاث بقين من شوال ، قتله [ ثلاثة من غلمانه ]<sup>(٢)</sup> : البقس ، ويوسف الخادم ، والفراس الخركاوي<sup>(٣)</sup> ، وصبيحة قتله وصل أخوه الأمير جمال الدين محمد بن بوري ، وملك دمشق ، وقام بتدبير دولته الأمير معين الدين أنز<sup>(٤)</sup> ، مملوك جده طفتكين .

### ذكر استيلاء عماد الدين زنكي على بعلبك

كان السبب في ذلك أن شهاب الدين محموداً<sup>(٥)</sup> لما قُتل بدمشق حزنت عليه أمه زمرد خاتون حزناً شديداً ، فحملت عماد الدين على قصد دمشق والطلب بئار<sup>(٦)</sup> ولدها شهاب الدين ، فتحرك لقصد دمشق ، فاستمد معين الدين بدمشق ، واستكثر

(١) حكم دمشق من سنة ٥٢٩ إلى سنة ٥٣٣ : أنظر : (Zambaur, Op. Cit. P. 30)

(٢) في الأصل وفي س : « غلامه » وما هنا عن : ( ابن الأثير ، ج ١١ ، ص ٢٦ )

قال النص بما يلي يقتضيه .

(٣) فصل ( ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢٦٨ — ٢٦٩ ) الحديث عن قتل شهاب الدين محمود بن بوري وعن قتله ، وقد آثرنا نقل حديثه هنا للايضاح ، قال : « وفي يوم الجمعة الثالث والعشرين من شوال من السنة في غدائه ظهرت الحادثة المدبرة على الأمير شهاب الدين محمود بن تاج الملوك بن ظهير الدين أتابك ، وقتله في فراشه وهو في نومه في ليلة الجمعة المذكورة ، بيد غلمانه الملاحين . البقس الأرميني الذي اصطنعه وقربه إليه واعتمد في أشغاله عليه ، ويوسف الخادم الذي وثق به في نومه لديه ، والخركاوي الفراش الراقد حواله . . . وكان هؤلاء الثلاثة نفر الجناة الملاحين يبيتون حول سريره ، وتحققوا نومه ووثبوا عليه فقتلوه في فراشه على سريره ، وصاح فراش آخر كان معهم فقتلوه أيضا ، ودبروا أسرم بينهم وأخفوا سرهم بحيث خرجوا من القلعة ، وظهر الأمر ، وطلب البقس لعنه الله فهرب ونهب بيته ، ومسك الآخرا فصولا على سور باب الجابية . . . إلخ » .

(٤) في الأصل ، وفي س ، وفي ابن الأثير : « أنز » والصحيح ما أثبتناه هنا ، وهكذا ضبطه الذهبي . انظر : ( النعماني ، المدارس في تاريخ المدارس ، ذكر جعفر الحسني ، ج ١٦ ، ص ٥٨٨ ) .

(٥) في الأصل « محمود » .

(٦) أنظر تفصيل ذلك في ( ابن القلانسي ، ص ٢٦٩ ) .

من الذخائر والعدد والرجال ، ولم يتركوا شيئاً يحتاجون إليه إلا وبذلوا الجهد في تحصيله ، وأقاموا ينتظرونه ، ووصل عماد الدين إلى بحيرة قدس ، ثم سار منها إلى بعلبك فنازلها .

وكان الأمير جمال الدين محمد بن بوري لما ملك دمشق بعد أخيه شهاب الدين قد أقطع بعلبك لمعين الدين ، فاستناب فيها معين الدين [ من يثق إليه ] (١) ، فجدّ عماد الدين في محاصرتها ، ونصب عليها أربعة عشر منجنيقاً ترمى ليلاً ونهاراً ، فأشرف من بها على الهلاك ، فطلبوا الأمان وسلموا إليه المدينة ، وبقيت القلعة وفيها جماعة من الشجعان ، فقاتلهم فلما يئسوا من النصر طلبوا الأمان ، فأمنهم ، فسلموا إليه القلعة ، فلما سلموها إليه عندهم ، وأمر بصلبهم فصلبوا ، ولم ينج منهم إلا القليل ، فاستقبح الناس منه ذلك ، واستعظموه وخافوه وحذروه ، ولا سيما أهل دمشق ، فإنهم قالوا : « لو ملكنا لفعل بنا كذلك » ، فجدّوا في محاربتة .

وكان لمعين الدين جارية يهواها ، فلما تزوج أم جمال الدين محمد بن بوري صاحب دمشق سبّرها (٢) . إلى بعلبك ، فلما ملك عماد الدين بعلبك أخذ الجارية [ فزوجها ] (٣) بحلب ، فلم تزل بها إلى أن قُتل [ عماد الدين ] (٤) فسيّرها ابنه نور الدين محمود — رحمهم الله تعالى — إلى معين الدين ، وهي كانت سبب الود بينهما ؛ وكان فتح بعلبك رابع صفر (٥) سنة أربع وثلاثين وخمسمائة .

(١) ما بين الحاصرتين عن س (س ١٧) .

(٢) الضمير هنا عائدة على الجارية .

(٣) في الأصل ، وفي س : « وتركها » ، والصحيح وما يستقيم به المعنى ما ذكرناه هنا .

نقلا عن ( ابن الأثير ، ج ١١ ، ص ٢٧ ) .

(٤) ما بين الحاصرتين عن س (س ٧ ب) .

(٥) لم يذكر اليوم والشهر في س .

## ذكر منازلة عماد الدين زنكي دمشق<sup>(١)</sup>

ولما فرغ عماد الدين من بعلبك سار إلى دمشق ، وذلك في ربيع الأول<sup>(٢)</sup> من هذه [ ٥١ ] السنة — أعنى سنة أربع وثلاثين وخمسمائة<sup>(٣)</sup> — فنزل بالبقاع وسبّر إلى جمال الدين محمد ببذل له بلداً يقترحه ليسلم إليه دمشق ، فلم يجبه إلى ذلك ، فرحل [ عماد الدين ] إلى دمشق ، ونزل داريا ثالث عشر ربيع الأول<sup>(٤)</sup> ، والتقت الطلائع واقتتلوا ، فكان الظفر لعماد الدين ، فانهزم الدمشقيون وأخذهم السيف ، وقتل جمع كثير ، ثم تقدم عماد الدين زنكي إلى المصلى ، فنزل هناك ، ولقيه جند دمشق وأحداثها ورجاله الغوطة ، فقاتلوه ، فانهزموا ، وقتل منهم وأسر وجرح جماعة ، وأشرف البلد ذلك اليوم على التسليم ، فأمسك عماد الدين عن القتال عدة<sup>(٥)</sup> أيام وراسل جمال الدين صاحب دمشق ، وبذل له بعلبك وحمص وغيرها مما يختار من البلاد ، فامتنع أصحابه من ذلك ، وخوفوه عاقبة غدره كما فعل بأهل بعلبك ؛ ثم عاود [ عماد الدين ] الزحف ، واستمر القتال والحصار إلى شعبان من هذه السنة .

ولما كانت ليلة الجمعة ثامن شعبان توفي جمال الدين محمد بن بوري صاحب دمشق — وعماد الدين محاصر البلد — فأجلس في الملك بعده ولده الأمير مجير الدين آبق<sup>(٦)</sup> بن محمد — وهو آخر ملوك دمشق من بيت طفتكين — ، وقام بتدبير

(١) هذا العنوان غير موجود في س ، وإنما مكانه هناك هذان اللفظان : ( قال الراوى ) .  
(٢) في س : « ربيع الآخر » ، أما ابن الأثير فاتفق مع المتن هنا .  
(٣) لم ينص على السنة في س .  
(٤) كذا في الأصل وفي ابن الأثير ، وفي ابن القلانسي : « ربيع الآخر » .  
(٥) في س « مدة » ، وفي ( ابن الأثير ، ج ١١ ، ص ٢٨ ) : « عشرة » .  
(٦) في الأصل : « اتق » ، وقد صحح الاسم بعد مراجعة : ( ابن القلانسي ، ص ٢٧١ )  
و ( ابن الأثير ج ١١ ، ص ٢٨ ) و ( Zambaur, Op. Cit. P. 30 ) .

دولته معين الدين أنر ، فطمع عماد الدين في البلد وزحف إليه زحفاً شديداً ظناً منه أنه ربما يقع بين المتقدمين والأمراء اختلاف ، فيملك البلد ، فخاب أمه ، وراسل (١) معين الدين الفرنج ، واستدعاهم إلى نصرته ، وبذل لهم بذولاً ، ومن جعلها أنه يحصر بانياس ويأخذها ويسلمها إليهم ، وخوفهم من عماد الدين أنه إن ملك دمشق يملك البيت المقدس ، ولا يترك لهم بلداً بالساحل ؛ فأجمع (٢) الفرنج وعزموا على المسير إلى دمشق ليجتمعوا مع صاحبها على قتال عماد الدين زنكي ، وعلم عماد الدين ذلك ، فسار عماد الدين إلى حوران — خامس رمضان — عازماً على لقاء الفرنج قبل أن يجمعوا مع الدمشقيين على قتاله ، فلما سمع (٢) الفرنج خبره لم يفارقوا بلادهم ، فعاد عماد الدين إلى حصر دمشق ، فقتل بعذرا (٣) ، وذلك سادس (٤) شوال من هذه السنة ، وأحرق عدة قرى من المرج [ ٥٢ ] والغوطة ، ورحل عائداً إلى بلاده ، ووصل الفرنج إلى دمشق ، واجتمعوا بصاحبها .

وسار معين الدين بعسكر دمشق إلى بانياس — وهي في طاعة عماد الدين — ليحصرها ويسلمها إلى الفرنج ، وكان صاحبها قد جمع جمعاً ، وسار إلى صور للغارة على بلده (٥) ، فصادفه صاحب أنطاكية وهو قاصد إلى دمشق نجدة لصاحبها

(١) كان رسول معين الدين إلى الفرنج هو أسامة بن منقذ الشاعر المعروف ، أرسله إلى فواك الخامس ملك بيت المقدس ( ١١٣١ — ١١٤٢ ) ، وقد تقدم هذا الملك وحده أول الأمر لمساعدة معين الدين والدماشقة ، فلما هزموا انضم إليهم ريمون صاحب أنطاكية وجوسلين الثاني صاحب الرها . أنظر : ( حسن حبشي : نور الدين والصليبيون ، ص ٢٩ — ٣٢ ، وما به من مراجع ) .

(٢) في س ( ١٨ ) : « فاجتمعوا » و « سموا » .  
(٣) ذكر ( ابن الأثير ، ج ١١ ، ص ٢٨ ) أنها شمال دمشق .  
(٤) كذا في الأصل وفي ابن الأثير ، وفي ( ابن القلانسي ، ص ٢٧٢ ) : « يوم الأربعاء » .  
لمت بقين من شواك «  
(٥) في الأصل ، وفي س : « بلدها » ، وهذا خطأ يعكس المعنى ، وقد صحح بعد مراجعة ( ابن الأثير ، ج ١١ ، ص ٢٨ ) ونصه هناك واضح مفهوم وهو : ( وكان واليها — أي والي بانياس — قد سار قبل ذلك منها بجمعة إلى مدينة صور للاطارة على بلاده ) .



على عماد الدين ، فافتتلا ، فانهزم المسلمون ، وأخذ صاحب (١) بانياس ، فقتل من قتل ،  
ونجا من نجا إلى بانياس (٢) ؛ وجمعوا جمعاً كثيراً من أهل البقاع ، وحفظوا القلعة ،  
فثار لها (٣) معين الدين — ومعه الفرنج — فتسلمها وسلمها للفرنج ، ولما سمع عماد الدين  
حصر بانياس عاد إلى بعلبك ليدفع عن بانياس من يحصرها ، فأقام فيها .

فلما عاد عسكر دمشق — بعد ملك بانياس وتسليمها للفرنج — فرّق عماد الدين  
عسكره في الإغارة على حوران وأعمال دمشق ، ومارجريدة ، فنزل على دمشق  
سجراً (٤) ، ولم يعلم به أحد ، فلما أصبح الناس ورأوا عسكره ، خافوا وارتج البلد ،  
واجتمع العسكر والعامّة على السور ، وفتحت الأبواب ، وخرج أهل البلد إليه ،  
وقاتلوه ، فلم يمكن الأمير عماد الدين عسكره من الإقدام عليهم ، لغيبة أكثر عسكره  
في الإغارة وتفرقهم .

ثم توجه عماد الدين إلى مرج راهط ، وقد أقام ينتظر عود عسكره ، فعادوا إليه  
وقد ملؤوا أيديهم من الغنائم ، فلما اجتمعوا عنده رحل عائداً إلى بلاده (٥) .

وفي سنة خمس (٦) وثلاثين وخمسة جرت وقعة بين عماد الدين والأمير  
ركن الدين داوود بن سقمان بن أرتق — صاحب حصن كيفا — فانهزم ركن الدين ،  
وملك عماد الدين بهمد (٧) ، وأدركه الشتاء فعاد إلى الموصل .

(١) كان صاحب بانياس هو ( إبراهيم بن طرقت ) ، انظر : ( ابن الفلاني ، ص ٢٧٢ ) .

(٢) في س ( ١٨ ) : « فقتل جميع من نجا إلى بانياس » .

(٣) في س ( ١٨ ) : « فنادى معين الدين » .

(٤) في الأصل : « سجر » ، وفي س ( ١٨ ) : « سحر » ، والتصحيح عن : ( ابن الأثير

ج ١١ ، ص ٢٩ ) .

(٥) المعنى متفق في الفصول السابقة بين النص هنا وبين الأثير ، واسكن المؤرخين — كما سبق

أن ذكرنا — مختلفان إيجازاً وإطناباً ، تقديماً للحوادث وتأخيراً لها .

(٦) في الأصل ، وفي س ( ٨ ب ) : « خمسة » والتصحيح ما أثبتناه .

(٧) كذا في الأصل ، وفي س ( ٨ ب ) : « بهرد » وفي ( ابن الأثير ، ج ١١ ،

ص ٣٠ ) : « بهمود » .

وفي سنة ست وثلاثين وخمسمائة ملك عماد الدين الحديثه ، ونقل من كان بها  
[ من آل مهران ] (١) إلى الموصل ، ورتب أصحابه بها .

وفي هذه السنة خطب لعماد الدين بآمد ، وصار صاحبها في طاعته ، وكان قبل  
ذلك موافقا لركن الدين داوود — صاحب الحصن — على عماد الدين ، فلما رأى  
قوة عماد الدين صار معه .

وفيها أغار عسكر عماد الدين — المقيمون بحلب — على بلد الفرنج [ ٥٣ ] فنهبوا  
وظفروا بسرية للفرنج ، فقتلوا منهم نحو سبعمائة رجل (٢) .

وفي سنة سبع وثلاثين وخمسمائة ملك عماد الدين قلاع الهكارية ، وقد ذكرناه  
لتعلقه بما كان قبله .

## ذكر الاتفاق بين السلطان مسعود بن محمد

### وبين عماد الدين زنكي

كان السلطان مسعود قد حقد على عماد الدين حقداً شديداً ، وكان (٤) ينسب  
خروج أصحاب الأطراف عليه إلى ذلك بمواطاة من عماد الدين ، وأنهم إنما يصدرون  
عن رأيه ، وكان عماد الدين يفعل ذلك لئلا يخلو السلطان مسعود فيمتزغ لقصده (٥) .

(١) ما بين الحاصرتين عن ( ابن الأثير ، ج ١١ ، ص ٢٤ ) .

(٢) في س : « فارس » .

(٣) في الأصل : « مسعود وبين محمد » .

(٤) كذا في الأصل . وفي س ( ٨ ب ) : « لأنه كان ينسب خروج أصحاب الأطراف عليه  
بموطاة من عماد الدين ، بينهم إنما يريدون عن رأيه » .

(٥) في الأصل ، وفي س ( ٨ ب ) : « لئلا يزك السلطان مسعود مشغولاً عنه فلا يمتزغ

لقصده » وهو نص مضطرب المعنى ، وقد صحح بعد مراجعة : ( ابن الأثير ، ج ١١

ص ٣١ ) .

ففي سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة رحل السلطان إلى بغداد ، وجمع العساكر ،  
ونجهز لقصد عماد الدين زنكي ، فأرسل إليه عماد الدين يستعطفه ويستميله ، فأرسل<sup>١٢٦</sup>  
إليه السلطان أبا عبد الله بن الأنباري في تقرير القواعد ، فاستقرت القاعدة على  
مائة ألف دينار يحملها عماد الدين ، فحمل إليه عشرين ألف دينار ، أكثرها  
عروض ، وتنقلت الأحوال بالسلطان إلى أن احتاج إلى مداراة عماد الدين ،  
فأطلق له الباقي مداراة واستمالة له ، وحفظا لقلبه .

وكان عماد الدين عنده من الدهاء والمكر شيء كثير ، فمن جملة ما فعله :  
أنه كان ولده الأكبر سيف الدين غازي لا يزال في خدمة السلطان مسعود — سفيراً  
وحضراً — نائباً عن أبيه في الخدمة ، فأرسل إليه يأمره بالهرب<sup>(١)</sup> من السلطان  
[ مسعود ] إلى الموصل ، وأرسل إلى نائبه نصير الدين جقر بالموصل يأمره بمنع  
سيف الدين من الدخول إلى الموصل والوصول إليه ، فهرب سيف الدين غازي  
ووصل إلى الموصل ، فتمعه نصير الدين من الدخول إلى الموصل<sup>(٢)</sup> ، ولما بلغ الخبر  
إلى والده أرسل إليه يأمره بالعود إلى السلطان ، ولم يجتمع به ، وأرسل معه رسولا  
إلى السلطان يقول له : « إن ولدي هرب [ خوفاً ]<sup>(٣)</sup> لما رأى تغير السلطان عليّ ،  
وقد أعدته إلى الخدمة ، ولم أجمع به ، فإنه مملوكك ، والبلاد لك » . فخل هذا  
عند السلطان محلا عظيما .

(١) في س ( ١٩ ) : « بالقرب » ، وما هنا هو الصحيح .  
(٢) في الأصل بعد لفظ « الموصل » : « إلى والده » ، وهما لفظان زائدان لا يستقيم بهما  
المدنى ، فحذفتهما ، ولا وجود لهما في س ؛ وفي ( ابن الأثير ، ج ١١ ، ص ٣٦ ) : « الدخول  
إلى الموصل الوصول إليه » .  
(٣) ما بين الحاصرتين زيادة عن : س ( ص ١٩ ) ، وابن الأثير .

وفي هذه السنة سار عماد الدين إلى ديار بكر ، ففتح طَنْزَةَ (١) ، وأَسِيرِد (٢) ،  
والمعدن (٣) ، وحيزان (٤) ، وحصن [ ٥٤ ] الروق (٥) ، وفضليس (٦) ، وباناسا (٧)  
وحصن ذى القرنين (٨) ، وغير ذلك ؛ وملك من [ بلد ماردين مما هو بيد ] (٩) الفرنج  
يومئذ جلين ، والمؤوز (١٠) ، وتل موزن ، وغيرها من حصون شبختان (١١) ،  
وقصد مدينة آمد ، وحافى (١٢) ، وحصرها ، فلم ينل غرضا فرحل عنها .  
وفيها سير عماد الدين عسكرياً إلى عانة ففتحوها .

- (١) هكذا ضبطها ياقوت ، وقال إنها بلد بجزيرة ابن عمر من ديار بكر ، وهي عند ( الفارقي ، هامش ص ١٣٧ من ابن الفلانى ) : « طنزى » .  
(٢) كذا في الأصل وفي ابن الفلانى وابن الأثير ، وقد رسمها ياقوت : « إسمرت »  
و « سيرت » وقال إنها مدينة بديار بكر قرب أرزن الروم وحيزان .  
(٣) لم يذكرها ياقوت ، وإنما أشار ( الفارقي ، هامش ص ٢٧٤ من ابن الفلانى )  
إلى أنها إحدى مدن ديار بكر .  
(٤) هكذا ضبطها ياقوت ، وقال إنها بلد قرب إسمرت من ديار بكر .  
(٥) كذا في الأصل ، وفي ( ابن الأثير ، ج ١١ ، ص ٣٦ ) : « حصن الدوق » .  
(٦) كذا في الأصل وعند الفارقي ( هامش ص ٢٧٤ من ابن الفلانى ) ، وهي في ( ابن  
الأثير ، ج ١١ ، ص ٣٦ ) : « مطليس » ؛ ولم يستطع الناشر تحقيق اللفظ أو التعريف به .  
(٧) كذا في الأصل ، وفي ( ابن الأثير ) : « حصن بانسية » .  
(٨) في الأصل : « ذى المرقين » ، وقد صححت بعد مراجعة ( ياقوت ) و ( ابن الأثير )  
و ( الفارقي ) ، وقد ذكر ياقوت أنه حصن بقرب آمد .  
(٩) في الأصل : « وملك من بلاد الفرنج » ، وما هنا صيغة ابن الأثير وهي أوضح .  
(١٠) هكذا ضبطها ياقوت وقال إنها كورة بالجزيرة منها نصيبين الروم .  
(١١) ضبطت بعد مراجعة ياقوت ، فقد قال عند تعريف « تل بسمة » إنه بلد له ذكر  
من نواحي ديار ريعة ثم ناحية شبختان .  
(١٢) ذكر ياقوت أنها مدينة معروفة بديار بكر فيها معدن الحديد .

## ذكر فتح الرها

كان الفرنج - لعنهم الله - قد عظم (١) شرمه بالبلاد الجزرية ، وامتدت غاراتهم إلى أقاصيها وأدانيتها ، وبلغت إلى آمد ورأس عين ونصيبين والرقبة ، وكانت لهم الرها وسروج والبيرة وغير ذلك ، وكانت جميع هذه الأعمال لجوسلين ، وكان صاحب رأى الفرنج والمقدم على عساكرهم ؛ وكان عماد الدين يعلم أنه متى قصد حصن الرها اجتمع بها من الفرنج من يمنعها ، فيتعذر فتحها لما هي عليه من الحصانة ، فاشتغل بقصد ديار بكر ليوم الفرنج أنه غير متفرغ لقصدهم ، فاطمأنوا لذلك ، وفارق جوسلين (٢) الرها ، وعبر الفرات إلى بلاده الغربية - وكانت له تل باشرو وغيرها - وجاءت عيون (٣) الأمير عماد الدين إليه بذلك ، فنادى في العسكر بالرحيل وأن لا يتخلف عن الرها أحد من غد يومه ، وجمع الأمراء عنده ، ومدَّ السباط ، وقال : « لا يأكل معي على مائدتي هذه إلا من يطعن معي غدًا باب الرها » ، فلم يتقدم إليه غير أمير واحد وصبي لا يُعرف ، لما يعلمون من إقدامه وشجاعته ، وأن أحداً لا يقدر على مساواته في الحرب . فقال الأمير لذلك الصبي : « ما أنت وهذا المقام ؟ » فقال [عماد الدين] : « دعه ، فإني أرى والله وجهها لا يتخلف عنى (٤) » .

(١) كذا في الأصل ، وفي س (س ١٩) : « عبر » ، وفي ( ابن الأثير ، ج ١١ ، ص ٣٧ ) : « عم » .

(٢) هو جوسلين الثاني صاحب الرها في ذلك الحين ، وكان على جانب كبير من الرعونة منكبا على ملذاته الخاصة ، مما دفعه إلى إظهار الإقامة في تل باشرو وترك الرها في حماية جماعة من الأرمن والسوريين غير القادرين على حمايتها .

(٣) كان على رأس هؤلاء العيون فضل الله بن جعفر نائب عماد الدين على حران ، أنظر ( حبيبي : نور الدين والصليبيون ، ص ٣٥ ) .

(٤) النمس هنا وفيها بلى من حوادث استعادة الرها يتفق مع نص ( ابن الأثير ، ج ١١ ، ص ٣٧ وما بعدها ) اتفاقا يكاد يكون تاما .

٥٧٩ وسار عماد الدين في العساكر — وذلك في جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين وخمسمائة — فكان عماد الدين أول من حمل على الفرنج — ومعه ذلك الصبي — ، وحمل فارس من خيالة الفرنج على عماد الدين عرضاً ، فاعترضه ذلك الأمير فظمنه فقتله ، وسلم عماد الدين ، وتازل البلد محاصراً له ثمانية وعشرين يوماً ، وزحف إليه عدة دفعات ، ونقب النقبابون سور البلد فسقطت البدنة ، وملك البلد عنوة وقهراً ، وحصر القلعة فللكها وذلك لأربع عشرة بقية (١) من جمادى الآخرة من هذه [ ٥٥ ] السنة ، ونهب الناس الأموال ، وسبوا الذرية ، وقتلوا الرجال .  
ورأى الأمير عماد الدين البلد فأعجبه ، ورأى أنه لا يجوز في السياسة (٢) تخريب مثله ، فنودي في العسكر برد ما أخذ من الرجال والنساء والأطفال إلى بيوتهم وإعادة ما اغتتموا من أمانتهم وأمتعتهم ، فردوا الجميع عن آخره ، ولم يفقد إلا الفادر ، وعاد البلد إلى حاله ، ثم تسلم سروج (٣) وسائر الأماكن التي كانت بيد الفرنج شرقي الفرات ما عدا البيرة ، ثم سار إلى البيرة (٤) فحصرها ، وكان الفرنج قد أكثروا ميرتها ورجالها .

(١) في س (١٩) : « خلت » ، وعن تحقيق التاريخ انظر : ( ابن الفلاني : القليل ، ص ٢٧٩ ) حيث يذكر أن المدينة سقطت في السادس والعشرين من جمادى الآخرة .  
(٢) في س (١٩) : « ورأى الناس يدرو في السياسة . . إلخ » .  
(٢) هكذا ضبطها ( ياقوت : معجم البلدان ) وقال إنها بلدة قريبة من حران من ديار مصر .  
انظر أيضاً : ( R. Dussaud, Topographie Historique de la Syrie Antique et Médiévale. Paris, 1927. P.P. 241, 480, 519, 522 ).  
(٤) إل هنا تنتهي ص ٩ ب من نسخة س وبنهايتها ينتهي الاتفاق بين النسختين ، وبين ص ٩ ب و ص ١٠ سقط يتضمن الحوادث التالية . والبيرة المشار إليها هنا بلد قرب ميساط بين حلب والنفور الرومية وهي قلعة حصينة . انظر : ( ياقوت : معجم البلدان ) و ( ابن الشحنة : الدرر المنتخب ، ص ١٥٧ ، ٢١٧ ) .

## (١) ذكر مقتل نصير الدين جقر النائب بالموصل

كان الملك ألب أرسلان بن السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه عند عماد الدين بالموصل وهو (٢) أتايك ، وقد تقدم ذكر ذلك ، وكان عماد الدين يظهر للخلفاء والسلاطين وأصحاب الأطراف أن البلاد للملك ألب أرسلان ، وهو نائبه بها ، والخطبة له في جميع بلاده ، وكان ينتظر وفاة الملك مسعود ليخطب له (٣) بالسلطنة ، وبملك بغداد وسائر الممالك باسمه ؛ وكان نصير الدين النائب كل يوم يقصده ليقوم بخدمة إن عرضت له ، فحسن بهض المفسدين للملك ألب أرسلان قتل نصير الدين ، وقال : « إن قتلته ملكت الموصل وغيرها ، ولا يبقى مع أتايك زنكي فارس واحد . » فصنق هذا القول ووقع في نفسه ، وواطأ على ذلك جماعة من الأجناد ، فلما دخل نصير الدين عليه للعادة وثبوا عليه فقتلوه ، وألقوا رأسه إلى أصحابه ، ظناً منهم أن أصحابه إذا رأوا ذلك يتفرقون ، ويخرج الملك ألب أرسلان وبملك البلاد .

فلما رأى أصحاب نصير الدين الرأس قائلوا من بالدار ، واجتمع عليهم خلق كثير من أصحاب عماد الدين وأكابر دولته ، ثم دخل القاضي تاج الدين يحيى ابن الشهرزوري إلى الملك وخدعه ، وقال له : « يامولاتا ، لم تجرد من هذا الكلب ؟ هو وأستاذه مماليكك ، والحمد لله الذي أراحنا منه ومن صاحبه على يدك ، وما الذي يقعدك في هذه الدار ؟ قم لتصعد إلى القاعة وتأخذ الأموال والسلاح ، وبملك البلاد ، وتجمع لك الجند ، وليس دون البلاد بعد الموصل مانع . » فقام معه وركب ، وصعد

(١) ما يقابل هذه الصفحة وما يليها مفقود في س ، ولتصحيح النص سنقارن بينه وبين ماورد في ابن الأثير .

(٢) الضمير هنا يعود على عماد الدين أي أن عماد الدين كان أتايكاً للملك ألب أرسلان ولكن الساطة الحقيقية كلها كانت بيد عماد الدين .

(٣) الضمير هنا يعود على الملك ألب أرسلان .

إلى القلعة ، وتقدم تاج الدين إلى النقيب بها والأجناد أن يفتحوا الباب ويقبلوه ،  
[٥٦] ويعتقلوه ، ففتحوا الباب ، ودخل الملك والقاضي إليهم ، ومعهما من أعان  
على قتل نصير الدين ، فـجُنوا ، واعتقل الملك ألب أرسلان بالقلعة .

## ذكر رحيل عماد الدين عن البيرة

وتملك المسلمين لها

ولما بلغت الأخبار إلى عماد الدين زكي بقتل نائبه نصير الدين وهو يحاصر  
قلعة البيرة وقد أشرف على أخذها ، خاف أن تختلف عليه البلاد الشرقية بعد قتل  
نصير الدين ، فرحل عن البيرة ، وأرسل الأمير زين الدين على كوجك (١) بن  
بكتكين (٢) إلى قلعة الموصل نائباً عنه بها موضع نصير الدين ، وأقام عماد الدين  
ينتظر الخبر ، فخاف من البيرة من الفرنج أن يمود (٣) إليهم ، وكانوا يخافونه خوفاً  
شديداً ، فكاتبوا صاحب ماردين ، وسلموها إليه ، فملكها المسلمون ، ولم يبق شيء  
مما هو شرقي الفرات بيد الفرنج ، ولما تولى زين الدين على كوجك الموصل عدل  
في الناس وأحسن السيرة ، وسلك غير طريقة نصير الدين ، فاطمأن الناس ، وأمنوا ،  
وازدادت البلاد عمارة ، وكانت بيده مدينة إربل ، فلنذكر صبرورتها إليه .

(١) في الأصل هنا وفيما يلي : « على كوجل بن بكتكين » ، وقد صحح الاسم بعد مراجعة  
( ابن القلانسي : التذييل ، ص ٢٨١ ، ٢٨٥ ، ٣٠٧ ، ٣٣٧ ، ٣٥٨ ) و ( أبو شامة : الروشتين ،  
ج ١ ، ص ٤١ ) و ( ابن الأثير : الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٩ ) . وسيدأب الناشر على تصحيح  
الاسم فيما يلي دون الإشارة إلى ذلك . وقد ذكر ( ابن خلصان : الوفيات ، ج ٣ ، ص ٢٧٠ )  
أن زين الدين كان قصيرا ، ولهذا قيل له « كجك » وهو لفظ عجمي معناه بالعربي صغير ،  
أي صغير القدر .

(٢) ضبط هذا اللفظ بعد مراجعة ( ابن خلصان : الوفيات ، طبعة محي الدين عبد الحميد ،  
ج ٣ ، ص ٢٧٧ ) .

(٣) في الأصل : « أن يمودوا إليهم وكانوا يخافون خوفاً شديداً » ولا يستقيم المعنى  
بهذا النص وقد صحح بعد مراجعة ( ابن الأثير ، ج ١١ ، ص ٣٩ ) .



## ذكر استيلاء زين الدين على كوجك على إربل

كانت إربل وأعمالها لأبي الهيجا الكردى الهذباني ولورثته من بعده ،  
ثم تغلبت دولة الأتراك السلجوقية عليها وعلى غيرها من البلاد ، وتقلت إلى أن  
صارت للسلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه ، وهو يومئذ صاحب مراغة ، قبل أن  
تصير السلطنة إليه ، وله فيها نائب من قبله ، فسار إليها الأمير عماد الدين زنكي  
ونازلها في سنة ست وعشرين وخمسة ، وهجم البلد وامتنعت عليه القلعة ، فأقام  
بمحاصرها ، فسار إليه السلطان مسعود من مراغة ، فرحل عنها عماد الدين ونزل الزاب ،  
واندفعت الأتقال إلى الموصل ، وأقام غربي الفرات ، ونوابه يحفظون الخايض ،  
فترددت أرسل بينهم إلى أن استقر أن يسير عماد الدين في خدمة السلطان ليجلسه  
في السلطنة ، ويكلف الإمام المسترشد بالله أن يخاطب له في بغداد ، وفي البلاد ،  
ويسلم إليه إربل ، فلما تقررت القاعدة ، وجرت بينهما الأيمان سلم إليه إربل ،  
فدسماها الأمير عماد الدين ، وسلمها إلى الأمير زين الدين على كوجك ، [٥٧] ثم سار  
عماد الدين إلى بغداد غربي الماء ، وسار السلطان مسعود شرقي الماء ، وتواعدا  
أن يلتقيا ببغداد ، فوصل من بغداد قراجا الساقى وكبس عماد الدين ، فكسر  
السكر وأسر كل من فيه ، ولم ينج سوى عماد الدين ، قطع الشط في زورق وهو  
بمخروج ، ووصل إلى الموصل ، ولم تزل إربل في يد زين الدين على وولده بعده إلى آخر  
أيلم الملك المعظم مظفر الدين كوجكوري (١) بن زين الدين .

(١) ضبط الاسم بعد مراجعة ( ابن خلكان : الوفيات ، ج ٣ ، ص ٢٧٧ ) وهو لفظ  
تركى معناه الذهب الأزرق . انظر ترجمته في نفس المرجع ، وللاستزادة من أخبار الدولة التي  
أنشأها زين الدين على كوجك في إربل وما حولها والتي حكمها أولاده من بعده أنظر : ( دائرة  
المعارف الاسلامية ، مادة « إربل » ) .

## ذكر منازلة عماد الدين قلعة جعبر

قد ذكرنا أن السلطان جلال الدولة ملكشاه لما تسلم حلب عوّض صاحبها عنها — سالم بن مالك بن بدران العقيلي ابن عم شرف الدولة مسلم بن قريش — قلعة جعبر ، وكان قد ملك قلعة جعبر — كما تقدم ذكره — ، فتسلم سالم بن مالك قلعة جعبر ، وبقيت في يده ويد ولده .

فلما كانت سنة إحدى وأربعين وخمسة مائة قصد عماد الدين قلعة جعبر — وصاحبها يومئذ مالك بن سالم بن مالك بن بدر العقيلي — وحاصرها ، وسير جيشا إلى قلعة فنك (١) فحصرها — وصاحبها يومئذ الأمير حسام الدين الكردي البشنوي ، وكانت بيد البشنوية من مدة تزيد على ثلثمائة سنة — وكان قصد عماد الدين بأن لا يترك قلعة في أعماله متوسطة في بلاده إلا ويستولى عليها مبالغة في الحزم والاحتياط ، وطالت مدة حصره لقلعة جعبر ولم يفتسر له فتحها ، فسير إلى صاحبها رسولا الأمير حسان صاحب منبج لمودة كانت بينهما في معنى تسليمها ، وقال : « تضمن له الإقطاع الكبير والمال الجليل الجزيل فإن أجاب إلى التسليم ، وإلا قل له : والله لأقيم عليها إلى أن أملكها عنوة ، ثم لا أبقى عليك ، ومن الذي يمنعك مني » . فصعد حسان إلى القلعة ، وأدى رسالة عماد الدين إليه ، ووعدته التويع عنها وأرغبه ، فامتنع من التسليم ، فقال له حسان إلى قوله : « وهو يقول لك من يمنعك مني ؟ » ، فقال : « يمنعني منه الذي يمنعك من الأمير بك (٢) » . ويشير إلى منازلة بك

(١) هكذا ضبطها باقوت ، وقال إنها قلعة حصينة منبجة للاكراد البشنوية قرب جزيرة ابن عمر بينهما نحو من فرسخين .

(٢) هو نور الدولة بك بن بهرام بن أرني ، وقد ضبط هكذا « Balyg » في : ( Zambaur, p. Cit. Op. 230 ) ، ولكنه عند ( Amedroz ) في ( مقدمة ابن القلانسي ) « Bulak » .

ابن بهرام بن أرئق منبج بعد أن أسر حسان صاحبها ولم يبق إلا أخذها ، فجاء  
سهم غريب<sup>(١)</sup> فوقع في نحر يلك فأهلكه ، وخلص حسان منه ؛ وكانت واقعة  
عماد الدين شبيهة بواقعة يلك [ ٥٨ ] ومن تعالى<sup>(٢)</sup> على الله تعالى أكذبه ، وقد ورد  
حكاية عن الله تعالى : « أنا الله رب مكة لا أئمت لمفتير أمراً » .

فماد حسان إلى عماد الدين وأخبره بامتناعه ، ولم يذكر له حديث بلك .

## ذكر مقتل الشهيد عماد الدين أتاكب زنكي

ابن آق سنقر — رحمه الله —

ولما كانت ليلة الأحد لست مضين من ربيع الآخر من هذه السنة — أعني سنة  
إحدى وأربعين وخمسة — دخل على أتاكب عماد الدين صبي من غلمانة أفرنجي  
— اسمه برتقش<sup>(٣)</sup> — وجماعة من المماليك ، فقتلوه على فراشه ، وهربوا إلى قلعة  
جعبر ، وأخبروا أهلها بقتله ، ففرحوا بذلك ، وصاحوا على شرافات القلعة ، وأخبروا  
بقتله المسكر ، فدخل أصحابه إليه وبه رمق ، فحكى ابن الأثير — رحمه الله<sup>(٤)</sup> —  
عن أبيه ، عن بعض خواص عماد الدين ، قال : « دخلت إليه في الحال وهو حي ،

(١) جاء في القاموس : « أصابه سهم تحرّيب وتحرّيب إذا كان لا يدري من رماه ، وقبل إذا أتاه  
من حيث لا يدري ، وقبل إذا تمعد به غيره فأصابه » .

(٢) في الأصل : « تالي » وما هنا قراءة ترجيحية .

(٣) كذا في الأصل ، وهو في ( ابن القلانسي ، ص ٢٨٤ و ٢٨٨ ) : « يرتقش » ؛  
وفي ( أبو شامة : الروضتين ، ص ٤٦ و ٤٢ ) : « يرتقش » ؛ وأما ابن الأثير وسبط ابن الجوزي  
فلم ينصا على اسمه . أنظر أيضاً : ( حسن حبشي : نور الدين والصلبيين ، ص ٤٠ ) . ويبدو  
أن صاحب جعبر هو الذي حرض على قتله بدليل أن قتله فرّوا إلى قلعة جعبر بعيد قتله مباشرة .  
(٤) لهذا الدعاة أهمية خاصة ، فهو يحدد تاريخ البدء في تأليف هذا الكتاب ويجمعه  
بعد سنة ٦٣٠ هـ وهي السنة التي توفي فيها ابن الأثير المؤرخ .

فحين رآني ظن أنني أريد قتله ، فأشار إليّ بأصبعه السبابة يستعظفني ، فوفقت (١)  
من هيئته ، وقلت يا مولانا : من فعل بك هذا ؟ فلم يقدر على الكلام ، وفاضت  
نفسه لوقته .

قال الأمير مؤيد الرواس بن منقر : « فكأن الشاعر — وهو المتنبي —  
عناه بقوله :

وقد قابل الأقران حتى قَتَلْتَهُ بأضعفِ قِرْنٍ في أذلِّ مكانٍ

ذكر (٢) سيرته وصفته — رحمه الله —

كان حسن الصورة ، أسمى اللون ، حسن العينين ، قد وخطه الشيب ، وكان  
عمره قد زاد على ستين سنة ، وكان صارما حازما شجاعا شهما مقداما ، عظيم الهمة  
أبى النفس ، قد خافه الملوك ، وارتاع لذكوره أصحاب الأَطراف ، وكان الخليفة  
والسلطان يجاورون بلادها بلاده ، وكان يجاوره ابن سبكتكين صاحب خلاط ، وداود  
ابن سبكتكين صاحب حصن كيفا ، وصاحب آمد ، وصاحب ماردين ، والفرنج ، وصاحب  
دمشق ، وقد أحاطت هذه الممالك بمملكته من سائر جهاتها ، ومع هذا مرة يقصد  
هذا ، ومرة يأخذ من هذا ، ومرة يصانع هذا إلى أن ملك من كل من (٣) يليه طرفا ،  
وكان الكل يتقونه ويدارونه ، ويخافون منه ، وكان شديد الهيبة على رعيته  
وعساكره ، عظيم الهيبة في صدورهم حسن السياسة ، لا يقدر القوى على ظلم

(١) نفس ( ابن الأثير : الكامل ، ج ١١ ، ص ٤٢ ) وهو الذي ينقل عنه هنا : « فوفقت »  
وهي أكثر اتساقا مع المعنى .

(٢) هنا يلتقي النص مرة أخرى مع نسخة س ، وإنما في س ( ١١٠٨ ) من تلك النسخة .

(٣) في الأصل : « في كل من يليه » ولا يستقيم بها المعنى ، والتصحيح عن ( ابن الأثير :  
الكامل ، ج ١١ ، ص ٤٢ ) .

الضعيف ، وكانت البلاد [ ٥٩ ] خرابا قبل أن يملكها فسمها المدل (١) ، وعمرت  
لما ملكها ، وقد ذكر أنه كان عنده في مبدأ أمره ظلم ، فسمع ليلة وهو نازل بجحاة  
شخصاً يغنى على شط العاصي :

« اعدلوا ما دام أمركم تافذا في النفع والضرر

واحفظوا أيام دولتكم إنكم منها على خطر »

فبكر وتبدت نيته في الظلم ، وأخذ نفسه من حينئذ بالعدل .

ومما يحكى عنه : أنه دخل مرة الجزيرة في الشتاء ، ومعه أمير من أكبر أمرائه  
يقال له عز الدين الديبسي (٢) ، كان من جملة إقطاعه مدينة دقوقة (٣) ، فنزل  
في دار إنسان يهودى من أهل الجزيرة ، فاستغاث [اليهودى] إلى عماد الدين ،  
وأنهى حاله إليه ، فنظر إلى الديبسي ، فتأخر ودخل البلد وأخرج بركة (٤) وخيامه ،  
قال الحاكى لهذه الحكاية « فلقد رأيت غلماناً ينصبون خيامه في الوحل ، وقد جعلوا  
على الأرض تبناً يقيمهم (٥) الطين ، وخرج قنزها » .

وكان [عماد الدين] ينهى أصحابه عن اقتناء الأملاك ، ويقول : « مهما كانت  
البلاد لنا فأى حاجة لكم إلى الأملاك ؟ فإن الإقطاعات تغنى عنها ، وإن خرجت  
البلاد عن أيدينا فإن الأملاك تذهب منها ، ومتى صارت الأملاك لأصحاب السلطان  
ظلموا الرعية ، وتمتدوا عليهم ، وغصبوهم أملاكهم » .

(١) فى س (س ١٠٨) : « فلما ملكها عمها بالمدل ، وعمرت لما ملكها » .

(٢) فى الأصل : « الديبسي » ، وهى كذلك فى س (١٠٨) وإنما بدون نقط ، وقد  
ضبط الاسم بعد مراجعة مصدر هذه القصة وهو (ابن الأثير ، ج ١١ ، ص ٤٢) .

(٣) هكذا ضبطها ياقوت ، ويقال لها أيضاً « دقوقاه » ، وهى مدينة بين إربل وبنداد .

(٤) البرك المتاع الخاس من ثياب وقماش . انظر : (Dozy : Supp. Dict. Arab)

(٥) فى الأصل : « يقبها » والتصحيح عن ابن الأثير .

وكان شديد العناية بأخبار الأطراف وما يجري لأصحابها حتى في خلواتهم ، وكان له في درّ كاه (١) السلطان من يطالعه ويكتب إليه بكل ما يفعله السلطان في ليله ونهاره من حرب وسلم وهزل وجد ، وكان يفرم على ذلك الأموال الجميلة ، وكان يصل (٢) إليه كل يوم من عيونه عدة قاصدين ، وكان مع اشتغاله بالأمور الكبار من أمور الدولة لا يهمل الاطلاع على الصغير ، وكان يقول : « إذا لم يُعرف الصغير لم يُنع صار كبيراً » ، وكان لا يمكن رسول ملك يعبر في بلاده بغير إذنه ، وإذا استأذنه رسول في العبور في بلاده أذن له ، وأرسل إليه من يسبّره ، ولا يتركه يجتمع بأحد [ ٦٠ ] من الرعية ولا غيرهم : فكان الرسول يدخل بلاد ويخرج منها ولا يعلم من أحوالها شيئاً البتة .

وكان يتعهد أصحابه ويمتحنهم ، فسلم يوماً خُشْكُنَانِيكَه (٣) إلى طشت دار (٤) له ، وقال : « إحتفظ هذه » . فبقى نحو سنة لا تفارقه الخُشْكُنَانِيكَه خوفاً أن يطالبها منه ، فلما كان بعد ذلك ، قال له : « أين الخُشْكُنَانِيكَه ؟ » فأخرجها من منديل وقدمها

(١) درّ كاه - والجمع دركاوت - من أصل فارسي « درّ كاه » وقد عرفها (Dozy : Supp. Diet. Arab) بأنها : الساحة أمام قصر السلطان أو الدهليز أو الرواق أو المدخل (Cour devant un palais, vestibule, portique, porte, etc).  
(٢) في س ( ١٠٨ ب ) : « وكان ينهى إليه » .

(٣) خُشْكُنَانِيكَه أو خُشْكُنَانِيكَه من أصل فارسي ، نوع من الأطعمة عرفه (Dozy : Supp. Diet. Arab) بأنه نوع من الفطير المصنوع من الزبد والسكر والجوز أو الفستق ، ويكون على هيئة الهلال . أنظر أيضاً : ( الجواليقي : المغرب ، ص ١٣٤ ) و ( الجاحظ : البغلاء ، طبعة الدكتور طه الحاجري ، ص ١١٠ و ٣٣٣ ) .

(٤) الطشت لفظ عامي ، وصوابه الطشت ، وهو معرب عن اللفظ الفارسي « تشت » والطشت دار أحد الغلمان الشرفين على الطشت خاناء ، وهي كما عرف ( القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١ ، ص ١٠ - ١١ ) « بيت الطشت ، سميت بذلك لأن فيها يكون الطشت الذي تنسل فيه الأيدي ، والطشت الذي ينسل فيه القماش السلطاني . . وفيه ما يلبسه السلطان من الكوته والأقبية وسائر الثياب ، والسيف والخف والرموزة . . الخ » أنظر أيضاً : ( نفس المرجع ، ج ٥ ، ص ٤٦٩ ) و ( محيط المحيط ) .

بين يديه ؛ فاستحسن ذلك منه ، وقال : « مثلك ينبغي أن يكون مستحفظاً بحصن » ،  
وأمر له بدزدارية قلعة كَوَاشِي (١) ، فبقي فيها إلى أن قتل عماد الدين .  
وكان لا يَمَكِّن أحداً (٢) من خدمه من مفارقة بلاده ويقول : « إن البلاد كِبِستان  
عليه سياج ، فمن هو خارج السياج يهاب الدخول ، فإذا خرج منها من يدل  
على عورتها ويُطعم العدو فيها زالت الهيبة ، وتطَرَّقَت (٣) انحصوم إليها » .  
ومن جميل سيرته أنه أسكن الأمير بهاء الدين ياروق التركماني وأصحابه (٤)  
بولاية حلب ، وأمرهم بجهاد الفرنج ، وملَّكهم ما استنفذوه من البلاد التي للفرنج ،  
فكانوا يراوون الفرنج القتال ويفادونهم ، وسَدُّوا ذلك الثغر (٥) ، ولم يزالوا على ذلك  
إلى سنة ست مائة .

وكانت تضرب بشجاعته الأمثال ، ومما يحكى عنه : أنه حضر مع الأمير مودود  
صاحب الموصل — قبل أن يملك — حصار طبرية وهي للفرنج ، ووصلت طعنته  
إلى باب البلد وأثرت فيه ؛ وحمل أيضاً على قلعة عقر الحميدية (٦) ،  
وهي على جبل عالٍ ، فوصلت طعنته إلى سورها .

(١) هكذا ضبطها ياقوت ، وقال إنها قلعة حصينة في الجبال التي في شرق الموصل ليس إليها  
طريق إلا لرجال واحد ، وكانت قديماً تسمى « أردمشت » وكَوَاشِي اسم لها محدث .  
(٢) في الأصل ، وفي س ( ١٠٨ ب ) : « أحد » ، والنصح صحيح عن : ( الروضتين ،  
ج ١ ، ص ٤٣ ) .

(٣) في س : « تفرقت » ، وما هنا أصح ، وهو متفق مع ما في الروضتين .  
(٤) كذا في الأصل ، وفي س ، وفي ( الروضتين ، ج ١ ، ص ٤٣ ) جملة توضح من هم هؤلاء  
الأصحاب وهي : « ومن صائب رأيه وجيده أن سير طائفة من التركمان الإيوانية مع الأمير  
البارق (٩) إلى الشام ، وأسكنهم بولاية حلب . . . إلخ » .  
(٥) في الأصل : « وشدوا ذلك » وقد صحح بعد مراجعة س ( ١٠٩ ) و ( الروضتين ،  
ج ١ ، ص ٤٤ ) .

(٦) ذكر ياقوت أنها قلعة حصينة في جبال الموصل أهلها أكراد وهي شرق الموصل .

وكان شديد الغيرة، لا سيما على نساء الأجناد، وكان التعرض إليهن من الذنوب التي لا تُغتفر، وكان يقول: « إن جندي لا يفارقوني في أسفاري، وقل ما يقيمون عند أهلهم، فإن نحن لم نمنع من التعرض إلى حرمهم هلكن وفسدن »؛ وكان قد ولى قلعة الجزيرة دزداراً يقال له نور الدين حسن البربطي<sup>(١)</sup>، وكان من خواصه، وكان غير مرضى السيرة، فبلغه أنه يتعرض للحرم، فأمر حاجبه صلاح الدين محمد ابن أيوب الباغيساني<sup>(٢)</sup> — صاحب حماة — أن يسير مجتهداً، ويدخل الجزيرة بغتة، فإذا دخلها أخذ البربطي وقطع ذكره [٦١] وقلع عينيه، عقوبة له لنظره بهما إلى الحرم، ثم يصلبه؛ فسار صلاح الدين مجتهداً، فلم يشعر البربطي<sup>(١)</sup> به، إلا وهو على باب البلد، فخرج إلى لقائه، فأكرمه صلاح الدين ودخل معه البلد، وقال له: « المولى أتاك يسلم عليك، ويريد أن يملى قدرك ويرفع منزلتك، ويسلم إليك قلعة حلب، ويوليك جميع البلاد الشامية، لتكون هناك مثل نصير الدين، فتجهز<sup>(٣)</sup> وتحدّر مالك في الماء إلى الموصل، وتسير إلى خدمته، ففرح بذلك، ولم يترك له من أمواله شيئاً إلا نقله إلى السفن ليحدرها إلى الموصل في دجلة، فحين فرغ من جميع ذلك أخذ صلاح الدين وأمضى فيه ما أمر به، وأخذ جميع ماله، ولم يجسر أحداً بعده على أفعاله القبيحة.

(١) كذا في الأصل وفي (الروضتين، ج ١، ص ٤٤) وهو في س (١١٠٩): « البوطي ».

(٢) في الأصل: « الباغيساني »، وفي س (١١٠٩): « الباغيشاني »، وفي (الروضتين، ج ١، ص ٤٤): « الباغيسالي »، وما هنا عن: (ابن الفلاسي: ذيل تاريخ دمشق، ص ٢١٧) وهو في ذيل تلك الصفحة نقلاً عن (الفارقي): « البغيباني ». انظر أيضاً: *Ibn Al-Qalanisi; Traduction Francaise par: Roger Le Tourneau. PP. 20, 23, 35, 41, 129* . انظر أيضاً ما فات هنا من ١٩، هامش ٢.

(٣) في س، وفي (الروضتين): « فتجهز ». وحدّر السفينة يحدّرها أرسلها إلى أسفل (السان).



وكان - رحمه الله - كثير الصدقات ، وكان يتصدق في كل جمعة بمائة دينار أميرى [ظاهراً<sup>(١)</sup>] ويتصدق فيما عداه من الأيام سرّاً مع من يثق به ، وركب يوماً فئرت به دابته ، فكاد يسقط عنها ، فاستدعى أميراً كان معه ، وقال له كلاماً لم يفهمه ، ولم يجسر أن يستفهمه عنه ، فعاد إلى بيته ، وردّع أهله عازماً على الحرب ، فقالت زوجته : « ما ذنبك وما حملك على الحرب ؟ » فذكر لها الحال ، فقالت له : « إن نصير الدين له بك عناية ، فاذكر له قصتك ، وافعل ما يأمرك به » . فقال : « أخاف أن يمنعني من الحرب وأهلك » . فلم تزل به زوجته تراجعها ، وتقوى عزمه إلى أن عرف نصير الدين حاله ، فضحك منه ، وقال له : « خذ هذه الصرة الدنانير واحتمها إليه ، فهي التي أراد » . فقال : « الله ؛ الله<sup>(٢)</sup> في دمي ونفسي » . فقال : « لا بأس عليك ، فإنه ما أراد غير هذه الصرة » . فحتمها إليه ، فحين رآه قال : « أمك شيء » ؟ قال : « نعم » ، فأمره أن يتصدق [به] ، فلما فرغ من الصدقة ، قصد نصير الدين وشكره ، وقال : « من أين علمت أنه أراد الصرة ؟ » فقال : « إنه يتصدق بمثل هذا القدر كل يوم ، يرسل إلى يأخذه من الليل ، وفي يومنا هذا لم يأخذه ، ثم بلغني أن دابته عثرت به حتى كاد يسقط إلى الأرض ، فأرسلت إلى ، فعلمت أنه ذكر الصدقة » .

ولقد حكى من هيئته ما هو أشد من هذا : أنه خرج يوماً من قلعة الجزيرة [٦٢] من باب السر خلوة وملاحه نائم ، فأيقظه بعض الجاندارية ، وقال له : « إقم » . فحين رأى عماد الدين سقط إلى الأرض ، فخر كوه فوجدوه ميتاً .

(١) ما بين الحاصرتين إضافة عن الروضتين .  
(٢) ذكر لفظ الجلالة في الأصل مرة واحدة ، ولكنه كرر في س ( ١٠٩ ت ) ، وفي ( الروضتين ، ج ١ ، ص ٤٤ ) .

ومن جميل أوصافه وحسنها أنه كان بطيئ التلون بعيد التغير ، (١) لم يتغير على أحد من أصحابه منذ ملك إلى أن قُتل [إلا] بذنب عظيم يوجب التغير (١) ، وأن الأمراء الذين كانوا معه أولاً [هم الذين] (١) بقوا معه إلى آخر وقت ، إلا من اخترمه الموت منهم ، ولهذا كانوا ينصحونه ويبدلون نفوسهم له ، وكان يخطب الرجال ذوى الهمم العالية ، والآراء الصائبة ، ويوسع عليهم في أرزاقهم ، فيسهل عليهم فعل الجميل ، فلهذا كان إذا قدم إنسانٌ عسكريه لم يكن غريباً : إن كان جندياً اشتمل عليه الأجناد وأضافوه ، وإن كان صاحب ديوان قصد أهل (٢) الديوان ، وإن كان عالماً قصد القضاة والفتهاء من أصحابه فيؤانسونه (٣) ويحسنون إليه .

## ذكر ما كان من الملك ألب أرسلان الخفاجي (٤)

ولد السلطان بعد قتل عماد الدين

قد تقدم ذكرنا أن الملك ألب أرسلان بن السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي — الذى كان عماد الدين أنابكة — قتل نصير الدين فى الموصل ، وطع فى الاستيلاء على البلاد ، وأن القاضى تاج الدين بن الشهرزورى خدعه حتى صعد

(١) ما بين الرقبن ساقط من سن ، وقد أضيف ما بين الحاصرتين ليستقيم به المعنى بعد مراجعته على : ( الروضتين ، ج ١ ، ص ٤٤ ) .

(٢) فى سن : « أصحاب » .

(٣) فى الأصل : « فيؤانسونه » ، وما هنا عن سن ( ١١١٠ ) و ( الروضتين ،

ج ١ ، ص ٤٤ ) .

(٤) يذكر صاحب الروضتين ( ج ١ ، ص ٤١ ) تصحيحاً لهذا الاسم فيقول : « وقد وهم ( أى ابن الأثير ) فى قوله : ألب أرسلان المعروف بالخفاجي ، فالحفاجي غير ألب أرسلان على ما ذكره العماد الكاتب فى كتاب السلجوقية ، فإنه قال : كان مم زنسكى ملكان من أولاد السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه ، أحدهما يسمى ألب أرسلان وهو فى معقل من معاقل سنجار ، والآخر يسمى فرخشاه ويعرف بالملك الحفاجي وهو بالموصل . . إلخ » .

إلى القلعة واعتقل بها ، فلما قُتل عماد الدين كان في صحبة الملك ألب أرسلان فركب واجتمعت المساكر عليه وخدموه ، فأرسل الوزير جمال الدين الأصفهاني إلى الأمير صلاح الدين الياغيساني<sup>(١)</sup> يقول : « المصلحة أن نترك ما كان بيننا وراء ظهورنا — وكان بينهما مشاحنة — ونسلك طريقاً تبقى به البلاد والملك في أولاد صاحبنا ، فإن الملك ألب أرسلان قد طمع في البلاد ، واجتمعت عليه المساكر ، وإن لم تلاف هذا الأمر في أوله وتداركه في ابتدائه اتسع الخرق ، ولم يمكن رقعته »<sup>(٢)</sup>

فأجابه صلاح الدين إلى ذلك ، وحلف كل واحد منهما لصاحبه ، فركب الوزير جمال الدين [٦٣] إلى الملك [ألب أرسلان]<sup>(٣)</sup> ، وضمن له فتح البلاد ، وأطمعه فيها ومعه صلاح الدين ، وقال له : « إن [عماد الدين] أتاك كان نائباً عنك في البلاد ، وباسمك كنا نظيمه . فصدقهما ، وقربهما طمعا في أن يكونا عوناً له على تحصيل غرضه ، وأرسل إلى الأمير زين الدين على كوتجك بن بكتيكين صاحب إربل — وهو النائب عن عماد الدين بالموصل — يعرفانه قتل الشهيد عماد الدين ، ويأمرانه أن يرسل إلى الأمير سيف الدين غازي بن زنكي وهو ولده الأكبر — وكان بشهرزور وهي إقطاعه من أبيه — ليحضر إلى الموصل ويملكها<sup>(٤)</sup> ، ففعل زين الدين ذلك ، وأرسل إلى سيف الدين واستقدمه ، فقدم إلى الموصل وتسلمها<sup>(٤)</sup> .

وكان نور الدين أبو القاسم محمود بن زنكي لما قُتل أبوه في المعسكر<sup>(٥)</sup> أخذ خاتمه من يده ، وسار إلى حلب فملكها ، واتفق صلاح الدين الياغيساني — صاحب حماة — والوزير جمال الدين محمد بن علي الأصفهاني على حفظ دولة ولد عماد الدين ،

(١) في الأصل : « الياغيساني » ، أنظر ماقات ، ص ١٠٤ ، هامش ٢  
(٢) في س ( ١١٠ ) : « رفوه » .  
(٣) ما بين الحاصرتين عن س ( ١١٠ ب ) .  
(٤) هذا اللفظ ساقط من س .  
(٥) في س ( ١١٠ ب ) : « المعسكر » .

والمكر بالملك ألب أرسلان الساجوقى ، وحسنا له الاشتغال بالشرب والمغنيات ،  
وقال جمال الدين للملك [ ألب أرسلان (١) ] : « إن من رأى أن تسير الصلاح إلى مملوكك  
تور الدين بحلب يدبر أمره » ، فأذن له [فسار (١) ] ، وبقي جمال الدين وحده مع الملك  
فأخذه وقصد [به (١) ] الرقة ، واشتغل فيها بشرب الخمر والمخلوة بالنساء والمغنيات ؛  
وأراد أن يعطى الأمراء شيئا فمنعه خوفاً أن تميل قلوبهم إليه ، وقال (٢) : « لم منك  
الإقطاع الجزيل والنعم الوافرة » .

وشرع جمال الدين يستميل العسكر (٣) ويحلّفهم لسيف الدين غازى بن عماد الدين  
واحداً بعد واحد ، وكل من حاف يأمره بالمسير إلى الموصل هاربا من الملك ،  
وأقام الملك بالرقة عدة أيام ، ثم سار إلى ماكسين ، فتركه (٤) بها عدة أيام مشغلا بلذاته  
عن طلب الملك ، ثم سار به نحو سنجار ، ولما استقر قدم سيف الدين بالموصل قوى  
جنان جمال الدين ، ووصل هو والملك ألب أرسلان إلى سنجار ، وأرسل إلى دزدارها  
وقال له : [ ٦٤ ] « لا تسلم البلد ، ولا تمكن أحداً من دخوله ، ولكن أرسل  
إلى الملك وقل له : « أنا تبع الموصل ، فمتى دخلت الموصل سلمت إليك » . ففعل  
الدزدار ذلك .

وقال جمال الدين للملك [ ألب أرسلان ] : « المصلحة أنا نسير إلى الموصل ،  
فإن مملوكك غازى إذا سمع بقربنا منه خرج إلى الخدامة ، فحينئذ تقبض عليه وتسلم  
البلاد » ، فساروا عن سنجار ، وكثر رحيل العسكر إلى الموصل هاربين من الملك ،

(١) ما بين الحاصرتين عن س .

(٢) كذا في الأصل ، وفي ( الروضتين ، ج ١ ، ص ٤٧ ) ، أما نص س ( ١١٠ ب  
فمختلف قليلا وهو : « ... قال : فطلبوا الامرا من الملك ألب أرسلان ماك ( كذا ) ، قال :  
وجعل يقول للامراء : لكم الاقطاع والنعم الوافرة » .

(٣) في س : « قلوب العساكر » .

(٤) في س ( ١١١ ) : « فنزل » .

فبقي في قلعة من العسكر ، فساروا (١) إلى [ مدينة (٢) ] ببلد ، وعبر الملك ألب أرسلان دجلة من هناك ، ودخل الوزير جمال الدين الموصل ، وأرسل الأمير عز الدين أتابك الديبسي (٣) في عسكر إلى الملك ألب أرسلان — وهو في نهر يسير — فأخذه وأدخله الموصل ، فكان آخر العهد به ، فذكر أنه خُفِق بوتر قوس .

واستقر الملك بالموصل لسيف الدين غازي بن زنكي ، وأقر الأمير زين الدين علي كوجك (٤) على ما كان عليه من ولاية الموصل ، ومعه جمال الدين محمد بن علي — وزيره — ، وأرسلوا إلى السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه ، فاستحلفوه لسيف الدين [ غازي ] ، فحلف له وأقره على البلاد ، وأرسل إليه الخلع ؛ وقد ذكرنا أنه كان في خدمته في حياة أبيه ، وكان السلطان مسعود يحبه ويأنس به ، فلم يتوقف في تقرير البلاد له والحلف له .

### ذكر أخبار الأيام النورية

قد ذكرنا مقتل الأمير عماد الدين وتملك ولده سيف الدين غازي الأكبر الموصل ، وتملك ولده نور الدين محمود حلب ، وكانت بعلبك قد ملكها الشهيد ، واستناب بها الأمير نجم الدين أيوب بن شاذي والد الملك الفاصر [ صلاح الدين (٥) ] ،

(١) في الأصل : « فسار » ، وقد صححت ، بعد مراجعة س ( ١١١ ) و ( الروضتين ، ج ١ ، ص ٤٧ ) .

(٢) ما بين الحاصرتين عن الروضتين ؛ والنس في س : « إلى بلد الموصل » وهو خطأ ، وبلد — ويقال بباط — مدينة قديمة على دجلة فوق الموصل بينهما سبعة فراسخ ؛ ( ياقوت : معجم البلدان ) .

(٣) في الأصل ، وفي س : « الديبسي » ، أنظر ماقات ، ص ١٠١ ، هامش ٢

(٤) في الأصل : « كوجك » ، أنظر ماقات ، ص ٢٨ ، هامش ١

(٥) ما بين الحاصرتين عن س .

فلما بلغه وفاة الشهيد كاتبه الأمير مجير الدين آبق<sup>(١)</sup> بن محمد بن بوري بن طفتكين  
— صاحب دمشق — في تسليمها ، وبذل له أموالا [ كثيرة<sup>(٢)</sup> ] وقرايا من أعمال  
دمشق ، فسلمها إليه ، وانتقل نجم الدين أيوب إلى دمشق ، وأقام بها ، وذلك لأربع  
بقيين من ربيع الآخر من هذه السنة — أعني سنة إحدى وأربعين [ ٦٥ ] وخمسةائة —  
وتسلم نور الدين من حاجب أبيه صلاح الدين محمد بن أيوب الباغيساني<sup>(٣)</sup> حماة ،  
وعوضه عنها مدينة حمص وقلعتها ، قلت : وهكذا ذكر ابن منقز ؛ وذكر ابن الأثير :  
أن حمص كانت بيد الأمير سيف الدين غازي ، وإنما تسلمها نور الدين بعد ،  
على ما سنذكره إن شاء الله تعالى .

### ذكر عصيان الرها<sup>(٤)</sup> وعودها إلى المسلمين

وكنا قد ذكرنا افتتاح الرها ، افتتحها الأمير عماد الدين زنكي من الإفرنج ،  
وكانت لجوسلين بن جوسلين<sup>(٥)</sup> ، وكانت له أيضا من غربي الفرات تل باشر ،  
فلما قتل الشهيد راسل جوسلين<sup>(٥)</sup> أهل الرها ، وعاصتهم من الأرمين ، وحملهم  
على العصيان على المسلمين وتسليم البلد إليه ، فأجابوه إلى ذلك ، وواعدهم<sup>(٦)</sup>

(١) في الأصل : « أتق » وصحة الاسم « آبق Abaq » . أنظر : ( ابن تفرى بردى :  
النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٣٨١ ) ، ( Zambaur, Op. Cit. P. 225 ) وقد حكم مجير الدين  
أبق مدينة دمشق من سنة ٥٣٤ إلى سنة ٥٤٩ حيث انتقل ملكها إلى نور الدين محمود بن زنكي  
وموؤ مجير الدين سنة ٥٦٤ وهو آخر من حكم دمشق من الأسرة البورية . هذا ويصحح  
اسمه فيها يلي دون الإشارة إلى ذلك .

(٢) ما بين الحاصرتين عن س .

(٣) في الأصل ، وق س : « الباغيساني » : أنظر ماقات ، ص ١٠٤ ، هامش ٢ .

(٤) في س ( ١١١ ب ) : « أهل الرها » .

(٥) في س ( ١١١ ب ) : « لجوسلين الفرنجي » .

(٦) في س : « وواعدوه يوما » .

يوما يصل إليهم فيه ، وسار في عساكره إلى الرها ، فلك البلد ، وعصت عليه القلعة  
بمن فيها من المسلمين ، فقاتلهم ، وبلغ ذلك نور الدين — رحمه الله — وهو بحلب ،  
فسار مجدا إليها بعسكره ، فلما قاربها خرج جوساين منها هاربا إلى بلده ، ودخل  
نور الدين المدينة قهيبها وسبى أهلها (١) ، فخلت منهم ولم يبق بها إلا القليل ، ولما بلغ  
خبر الفرنج إلى سيف الدين بالموصل (٢) جهز العساكر إلى الرها فوصلت وقد ملكها  
نور الدين ، فبقيت في يده ، ولم يعارضه فيها أخوه سيف الدين .

وفي هذه السنة رحل الأمير سيف الدين إلى الشام ، وكان أخوه نور الدين  
قد خافه واستشعر منه ، وأخوه سيف الدين يكاتبه ويستميله ، فلما وصل  
سيف الدين إلى الشام استقرت القاعدة بينهما دلي أن يجتمعا خارج العسكر السيفي ،  
ومع كل واحد منهما خمسمائة فارس ، فلما كان يوم المياد سار نور الدين من حلب  
في خمسمائة فارس ، وسار سيف الدين من معسكره في خمسة فوارس ، فلم يعرف  
نور الدين سيف الدين حتى قرب منه ، فحين عرفه ترجل له ، وقبّل الأرض بين يديه ،  
وأمر أصحابه بالموء عنه ، فعادوا ، وقعد سيف الدين ونور الدين بعد أن اعتنقا  
وبكيا ، فقال له سيف الدين : « لم امتنعت من الحجى إلى ، كنت تخافني على نفسك ؟  
[ ٦٦ ] والله ما خطر بيالى ما تكره (٣) ، فلمن أريد البلاد ، ومع من أعيش ،  
وبمن اعتضد ، إذا فعلت السوء مع أخي وأحب الناس إلى ؟ » فاطمأن نور الدين ،

(١) كذا في الأصل ، وفي س ( ١١١ ب ) : « قهيبها وقتل رجالها من الأرمن ،  
وسبأ نساها » .

(٢) إلى هنا تنتهي ( س ١١١ ب ) من نسخة س ، وبأنتهاها تضطرب الصفحات مرة أخرى  
في تلك النسخة ، وتنقطع الصلة بين ( س ١١١ ب ) و ( س ١١٢ ) وبالتالي بين النص  
هنا وبينه هناك في تلك النسخة .

(٣) في الأصل : « تذكره » والتصحيح عن : ( الروضتين ، ج ١ ، ص ٤٨ ) .

وسكن روعه ، وعاد إلى حلب ، وتجهل (١) وعاد بمسكده إلى خدمة أخيه سيف الدين ، فأمره سيف الدين بالعود وترك عسكره عنده ، وقال له :

« لا غرض لي في مقامك عندي ، وإنما غرضي أن تعلم الملوك والفرنج انفاقنا ، فمن يريد السوء بنا يكف عنه » ، فلم يرجع نور الدين ولزمه إلى أن قضيا ما كانا عليه ، وعاد كل منهما إلى بلده .

وفي سنة اثنين وأربعين وخمسة مائة دخل نور الدين بلد الفرنج ، ففتح مدينة أرتاح (٢) وعدة حصون .

وفي سنة ثلاث وأربعين وخمسة مائة نازل ملك الألمان (٣) بمجموعه ، ومن انضم إليه من فرنج الساحل مدينة دمشق — وصاحبها مجير الدين آبق بن محمد ، والقيم بأمر دولته معين الدين أنر مملوك جده طفتكين — فزحفوا إلى البلد سادس ربيع الأول ، وقاتلوا أهله قتالا شديداً ، ثم نزل الفرنج على الميدان الأخضر (٤) ، وضاق الأمر على أهل البلد ، وأيقنوا أن العدو يملكه ، وراسل الأمير معين الدين سيف الدين غازي بن زنكي صاحب الموصل يدعوه إلى نصرة المسلمين ، فسار إلى الشام ، واستصحب أخاه نور الدين محمود بن زنكي — صاحب حلب — فنزحوا بمدينة حمص ، وأرسل سيف الدين إلى معين الدين يقول له : « قد حضرت ومعي

(١) في الروضتين : « فتجهز » .

(٢) هكذا ضبطها ( ياقوت ، معجم البلدان ) ، وقال إنها حصن منيع من أعمال حلب ، وفي (Dussand, T. H. 228-228) أنها موقع يبعد ١٥ كيلومترا إلى الشرق من بحيرة أنطاكية أنظر أيضا : ( Cl. Cahen, La Syrie du Nord. PP 141-148 ) .

(٣) هو « كونراد الثالث Conrad III » امبراطور ألمانيا وقد اشترك معه في قيادة الحملة الصليبية المعروفة بالثانية لويس السابع ملك فرنسا . أنظر ( Stevenson, Crusaders in the East. ) و ( حسن حبشي ، نور الدين والصليبيون ) .

(٤) كان هذا الميدان يقع غربي المدينة . أنظر : ( Ibn El Qalanisi, Trad. Fran. : per Roger Le Tourneau, P. 125 ) .



كل من يحمل السلاح في بلادى ، فأريد أن تكون نوابى بمدينة دمشق لأحضر وألقى الفرنج ، فإن انهزمت دخلت أنا وعسكرى البلد ، واحتمينا به ، وإن ظفرتنا فالبلد لكم لا ينازعكم فيه أحد . » وأرسل إلى الفرنج يتهددهم إن لم يرحلوا عن البلد وإلا أتيتهم . فكفف الفرنج عن القتال ، وقوى أهل البلد على حفظه ، واستراحوا من الحرب .

وأرسل معين الدين إلى الفرنج الغربا يقول لهم : « إن ملك الشرق قد حضر ، فإن رحتم وإلا سلمت البلد إليه ، وحينئذ تندمون » . [٦٧] وأرسل إلى أهل الساحل ويقول لهم : « بأى عقل تساعدون هؤلاء علينا وأنتم تعلمون أنهم إن ملكوا مدينة دمشق أخذوا ما بأيديكم من البلاد الساحلية ، وأما أنا إن رأيت الضعف عن حفظ البلد سلمته إلى سيف الدين ، وأنتم تعلمون أنه إن ملك دمشق لا يبقى لكم معه مقام بالشام » . فأجابوا بالتخلي عن ملك الألمان ، وبذل لهم حصن بانياس ، فاجتمعت الفرنج الساحلية بملك الألمان وخوفوه من استيلاء سيف الدين على دمشق ، وأنه إن ملكها لا يكون لهم به طاقة ، ولم يزالوا به حتى رحل عن دمشق ، وتسلموا بانياس ، ورجع ملك الألمان إلى بلاده ، وقد ذكرناه .

وفي هذه النوبة قتل شاهنشاه بن نجم الدين <sup>(١)</sup> أيوب جد جد مولانا السلطان الملك المنصور <sup>(٢)</sup> — صاحب حماة ، خلفه الله سلطانه <sup>(٣)</sup> — على باب دمشق ، قتلتها الفرنج المحاصرون للبلد ، ودُفن بالشرف ظاهر مدينة دمشق ، وخلف ولدين ،

(١) في الأصل : « جمال الدين » وهو خطأ واضح .  
(٢) هو الملك المنصور الثانى حكم حماة من سنة ٦٤٢ إلى سنة ٦٨٣ . وقد خدمه مؤلف هذا الكتاب وعين قاضيا لقضاة حماة في عهده ، وله ألف هذا الكتاب .  
(٣) لهذا الدعاة أهمية خاصة فهو يبين على تمديد تاريخ تأليف هذا الكتاب ، ومنه نستبين أن هذا الجزء من الكتاب كتب بعد سنة ٦٤٢ وهى السنة التى ولى فيها المنصور الثانى حكم حماة ؛ أنظر ما فات ص ٢ ، هامش ٢ و ص ٩٩ هامش ٤

ها : الملك المظفر تقي الدين عمر ، والملك المنصور عز الدين فروخ شاه ، وهو أبو الملك  
الاجمجد مجد الدين بهرام شاه — صاحب بعلبك — .

## ذكر استيلاء نور الدين محمود بن زنكي — رحمه الله —

### على حصن العزيمة

لما خرج ملك الألمان إلى دمشق كان معه ولد الأدفونش (١) وكان جده  
هو الذي فتح طرابلس الشام ، فأخذ ولد الأدفونش حصن العزيمة ، وأظهر أنه يريد  
أخذ طرابلس ، فأرسل القومص إلى نور الدين محمود ومعين الدين يدعوها إلى قصد  
العزيمة وأخذها ، فقصدها من دمشق ، واستمدا سيف الدين غازي ، فأمدها بمسك  
كبير مع الأمير عز الدين الديبسي فقطع جزيرة ابن عمر ، فنازلوا حصن العزيمة  
وبه ابن الأدفونش وضايقوه ، وتقدم إليه النقاون فنقبوه ، وتسلموا الحصن ،  
وأخذوا ابن الأدفونش وكل من بالحصن ، وأخربوه وعادوا عنه .

### كسرة الفرنج بيغرى (٢)

وفي هذه السنة — أعني سنة ثلاث وأربعين وخمسة — تجمع الفرنج بمكان  
يقال له يفرى ليقتصدوا أعمال حلب ، فقصدهم نور الدين محمود بن زنكي ، فالتقوا  
واقنتلوا قتالا شديداً ، فكسر الفرنج كسرة قبيحة ، وقتل أكثرهم ، وأمر جماعة  
[٦٨] من مقدميهم ، ولم ينج منهم إلا القليل ، وأرسل من الغنيمة والأسرى

(١) كذا في الأصل ، وفي ( ابن الأثير : الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٠ ) : « ولد الفلش  
صاحب طليطلة وهو من أولاد أكابر ملوك الفرنج وكان جده هو الذي أخذ طرابلس الشام  
من المسلمين » ، والاسم عند ابن الأثير أقرب إلى الصحة فهو تعريب « Alfonso » .  
(٢) ذكر : ( Dussaud : T. H. P. 436. ) أنها تقع إلى الشرق من دريساك .

إلى أخيه سيف الدين غازي وإلى الخليفة الإمام المقتني لأمر الله ، وللسلطان مسعود  
ابن محمد بن ملكشاه .

وفي هذه الواقعة قال أبو عبد الله محمد بن صغير بن القيسراني قصيدة يمدح  
بها نور الدين محمود — رحمه الله — .

أولها : ياليت أن الصداً مَصْدُودُ !  
أولاً ، فليت النومَ مردودُ  
إلى متى تُعرض عن مغرمٍ في خنءه للدمعِ أخذودُ  
ومنها : وكيف لا يُثنى (١) على عيشنا الـ محمودِ ،  
والسلطانُ محمودُ  
وصارمُ الإسلامِ لا يثنى إلا وشلو الكفرِ مقدودُ  
مناقب لم تك (٢) موجودة إلا ونورُ الدين موجودُ  
وكم له من وقعة يومها — عندملوكِ الشركِ — مشهودُ  
والقومُ : إما مُرَهَقٌ صرَعَةٌ ، أو موثقٌ بالقَدِّ مشدودُ  
حتى إذا عادوا إلى مثلها قالت لهم هيبته : عودوا

وفي سنة أربع وأربعين وخمسة مائة قصد سيف الدين غازي بن زنكي — صاحب  
الموصل — دارا ، وكانت لوالده عماد الدين ، فلما قُتل أخذها الأمير حسام الدين  
تمرتاش بن إيل غازي بن أرتق — صاحب ماردین — ، ولما دخلت هذه السنة قصدها  
سيف الدين فلسكها ، واستولى على كثير من بلد ماردین بسببها ، ثم قصد ماردین  
وحصرها ، ثم راسله صاحب ماردین وزوجه ابنته ، فرحل سيف الدين عن ماردین ،  
وعاد إلى الموصل ، وجُهزت الخاتون ابنة حسام الدين ، ومُفِرت إليه ، فوصلت  
إلى الموصل وهو مريض ، فتوفى ولم يدخل بها .

(١) في الأصل : « تنثنى » والتصحيح عن ( ابن الأثير ، ج ١١ ، ص ٥١ ) ، وفي  
( الروضتين ، ج ١ ، ص ٥٥ ) : « ثنى » ، وانظر آياتاً أخرى من القصيدة في المرجعين  
السابقين .  
(٢) في الأصل : « لم تكن » .

## ذكر وفاة سيف الدين غازي بن زنكي

ابن آق سنقر - رحمه الله -

لما عاد سيف الدين إلى الموصل عرض له مرض حاد ، فاستدعى له من بغداد  
أوحد الزمان أبو البركات البغدادي<sup>(١)</sup> - صاحب المعتبر في الحكمة - فحضر  
عنده ، ورأى شدة مرضه ، فعالجه فلم ينجع له فيه دواء ، فتوفي آخر جمادى الآخرة  
من هذه السنة [٦٩] - أعني سنة أربع وأربعين وخمسمائة - فكانت مدة  
ولايته ثلاث سنين وشهراً وعشرين يوماً ، وكان جميل الصورة ، وكان عمره نحواً  
من أربع وأربعين سنة ، لأن مولده كان سنة خمسمائة ، ودُفن بالمدرسة التي بناها  
بالموصل ، وخلف ولداً ذكراً رباه عمه نور الدين محمود ، وزوجه ابنة أخيه قطب الدين  
مودود بن زنكي ، فتوفي ولد سيف الدين شاباً ، وانقرض عقبه .

## ذكر سيرة سيف الدين - رحمه الله -

كان جواداً كريماً شجاعاً ، وهو الذي بنى المدرسة الأتابكية بالموصل ، وقفها  
على الفريقين الحنفية والشافعية ، بنى رباطاً للصوفية ، وكان مقصداً للشعراء ، فقصده  
شهاب الدين الخيصر بيض<sup>(٢)</sup> ، وامتدحه بقصيدة أولها :

(١) هو أوحد الزمان أبو البركات هبة الله بن علي بن ملكا البلدي لأن مولده ببلد ،  
البغدادي لاقامته في بغداد ، كان يهودياً وأسلم . أنظر ترجمته في : ( ابن أبي أصيبعة : طبقات  
الاطباء ، ج ١ ، ص ٢٧٨ - ٢٨٠ ) .

(٢) هو شهاب الدين أبو الفوارس سعد بن محمد بن سعد بن صبيح التيمي المعروف بحميم  
بيس ، شاعر مشهور ، توفي في بغداد ليلة الأربعاء سادس شعبان سنة ٧٤٤ هـ . ويقال إنه  
سمى بحميم بييس لأنه رأى الناس يوماً في حركة مزعجة وأمر شديد ، فقال : ما للناس في حميم  
بييس ، فبق عليه هذا القب ، ومعنى هذين اللفظين الشدة والاختلاط . أنظر ترجمته في : ( ابن  
خلكان : الوفيات ، ج ٢ ، ص ١٠٦ - ١٠٨ ) .

إلامَ يراك المجدُ (١) في زِيِّ شاعرٍ وقد تَحَلَّتْ شوقاً فروعُ المنايرِ  
فوصله بألف دينار سوى الخلع .

وكان سيف الدين يحمل على رأسه السنجق (٢) ، ولم يكن يفعل ذلك أبوه  
ولا أحد من أصحاب الأَطراف ، فلما فعل ذلك اقتدى به غيره ، وأُزِمَ الجند  
أن لا يركب أحد إلا بالسيف في وسطه ، والدبوس (٣) تحت ركبته .

ذكر استيلاء قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي

على الموصل

لما توفى سيف الدين غازي كان قطب الدين مودود مقبلاً بالموصل ، فاتفق الوزير  
جمال الدين محمد بن علي الأصفهاني والأمير زين الدين علي كوجك صاحب إربل والمقدم  
علي الجيوش على تمليك قطب الدين ، فاستحلفوه وحلفوا له ، وأركبوه إلى دارالسلطنة ،  
وزين الدين ماشٍ في ركابه ، وتسلم جميع ما كان بيد سيف الدين من البلاد ، وتزوج  
الخاتون (٤) ابنة حسام [ الدين ] تمرناش بن إيلغازي بن أرتق صاحب ماردین ،

(١) في الأصل : « الدهر » ، والتصحيح عن : ( ابن الأثير : الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٢ ) و ( أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ٦٥ ) .

(٢) السنجق راية صغيرة صفراء ، وقد أصبح هذا التقليد الذي استقره سيف الدين غازي ،  
وهو رفع السنجق على رأس الملك ، من رسوم الملك في مصر في عهدى الأيوبيين والمماليك .  
أنظر : ( صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٨ ) .

(٣) الدبوس — والجمع دبابيس — آلة حربية ، عرفها صاحب ( محيط المحيط ) بأنها  
« مراوة مدملكة الرأس ، وكالابرة من النحاس في طرفها كتلة صغيرة » ، وقد وصفها  
Dozy: Supp. Dict. Arab. (وصفاً أقرب إلى الدقة هو : "massue, casse-tête, longue  
d'environ deux pieds et terminée par une tête revêtue de fer, qui a environ  
trois pouces de diamètre").

(٤) هي نفس الخاتون التي كان قد خطبها سيف الدين غازي ومات قبل أن يدخل بها فتزوجها  
خوه قطب قطب الدين مودود .

فولده منها سيف الدين غازى وعز الدين مسعود وغيرهما ، وكانت هذه المرأة يحمل لها أن تظهر بخمسة عشر ملكا من أبائها وأجدادها وأخوتها وبني أخوتها وأزواجها وأولادها وأولاد أولادها ، وأشبهت من النساء فى ذلك فى الزمن القديم عاتكة بنت يزيد بن معاوية ، فإنه كان يحمل لها أن تظهر لثلاثة عشر خليفة ما بين أب وجد وأخ وابن أخ وولد أخ وزوج ، وفى زمننا [ ٧٠ ] هذا ربيعة خاتون بنت نجم الدين أيوب لم تمت حتى رأت من أولاد أخيها جماعة كبيرة كل منهم ملك على طرف من الأطراف .

### ذكر استيلاء نور الدين محمود بن زنكى على سنجار

لما ملك قطب الدين الموصل كان أخوه نور الدين بحلب ، وهو أكبر منه ، فكتبه بعض الأمراء وطلبوه إليهم ، منهم المقدم والشمس الدين بن المقدم ، وكان دزداراً بسنجان (١) فسار نور الدين جريداً فى سبعين فارساً من أكبر دولته ، منهم الأمير أسد الدين شيركوه بن شاذى ، ومجد الدين أبو بكر بن الداية ، فوصل إلى ما كسين (٢) فى ستة أنفس فى يوم شديد المطر ، ولم يعرفه الذين بالبواب ، فأرسلوا إلى الشحنة ، وأخبروه أنه وصل نفر من الأجناد كأنهم تركان ، فلم يتم القاصد كلامه حتى وصل نور الدين ، فحين رآه الشحنة قبل يده وخرج عن الدار ، فنزلها نور الدين حتى لحق به أصحابه ، فسار مجداً إلى سنجان ، فوصلها وليس معه إلا نفر يسير ، ونزل ظاهر البلد وألقى نفسه على محفورة صغيرة من شدة تعب ، وأرسل إلى المقدم دزدار القلعة يعرفه بوضوئه ، وكان المقدم قد استدعى من الموصل ، لأن

(١) ذكر ياقوت أنها مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة بينها وبين كل من الموصل ونصيبين ثلاثة أيام ، وهى فى لطف جبل طاق وفى وسطها نهر جار .

(٢) بلد بالخابور قريب من رجة مالك بن طوق من ديار ربيعة . ( ياقوت : معجم البلدان ) .

مكاتبته لنور الدين كانت قد بلغتهم ، فأرسلوا إليه ، فتوقف عدة أيام فلم يصل إليه نور الدين ، فسار إلى الموصل وترك ابنه شمس الدين محمد بسنجار ، وقال له : « أنا أتأخر في الطريق ، فإن وصل نور الدين فأرسل من يعلمني » ، فلما فارق سنجان وصل نور الدين ، فلما علم شمس الدين بوصوله أرسل قاصداً إلى أبيه بالخبر ، وأنهى الحال إلى نور الدين ، فخاف فوات الأمر ووصل القاصد الذي سيره شمس الدين ابن المقدم إلى أبيه ، فأدركه بتلّ يَعْمَر (١) ، فعاد إلى سنجان وسلمها إلى نور الدين ، وكاتب الأمير فخر الدين فر أرسلان بن داوود بن سقمان بن أرتق صاحب حصن كَيْفَا (٢) يستنجده ، وبذل له قلعة الهيتم ، فسار إليه ، فلما سمع قطب الدين الخبر جمع العساكر ، وسار نحو سنجان ، ونزل بتلّ يَعْمَر .

## ذكر الصلح بين قطب الدين وأخيه نور الدين

ورد سنجان إلى قطب الدين

[٧١] ولما نزل قطب الدين بتلّ يَعْمَر راسل زين الدين على كُوجِك وجمال الدين — وزير قطب الدين — نور الدين أخاه ، وأنكروا عليه إقدامه على أخذ ما ليس له ، وتهددوه بقصده ، وأخذ البلاد من يده قهراً إن لم يرجع اختياراً ، فأجاب : « إنني أنا الأكبر وأنا أحق أن أدبر أخي منكم ، وما جئت إلا لما تناهت إلى كتب الأمراء يذكرون كراهتهم لولايتكم عليه ، فخفت أن يحملهم الغيظ والاففة على أن يخرجوا البلاد من أيدينا ، وأما تهديدكم إياي بالقتال

(١) هكذا تسميه الخاصة ، وتسميه العامة « تلّ أَعْمَر » ، وقيل إن أصله « التلّ الأعفر » لونه فغير بكثرة الاستعمال وطالب الحفّة . وهو قلعة ورض بين سنجان والموصل في وسط واد فيه نهر جار . ( ياقوت : معجم البلدان ) .  
(٢) قال ياقوت إنها بلدة وقلعة عظيمة مشرفة على دجلة بين آمد وجزيرة ابن عمر من ديار بكر ، وهي كانت ذات جانبين وعلى دجلتها قنطرة .

فأنا ما أقاتلكم إلا بجندكم ، وكان قد هرب إليه جماعة من الأجناد فخافوا من مخامرة الأمراء عليهم إذا لقوه ، فأشار الوزير جمال الدين بالصلح ، وقال : « نحن نظهر للسلطان والخليفة أننا تبع لنور الدين ، ونور الدين يظهر للفرنج أنه يحكنا ، ويتهددهم بنا ، فإن كاشفناه وحرار بناه ، فإن ظفر بنا طمع فينا السلطان ، وإن ظفرتنا به طمع فيه الفرنج ، ولنا بالشام حصص ، وله عندنا سنجار ، فهذه أضع لنا من تلك ، وتلك أضع له من هذه ، والرأي تسليم حصص إليه ، وأخذ سنجار منه » . فاتفق رأي الجماعة على ذلك ، وسار جمال الدين إلى نور الدين ، فأبرم معه الأمر ، وتسلم حصص ، وسلم سنجار إلى أخيه ، وعاد نور الدين إلى الشام ، فأخذ ما كان له من سنجار من المال .

ولما تسلم قطب الدين سنجار أقطعها لزين الدين على كوجك ، واتفقت كلمتهم ، واتحدت آراؤهم ، وطلب نور الدين جمال الدين فامتنع ، واعتذر باحتياج قطب الدين إليه ، واستغنى نور الدين عنه برأيه ومعرفته ، فأطلق له نور الدين عشرة آلاف دينار كل سنة تحمل إليه ليصرفها في مصالحه ، فكان نائبه بالشام يقبضها كل سنة ، ويشتري له بها أسرى من الفرنج ويطلقهم .

### ذكر قتل البرنس صاحب أنطاكية وكسرة الفرنج

وفي هذه السنة - سنة أربع وأربعين وخمسمائة - قصد نور الدين الدين بن زنكي - رحمه الله - حصن حارم - وهو للفرنج - فخرَّب رقبته ، ونهب سواده ، ثم رحل إلى إنب (١) فحاصره ، فحشد البرنس صاحب أنطاكية (٢) ، فلقيه نور الدين .

(١) في الأصل : « ات » وقد صححت وضبطت بمد مراجعة ابن القلانسي ، وذكر ياقوت إنها حصن من أعمال عزاز من نواحي حلب .  
(١) هو « ريمون دي بواتيه » .



[٧٢] واقتتلوا قتالا شديداً ، وانهمز الفرنج أقيح هزيمة ، وقتل منهم خلق كثير ، وأسر مثلهم ، وقتل البرنس صاحب أنطاكية ، وكان عاتيا من عتاة الفرنج ، وعظيما من عظائمهم ، فملك بدمه ولده بيمند (١) — وهو طفل — فتزوجت أمه (٢) برجل من الفرنج ليدير ولدها الطفل إلى أن يكبر ، ثم قصد نور الدين الفرنج مرة [أخرى] ، فجمعوا ولقوه فقتل منهم وأسر ، فكان من جملة الأسرى زوج أم بيمند ، فمدح الشعراء نور الدين ، فمن مدحه : أبو عبد الله محمد بن صغير بن القيسراني بقصيدة أولها :

هندي العزائمُ لا ما تدعى القُضْبُ      وذى المكارمُ لا ما قالتُ الكُتْبُ  
وهذه الهممُ اللاتي إذا حُطِبَتْ      تمثرت خلفها الأشعارُ وأُحْطِبُ  
صاغتُ يا بن عمادِ الدين ذرْوَتَها      براحةً للساعي دونها التعبُ  
ما زال جيتك يبنى كل شاهقةٍ      حتى بنى قبةً أوتادها الشهبُ  
أغرّت (٣) سيوفك في الأفرنج راجفةً      فوادُ رومية الكبرى لها يجبُ  
ضربت كبتهم منها بقاصمة      أودى لها الصُلبُ وانحطت لها الصُلبُ  
طهرت أرضَ الأعدى من دماهم      طهارةً كل سيف عندها (٤) جنبُ  
حتى استطار (٥) شرارَ الرُندِ قادحُه      فالحربُ تُضرمُ والآجالُ تُحْتطبُ  
من كان يغزو بلادَ الشركِ مكتسباً      من الملوكُ ، فنورُ الدين محتسبُ

(١) في الأصل « سميد » بدون نقط ، وما هنا عن : ( الروضتين ج ١ ص ٥٨ ) وهو بوهمد الثالث .

(٢) هي « كونستانس » وقد تزوجت في مناسرا اسم « رينو دي شاتيون » . أنظر : ( حبشي : نور الدين والصليبيون ، ص ٨٤ ) .

(٣) في الأصل : « أغرب سيوفك في الأفرنج راجمة » والتصحيح عن : ( الروضتين ، ج ١ ص ٥٩ ) .

(٤) في الأصل : « عنهما » ، والتصحيح عن المرجع السابق .

(٥) الأصل : « استطار » والتصحيح عن المرجع السابق .

ذو غُرَّةٍ ما صَمَّتْ والليلُ معتكِرٌ إلا تمزق عن شمس الضحى الحجبُ  
أفغاله كاسمه في كل حادثةٍ ووجهه نائبٌ عن وصفه اللقبُ  
ومدحه آخر (١) بقصيدة أولها:

أقوى الضلالُ وأقفرُ عرصاته وعلا الهدى وتبلجت قَمَاتُهُ (٢)  
وانتاش دينَ محمدٍ محمودُهُ من بعد ما غلبت (٣) دما عبراته  
رَدَّتْ على الإسلامِ عصرَ شبابه وَثَبَاتُهُ من دونه ، وثباتُهُ  
[٧٣] أرسى قواعدهُ ومدَّ عمادهُ صُعدا وشيّد سورَه سوراته  
وأعاد وجهَ الحقِ أبيضَ ناصعاُ أَصْلَاتُهُ ، وَصَلَاتُهُ ، وَصَلَاتُهُ  
وفي هذه السنة توفي معين الدين أنر القيم بتدبير دولة مجير الدين آبق بن محمد  
— صاحب دمشق — .

### ذكر فتح أفامية

وفي سنة خمس وأربعين وخمسمائة سار نور الدين محمود بن زنكي — رحمه الله —  
إلى حصن أفامية — وهو للفرنج — فقاتل من به ، وضيق عليهم ، فاجتمع الفرنج  
وساروا نحوه ليرحلوه عنه ، فلم يصلوا إلا وقد ملكه وملاه ذخائر وسلاحا ورجالا  
وجميع ما يحتاج إليه ، فلما بلغه سير الفرنج رحل عنه ، وقد فرغ من أمره ،  
وسار للقائهم ، فحين رأوا قوة عزمه ، وأن الحصن قد مُلك ، عدلوا عن طريقه ،  
ودخلوا بلادهم .

(١) هو الشاعر أحمد بن منير . أنظر : ( الروضتين ، ج ١ ، ص ٦٠ ) .  
(٢) الأصل : « نجاته » والتصحيح عن المرجع السابق .  
(٣) كذا في الأصل ، ولعلها « هملت » .

## ذكر انهزام نور الدين من الفرنج

في سنة ست وأربعين وخمسة مائة جمع نور الدين — رحمه الله — عساكره ،  
وسار إلى بلاد جوسلين بن جوسلين صاحب تل باشر وعين تاب وعزاز ، وكان  
جوسلين أشد الفرنج شجاعة وأقوام بأساً وأصعب رأياً وأعظمهم مكيمة ، فجمع  
جمعا كثيراً من الفرنج وسار نحو نور الدين ، فالتقوا ، فانهزم المسلمون وقُتل منهم  
وأسر خلق كثير ، وكان من جملة الأسرى سلاح دار<sup>(١)</sup> نور الدين ، فأخذه جوسلين  
ومعه سلاح نور الدين ، وسيره إلى الملك مسعود<sup>(٢)</sup> بن قليج أرسلان بن سليمان  
ابن قطلش السلجوقي — صاحب بلاد الروم — وقال له : « هذا سلاح زوج ابنتك  
وسياتيك بعده ما هو أعظم منه » ، وبلغ ذلك نور الدين فعظم عليه .

## ذكر وقوع جوسلين في أسر نور الدين — رحمه الله —

ثم شرع نور الدين في أعمال الخيلة على جوسلين ، فأرغب جماعة ممن معه  
من التركان ، ووعدهم الوعود الجميلة إن أتوه بجوسلين أسيراً أو عقيراً<sup>(٣)</sup> ، فأدلوا  
عليه العميون ، فاتفق أنه خرج متصيدياً فظفر به طائفة منهم فوعدهم بمال جزيل  
إن أطلقوه ، فأجابوه إلى الاطلاق إن حضر المال ، فأرسل في إحضاره ، فمضى بعضهم  
[ ٧٤ ] إلى الأمير مجد الدين بن الداية — النائب بحلب — وأعلمه الحال ، فسير عسكراً ،  
فكبسوا أولئك التركان ومعهم جوسلين ، فأخذوه أسيراً وأحضره إلى نور الدين .

(١) سلاح دار أي ممسك أو صاحب سلاح السلطان ، وله الاشراف على السلاح خاناه  
السلطانية ، ويختار طادة من بين الأمراء القدمين . ( مسبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ١٨ ) .  
(٢) حكم بين سنتي ٥١٠ و ٥١١ . أنظر : ( Zambaur Op. Cit. P. 143 ) .  
(٣) « عقير » أي جريح . ( اللسان ) .

وذكر الأمير مؤيد الدولة بن منقز أن أسر جوسلين إنما كان في سنة  
خمس وأربعين وخمسة ، وذكر أن صورة أسره أنه خرج من مدينة تل باشر ،  
وسار في الليل فأدركه النوم ، فنزل ومعه نفر يسير من أصحابه ، وقال لباقي أصحابه :  
« انطلقوا فأنا ألحقكم » ونزل فنام ، فمرت به سرية من التركان اتفاقاً ، فانهزم  
أصحابه ، وأخذ جوسلين أسيراً ، وهم لا يعرفونه ، فاجتازوا به من القد على رجل  
أرمني ، فجاء وقبيل يده ، فقالوا له التركان : « من هذا ؟ » فقال : « هذا جوسلين  
صاحب تل باشر » ، فلما عرفوه احتفظوا به ، وبلغ خبره إلى مجد الدين أبي بكر  
بن الداية — النائب بحلب — فأحضر التركان وأعظام حتى أراضاه ، وأخذ  
جوسلين وتركه عنده ، فلما وصل نور الدين إلى حلب كحل جوسلين وأهلكه .

### ذكر فتح تل باشر

وكاتب النواب بتل باشر في هذه السنة نور الدين — أعني سنة ست وأربعين  
 وخمسة — في أن يتسلمها ، وكان نور الدين — رحمه الله — نازلاً بدمشق ،  
فكتب إلى مجد الدين أبي بكر بن الداية ليجزي إليها ويتسلمها ، فغضى إليها وتسلمها  
يوم الخميس لحمس بقين من ربيع الأول من السنة ، ثم تسلم عين تاب وعزاز وتل خالد  
وقورس والراوندان وبرج الرصاص وحصن البارة وكفر سود وكفر لانا (١) في مدة  
قريبة ، وسند ذلك . وفي أسر جوسلين يقول محمد بن صغير بن القيسراني  
من قصيدة :

كما أهدت الأقدارُ للقمص أسره وأسعدُ قرن من حواه لك الأسرُ

(١) هذه كلها هي القلاع والمدن والحصون المحيطة بتل باشر من أملاك جوسلين . وقد أضاف  
إليها ( ابن الأثير ، ج ١١ ، ص ٥٨ ) : « دلوك ومرعش ونهر الجوز وغير ذلك من أعماله » .  
والتمريف بها جميعاً انظر : ( ياقوت ، معجم البلدان ) .

طنى وبني (١) عدوا على غلوائه فأورثه البغي العداوة والكفر  
وأمت عزاز كاسمها بك عزة تشق على النسرين لو أنها وكر  
كأنى بهذا العزم لا فل حده فأقصاه بالأقصى وقد قضى الأمر  
[٧٥] فسروا ملك (٢) الدنيا ضياءً وبهجة فبالأفق الداخي [إلى (٣)] إذا السناققر  
وقد أصبح البيت المقدس طاهرا وليس سوى جارى الدماء له طهر

### ذكر كسرة الفرنج بدلوك (٤) وفتحها

وفي سنة سبع وأربعين وخمسة تجمعت الفرنج وحشدت فارسهم وراجلهم  
وساروا نحو نور الدين محمود بن زنكى — رحمه الله — وهو ببلاد جوسلين ليمعوه  
من تملكها وأخذها ، فوصلوا إليه وهو بدلوك ، ، فوقع المصاف بها ، واقتلوا قتلا  
شديداً ، وصبر الفريقان عليه ، فانكسر الفرنج ، وقتل منهم وأسر عدد كثير ،  
وملك بدلوك واستولى عليها .

### ذكر استيلاء محمود بن زنكى على مدينة دمشق

#### ونخروج الملك عن بيت طفتكين

آخر من ملك دمشق من بيت الأمير ظهير الدين أتابك طفتكين الأمير  
مجير الدين آبق بن جمال الدين محمد بن تاج الملوك (٥) بورى بن طفتكين ، وكان القيم

(١) الأصل : « طفاوبنا » .

(٢) كذا في الأصل ، ولعلها : « واملا » .

(٣) أضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة : ( ابن الأثير : الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٨ ) .

(٤) هكذا ضبطها ياقوت وقال إنها بليدة من نواحي حلب بالعواصم .

(٥) في الأصل لفظ « بن » زائدة بين « تاج الملوك » و « بورى » .

بتدبير أمره معين الدين أتر مملوك جده ، وكان الحكم له ، وليس لمجير الدين إلا مجرد الاسم ، ثم توفي معين الدين سنة أربع وأربعين وخمسمائة .

ولما كانت هذه السنة — وهي سنة سبع وأربعين وخمسمائة — نازل الفرنج عسقلان — وهي للمصريين — فأخذوها وكان نور الدين لما نازل العدو عسقلان يتأسف إذ لا يمكنه الوصول إليهم ، ودفنهم عنها بسبب توسط دمشق بينه وبينهم ، فلما ملكها العدو وقبوا وطعموا في ملك دمشق ، واستضعفوا بجير الدين ، وتابعوا الغارة على أعماله ، وأكثروا القتل بها والنهب والسبي ، وأفضى الأمر بالمسلمين إلى أن جعل الفرنج على دمشق قطيعة في كل سنة ، وكان رسولهم يجي ويحببها من البلاد ، ثم اشتد البلاء حتى أرسل الفرنج واستعرضوا عبيدهم وإماءهم الذين نهبوا من سائر بلاد النصرانية ، وخبروهم بين المقام عند مواليهم والعود إلى أوطانهم ، فمن أحب المقام تركوه ، ومن أحب وطنه صار إليه ، وقلت حرمة مجير الدين عند أهل دمشق إلى أن حصروه في القلعة مع إنسان من كبار أهل البلد يقال له مؤيد الدين ابن الصوفي .

ولما اتصل ذلك بنور الدين لحقته الحمية ، وخاف من [٧٦] استيلاء العدو على بلاد المسلمين ، وأهمه أهل دمشق ، وعمل الحيلة في ملكها حيث علم أنه إن قصدتها ورام أخذها بالغلبة استمال صاحبها الفرنج واستعان بهم على حربته ، فاستمال نور الدين حينئذ مجير الدين صاحبها ولاطفه وأظهر مودته وواصله بالهدايا والتحف حتى وثق به ، ثم كان في بعض الأحيان يقول له : « إن فلاناً من الأمراء قد كاتبني في تسليم البلد إلي » ، فيبعد مجير الدين ذلك الأمير ويأخذ إقطاعه ، وفعل ذلك مراراً حتى أبعده مجير الدين عنه أكثر الأمراء ، وبقى عنده أمير يقال له عطاء بن حفظ السلي ، وكان شهماً شجاعاً ، ففوض إليه مجير الدين أمر دولته ، وكان نور الدين

لا يتمكن معه مما يريد ، فاتفق أن يجير الدين قبض عليه وقتله ، فتم غرض نور الدين إلى دولته ، وكاتب الأحداث بدمشق ووعدهم الإحسان إليهم واستمالهم إليه ، ثم سار إلى دمشق وحصرها ، فأرسل بجير الدين إلى الفرنج وبذل لهم الأموال ، ووعدهم تسليم بملك إليهم إن نجدوه ورحلوا نور الدين عنه ؛ فجمعوا فارسهم وراجلهم ، ولم يجتمع جمهم إلا وقد تسلّم نور الدين البلد .

وكان صورة تسلمه له أن الأحداث ثاروا وفتحوا الباب الشرقي فدخله نور الدين وملك البلد ، وحصر بجير الدين في القلعة ، وراسله في التسليم ، وبذل له إقطاعاً من جملته حمص ، فأجاب إلى ذلك ، وسلم قلعة دمشق إلى نور الدين ، وسار إلى حمص ثم إنه راسل أهل دمشق ليسلموا إليه البلد ، وعلم نور الدين بذلك ، فأخذ منه حمص ، وسلم إليه پالس ، فلم يرضها ، وسار عنها إلى بغداد وأقام بها ، وابتنى داراً بالقرب من مدرسة النظامية ، وتوفى بها ، وصفت الممالك بالشام لنور الدين .

وذكر ابن الأثير أن فتح تل باشر كان في هذه السنة ، وأن نور الدين بعث إلى حسان — صاحب منبج — في أن يتسلمها فتسلمها .

وكنا حكينا عن ابن منقز أن تسلمها كان في سنة ست وأربعين ، وما ذكره ابن الأثير هو الأصح ، فإنه ذكر أنه لما ورد عليه رسل النواب بتل باشر يبذلون التسليم إليه كان نور الدين نازلاً على دمشق ، ومنازلة الماء كانت في هذه السنة .

### ذكر منازلة نور الدين — رحمه الله — حارم

[٧٧] وفي سنة إحدى وخمسين وخمسمائة حاصر نور الدين محمود بن زنكي — رحمه الله — قلعة حارم وهي لبينند — صاحب أنطاكية — ؛ فجمع الفرنج وسار إلى لقاءه ، فمنعوها منه ، وكان في الحصن رجل من دهاة الأفرنج يرجعون إلى رأيه

وعقله ، فأرسل إليهم يقول لهم : « إننا نقدر على حفظ القلعة ، وليس بنا ضعف ، فلا تخاطروا باللقاء ، فإنه إن هزمكم أخذها وغيرها ، والرأى مطاولته ، فأرسلوا إليه وصالحوه على أن تعطوه نصف أعمال حارم » . واصطلحوا على ذلك ورحل عنهم .

وفي سنة اثنين وخمسين وخمسمائة كانت الزلزلة العظيمة التي هدمت حماة وشيزر ، وهلك تحت الردم بنو منقذ<sup>(١)</sup> الكفنانيون — أصحاب شيزر — فبادر إليها نور الدين فلحمها ، وأضافها إلى ممالكه ، وكانت هذه الزلزلة عظيمة جداً ، أهلكت حماة وشيزر ، وذكر بعض من أدركها أنه قال لبعض معلمي الكتاب : « كان عندي خلق من الصبيان هلكوا كلهم ، فما جاء أحد من أقاربهم سأل عن هلاك من هلك له » ، وهذا يدل على أنها أهلكت أقارب أولئك الصبيان كلهم ، وكانوا بنو منقذ اجتمعوا ذلك اليوم في مكان ، وعندما قرد يلعب بين أيديهم ، فوقع البناء عليهم فأهلكهم كلهم ، ولم يسلم إلا ذلك القرد ، فإنه هرب إلى بستان هناك من شباك الدار التي كانوا فيها ، فسلم وحده ، وارتدم الحصن الذي لم حتى كأنه لم يكن .

### ذكر استيلاء نور الدين على بعلبك

وفي هذه السنة — سنة اثنين وخمسين وخمسمائة — ملك نور الدين بعلبك ، وقد ذكرنا تملك عماد الدين بن زنكي لها ، ثم تسليم نائبه بها نجم الدين أيوب بن شاذي بعلبك إلى صاحب دمشق ، فاستناب بها رجلاً يقال له ضحَّاك البقاعي<sup>(٢)</sup> ، فلما ملك

(١) لاستيفاء أخبار شيزر وحصنها وأخبار الزلازل وأخبار بني منقذ أنظر : ( ابن الأثير :

الكامل ، ج ١١ ، ص ٨٢ — ٨٣ ) و ( أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ١٠٤ — ١٠٥ )

و ( محمد حسين : أسامة بن منقذ ) و ( طاهر النمساني : أسامة بن منقذ ) .

(٢) نسبة إلى بقاع بعلبك . ( ابن الأثير : الكامل ، ج ١١ ، ص ٨٥ ) .



نور الدين دمشق امتنع ضحكاً بيبعلبك ، ولم يمكن نور الدين محاصرتها لقربها من الفرنج ، وخاف إن حاصرها يسلمها ضحكاً إليهم ، فتلطف الحل معه إلى أن عوّضه عنها وتسلمها ، وفي ذى الحجة من هذه السنة توفي عز الدين الديلمي صاحب جزيرة ابن عمر ، وهو من أكبر الأمراء العهادية .

### [٧٨] ذكر استيلاء نور الدين على مدينتي بصرى وصرخد

كانت صرخد بيد الأمير أمين الدولة كُشْتِكِين<sup>(١)</sup> من جهة الأمير ظهير الدين أتابك طُغْتِكِين ، وكان يبصرى التيتاش<sup>(٢)</sup> غلام أمين الدولة ، فتوفي أمين الدولة في ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين وخمسة ، فصار غلامه التيتاش إلى صرخد فملكها ، واجتمعت له بصرى وصرخد ، وأظهر المشاقفة لصاحب دمشق ، وسار إلى الفرنج يستنجد بهم ، فسار الأمير معين الدين أنر مقدم الجيوش بدمشق إلى تلك الناحية ، فلما خرج الفرنج لنصرة التيتاش ، وهو معهم ، سار إليهم معين الدين فكسروهم ، وعادوا مخذولين إلى بلادهم ، ومعهم التيتاش ، ونزل الأمير معين الدين على صرخد وبصرى في ذى القعدة سنة إحدى وأربعين وخمسة ، وأقام محاصراً لها شهرين فملكها ، وانفصل التيتاش عن الفرنج ، وعاد إلى دمشق بغير أمان ، وكان في أيام ولايته قد قبض على أخيه خطلخ فكحله ، وأخرجه من عنده ، فلما وصل التيتاش إلى دمشق حاكمه أخوه خطلخ وكحله بالشرع قصاصاً ، ولما ملك الأمير معين الدين قلعتي بصرى وصرخد ، سلم صرخد إلى الأمير مجاهد الدين

(١) أمين الدولة كُشْتِكِين نائب قلعتي بصرى وصرخد ، ولاء عليهما الأتابك طغتكين ، أنشأ المدرسة الأمينية في دمشق للفقهاء الشافعية ، توفي سنة ٥٤١ هـ . أنظر : ( النجمي ، المدارس في تاريخ المدارس ، ص ١٧٨ وما بعدها ) .  
(٢) كذا في الأصل ، وهو في ( ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ) : « التوتاش » و « اليونياس » ؛ وفي : ( الروضتين ، ج ١ ، ص ٥٠ ) : « التوتاش » .

بُرْزَانُ بْنُ يَامِينَ (١) الْكُرْدِيُّ ، وَسَلَّمَ بِصُرَى إِلَى حَاجِبِهِ فَارَسَ الدَّوْلَةَ صَرْخِيكَ (٢) ،  
ثم توفى مجاهد الدين بُرْزَانُ بِصَرَخْدَ لَيْلَةَ ثَانِي صَفَرِ سَنَةِ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَخَمْسَمِائَةٍ ، فَلِكْهَ ٥٥٠  
بَعْدَهُ وَلَدُهُ سَيْفُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ بُرْزَانَ ، فَأَخَذَهَا مِنْهُ نُورُ الدِّينِ — رَحِمَهُ اللهُ —  
بَعْدَ امْتِنَاعٍ ، وَعَوَّضَهُ عَنْهَا حَصْنَ أَبِي قَبَيْسٍ ، وَقَتَلَ فَارَسَ الدَّوْلَةَ صَرْخِيكَ صَاحِبَ ٥٥٠  
بِصُرَى فِي الْحَرَمِ سَنَةَ خَمْسِينَ وَخَمْسَمِائَةٍ ، قَتَلَهُ ابْنُ الْحَاجِبِ جَوَاهُ (٣) زَوْجَ ابْنَتِهِ ،  
فَأَخَذَهَا نُورُ الدِّينِ — رَحِمَهُ اللهُ — وَوَلَّى فِيهَا نَوَابِهِ .

### ذِكْرُ خُرُوجِ أَمِيرِ أَمِيرَانَ (٤) بْنِ زَنْكِيِّ عَلَى أَخِيهِ نُورِ الدِّينِ

وَفِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَخَمْسَمِائَةٍ مَرَضَ نُورُ الدِّينِ — رَحِمَهُ اللهُ — بِقَلْعَةِ حَلَبٍ ،  
وَاشْتَدَّ مَرَضُهُ ، وَأَرْجَفَ النَّاسُ بِمَوْتِهِ ، فَجَمَعَ أَخُوهُ الْأَصْفَرُ أَمِيرُ أَمِيرَانَ بْنِ زَنْكِيِّ  
النَّاسَ ، وَحَصَرَ قَلْعَةَ حَلَبٍ ، وَكَانَ الْأَمِيرُ أَسَدُ الدِّينِ شِيرْكُوهُ بْنُ شَاذِيٍّ بِمَحْصٍ ،  
وَهُوَ مَقْطَعُهَا ، فَسَارَ إِلَى [ ٧٩ ] دِمَشْقَ لِيَتَغَلَّبَ عَلَيْهَا ، وَبِهَا أَخُوهُ (٥) نَجْمُ الدِّينِ أَيُّوبُ  
ابْنُ شَاذِيٍّ ، فَأَنْكَرَ عَلَيْهِ نَجْمُ الدِّينِ ذَلِكَ وَقَالَ : « أَهْلَكْتُنَا ، وَالْمَصْلَحَةُ أَنْ تَعُودَ

(١) فِي الْأَصْلِ هُنَا وَفِيهَا يَلِي : « بَرَانُ بْنُ يَامِينَ » ، وَالتَّصْحِيحُ هُنَا عَن : ( النَّبِيِّ :  
الْفَارَسِ ، ج ١ ، ص ٤٥١ ، هَامِش ٢ ) حَيْثُ ذَكَرَ النَّاشِرُ أَنَّ الْأَسْمَ صَحِيحٌ بِمَدِّ مِرَاجِعَةِ  
الْكِتَابَةِ الْمَقْوُودَةِ عَلَى « تَبَةِ بَابِ الدَّرْسَةِ الْمَجَاهِدِيَّةِ الْجَوَانِيَّةِ الَّتِي أَنْشَأَهَا بِأَسْمِهِ فِي دِمَشْقِ . وَهُوَ  
مَجَاهِدُ الدِّينِ أَبُو الْفَوَارِسِ بَرَانُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ مِنَ الْأَكْرَادِ الْجَلَالِيَّةِ وَهِيَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ ، بِلَادِمِ  
فِي الْعِرَاقِ بِنَوَاحِي دِقْوَقَا مِنْ أَعْمَالِ بَغْدَادِ ، وَكَانَ أَحَدَ مَقْدِمِي الْجَيْشِ بِالشَّامِ فِي دَوْلَةِ نُورِ الدِّينِ  
وَنَابَ بِصَرَخْدَ ، وَتَوَفَّى سَنَةَ ٥٥٥ هـ . أَنْظَرَ تَرْجُمَتَهُ فِي : ( الْمَرْجِعُ السَّابِقُ ) وَ ( ابْنُ الْقَلَانِسِيِّ :  
الْقَبِيلُ ، ص ٣٥٩ ) وَ ( الرَّوْضَتَيْنِ ، ج ١ ، ص ١٢٣ ) .

(٢) كَذَا فِي الْأَصْلِ ، وَفِي : ( النَّبِيِّ : الْمَرْجِعُ السَّابِقُ ، ص ٥٢ ) : « صَرْخِكَ »  
وَلَمْ يَسْتَطِعِ النَّاشِرُ ضَبْطَ الْأَسْمِ .

(٣) كَذَا فِي الْأَصْلِ وَلَمْ يَسْتَطِعِ النَّاشِرُ ضَبْطَ الْأَسْمِ .

(٤) هُوَ نَصْرَةُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ زَنْكِيِّ ، وَيُقَالُ لَهُ أَيْضاً « أَمِيرُ مِيرَانَ » .

(٥) فِي الْأَصْلِ : « أَخِيهِ » .

إلى حلب مجداً ، فإن كان نور الدين حياً خدمته في هذا الوقت ، وإن كان قد مات  
فأنا في دمشق تفعل ما تريد من تملكها » ، فماد إلى حلب مجداً وصعد القلعة ،  
وأجلس نور الدين في شباك يراه الناس ، وكلمهم فلما رأوه حياً تفرقوا عن أخيه  
أمير أميران ، فسار إلى حران فملكها ، فلما عوفى نور الدين قصد حران فهرب أخوه  
أمير أميران وترك أولاده بالقلعة ، فملكها نور الدين وسلمها إلى الأمير زين الدين  
على كوجك بن بكتكين — صاحب إربل ونائب أخيه قطب الدين مودود  
ابن زنكي بالموصل .

ثم سار نور الدين إلى الرقة ، وبها أولاد أميرك الجاندار ، وهو من أعيان  
الأمراء الهادية ، وكان قد توفى وبقي أولاده ، فشنع فيهم جماعة من الأمراء ،  
فغضب ، وقال : « هلا شفعم (١) في أولاد أخي لما أخذت منهم حران ،  
وكانت الشفاعة فيهم من أحب الأشياء إلى » ، ولم يشفعم وأخذها منهم .

### ذكر وفاة المفتي (٢) لأمر الله وسيرته

قد ذكرنا خلع السلطان مسعود للراشد بالله ، وإقامة المفتي لأمر الله للخلافة ،  
ولما تولى الخلافة أحسن السيرة ولم يتعرض لمحاربة أحد ، ولا لتجنيد أجناد ،  
حسب ما اشترطه السلطان مسعود عليه ، ثم راسله السلطان ليتصل بأخته فاطمة  
بنت محمد بن ملكشاه ، فأجابه إلى ذلك ، وعقد العقد بدار الخلافة على صداق  
مبلغه مائة ألف دينار ، ثم حملت الجهة من همدان إلى بغداد ، وصحبتها قاضي القضاة ،

(١) في الأصل : « تشفموا » والنصحیح عن : ( ابن الأثير ، ج ١١ ، ص ٩٥ ) .  
(٢) انظر ترجمته في : ( ابن الجوزي : المنتظم ، ج ١٠ ، ص ١٩٧ ) و ( ابن الأثير :  
الكامل ، ج ١١ ، ص ٩٦ ) و ( سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ٢٣٤ —  
٢٣٥ ) و ( ابن تفری بردي : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٣٣٢ ) و ( السيوطي : تاريخ  
الخلفاء ، ص ٢٩٠ — ٢٩٣ ) .

واستوزر المقتنى يحيى بن هُبَيْرَةَ ، فأقام حشمة الدولة ؛ ثم توفي السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه بباب همدان يوم الأربعاء تاسع عشر جمادى الآخرة سنة سبع وأربعين وخمسمائة ، فاضطربت الدولة السلجوقية بموته ، وكثر الخلف بين ملوكها ، فحينئذ تفرد الخليفة المقتنى لأمر الله بأمر العراق ، وطرد عنه نواب السلجوقية ، وبني سور بغداد ، وجنّد الجنود ، وجمع المساكر ، وقام وزيره [ ٨٠ ] عون الدين أبو المظفر يحيى بن هُبَيْرَةَ بأعباء مملكته حق القيام ، فقصد بغداد السلطان محمد شاه ابن محمود بن ملكشاه طالبا من الخليفة أن يخطب له بالسلطنة ، فامتنع الخليفة من ذلك فجمع السلطان الجموع من الأطراف ، واستعان بالأمير قطب الدين مودود ابن عماد الدين زنكي — صاحب الموصل — ، فسير إليه عسكريا مقدمهم زين الدين علي كُوجَك بن بكتكين صاحب إربل ، فانزل السلطان محمد شاه بغداد من يوم السبت ثاني عشر المحرم سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة إلى يوم الاثنين ثالث عشر ربيع الأول من هذه السنة ؛ ونصب على بغداد المنجنيقات والسلام ، فلم ينل غرضا ، وظهر من الخليفة المقتنى لأمر الله من الشجاعة والثبات وبذل العطاء مالا مزيد عليه ، ولما طال الحصار ولم ينل السلطان محمد شاه غرضا رحل عن بغداد خائبا ، وتفقت وفاة السلطان سنجر بن ملكشاه — عم القوم — صاحب خراسان ، وكانت الخطبة مستمرة له ببغداد ، فقوى أمر الخليفة بالعراق ، وقامت حشمة الدولة العباسية ، ورجعت إلى أحسن ما كانت عليه ؛ وكان المقتنى لأمر الله فاضلا حسن العقيدة ، وله شعر حسن من جملته :

قالت أحبك ، قلت : كاذبة ، غرّني بذا منّ ليس يفتقد  
لو قلت لي : أشاك ، قلت : أجل ، الشيخ ليس يجبه أحد

ص ١٣٢

٥٥٤

الغزير

وروى أنه وقف يوماً على ظاهر مشهد علي بن أبي طالب — رضي الله عنه —  
بالنجف ، وكان قد عزم على الدخول إليه لزيارته ، فمنعه وزيره عون الدين بن هُبَيْرَة (١)  
من ذلك ، وصدفه عنه بأقوال قلها له ، فتمثل المقتفي بأبيات منح من نويرة ، وأشار  
إلى جهة القبر ، وهو واقف خارج سور المشهد :

لقد لامني عند القبور على البكا      رفيقٍ لتذرافٍ (٢) الدموعِ السوافكِ  
وقال : أتبكي كُلَّ قَبْرٍ رأيتَه      لِقَبْرِ نُوِي بَيْنِ اللُوِي (٣) فَالْدَ كادِكِ ؟  
أمنَ أَجْلِ مَيِّتٍ واحِدٍ أنتِ نائِحٌ      على كلِّ قَبْرِ أو على كلِّ هالكِ  
فقلتُ له : إن الأسي يبعثُ الأسي ،      ذروني ، فهذا كله قَبْرُ مالكِ

ثم قال مشيراً بأصبعه إلى القبر : « السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله  
وبركاته ، [ ٨١ ] اللهم أنت قلتَ وقولك الحق : « وأنوا البيوت من أبوابها » ،  
وهذا باب من أبوابك ، اللهم فاغفر لي به كل خطية ، واقض لي به كل حاجة ،  
وأكفني ببركة كل منهم ، رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت » ، وانصرف .  
وكانت وفاة المقتفي لأمر الله يوم الأحد ثاني ربيع الأول سنة خمس وخمسين وخمسمائة ،  
وكانت مدة خلافته أربعاً وعشرين سنة ، وثلاثة أشهر ، واثنين (٤) وعشرين يوماً ،  
وعمره ست وستون سنة .

(١) هو عون الدين أبو الظفر يحيى بن هبيرة ، توفى سنة ٥٦٠ هـ ؛ انظر ترجمته في : ( ابن  
طباطبا : الفخرى ، ص ٢٧٦ — ٢٧٩ )  
(٢) في الأصل : « بتذراف » .  
(٣) في الأصل : « بين الثرى والدكادك » .  
(٤) في ( ابن الأثير ، ج ١١ ، ص ٩٦ ) و ( ابن الجوزي : المرجع السابق ) :  
« ستة عشر يوماً » .

## ذكر بيعة المستنجد بالله

وفي هذا اليوم يربع بمقداد للخليفة المستنجد بالله أبو المظفر يوسف بن المقتدي ،  
بنص من أبيه عليه ، وبإيمه عمومته وبنو عمه ، وأقرّ الوزير عون الدين أبا المظفر  
يحيى بن هبيرة على وزارته ، وكان له معظماً مكرماً لأن والده أوصى إليه بذلك ، وبلغ  
من تقريبه أن بعضهم حكى ، قال : « دخلت الدار فوجدت الخليفة المستنجد بالله ،  
وبين يديه وزيره يحيى بن هبيرة ، والخليفة يفتشه شعراً لنفسه يمدح به وزيره . وهو :

صَفَّتْ نُعْمَتَانِ ، خَصَّتَاكَ وَعَمَّتَا ،      فَدَكَّرُهَا حَتَّى الْقِيَامَةِ يُذَكِّرُ : (١)  
وَجُودُكَ وَالدُّنْيَا إِلَيْكَ قَبِيرَةٌ ،      وَجُودُكَ وَالْمَعْرُوفُ فِي النَّاسِ يُنْكَرُ  
فَلَوْ رَامَ يَا يَحْيَى مَقَامَكَ جَعْفَرٌ      وَيَحْيَى لَكَمَا عَنْهُ يَحْيَى وَجَعْفَرٌ  
وَلَمْ أَرَ مِنْ يَنْوِي لَكَ الشَّرَّ يَا أَبَا بَالٍ      مُظْفَرٌ إِلَّا كُنْتَ أَنْتَ الْمُظْفَرُ

## ذكر حصر نور الدين مدينة حارم

وفي سنة سبع وخمسين وخمسمائة جمع نور الدين محمود بن زنكي — رحمه الله —  
المساكر وسار بهم إلى حارم ، فحصرها وجهد في قتالها ، فامتنت عليه لخصائنها وكثرة  
من بها من فرسان الفرنج وشجعانهم ومقاتيلهم ، ولما علم الفرنج مناورة نور الدين حارم  
جمعوا فارسهم ورجالهم واستعدوا وحشدوا ، وساروا نحوه ليرحلوه عنها ، فلما قاربوه  
طلب منهم المصاف ، فلم يجيبوا إليه ، وراسلوه ، وتلطفوا معه الحال ، فلما رأى عجزه  
عن أخذ الحصن وأنهم (٢) لا يجيبونه إلى المصاف عاد إلى بلاده .

(١) في ( ابن الجوزي ، ج ١٠ ، ص ٢١٤ ) : « ينشر » .

(٢) في الأصل : « وأنه » .

## ذكر هزيمة نور الدين من الفرنج

وفي سنة ثمانية وخمسين وخمسمائة [٨٢] جمع نور الدين — رحمه الله —  
العساكر ، فنزل بالبقية ، تحت حصن الأكراد ، عازماً على دخول بلادهم ، ومنازلة  
اطرابلس ؛ فبينما الناس في بعض الأيام في خيامهم وإذا بصليان الفرنج وراء الجبل  
الذي عليه الحصن ، فكبسوا المسلمين ، ووضعوا فيهم السيف ، وأكثروا فيهم القتل  
والأسر ، وقصدوا خيمة نور الدين محمود ، فخرج من ظهر خيمته عجلاً بغير قباء ، فركب  
فرساً (١) هناك للنوبة ، ولسرعته ركبته وفي رجله الشبحة (٢) ، فقتل إنساناً  
من الأكراد فقطعها ، فنجى نور الدين ، وقتل الكردي ، فسأل نور الدين من بعد  
ذلك عن مخافيه فأحسن إليهم جزاء الفعلة .

وكان أكثر القتل في السوق ، وسار نور الدين إلى حصص ، فنزل ظاهرها ،  
وأحضر ما يحتاج إليه من الخيام فنصبها على بحيرة قدس ، وكان الناس يظنون  
أنه لا يقف دون حلب ، واجتمع إليه كل من نجا من المعركة ، وأرسل إلى دمشق ،  
وأحضر الأموال والدواب والأسلحة والخيام وجميع ما يحتاج إليه ، وفرق ذلك  
على من سلم ، ومن قتل أقر إقطاعه على أولاده ، ومن لم يكن له أولاد فعلى بعض  
أهله ، فعاد العسكر (٣) في مدة قريبة كأنه لم يفقد منه أحد ؛ فرحمه الله وقُدس  
روحه ، وهكذا فلتكن الملوك .

(١) في الأصل : « فرس » .  
(٢) كذا في الأصل ، وفي (السان) : « الشبحة العود » ، ولعل المقصود أن رجل  
الفرس كانت لاتزال مربوطة إلى الوتد .  
(٣) بد هذا اللفظ في الأصل : « كأنه لم يفقد منه أحد » وقد حذفها الناشر لأنها  
تكرار من الناسخ بخلاف المعنى .

ولما انهزم المسكر الإسلامي عن الفرنج — لعنهم الله — ظنوا أنهم لا يقوم لهم قائمة بعدها ، وصمموا على قصد حصص وأخذها ، فلما بلغهم مقام نور الدين عندها ، قالوا : « لم يفعل هذا إلا وعنده من القوة أن يمنعنا » ، وأكثر نور الدين من الخرج ، فدكر أنه قسم في يوم واحد مائتي ألف دينار سوى غيرها من الدواب والسلاح والخيال ، وتقدم إلى الديوان أن يحصروا الجند ، ويسألوا كل واحد عن الذي أخذ منهم ، فكلما ذكر شيئاً أعطوه عوضه ، فحضر بعض الجند وادعى شيئاً كثيراً علم بعض النواب كذبه فيما ادعاه لمعرفتهم بحاله ، فأرسلوا إلى نور الدين وأنها إليه القضية واستأذنه في تحليفه على ما ادعاه ، فخرج الجواب : « لا تكذبوا عطاءنا ، فإنني أرجو الأجر والثواب [ ٨٣ ] على قليله وكثيره » .

ومن أحسن ما يؤثر عنه أنه قال له أصحابه : « إن لك في بلادك إدارات كثيرة وصلات عظيمة للفقهاء والفقراء والصوفية والقراء ، فلو استعنت الآن بها لكان أمثل » ، فنضب وقال : « والله إني لا أرجو النصر إلا بأولئك ، فإنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم ، كيف أقطع صلوات قوم يقاتلون عني وأنا قائم في فراشي بسهام لا تخطي ، وأصرفها إلى من لا يقاتل عني إلا إذا رأي ، بسهام قد تخطي وتصيب ؟ ثم هؤلاء القوم لهم نصيب في بيت المال أصرفه إليهم ، كيف أعطيهم غيرهم ؟ » فسكتوا .

وراسلت الفرنج نور الدين في معنى المهادنة ، فامتنع ، فتفرقوا في بلادهم ، وفي هذه الواقعة يقول مهنب الدين بن أسعد الموصلی (١) المدرس بحمص قصيدة منها :

(١) هو أبو الفرج عبيد الله بن أسعد بن علي بن عيسى الموصلی الجمعي المعروف بابن الدهان . النقيب الشافعي الشاعر وینت بمهذب الدين ، توفي سنة ٥٥٩ هـ . ترجم له ( ابن تفری ردي : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٣٦٥ — ٣٦٦ ) قال : « كان فصيحاً فقيهاً فاضلاً أديباً شاعراً غلب عليه الشعر واشتهر به ، وله ديوان صغير وكله جيد ، ورحل البلاد ومدح بمصر الوزير الصالح خلّاع بن رزيق وغيره » ، أنظر أيضاً : ( أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ١٢٨ ) .



ظبي<sup>(١)</sup> المواضي وأطراف القنا الذبل  
وكافل<sup>(٢)</sup> لك كاف<sup>(٣)</sup> ما تحاوله  
وما يعيبك ما نالوه<sup>(٤)</sup> من سلب  
وإنما أخلدوا حيناً إلى خدع  
واستبظوا ، وأراد الله غفلتكم  
قناً لقناً ، وقسى غير مورة  
ما يصنع الليث - لاذاب ولا ظفر -  
هلا وقد ركب الأسد المصور وقد  
ضوامن<sup>(٥)</sup> لك ما حازوه من فغل  
عز<sup>(٦)</sup> وحزم<sup>(٧)</sup> وبأس غير منتقل<sup>(٨)</sup>  
بالخل ، قد تؤسر الأساد بالخيال  
إذ لم يكن لهم بالجيش من قبل  
لينفذ القدر المحتوم في الأزل  
والخليل عارية<sup>(٩)</sup> ترعى مع المهمل  
بما حوالبه : من عُفِر ومن وُعِل  
سَلُو الظبي تحت غابات من الأسل

### ذكر مسير أسد الدين شيركوه الأول إلى مصر

ولما كانت سنة ثمان وخمسين وخمسمائة وصل أمير الجيوش أبو<sup>(٦)</sup> شجاع شاور  
ابن مجير السعدي إلى دمشق ، وذلك لست مضين من ربيع الأول ، مستنصراً بنور  
الدين علي ضرغام بن سوار الملقب بالمنصور ، وكان تغلب على الوزارة وأخرج شاورا  
منها ، وقتل ولده طياً ، والخليفة يومئذ العاضد لدين الله أبو محمد عبد الله بن يوسف  
ابن أبي الميمون عبد المجيد [ ٨٤ ] الحافظ لدين الله . والحكم للوزراء ، من قهر

(١) في الأصل : « ظبا » .

(٢) في ( الروضتين ، ج ١ ، ص ١٢٨ ) : « وعزم » .

(٣) في المرجع السابق : « منتحل » .

(٤) في نفس المرجع : « ما حازوه » .

(٥) في ( الروضتين ، ج ١ ، ص ١٢٨ ) : « طازبة » .

(٦) في الأصل : « نصر بن شجاع ، وهو خطأ واضح ، واسمه بالكامل : « أبو شجاع

شاور بن مجير ابن نزار بن عشار بن شاس السعدي » انظر ترجمته في : ( ابن خلكان :

الوفيات ج ٢ ، ص ١٥٦ - ١٦٠ ) .

بالسيف أخذها ، وانخافوا بمصر تحت قهرهم ؛ وكان الامر كذلك من أيام المستنصر بالله معدي بن الظاهر .

وشرط شاور لنور الدين أنه إن سبر معه العسكر ليقوى بهم على خصمه ضرغام ، وينزع الوزارة منه ، أن يكون لنور الدين حصة من البلاد ، ويكون شاور متصرفا تحت أمره ونهيه واختياره ، فتردد نور الدين — رحمه الله — في إجابته ، فتارة يقوى عزمه على ذلك طلبا للزيادة في الملك وليقوى على عدو الدين ، فإن لم يكن له — رحمه الله — همة لإجهادهم ؛ وتارة يثنى عزمه خوفا على العساكر من خطر الطريق بسبب توسط الفرنج بينه وبين الديار المصرية .

ثم إنه قوى عزمه ، وصمم على إجابة شاور إلى ملتزمه ، واستخار الله سبحانه في ذلك ، فتقدم إلى أسد الدين بالتجهيز للمضي مع شاور ، واستصحب معه العساكر ، وسار وفي صحبته شاور ، وسار معهما نور الدين إلى طرف بلاد الإسلام مما يلي بلاد الأفرنج في بقية العسكر ، ليشغلهم عن التعرض لآسد الدين .

وكان قصارى الفرنج حفظ بلادهم من نور الدين ، ثم طارق أسد الدين نور الدين ، وسار بمن معه إلى الديار المصرية ، وكانت الطريق إذ ذاك شرقي الكرك والشوبك ، على عقبة أيلة<sup>(١)</sup> إلى صدر<sup>(٢)</sup> وسويس ، ثم إلى البركة<sup>(٣)</sup> التي على باب القاهرة .

(١) مدينة على ساحل بحر القلزم وهي المعروفة اليوم باسم العقبة اختصاراً . انظر أخبارها في : (ياقوت : معجم البلدان) و (المقريزي : الخطط ، ج ١ ، ص ٢٩٨ — ٣٠٠) .  
(٢) هكذا ضبطها ياقوت ، وقال إنها قلعة خراب بين القاهرة وأيلة .  
(٣) هي بركة الجب ، وقد عرفها (المقريزي : الخطط ، ج ٣ ، ص ٢٦٥ — ٢٦٧) بقوله : « هذه البركة في الجهة البحرية من القاهرة على نحو بريد منها ، عرفت أولاً بجمجمة ، ثم قيل لها أرض الجب ، وعرفت اليوم ببركة الحجاج من أجل نزول حجاج البر بها عند مسيرهم من القاهرة وعند عودهم .. إلخ » .

ولما قارب أسد الدين مصر خرج إلى لقاءه ناصر الدين أخو الضرغام بمسار  
مصر ، فلقبهم ، فانهزم ناصر الدين وعاد إلى القاهرة مهزوما ، ووصل أسد الدين  
فنزله على القاهرة في أواخر جمادى الأولى سنة تسع وخمسين وخمسمائة ، فخرج  
الضرغام من القاهرة مسلخ الشهر ، فأدرك وقتل عند مشهد السيدة نفيسة بنت الحسن  
ابن زيد بن الحسن بن علي — رضوان الله عليهم — ، وبقي مطروحا يوفين ، ثم حمل  
ودُفن بالقرافة ، وقتل أخوه أيضاً .

وخلع على شاور خلع الوزارة في مستهل رجب من السنة المذكورة ، وأعيد  
إلى الوزارة وتمكن منها ، وأقام أسد الدين [ ٨٥ ] بظاهر القاهرة ، وغدر به شاور ،  
ورجع عما كان وافق نور الدين عليه ، وأرسل إليه يطلب منه الرجوع إلى الشام ،  
فامتنع أسد الدين ، وطلب منه ما وقع الاستقرار عليه ، فلم يجبه شاور ، فلما رأى  
أسد الدين إصرار شاور على الغدر ، وأرسل نوابه إلى مدينة بلبليس ، فقتلوهما ،  
وحكم على الأعمال الشرقية ، فأرسل شاور حينئذ إلى الفرنج يستمدم ، ويخوفهم  
من نور الدين إن ملك الديار المصرية ما يطيب لهم معه مقام ، وكان الفرنج لما سمعوا  
بتوجه عساكر نور الدين إلى الديار المصرية قد خافوا خوفا شديداً ، وأيقنوا  
بالهلاك ، وأن بلادهم تستأصل ، فلما وصلتهم رسل شاور يدعوهم إلى مساعدتهم سرروا  
بذلك ، وبأدروا إليه .

## ذكر وصول الفرنج إلى الديار المصرية

ومحاصرتهم أسد الدين ببلبليس

فسارعوا إلى تلبية شاور ، وطعموا في الديار المصرية ، وتجهزوا — بعد وقوع  
الاتفاق بينهم وبين شاور — على مال كثير يحمله إليهم إن رحلوا عسكر نور الدين  
عن البلاد .

ولما بلغ نور الدين — رحمه الله — توجهُ الفرنج إلى مصر سار بالعسكر إلى طرف بلادهم ليمتنعوا عن المسير ، فلم يمنعمهم ذلك ، لعلمهم أن الخطر في تملك أسد الدين مصر أكثر ، فتركوا في بلادهم من يحفظها من نور الدين ، وتوجه ملك القدس في بقية عساكره إلى ديار مصر ، واستعان بجمع كثير من الفرنج الذين كانوا قد وصلوا لزيارة البيت المقدس ، فلما قارب الفرنج مصر قصد أسد الدين شيركوه مدينة بلبليس وأقام بها هو وعسكره ، وتحصن بها ، واجتمعت العساكر المصرية والفرنج ، ونازلوا بلبليس وحصروها ، وحماها أسد الدين وعسكره ثلاثة شهور ، مع أن سورها من طين ، وليس لها خندق يحميها ، وجد في قتالهم بكرة وعشبة ، فلم ينالوا منها غرضا .

### ذكر وقوع الصلح بين أسد الدين والمصريين والفرنج

فبينما هم يجتهدون في حصار بلبليس إذ أتاهم <sup>الجندي</sup> الجند بكثرة الفرنج على حارم ، وتملك [٨٦] نور الدين لها ، ومسيره بعد ذلك إلى بانياس لأخذها ، فعظم ذلك عليهم ، وخافوا على البلاد فراسلوا أسد الدين في الصلح وتسليم ما أخذه من البلاد إلى المصريين ، ففعل ذلك ، لأن الأقوات قلت عليه ، وعلم عجزه عن مقاومة الفريقين ، فصالحهم ، وخرج من بلبليس في ذى الحجة من هذه السنة ، فذكر من شجاعته وشهامته التي لم يسمع بمثالها أن أصحابه خرجوا بين يديه ، وخرج خلفهم ويده لث (١) حديد ، وهو يحمي ساقهم ، والمسلمون من المصريين ، والفرنج ، ينظرون إليه ويتمجبون منه ، فاتاه إفرنجي من الغربا (٢) ، وقال : « أما تخاف

(١) لفظ فارسي ، وجمه « لتوت » ، ومنه القدام أو الفأس الكبيرة . انظر :

(محيط المحيط) و (Dozy : Supp. Dict. Arab) .

(٢) يقصد أنه إفرنجي من الوافدين من أوروبا ، لا من الفرنج المستقرين في الشام .

أن يندر بك هؤلاء المصريون والفرنج ، وقد أحاطوا بك وبأصحابك ، فلا يبقى منكم بقية . فقال أسد الدين : « ليتهم ، لو فعلوا حتى كنت ترى ما أفعل ، كنت والله أضع فيهم السيف ، فلا يُقتل منا رجل حتى يقتل رجلا ، وحينئذ يقصدهم نور الدين وقد ضعفوا وفنيت شجعاتهم ، فيملك بلادهم ، ويهلك من بقى منهم ، والله لو أطاعوني هؤلاء لخرجت إليكم أول يوم ، ولكنهم امتنعوا » ، فصأب الفرنجى على وجهه وقال : « كنا نعجب من فرنج هذه البلاد ومبالغتهم في وصفك وخوفهم منك ، والآن قد عذرتاهم » .

ثم سار أسد الدين إلى الشام سالماً ، وكان الفرنج قد وضعوا له في الطريق رسداً ليأخذوه ، فلم بذلك ، فماد عن تلك الطريق ، ففى ذلك يقول عمارة بمدحه من قصيدة :  
أخذنم على الإفرنج كل ثنيةٍ      وقلم لأيدى الخليل مرى على مرى  
لئن نصبوا فى البر جسرًا فإنكم      عبرتم ببحر من حديد على الجسر (١)  
ووصل أسد الدين إلى نور الدين ، وفى عود الوزارة إلى شاور بعد عزله عنها يقول عمارة بن على البينى ، بمدحه من قصيدة :

فَنصرت فى الأولى بضرب (٢) زلزال      لأقدام ، وهى شديدة الإقدام  
ونصرت فى الأخرى بضرب صادق      أضفى يطير به غراب الهام  
[٨٧] أدركت نارًا ، وارتجمت وزارة      نزعا بسيفك من يدى ضرغام  
وفى حصار بلبس والانتصار على أسد الدين شيركوه ، يقول عمارة من قصيدة بمدح بها العاضد ووزيره شاور أولها :

إن السعادة قد أظل زمانها      واقترا عن ثغر الهنا ألوانها  
(١) ورد هذان البيتان فى : ( عمارة : السكت المصرية فى أخبار الوزراء المصرية ، ج ١ ، ص ٨٠ ) .  
(٢) فى ( المرجع السابق ، ص ٨٩ ) : « برعب » . وهناك آيات كثيرة أخرى هى بقية القصيدة .

واقاك أول عامها بمسرة لا الفطر أهداها ولا رمضانها  
مجددا بنى عبد المجيد فإنكم من دوحه نبوية أغصانها  
كم آية رويت ، لكم أسرارها آل الوصي ، ولورى إعلانها  
وهب الخلافة شاركوكم فى اسمها أو ليس فرق بينكم فرقانها  
فكانما تأويلكم أرواحها وكانما تفسيركم أبدانها  
نظمت بآية نصركم من شيركوه (١) سبر يزيد على السماع عيانها  
أخبرتمونا عنه قبل مجيئه أخبار صدق صح عنه بيانها  
وكان علم الحاديات (٢) وديمة مخزونة ، وصدوركم خزائنها  
تأتى الامور وقد سطرتم ذكرها فيكون بعد حديثكم حدثانها

ومنها (٣) فى مدح شاور :

ولقد دُفعت إلى ثلاث (٤) نواب  
فمصابة غزيرة غادرتها  
وعصابة رومية عاشرتها  
وعصابة مصرية بك (٥) أصبحت  
خلصت كل قبيلة من ضئها  
أشبهت نوحاً مدةً وهدايةً فى أمة متزايد طغيانها  
كادت تشيب لهولها ولدانها  
وأجل ما ترجوه منك أمانها  
فتأدبت وتهذبت أذهانها  
فوق البرية راجحاً ميزانها  
لما التوت وتمعدت عقداؤها (٦)

(١) فى الأصل : « فى شيركو » والتصحيح من : ( ديوان عماره ، ص ٣٦٨ ) .  
(٢) فى الديوان : « الكائنات » .  
(٣) بهذا اللفظ يتقابل النص مرة أخرى مع نسخة س فى أول ( ص ١٢٧ ) .  
(٤) فى س ( ص ١٢٧ ) : « بك » بدون نقط والتصحيح عن : ( ديوان عماره ، ص ٣٦٩ ) .  
(٥) فى س ( ص ١٢٧ ) « بك » .  
(٦) فى : ( عماره : النكت المصرية ، ج ١ ، ص ٨٣ ) : « اشطانها » .

وتداركت بلبيس منك عواطف يسع الزمان وأهله غفرائها  
[٨٨] أقسمت لولا حسن رأيك لاغتدى الـ ناقوس في بلبيس وهو أذانها  
بلد لو انهدمت قواعد سُوره (١) بيد النصارى لم يمد بفيائها  
ومنها في عود الوزارة إليه :

كانت وزارتك القديمة مشرعاً صفوا ، ولكن كُدرت عُذرائها  
غصبت رجال تاجه وسريره من بعد ما سجدت له تيجانها  
أخلى لهم (٢) دسنت الوزارة عالماً أن سوف يتزغ بينهم شيطانها (٣)  
قد كان أودع (٣) في الرقب صنائماً كفرت به ، فأبادهها (٤) كُفرائها

### ذكر فتح حارم وكسر الفرنج

لما قصد الفرنج ديار مصر — كما تقدم ذكره — أراد نور الدين — رحمه الله —  
قصد بلاد الفرنج ليعودوا عن مصر ، فاستعد للجهاد ، وكاتب أخاه قطب الدين مودود  
ابن عماد الدين زنكي — صاحب الموصل — وقرأ أرسلان (٥) بن داوود بن سقمان بن  
أرتق — صاحب حصن كيفا والديار الجزيرية — ، ونجم الدين ألب أرسلان بن تمرقاش  
ابن إيلغازي بن أرتق — صاحب ماردين — وأصحاب الأطراف يدعوم إلى مساعدته  
على الجهاد ، فجمع قطب الدين مودود عساكره وسار إلى نجدة أخيه ، وأما فخر الدين

(١) في س : « سورها » .

(٢) في س : « احلام » « وبسطانها » .

(٣) في س : « أصنع » .

(٤) في الأصل : « فأوداها به » ، والتصحيح من : (المرجع السابق ، ص ٨٤) .  
والذي رواه المؤلف هنا أبيات مختارة ، والقصيدة في (الديوان) و (النكت) أكثر أبياتاً ،  
فانظرها هناك .

(٥) في الأصل : « قرأ أرسلان » ، وما هنا من : س (ص ١٢٧)

صاحب الحصن فقال له ندماؤه وخواصه : « على أي شيء عزمت (١) ؟ » فقال :  
« على القعود ؛ فإن نور الدين قد تحشفت (٢) من كثرة الصوم والصلاة ، فهو كل يوم  
يُلقي نفسه في وقعة ، والناس معه في المهالك » ؛ فوافقه أصحابه على هذا الرأي ؛  
فلما كان الغد أمر أصحابه بالتجهز للغزاة ، فقال له أصحابه : « ما عدا مما (٣) بدأ ؟  
فارقناك بالأمس على حال ونرى منك اليوم على (٤) ضدها » ؛ فقال : « اعملوا  
أن نور الدين قد سلك معي طريقا إن لم أنجده خرج أهل بلادي عن طاعتي ، وأخرج  
البلاد عن يدي ، فإنه قد كاتب زهادها وعبادها يذكر لهم ما لقي المسلمون (٥)  
من الفرنج وما نالهم من القتل والأسر ، ويستمدم الدعاء ، وطلب منهم أن يبحثوا  
المسلمين على الغزاة ؛ [ ٨٩ ] وقد قعد (٦) كل واحد منهم ومعه أصحابه وأتباعه  
يقرأون كتب نور الدين ويبكون ، ويلعنوني ويدعون عليّ ، ولا بد من السير  
إليه » ثم إنه تجهز وسار إليه .

وأما صاحب ماردين فإنه سبرّ إليه عسكريا [ وكذلك سار إليه كل من كاتبه ] (٧) ،  
ولما اجتمعت العساكر عند نور الدين — رحمه الله — نازل حارم ونصب عليها  
المجانيق ، فاجتمع من بقي في الساحل من الفرنج ، وجاؤوا إليه في جموعهم ، ومعهم  
يمند صاحب أنطاكية وابن جوسلين وغيرهما ، وقصدوا نور الدين — رحمه الله —  
فرحل عن حارم إلى أرتاح ، وطمع في أن يتبعوه فيتمكن منهم ببعدهم عن بلادهم

(١) في س ( ٢٧ ب ) : « قدموات » .

(٢) في س : ( ٢٧ ب ) : « نشفت » .

(٣) في س : « فيها » .

(٤) في س : « الآن ضدها » .

(٥) في الأصل وفي ( س ) : « المسلمين » .

(٦) في س ( س ٢٧ ب ) : « مدممه » بدران نقط .

(٧) ما بين الحاصرتين زيادة عن س ( س ٢٧ ب ) .



إذا لقوه ، فساروا ونزلوا على عم<sup>(١)</sup> ، ثم علموا عجزم عن لقائه ، فعادوا إلى حارم ، فتبعهم نور الدين في عساكره ، فلما تقاربوا اصطفوا للقتال ، فحمل الفرنج على ميمنة المسلمين — وفيها عسكر حلب وصاحب الحصن — فانهزموا ، وتبعهم الفرنج ، فأبعدوا عن راجلهم ، فحينئذ عطف الأمير زين الدين على كوجك في عساكر الموصل على راجل الإفرنج فأفناهم قتلا وأسرا ، فعادت خيالتهم الذين ساقوا وراء المهزمين خوفا على راجلهم ، فلما عادوا عاد المهزمون ، وحملوا على الإفرنج ، وأحرق المسلمون بهم من كل جانب ، واشتدت الحرب ، وقامت على ساق ، فقتت الهزيمة على الفرنج ، وأنزل الله سبحانه [ وتعالى ] نصره على المسلمين وأسر من الفرنج ما لا يُحصى ، ومن جملة الأسرى : صاحب أنطاكية ، والقومص صاحب طرابلس ، وابن جوسلين ، وقتل منهم ما يزيد على عشرة آلاف [ فارس وراجل (٢) ] .

وسار نور الدين — رحمه الله — إلى حارم ، فتسلمها لتسع بقين من رمضان من هذه السنة ، — أعني سنة تسع وخمسين وخمسمائة — وأشار عليه أصحابه بالمسير إلى أنطاكية ليملكها ، فخلوها ممن يحميها ويدفع عنها ، فامتنع ، وقال : « أما المدينة فأمرها سهل ، وأما القلعة فهي منيعة لا تؤخذ إلا بعد حصار طويل ، وإذا ضيقنا عليهم أرسلوا إلى صاحب القسطنطينية فيسلموها إليه ، وبجاورة ييمند أحب إلينا من جوار ملك الروم » . ثم أطلق نور الدين ييمند صاحب أنطاكية على أن يحمل أموالا كثيرة وأسرى من المسلمين أطلقهم .

(١) كذا في الأصل ، وهي في س ( ٢٧ ب ) : « عم » ، وعم قرية من أعمال حارم وتقع في منتصف الطريق تقريبا بين حلب وأنطاكية ، انظر : ( ياقوت : معجم البلدان ) و ( ابن التحنة : تاريخ مملكة حلب ، ص ١٦٧ ) .  
(٢) ما بين الحاصرتين زيادة عن س ( ص ١٢٨ ) .

وفي هذه السنة توفي جمال الدين محمد بن [٩٠] على الأصفهاني (١) وزير  
قطب الدين مودود بن [عماد الدين (٢)] زنكي - صاحب الموصل - ، وكان عظيم  
القدر جواداً حسن السيرة ؛ ولما توفي نُحْمِل إلى مكة - حرمها الله تعالى - وطيف  
بنتشه حول الكعبة المعظمة ، ثم حمل إلى المدينة فُدْفِن بها في تربة بنيت له قريبا  
من الحجرة المقدسة - على ساكنها [أفضل (٣)] الصلاة والسلام .

### (٣) ذكر فتح بانياس

كانت بيد الفرنج من سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة - كما ذكرنا (٣) - ،  
ولما فتح نور الدين - رحمه الله - حارم أذن للعساكر الموصلية والديار بكرية بالعود  
إلى بلادهم ، وأظهر أنه يقصد طبرية ، فجعل الفرنج همّهم حفظها ، فسار مُجِدّاً  
إلى بانياس لعله بقلّة المانعين لها ، فنازلها وضايقها ، ومعه أخوه الأمير نصرة الدين  
أمير أميران بن [عماد الدين (٤)] زنكي ، - وكان قد عاد إلى خدمة أخيه نور الدين ،  
وقد رضى عنه نور الدين وأعطاه ما أراد (٤) ] - فأصابه سهم إحدى عينيه ،  
فقال له نور الدين : « لو كُشف لك عن الأجر الذي أعدّ لك لتمنيت ذهاب الأخرى » .

وجدّ - رحمه الله - في حصارها ، فحشد الفرنجُ وجمعوا ليمنعوه منها ، ففتحها  
قبل أن يتكامل جمعهم ، وملك القلعة وملاها ذخائر ورجالا ، ثم عاد إلى دمشق ،  
وكان في يده خاتم يسمى الجبل بفص ياقوت من أحسن الجواهر لكبره وحسنه ، فسقط  
من يده في شعرا بانياس ، وهي كثيرة الأشجار ، ملتفة الأغصان ، فلما أبعثوا

(١) انظر ترجمته في : ( ابن الأثير : الكامل ، ج ١١ ، ص ١١٥ ) .

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة عن : س ( ص ١٢٨ ) .

(٣) ما بين الرقيين غير موجود في س .

(٤) ما بين الحاصرتين زيادات عن : س ( ص ٢٨ ب ) .

عن المكان الذي ضاع فيه [ الخاتم (١) ] علم به [ نور الدين (١) ] ، فأعاد بعض أصحابه في طلبه ، ودلّم على المكان الذي كان آخر علمه وعهده به ، فعادوا فوجدوه ، فقال بعض الشعراء بمدحه من قصيدة [ أولها (١) ] :

إن يمتري الشكّكُ فيك بأنك لا مهديّ مُظنيّ (٢) جَمْرَةَ الدجَالِ  
فلعودة الجبل الذي أضلته بالأمس بين غَيَاطِلِ وجبال  
لم يُعْطها إلا سليمان ، وقد نلتَ المنى (٣) بموشك (٤) الإجمال  
زجر جرى لسرير مالك إنه كسريره عن كل جذع (٥) عال  
فلو البحارُ السبعة استهويتهُ وأمرتهن (٦) ، قذفه في الحال

[ قال : وفي سنة ستين وخمسة مات الوزير عون الدين يحيى بن هبيرة ، ذكر القاضي شهاب الدين (٧) في تاريخه ، قال : كان الوزير ابن هبيرة عالماً ورعاً عفيفاً محباً لأهل العلم محسناً إليهم ، وزير الخلفيتين ] (٨) .

- (١) ما بين الحاصرتين زيادات عن : س (س ٢٨ ب) .  
(٢) في الأصل : « فتنطق » وفي س (٢٨ ب) : « وآتاني » ، والتصحيح عن : (الروضتين ، ج ١ ، ص ١٤٠) .  
(٣) في الروضتين : « الرقاء » ، وفي ( ابن الأثير ، ج ١١ ، ص ١١٤ ) : « نبت الربا بموشك الإجمال » .  
(٤) في الأصل وفي (س) : « بموسك » وما هنا عن الروضتين .  
(٥) في الأصل : « جد » وفي الروضتين : « جدر » ، وما هنا عن (س) .  
(٦) في الأصل وفي (س) : « وأمرته لقفنه » ، والتصحيح عن الروضتين .  
(٧) القاضي شهاب الدين هو شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم القدسي أبو شامة ، وتاريخه هو « كتاب الروضتين في أخبار الدولتين » . انظر ترجمة ابن هبيرة بهذا التاريخ ( ج ١ ، ص ١٤١ ) .  
(٨) ما بين الحاصرتين زيادة أضفناها عن س (س ٢٨ ب) ، وبها تنتهي الصفحة ويضطرب النص مرة أخرى في تلك النسخة ، وبالتالي تنقطع الصلة بينه وبين نص النسخة الأصلية (ك) .

## [٩١] ذكر فتح حصن المنيطرة

وفي سنة إحدى وستين وخمسة فتح الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي  
— رحمه الله — حصن المنيطرة ، وكان بيد الفرنج ، سار إليه جريدة ، وانتهز<sup>(١)</sup>  
الفرصة فيه ، وجد في قتاله عنوة وقهراً ، وقتل من به ، وسبي<sup>(٢)</sup> وغنم غنيمة كثيرة ،  
وذكر القاضي بهاء الدين بن سراد — رحمه الله — أن الواقعة كانت سنة  
اثنين وستين وخمسة .

## ذكر مسير أسد الدين شيركوه بن شاذي

### المسير الثاني إلى مصر

وفي سنة اثنين وستين وخمسة سیر الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي  
— رحمه الله عليهما — أسد الدين شيركوه إلى مصر ليملكها ، وذلك لما ثبت  
في نفسه من غدر شاور به ورجوعه عما كان وقع من المهد والاتفاق عليه ،  
وسير معه جمعا من الأمراء ، فبلغت عدتهم ألني فارس ، وذلك في شهر  
ربيع الأول من السنة ، وسار معه نور الدين إلى أطراف البلاد خوفا من معرفة  
(كذا<sup>(٣)</sup>) الأفرنج .

(١) أمام هذا اللفظ بالهامش معناه بالغة اللاتينية : (captavit occasionem) ويبدو  
أن كاتبها واحد من المستشرقين الذين قرأوا هذه النسخة بمكتبة جامعة كامبردج .

(٢) في الأصل : « سبا » .

(٣) كذا في الأصل ، ولا يستقيم بها الذي ، وصيغة ( ابن الأثير ) : « خوفا من أحداث  
تجدد عليهم فيضف الاسلام » .

وكان صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن نجم الدين أيوب بن شاذي مع عمه  
أسد الدين في هذه السفارة ؛ وفي ذلك يقول عَرَقَلَةُ (١) الدمشقي بمدح صلاح الدين ،  
وجرى بملكه الفال ، والغال موكل بالمنطق :

أقول والأتراك قد أزمعت مصر إلى حرب الأعراب  
رباً كما ملكتها يوسف الـ صديق من أولاد يعقوب  
يملكها في عصرنا يوسف الـ صادق من أولاد أيوب  
من لم يزل ضرباً هام العدى حقاً ، وضرباً العراقيب  
ثم سار أسد الدين — رحمه الله — إلى الديار المصرية ( وترك بلاد الأفرنج  
عن يمينه فوصل الديار المصرية ) (٢) ، وعبر النيل عند أطفيح (٣) بالجانب الغربي ،  
ونزل بالبلاد الجيزية ، وتصرف في البلاد ، وأقام بها نيفاً وخمسين يوماً .

وأرسل شاور — وزير العاضد — يستنجد بالفرنج ، فأتوه على الصعب والذلول ،  
وحملهم على ذلك أمران : أحدهما الطمع في تملك الديار المصرية ، والثاني الخوف  
من تملك العساكر النورية لها ؛ وعلموا أنه إن ملكها نور الدين — رحمه الله —  
وامتضافها إلى [ ٩٢ ] البلاد الشامية لم يبق لهم بالبيت المقدس والشام مقام ،  
وأنه يستأصلهم وتصير بلادهم في وسط بلاده ؛ ولما وصلوا مصر اجتمعوا بالعساكر  
المصرية وعبروا إلى الجانب الغربي .

(١) هو حسان بن نمير الكلي أبو الندى الشاعر المعروف بمرقعة الدمشقي ، كان شيخاً خليماً  
أعور مطبوهاً لطيفاً ظريفاً ، اختص بالسلطان صلاح الدين وله فيه مدائمه ، توفى سنة ٥٦٧ هـ .  
انظر : ( ابن تفرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٦٤ ) و ( سبط بن الجوزي :  
مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ٢٨٦ — ٢٨٧ ) .

(٢) هذه الجملة كتبت في هامش الأصل وأشير إلى مكانها بالثنى بعلامة .

(٣) أطفيح حالياً قرية من قرى مركز الصف بمديرية الجيزة ، وهي مدينة قديمة كانت  
تسمى في العصر اليوناني « افروديتوبوليس » . انظر : ( مصالحة الساحة : فهرس مواقع  
الأمكنة ) و ( علي مبارك : الخطط ، ج ٨ ، ص ٧٧ — ٧٨ ) .

## ذكر واقعة البابين

وكان أسد الدين شيركوه قد سار بالمسار في الصعيد إلى أن بلغ إلى مكان يعرف بالبابين<sup>(١)</sup>، فسارت الفرنج والمصريون خلفه، فأدركوه به في الخامس والعشرين من جمادى الآخرة من هذه السنة؛ وكانت جواسيسه قد أخبروه بكثرة عدد الفرنج والمصريين وقوتهم؛ فجمع أصحابه واستشارهم، فكلهم أشاروا عليه بمبور ببحر النيل إلى الجانب الشرقى والعود إلى الشام، وقالوا: «إن نحن انهزمنا فإلى من نلتجئ؟ وبمن نحتجى، وكل من في هذه الديار من جندي وفلاح عدو لنا». فقام أمير من مماليك نور الدين يقال له شرف الدين برغش — صاحب الشقيف — وكان شجاعا وقال: «من يخاف القتل والأسر فلا يخدم الملوك، بل يكون في بيته مع امرأته، والله لئن عدنا إلى نور الدين من غير غلبة وبلاء نُعذر فيه ليأخذن أموالنا وما معنا من الإقطاع<sup>(٢)</sup> والجامكية<sup>(٣)</sup>، وليمودن علينا بجميع ما أخذناه منه من يوم خدمناه وإلى يومنا هذا، ويقول: تأخذون أموال المسلمين وتفرون عن عدوهم، وتسلمون مثل مصر إلى الكفار». فقال أسد الدين: «هذا الرأي، وبه أعمل».

وقال ابن أخيه صلاح الدين يوسف ابن أيوب مثله؛ وكثر الموافقون، واجتمعت الكلمة على القتال، وأقاموا بمكانهم حتى وصل الفرنج والمصريون وهم على تبينهم، فجعل أسد الدين الانتقال في القلب، لا ليتكثر بها لأنه لا يمكنه تركها في مكان آخر خوفا من أن تنهب؛ وجعل صلاح الدين في القلب وقال له ولئن معه: «إن المصريين والفرنج يعملون حملتهم على القلب، فإذا حملوا عليكم

(١) قرية كانت تقع جنوب مدينة المنيا.

(٢) هذا نسق له قائده عند دراسة نظام الإقطاع في عهد نور الدين وعند الأتابكة عموما.

(٣) الجامكية — والجمع جامكيات وجوامك — الراتب. انظر: (Doxy: Supp. Dict. Arab.)

فلا تصدقوهم القتال ، ولا تهلكوا أنفسكم ، واندفعوا من بين أيديهم ، فإذا عادوا عنكم طارجموا في أعقابهم ، واختار هو من شجعان عسكره جمعا يشق بهم ، ويعرف [٩٣] صبرهم في الحرب ، ووقف بهم في الميمنة ، فما اصطفوا للحرب ، حمل الفرنج على القلب ، فقاتلهم من به قتالا يسيرا ، ثم انهزموا بين أيديهم غير متفرقين ، وتبعهم الفرنج ، وحينئذ حمل أسد الدين بمن معه على من تخلف من الذين حملوا من المسلمين والفرنج — الفارس والراجل — فهزموهم ، ووضع السيف فيهم ، وأثنى وأكثر من القتل والأسر .

فلما عاد الفرنج من أثر المنهزمين ، ورأوا عسكرهم مهزوما ، والأرض منهم قفرا انهزموا أيضاً ، ونصر الله المسلمين .

### ذكر استيلاء أسد الدين شيركوه على الاسكندرية

ثم سار أسد الدين — رحمه الله — إلى ثغر الاسكندرية ، وجبى ما في طريقه من القرى ، ووصل إلى الاسكندرية ، فسلمها أهلها إليه — لميلهم إلى مذهب السنة وكرهتهم لرأى المصريين — ، فاستتاب بالاسكندرية ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وعاد إلى الصعيد ، فلما وجبا أمواله ، وأقام به حتى صام شهر رمضان .

### ذكر محاصرة الفرنج لصلاح الدين يوسف بالاسكندرية

وعاد الفرنج والمصريون بعد الوقعة إلى القاهرة ، وأصلحوا عساكرهم ، وجمعوا ثم ساروا إلى الاسكندرية فحاصروا صلاح الدين ، واشتد الحصار وقل الطعام بها ، فصر أهلها على ذلك ، ولما بلغ ذلك أسد الدين سار من الصعيد إليهم ، وكان شاور قد أفسد بعض من معه من التركمان .

## ذكر وقوع الصلح بين أسد الدين والفرنج والمصريين

ثم راسل المصريون والفرنج أسد الدين يطلبون الصلح ، وبذلوا له خمسين ألف دينار ، فأجابهم إلى ذلك بشرط أن الفرنج لا يقيمون في البلاد ، ولا يتملكون منها قرية واحدة ، فأجابوا إلى ذلك واصطلحوا ، وعاد إلى الشام .

وتسلم المصريون الاسكندرية في منتصف شوال ، وعاد أسد الدين إلى دمشق لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذى القعدة ، واستقر بين الفرنج والمصريين أن يكون لهم بالقاهرة شحنة ، وتكون أبوابها مع فرسانهم وبأيديهم ، ليمتنع نور الدين من إقفاذ عسكر إليهم (١) ، ثم عاد الفرنج [ ٩٤ ] إلى بلادهم ، وتركوا بمصر جماعة من مشاهير فرسانهم .

وكان الكامل شجاع بن شاور قد أرسل إلى نور الدين مع بعض الأمراء ينهى محبته وولاءه ، ويسأله الدخول في طاعته ، وضمن عن نفسه أنه يجمع بمصر الكلمة على طاعته ، وبذل له مالا يحمل كل سنة ، فأجابه إلى ذلك ، فحمل إلى نور الدين مالا جزيلًا .

## ذكر فتح صافيثا والعزيمة

وفي هذه السنة — أعني سنة اثنتين وستين وخمسة — سار قطب الدين مودود ابن عماد الدين زنكي إلى أخيه الملك العادل نور الدين محمود ، وجما المساكر

(١) أضاف ( ابن الأثير : الكامل ، ج ١١ ، ص ١٢٢ ) و ( أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ص ١٤٣ ) نصا آخر هاماً من نصوص هذه المعاهدة ، وهو : « ويكون لهم من دخل مصر كل سنة مائة ألف دينار » .



ودخلا بلاد الفرنج ، فاجتازوا على حصن الأكراد (١) ، فأغاروا ونهبوا وسبوا ،  
ونزلوا عرقة ، وحاصروا حلبة ، وأخذوها وخربوها ، وسارت العساكر إلى بلادهم  
بمينا وشمالاً تغير وتخرّب ؛ وفتحوا العزيمة وصافينا ، وعادوا إلى حصن ، فصاموا بها  
رمضان ، ثم ساروا إلى بانياس ، وقصدوا حصن هونين ، فانهزم الفرنج عنه ، فأخربوه ،  
فوصل إليه نور الدين من الغد ، فهدم سورته جميعه ، وأراد الدخول إلى بيروت ،  
فتجدد في العساكر خلف أوجب التفرق ؛ وعاد قطب الدين إلى الموصل فأعطاه  
نور الدين الرقة .

وفي هذه السنة عصى غازي بن حسن المنبجى بمتبج (٢) ، وكانت قد صارت له  
بمد أبيه إقطاعاً من نور الدين ، فسير إليه عسكرياً فحصره ، وأخذها منه ، وأقطعها  
أخاه قطب الدين ، فأعطاها ينال بن حسن ، فبقى فيها إلى أن أخذها منه صلاح الدين  
سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة .

وفيهما توفي فخر الدين قرأ أرسلان (٣) بن داوود بن سُفّان بن أرتق — صاحب  
حصن كيفا — وأكبر ديار بكر ، ولما اشتد مرضه أرسل إلى الملك العادل نور الدين  
يقول له : « بيننا صحبة في جهاد الكفار ، أريد أن ترعى بها ولدى » ؛ ثم توفي

(١) حصن منبج على الجبل الذي يقابل حمص من جهة الغرب وهو جبل الجليل ، وذكر  
(ياقوت) أن بعض أسراء الشام كان قد بنى في موضعه برجاً وجعل فيه قوماً من الأكراد  
طلعة بينه وبين الفرنج ، وأجرى لهم أرزاقاً ، فتدبروها بأهاليهم ثم خافوا على أنفسهم في غارة  
جعلوا يحصنونه إلى أن صار قلعة حصينة منعت الفرنج عن كثير من غاراتهم فتأزروه فباعه  
الأكراد منهم ورجعوا إلى بلادهم وهلكه الفرنج . ثم يقول : وبينه وبين حمص يوم . انظر

أيضاً : (G. Demombynes : La Syrie a l'Époque des Mamelouks, P. 112)

(٢) إحدى مدن المواسم ، وذكر (ياقوت) أنها مدينة كبيرة كان عليها سور مبنى بالحجارة  
بينها وبين الفرات ثلاثة فراسخ وبينها وبين حلب عشرة فراسخ .

(٣) ولي حكم حصن كيفا من سنة ٥٣٩ إلى سنة ٥٦٢ هـ . انظر : (Zambaur : Op. Cit. P. 228)

فملك بعده ولده نور الدين (١) محمود بن قرا أرسلان ، فقام الملك العادل نور الدين بنصرته والنَّبَّ عنه ، فأراد قطب الدين مودود بن زنكى — صاحب الموصل — قصده ، فأرسل إليه أخوه نور الدين ومنعه ، وقال : « إن قصدته أو تعرضت إلى بلاده منعتك قهراً » ، فامتنع من قصده .

## ذكر فراق الأمير زين الدين على كوجك قطب الدين مودود ابن زنكى صاحب الموصل

[٩٥] كان زين الدين على كوجك بن بكتكين هو النائب عن قطب الدين بالموصل والمنحكم في دولته ، وكانت بيده إربل ، وفيها بيته وأولاده وخزائنه ، وكانت أيضاً بيده شهرزور وجميع القلاع التي معها ، وجميع قلاع الهكارية ، ومنها قلعة المادية ، وبلد الحميدية ، وتكريت ، وسنجار ، وحران ، فأصابه طرش وعمى في سنة ثلاث وستين وخمسمائة ، فلما عزم على مفارقة الموصل إلى إربل سلم جميع ما كان بيده من الأعمال إلى قطب الدين ، وبقى معه إربل حسب ، وكان شجاعاً عادلاً حسن السيرة ميمون النقيبة ، لم ينهزم في حرب قط ، وكان كريماً كثير العطاء للجند . ولما توجه إلى إربل توفي في هذه السنة ، وصارت إربل بعده لولده زين الدين ، ثم توفي على مرج عكا وهو في خدمة السلطان الملك الناصر صلاح الدين ، فملكها بعده أخوه مظفر الدين كوكبوري إلى سنة ثلاثين وستمائة ، فملكها الخليفة المستنصر بالله ، وصارت نوابه فيها ، وملكها المستنصر بالله ، إلى أن ملكها التتر (٢) الملاعين حين ملكوا البلاد .

(١) دلى الحكم في حصن كيفا من سنة ٥٦٢ — ٥٨١ هـ انظر المرجع السابق .  
(٢) لهذا النص أهمية خاصة ، فهو يدل على أن المؤلف كان يكتب هذا الجزء من كتابه بعد سنة ٦٥٦ هـ وهي السنة التي استولى فيها هولاكو على بغداد وقتل الخليفة المستنصر ، ثم أرسل قائداً من قواده لمهاجمة إربل والاستيلاء عليها ؛ انظر : (دائرة المعارف الإسلامية — الترجمة العربية — ، مادة إربل ، وما بها من مراجع) .

## ذكر استيلاء الملك العادل نور الدين على قلعة جعبر

كان السبب في تملك نور الدين لها أن صاحبها شهاب الدين مالك العقيلي نزل يتصيد فأخذه بنو كلب أسيراً ، فحملوه إلى نور الدين — رحمه الله — في رجب سنة ثلاث وستين وخمسمائة ، فاعتقله وأحسن إليه ، ورغبه في المال والإقطاع ليسلم إليه القلعة ، فلم يفعل ، فعُدل إلى الشدة والعنف وتهديده ، فلم يفعل ، فسير إليها نور الدين الأمير فخر الدين مسعود بن علي بن الزعفراني ، فحصرها مدة ، فلم يظفر بطائل ، فأدمم بعسكر ، وجعل على الجميع مجد الدين أبا بكر بن الداية ، فلم يحصل على غرض ، فأخذ صاحبها بطريق اللين ، وأشار عليه أن يأخذ عوضاً عنها ، فقبل ذلك ، وتسلمها ، وتسلم سرُّوج وأعمالها ، والملاحة التي في بلد حلب ، وباب ، وبزاعة<sup>(١)</sup> ، وعشرين ألف دينار ممجولة ؛ وكانت قلعة جعبر بيد هؤلاء القوم من حين سلمها إليهم جلال الدولة ملكشاه ، وقد ذكرناه في موضعه . وكان استيلاء نور الدين عليها سنة أربع وستين وخمسمائة .

## ذكر مسير أسد الدين شيركوه إلى الديار المصرية

[٩٦] المسير الثالث

وكان السبب في ذلك أن الفرنج كانوا قد دخلوا ديار مصر مرتين ، واطلعوا على عوراتها ، وكان لهم بالقاهرة شحنة ، وأبوابها مسلمة إليهم ، وبالقاهرة جماعة من شجعانهم وأعيان فرسانهم ، فحكوا على المسلمين حكماً جائراً ، وركبهم بالأذى الشديد ، فلما رأوا تمكنهم من البلاد ، وأنه ليس بها راد ولا عن أخذها صاد كاتب

(١) جاء في ( ابن الشحنة : الدر المنتخب ، ص ١٧٢ ) أن « الباب » و « بزاعة » قريتان عظيمتان بل مدينتان صغيرتان في كل واحدة منهما منبر وخطيب ، وهما من أعمال حلب ، أما الباب فهي أكثر عمارة من بزاعة .

الفرنج الذين بالقاهرة ملكهم بالشام المعروف بمرعي<sup>(١)</sup>، وكان ذا شجاعة ومكر ودهاء، يستدعونه لتملكها، وأعلموه خلوها من الممانع، وهوتوا أمرها عليه؛ وكاتبه أيضاً جماعة من أعيان المصريين كانوا أعداء لساور؛ منهم: ابن الخياط<sup>(٢)</sup>، وابن قرجه<sup>(٣)</sup>، فشاور الملك فرسان الفرنج وذوى الرأى منهم، فكل منهم أشار بقصدها وملكها، فقال لهم: «الرأى أنا لا نقصدها، فإنها طعمة لنا، وأمواها تساق إلينا، نتقوى بها على نور الدين، وإن نحن قصدناها لتملكها فإن صاحبها وعساكره وعمامة بلاده وفلاحها لا يسلموها إلينا، ويقاتلوننا دونها، ويحميهم الخوف منا على تسليمها لنور الدين، ولئن أخذها وصار له فيها مثل أسد الدين فهو هلاك الفرنج وإجلاؤهم من أرض الشام». فلم يقبلوا قوله، وقالوا: «إنه لا مانع منها ولا محامى، وإلى أن يتجهز نور الدين ويسير إليها نكون نحن قد ملكناها وفرغنا من أمرها، وحينئذ يتعنى نور الدين السلامة». فوافقهم على كرهه، وتجهز للسفر، وأظهروا أنهم يريدون قصد حمص.

وسمع نور الدين بتجهيزهم فجمع عساكره، وتجهز للقائهم وتأهب، ثم سار الفرنج من عسقلان إلى الديار المصرية.

(١) هو «أمريك الأول» Amalric I «مك بيت القدس، وتسميه المراجع العربية «مرعي» أو «عمورى»، وقد ولي الملك بعد وفاة أخيه «بديون الثالث Baldwin III الذى لم يقب. انظر: (Ranciman: A History of the Crusades. Vol. 2. The Kingdom of Jerusalem and the Frankish East, 1100-1187. PP. 362. ff).

(٢) هو يحيى بن الخياط، كان من قواد الدولة في عهد وزارة الصالح طلائع بن رزيق، ثم أصبح من رجال ساور؛ بل أصبح استفسار المسافر في أول عهده، ولكنه اختلف معه في عهد وزارته الثانية وخرج عليه في قوس يطلب الوزارة لنفسه، فأخضع حركته الكامل بن ساور. انظر: (همارة، النكت المصرية، ص ٣٥ و ٦٩ و ٧٨ و ٣١٩ و ٣٤٨)، (أبو شامة: الرضنين، ج ١، ص ٢٢٦).

(٣) ورد ذكره في (النكت المصرية ص ٤٩٥) عند الحديث عن المؤامرة الكبرى ضد صلاح الدين التي اشترك فيها همارة، قال: «وكتبوا سناناً صاحب الحشيشية بأن الدعوة واحدة والسكعة واحدة... وكان الرسول خال ابن قرجه» انظر أيضاً: (أبو شامة: الرضنين، ج ١، ص ١٧٠).

## ذكر منازلة الفرنج بلبيس وملكهم لها

فوصلوا إلى مدينة بلبيس فنازلوها وملكوها غرة صفر من هذه السنة — سنة  
أربع وستين وخمسة — قهبوا أهلها ، وقتلوا وسبوا وأسروا ، ثم رحلوا عنها .

## ذكر منازلة الفرنج القاهرة

ونازلوا القاهرة عاشر صفر وحصروها ، فامتنع أهل البلد واستحصنوا خوفاً  
أن تملكها [ ٩٧ ] الفرنج ، فيسيروا فيهم سيرتهم في أهل بلبيس ، فقاتلوا ، وبذلوا  
الجهد في الحفظ .

## ذكر إحراق مصر

وأمر شاور بإحراق مصر ، وأمر أهلها بالانتقال إلى القاهرة ، وأن ينهب البلد ،  
فانتقلوا ، وبقوا على الطرق ، ونهب مصر ، وافترق أهلها ، وذهبت أموالهم ونعمهم ،  
وذلك في تاسع صفر قبل نزول الفرنج على القاهرة بيوم واحد ، فبقيت النار تعمل  
في مصر أربعة وخمسين يوماً إلى خامس ربيع الآخر ، واشتد الأمر ، وعظم الخطب ،  
وضاق الحصار ، وخيف البوار ، وعلم شاور عجزه وضعفه ، وأن البلاد ذاهبة لا محالة ،  
فسلك طريق التملح ، وأرسل إلى ملك الإفرنج مُرِّي يذكر له مودته ومحبته ،  
وأن هواه معه ، وتخوفه من نور الدين ، وأن المسلمين لا يوافقونه على التسليم ،  
ويشير بالصلح وأخذ مال ، لئلا يسلم البلاد إلى نور الدين .

## ذكر وقوع الصلح بين شاور والفرنج

فأجابه مُرّى إلى الصلح على ألف ألف دينار، يعجل البمض ويؤخر الباقي؛ ورأى الفرنج أن المصلحة في ذلك لثلاثين تدارك نور الدين البلاد ويأخذها، فمَجَّل لهم شاور مائة ألف دينار، وماطل بالباقي خداعاً ومكرًا، وسير الكتيب إلى نور الدين مُسَوِّدَةً وفي طيها ذوائب نساء أهل القصر مجزوزة، وواصل الكتيب إليه مستفزاً ومستنصراً، ويقول: «إن لم تبادر ذهبت البلاد»، وأرسلها مع نجابين — يتلو بعضهم بعضاً — وأقام منتظراً ما يرد عليه من نور الدين، وهو مع ذلك يدافع الفرنج ويماطلهم.

ووردت مكاتبة العاضد لدين الله إلى نور الدين في هذا المعنى، وبذل له — إن وصل — ثلث البلاد، وأن يكون أسد الدين شيركوه مقبلاً عنده في عسكر، وإقطاعهم عليه خارجاً عن الثلث الذي لنور الدين.

ولما وردت الرسل إلى نور الدين بذلك كان بحلب، فأرسل إلى أسد الدين شيركوه — وكان بحمص، وهي إقطاعه — يستدعيه، فلما خرج القاصد من حلب متوجهاً إلى أسد الدين وجده قد وصل إلى حلب، لأنه كان أيضاً قد أتته كتب المصريين يحثونه على سرعة الوصول إليهم، فلحرص أسد الدين على التجهز إلى الديار المصرية سار من حمص إلى حلب، فوصلوا في ليلة واحدة، فأمره نور الدين بالتجهيز [٩٨] إلى مصر والسرعة في ذلك، وأعطاه مائتي ألف دينار سوى الثياب والدواب والآلات والأسلحة، وحكّمه في العساكر والخزائن، فاختر من العسكر ألفي فارس، وجمع من التركان ستة آلاف فارس.

ونذب الملك العادل نور الدين صلاح الدين أبا المظفر يوسف بن أيوب ابن شاذي أن يمضى مع عمه إلى الديار المصرية ، فكره ذلك صلاح الدين ، فروي عنه القاضي براء الدين بن سراة — قاضي حلب رحمه الله — قال : لقد قال لى السلطان — يعنى صلاح الدين — « كنت أكره الناس فى الخروج فى هذه الوقعة ، وما خرجت مع عمى باختيارى » ، قال : وهذا معنى قوله سبحانه « وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ » .

قال عز الدين بن الأثير — رحمه الله — فى تاريخه الظاهر : « أحب نور الدين مسير صلاح الدين ، وفيه ذهاب بيته ؛ وكره صلاح الدين المسير ، وفيه سعادته ومملكه » قال : « فلقد حكى لى صلاح الدين ، قال : لما وردت الكتب من مصر إلى الملك العادل نور الدين — رحمه الله — أحضرنى وأعلمنى الحال ، وقال : تمضى إلى عمك أسد الدين بجمص مع رسول إليه تأمره بالحضور ، وتحنه أنت على الإصرع ، فما يحتمل الأمر التأخير .

قال : ففعلت ، فلما فارقت حلب ، على ميل منها ، لقيناه قادماً فى هذا المعنى ، فقال له نور الدين : تجهز للمسير ؛ فامتنع خوفاً من غدرهم أولاً وعدم ما ينفعه فى المساكر ثانياً ؛ فأعطاه نور الدين الأموال والرجال ، وقال له : إن تأخرت عن المسير إلى مصر ، فالصلحة تقتضى أن أسير أنا بنفسى إليها ، فإننا إن أهملنا أمرها ملكها الفرنج ، ولا يبقى معهم مقام بالشام ولا غيره ؛ قال : فالتفت إلى عمى أسد الدين وقال : تجهز يا يوسف ؛ قال : فكأنما ضرب قلبى بسكين ؛ قلت : والله لو أعطيتُ مُلك مصر ما سرت إليها ، فلقد قاسيت بالاسكندرية من المشاق بها ما لا أنساه أبداً ؛ فقال عمى لنور الدين : لا بد من مسيره معى ، فترسم له ، فأمرنى نور الدين وأنا استقبله ؛ فانقضى المجلس ، ثم جمع أسد الدين المساكر

من التركان وغيرهم ، ولم يبق [ ٩٩ ] غير المسير ، فقال لى نور الدين : ولا بد من مسيرك مع عمك ، فشكوتُ إليه الضائقة وقلة الدواب وما احتاج إليه ، فأعطاني ما تجهزت به ، وكأنتما أساق إلى الموت ؛ — وكان نور الدين مهيباً مخوفاً مع لينه ورحمته — ، فسرتُ معه . فلما توفى أعطاني الله من الملك ما كنت أتوقعه .

ثم سار نور الدين وأسد الدين من حلب إلى دمشق فوصلها سلخ صفر ، ثم رحلا إلى رأس الماء ، وأنفق نور الدين لكل فارس عشرين ديناراً ، وأضاف إلى أسد الدين جماعة من الأمراء ، ومنهم مملوكه عز الدين جورديك — وهو الذى لما توفى نور الدين كان نائباً عنه بقلعة حماة — ، والامير غرس الدين قلعج — والد الامير سيف الدين وعماد الدين — ، وشرف الدين برغش ، وعين الدولة الياروقى ، وقطب الدين ينال بن حسان — صاحب منبج — ، وغيرهم .  
ثم (١) سار أسد الدين شيركوه من رأس الماء منتصف ربيع الاول .

### ذكر قدوم أسد الدين شيركوه مصر

#### ورحيل الفرنج عنها

ولما قرب أسد الدين — رحمه الله — من الديار المصرية رحل الفرنج عنها خائبين ، وردَّ الله الذين كفروا بغيظهم ، لم ينالوا خيراً ، وكفى الله المؤمنين القتال ، ووصلت الأخبار بذلك إلى نور الدين — رحمه الله — ، فأمر بضرب البشائر (٢) في البلاد الإسلامية ، فإنها كانت أجل الفتوح (٣) وأعظما ، إذ لو استولى العدو — لعنه الله — على الديار المصرية لاستولى على سائر الخططة الإسلامية .

(١) بهذا اللفظ تبدأ (ص ١١٦) من نسخة س ، وبذلك تعود لمقارنة بين نصي اللسختين .

(٢) في الأصل : « المشاير » وما هنا عن : س (ص ١١٦) .

(٣) في س : « الفتوحات » .



وكان وصول أسد الدين — رحمه الله — إلى القاهرة لأربع مضين من ربيع الآخرة من هذه السنة ، — أعنى سنة أربع وستين وخمسمائة — ، ودخل إلى القصر ، واجتمع بالعاقد (١) لدين الله ، وخاع عليه ، وعاد إلى مخيمه بالخلعة العاضدية ، وفرح به أهل مصر ، وأجريت عليه وعلى عساكره الجرايات الكثيرة والإقامات الوافرة .

### ذكر مقتل شاور (٢)

وأقام شاور يتردد إلى أسد الدين شيركوه ، وكان قد وعده بمال في مقابلة ما خسره من النققة ، فلم يوصل إليه شيئاً ، وقيل إنه ماطله في تقرير ما بذل (٣) له من المال والإقطاع [ ١٠٠ ] للعساكر ، وإفراد ثلث البلاد لنور الدين ؛ وذكر أنه كان [ شاور (٤) ] قد عزم على أن يعمل دعوة لأسد الدين ومن معه من الأمراء ، ويقبض عليهم [ فيها (٤) ] ، قنهاء ابنه الكامل ، وقال : « والله لئن عزمت على هذا الأمر لأعرفنَّ أسد الدين » . فقال أبوه : « والله لئن لم نفعل هذا لنقتلن جميعاً » ، قال : « صدقت ، ولئن نُقتل ونحن مسلمون والبلاد بيد المسلمين خير من أن نُقتل وقد ملكتها الفرنج ، وليس بينك وبين عود الفرنج إلا أن يسمعوا بالقبض على [ أسد الدين (٤) ] شيركوه ، وحينئذ لو مشى العاقد إلى تور الدين لم يرسل فارساً واحداً ، ويملكون الفرنج البلاد » . فترك [ شاور (٤) ] ما كان عزم عليه واجتمع أسد الدين وأصحابه على الفتك بشاور لأنهم علموا أن الفرنج متى وجدوا فرصة

(١) في س : « بالخليفة العلوي العاقد » .

(٢) هذا العنوان غير موجود في س .

(٣) في س ( س ١١٦ ) : « في الذي استقر بينهما من المال . . الخ » .

(٤) ما بين الحاصرتين عن س .

أخذوا البلاد ، وإن ترددم إليها في كل وقت لا يفيد ، وإن شاور يلمب بنا (١) تارة  
وبالفرنج أخرى ، وإنهم إن قتلوه واستولوا على البلاد حفظوها من عدو الدين ،  
وقيل إن صلاح الدين وعز الدين جرديك اتفقا على ذلك ، وشاورا أسد الدين في ذلك ،  
فتهاهما عنه ؛ وقيل إن أسد الدين سير الفقيه ضياء الدين عيسى (٢) إلى شاور يشير عليه  
بالاحتراس (٣) ، وقال : « أخشى عليك ممن عندي من الناس » ؛ فركب شاور  
منبسطاً على عادته واسترساله ، وكان يركب على قاعدة الوزراء بالطبل والبوق والعلم ،  
وكان أسد الدين قد توجه لزيارة قبر الشافعي — رحمة الله عليه (٤) — بالقرافة (٥) ،  
ف قصد شاور مخيم أسد الدين ليجتمع به على العادة ، فصادفه صلاح الدين يوسف  
ابن أيوب والأمير عز الدين جرديك — رحمهم الله — ومعهم جمع من العسكر ،  
فخدموه وأعلموه أن أسد الدين في الزيارة ، فقال : « نمضى إليه » ، فسار — وهما

(١) في س : « بهم » .

(٢) هو الفقيه أبو محمد ضياء الدين عيسى بن محمد بن عيسى الهكاري ، كان في مبدأ أمره  
يشغل بالمدسة الزجائية بحلب ، ثم اتصل بالأمير أسد الدين شيركوه فعينه إماماً له ، وأتى معه  
إلى مصر وكانت لعيسى اليد الكبرى في إقناع أمراء الجيش النوروي بمصر لتولية صلاح الدين  
الوزارة فعاخذ بعد موت عمه أسد الدين ، وأصبح منذ ذلك الحين واحداً من كبار الأمراء  
الصلاحية ، وكان عيسى قتيلاً وجندياً مجاهداً ، يلبس ذى الأجناد ويمت بمهامة الفقهاء ، وقد أسره  
الفرنج وبقى في الأسر إلى أن اقتداء صلاح الدين بمبلغ كبير من المال . وتوفى في ذى القعدة  
سنة ٥٨٥ هـ . انظر : ( ابن خلكان ، الوفيات ، ج ٣ ، ص ١٦٥ — ١٦٦ ) .

(٣) في س (١١٦ب) : « بالاحتراز على نفسه » .

(٤) في س : « رضى الله عنه » .

(٥) خطة من خطط الفسطاط الأولى كانت لبني هاشم بن يوسف بن وائل من المفاخر ،  
وقرافة بطن من المفاخر ، نزلوها عند الفتح فسميت بهم ، قال ( ياقوت ) : وهي اليوم مقبرة  
أهل مصر وبها أبنية جبلية ومحال واسمة وسوق قائمة وشاهد للصلحين وترب الأكارم مثل  
ابن طولون والناذراتي وبها قبر الامام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي في مدرسة للفقهاء  
الشافعية . وقد أصبح هذا اللفظ علماً يطلقه المصريون إلى اليوم على كل مقبرة لدفن الموتى في أي  
مكان وفي أي مدينة من مدنها .

معه — قليلا ، فأخذ صلاح الدين بتلابيبه (١) ، وأمر العسكر أن يقبضوا على أصحابه ،  
ففروا ، ونهبهم العسكر ، وألقى شاور عن فرسه ، ولم يمكنهم قتله بغير أمر أسد الدين ،  
فذهبوا به إلى خيمة مفردة ، فسجنوه بها ، ووكل به من يحفظه بها ؛ وعلم أسد الدين  
الحال فعاد من القرافة مسرعاً ، ولم يمكنه إلا إتمام ما عملوه ، وجاء رسول العاضد  
لدين الله في الوقت ، وهو أحد الخدم [ ١٠١ ] الخواص (٢) ، ومعه (٣) توقيع  
يتضمن : « [ أنه (٤) ] لا بد من [ أخذ (٤) ] رأسه » ، جريا على عادتهم في وزيراتهم ،  
في تقرير قاعدة من قوى منهم على صاحبه ؛ فضرب عنقه وحمل رأسه إلى القصر ،  
وذلك سابع ربيع الآخر .

ودخل أسد الدين القاهرة ، ورأى من كثرة الخلق واجتماعهم ما خاف منه  
على نفسه ، فقال لهم : « إن أمير المؤمنين قد أمركم بنهب دار شاور » ، فقصدوها  
الناس قهبوها ، وتفرقوا عنه .

### ذكر استيلاء أسد الدين شيركوه على الديار المصرية وتقلده وزارة العاضد

تم خلع العاضد على أسد الدين خلع الوزارة ، فلبسها ، وسار ، ودخل القصر ،  
وفوضت إليه الوزارة والتقدم على الجيوش ، ولقَّبَ الملك المنصور أمير الجيوش ؛

(١) كتب في هامش الأصل معنى هذه العبارة باللغة اللاتينية هكذا (Vestis quae  
circa Jugutu)

(٢) إلى هنا تنتهي (س ١١٦ ب) من نسخة س ، ويدها يمود الاضطراب في ترتيب  
الصفحات .

(٣) بهذا اللفظ تبدأ (س ١٢٩) من نسخة س .

(٤) ما بين الحاصرتين زيادة عن س .

وقصد دار الوزارة (١) قنزلها ، واستقر في الأمر ، ولم يبق له منازع ولا مناوئ  
وكتب له منشور بالإشياء الفاضلى أوله :

الماضى

« بسم الله الرحمن الرحيم : من عبد الله وولّيه [ عبد الله (٢) ] أبى محمد الإمام  
الماضى لدين الله أمير المؤمنين إلى السيد الأجل الملك المنصور سلطان الجيوش  
ولى الأئمة ، مجير الأمة ، أمد الدين ، كافل قضاة المسلمين ، وهادى دعاة المؤمنين ،  
أبى الحرث شيركوه — العاضدى — عضد الله به الدين ، وأمتع بطول بقائه  
أمير المؤمنين ، وأدام قدرته ، وأعلى كلمته : سلام عليك ، فإنه يحمد (٣) إليك الله  
الذى لا إله إلا هو ، ويسأله (٣) أن يصلى على محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين  
[ صلى الله عليه (٢) ] وعلى آله الطاهرين ، والأئمة المهديين ، وسلم تسليماً  
كثيراً (٣) » .

ثم مضمون بقية (٤) المنشور تفويض أمور اختلافه إليه ، والقيام بأعباء حفظها ،  
والذب عنها ، والتوصية بتقوى الله تعالى ، والعمل بفرائضه ، والانتباه عن مناهيه ،  
وإلى غير ذلك من الوصايا ، أعرضنا عن ذكرها لطولها .

(١) ذكر المقرئى ، المخطوط ، ج ٢ ، ص ٣٠١ — ٣٠٤) أن هذه الدار أنشأها الأفضل  
شاهنشاه بن بدر الجالى ، ولهذا كان يقال لها أيضاً الدار الأفضلية ، وكانت تقوم بجوار القصر  
الكبير الشرقى بمجاة رجة باب العبد ، وما زال وزراء الفاطميين أرباب السيوف من عهد الأفضل  
يسكنون بدار الوزارة إلى أن زالت الدولة فانتقر بها الملك الناصر صلاح الدين ثم من تلامه  
من ملوك الأيوبيين وصاروا يسمنونها الدار السلطانية ، وأول من انتقل منها وسكن بالقلعة  
الملك الكامل محمد ، وجمعت منذ ذلك الحين منزلاً لضافة الرسل .

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة عن : ( صبح الأعشى ج ١٠ ، ص ٨٠ ) .

(٣) فى ص ( ١٢٩ ) : « فانى أحمد » ، « نسأله » .

(٤) ورد نص هذا المنشور كاملاً فى : ( صبح الأعشى ، ج ١٠ ، ص ٨٠ — ٩٠ )  
فراجمه هناك ، وانظر أيضاً نفس المرجع ، ص ٦ ؛ ( ابن الجبلى : شفاء القلوب ، ص

وكتب العاضد في هذا (١) المنشور بخطه :

« هذا عهد لم يُعهد لوزير مثله ، فتقلد أمانة رآك أمير المؤمنين أهلاً لخلها (٢) ،  
والحجة عليك . عند الله ، بما (٣) أوضحه لك من مرشد سبيله (٤) ، فخذ كتاب  
أمير المؤمنين بقوة ، واسحب ذيل الفخار بأن اعتزّت خدمتك إلى بنوة النبوة ،  
وانتخذه (٥) للفوز سبيلاً ، ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها [ ١٠٢ ] وقد جعلتم  
الله عليكم كفيلاً (٦) . »

ولما انتظمت الأمور لاسد الدين بالديار المصرية أقطع البلاد للمساكر التي (٧)  
قدمت معه ؛ وصالح الدين — رحمه الله — ابن أخيه ، مباشر الأمور مقرر لها ،  
وبيده زمام الأمر والنهي .

ومدح الشعراء أسد الدين ، فمن مدحه عماد الدين أبو حامد محمد بن محمد (٨)  
الأصفهاني الكاتب من قصيدة سيرها إليه من الشام ، وهو في خدمة نور الدين  
— رحمه الله — :

بالبجد أدركت ما أدركت لا اللعب كم راحة جُنيت من دوحة التعب

(١) في س : « في طرة » وقد ورد نص هذا التوقيع في : ( صبح الأعتى ج ٩ ،  
ص ٤٠٦ — ٤٠٧ )

(٢) النص في : ( القلقشندی : صبح الأعتى ، ج ٩ ، ص ٤٠٦ ) هو : « وتقليد أمانة  
رآك الله تعالى وأمير المؤمنين أهلاً لخله » .

(٣) في الاصل : « وبما » والتصحيح عن : ( س ) و ( صبح الأعتى ) .

(٤) في س : « سبيله » .

(٥) في : ( صبح الأعتى ، ج ٩ ، ص ٤٠٧ ) « وانتخذ أمير المؤمنين » .

(٦) السورة ١٦ ( النحل ) ، الآية ٩١ ( ك ) .

(٧) في الأصل : « التي » .

(٨) انظر ترجمته في : ( ابن خلكان : الوفيات ، ج ٤ ، ص ٢٣٣ — ٢٣٨ ) و ( الصفدي :

الوفى بالوفيات ، ج ١ ، ص ١٣٢ — ١٤٠ ) و ( النيمي : الدرر في تاريخ المدارس ،

ج ١ ، ص ٤٠٨ — ٤١٢ ) و ( مقدمة خريدة القصر لعماد ، الجزء الأول من القسم الأول

— شعراء مصر — نشر أحمد أمين وشوقي ضيف وإحسان عباس ) .

الصفحة ٥٦٤

ياشير كوه بن شاذى الملك دعوة من  
جرى الملوك ، وما جازوا بركضهم  
تمل من ملك مصر رتبة قصر  
فتحت مصر ، وأرجو أن تصير بها  
قد أمكنت أسد الدين الفريسة من  
أنت الذى هو فرد من بسالته ،  
في حلق ذى الشرك من عدوى سطاك شجاء ،  
زارت بنى الأصفر البيض التى لقيت  
وإنها فقد (١) من خلفها أسد  
لقد رفعتنا إلى الرحمن أيدينا  
يشكو (٤) إليك بنو الإسلام يتمهم  
في كل دار من الإفرنج نادبة  
من شر شاور أقتت العباد ، فكم  
هو الذى أطمع الإفرنج في بلدك  
وإن ذلك عند الله محتسب  
[ ١٠٣ ] أذله الملك المنصور منتصراً ،  
وما غضبت لدين الله منتقماً  
وأنت من وقعت في الكفر هيئته  
وحين سرت إلى الكفار ظنهم زموا

نادى فرّف خير ابن بخير أب  
من المدى في العلى ما حزرت بالخبب  
عنها الملوك فطالت سائر الرتب  
ميسراً فتح بيت القنص عن كذب  
فتح البلاد ، فبادر نحوها وثب  
والدين من عزيمه في جحفل لجب  
والقلب في شجن ، والنفس في شجب  
محرّ المنايا بها مرفوعة الخجب  
أرى سلامتها من أعجب العجب (٢)  
في شكرنا ما به الإسلام عنك (٣) حبي  
فقتت فيهم مقام الوالد الخلب  
بما دهام ، فقد باتوا على نذب  
وكم قضيت لحزب الله من أرب  
إسلام حتى سعوا للقصد والطلب  
في الحشر من أفضل الطاعات والترب  
لما دعا الشرك : هذا قد تمرز بي  
إلا لنيل رضا الرحمن بالنضب  
وفي ذويه وقوع النار في الخطب  
نصرت نصر رسول الله بالرعب

(١) التقد جنس من الغنم تصار الأرجل قباح الوجوه تكون بالبحرين ، وقيل هي غنم سفار حجازية ، (السان) .

(٢) بهذا اللفظ تنتهي (ص ٢٩ ب) من نسخة من ، ثم يضطرب بعد ذلك ترتيب الصفحات في تلك النسخة وبالتالي تنقطع الصلة بين النسخ هناك وبين المتن هنا (نسخة ك) .

(٣) في (الروضتين ، ج ١ ، ص ١٥٩) : « منك » .

(٤) نص الروضتين : « شكاً » .

يا محيي الأمة المهادي بدعوتيه  
لما سعت لوجه الله مُرتقباً  
أعدت نعمة مصر نعمة ، فعدت  
أركبت رأس سنان رأس ظالمها  
رُدَّ الخِلافةَ عباسيةً ، ودَعِرَ الـ  
لا تَقَطَّعَنَّ ذَنبَ الأَفَمَى وَرُسِيَّهَا ،  
للرُّشْدِ كُلِّ غَوَى مِنْهُمْ وَغِي  
تَوَابَهُ ، نَلتَ عَفْواً كُلَّ مُرْتَقِبٍ  
تَقُولُ لَكُمْ نَكْثٌ (١) اللهُ فِي التَّوْبِ  
عَدلاً ، وَكُنْتَ لَوِزْرٍ غَيْرَ مُرْتَكِبٍ  
مُدْعَى فِيهَا يَصَادِفُ شَرَّ مُنْقَلَبٍ  
فَالْحَزْمُ عِنْدِي : قَطَعُ الرَّأْسَ وَالذَّنْبَ .

وفي قتل شاور وتولى أسد الدين الوزارة يقول عرقلة الدمشقي الشاعر ويمسح  
صلاح الدين يوسف بن أيوب وأخاه الملك العادل سيف الدين أبا بكر بن أيوب من قصيدة :

لقد فاز بالملك العقيم خليفة  
كان ابن شاذي والصلاح وسيفه  
هو الأسد الضاري الذي جلَّ خطبُهُ ،  
بني وطني ، حتى لقد قال صحبُهُ (٢)  
فلا رحِمَ الرحمنُ تربةَ قبرِهِ  
ولا زال فيها مُنكَرٌ ونَكِيرُ  
له شيركوه العاضدُ وزيرُ  
علي ، لديه شَبْرٌ وشَبِيرُ (٣)  
وشاورُ كَلْبٌ للرجالِ عَقُورُ  
على مثلها كان اللعينُ يدُورُ  
ولا زال فيها مُنكَرٌ ونَكِيرُ

### ذكر وفاة أسد الدين شيركوه بن شاذي - رحمه الله -

ذكر القاضي بهاء الدين بن شراذم - رحمه الله - في تاريخه أن أسد الدين  
كان كثير الأكل شديد المواظبة على اللحوم الغليظة ، تنواتر عليه التخمة والخوانيق ،  
وينجو منها بعد معاناة شديدة عظيمة ، فأخذته مرض شديد واعتراه خانوق (٤) عظيم

(١) كذا في الأصل ، ولعلها : كم من .

(٢) شبر وشبير اسمان لحسن والحسين ولدى علي بن أبي طالب ، فقد جاء في (اللسان) :  
شبر وشبير وشبير م أولاد هارون على نبينا وعليه الصلاة والسلام ، ومعناها بالمرية : حسن  
وحسين ومحسن ، وبها سمى على أولاده شبر وشبيراً ومشبراً يعني حسناً وحسيناً ومحسنين .

(٣) النسخ في (الروميتين ، ج ١ ، ص ١٥٧) : « قائل » .

(٤) الخناق أن يحدث في البلع ضيق ، يقال له خوانيق ، وهو مخنوق . ( الخوارزمي :  
مفاتيح العلوم ، ص ٩٧ ) .

فقتله ، وقيل بل توفي فجأة ، وكانت وفاته يوم السبت [ ١٠٤ ] لثمان بقين من جمادى الآخرة من هذه السنة — سنة أربع وستين وخمسةائة — فكانت وزارته شهرين وخمسة أيام .

ذكر استيلاء صلاح الدين يوسف بن أيوب — رحمه الله — على الديار المصرية ، وتقلده وزارة العاضد .

فذكر القاضي بهاء الدين أن الوصية كانت إليه من عمه أسد الدين ، وأنه لما فُوض إليه الأمر تاب عن شرب الخمر ، وأعرض عن أسباب اللهو ، وتقمص لباس الجد والاجتهاد ، وما عاد وما زاد إلا جداً إلى أن توفاه الله إلى رحمته .

قال : « ولقد سمعته — رحمه الله — يقول : لما يسر الله تعالى الديار المصرية علمت أنه أراد فتح الساحل ، لأنه أوقع ذلك في نفسي » .

وذكر عن بهاء الدين أنه لما توفي أسد الدين كان بمصر جماعة من أكابر الأمراء النورية ، منهم : عين الدولة الياروقى (١) ، وقطب الدين خسرو بن التليل ، — وهو ابن أخي ابن أبي الهيجا المذبذبى صاحب إربل وقد ذكرناه — وسيف الدين علي بن أحمد المشطوب ، — وكان جده صاحب قلاع المكارية — وشهاب الدين الحارمى — خال صلاح الدين — ، وكل منهم تطاول إلى الأمر ورام التقدم ، فأرسل العاضد من القصر يستدعى صلاح الدين لينخاع عليه وبوليهِ الوزارة ، وكان الذى حمل العاضد على ذلك ضعف صلاح الدين ، وعلم أنه إذا ولى وليس له عسكر ولا رجال كان تحت يده وحكمه ، ولا يجسر على المخالفة ؛ وأنه يضع على العسكر الشامى من يستميلهم إليه ، فإذا صار منه البعض أخرج الباقين ، وتعود البلاد

(١) لعل النسبة هنا إلى « الياروقية » وهى محلة بظاهر حلب . أفطر : ( الروضتين ،



إليه ، وعنده من المساكر الشامية من يحميها من الفرنج ونور الدين ، فامتنع صلاح الدين ،  
وضعت نفسه عن هذا المقام ، فألزم به ، وأحضر إلى القصر ، وخُلمت عليه  
خلع (١) الوزارة ، ولُقّب الملك الناصر ، وعاد إلى دار الوزارة ، وهي الدار التي كان  
يها عمه ، فلم يلتفت إليه أحد من أولئك الأمراء ولا خدمه ، فقام بأمره الفقيه  
ضياء الدين عيسى الهكاري ، وما زال بسيف الدين علي بن أحمد المشطوب حتى أماله  
إليه ، وقال : « إن هذا الأمر لا يصل إليك مع (٢) وجود عين الدولة وشهاب الدين  
الحارمي وابن تليل » ، ثم قصد به شهاب الدين وقال : « إن هذا صلاح الدين  
هو ابن أختك ، وملكك لك ، وقد استقام الأمر له ، فلا تكن أول من يسمى  
[ ١٠٥ ] في إخراجه عنه ، فلا يصل إليك » ؛ ولم يزل به حتى استحلفه له .

واجتمع بعد ذلك بقطب الدين وقال له : « إن صلاح الدين قد أطاعه الناس  
ولم يبق غيرك وغير الياروق ، وعلى كل حال فالجامع بينك وبين صلاح الدين أن أصله  
من الأكراد ، فلا يخرج الأمر عنه إلى الأتراك » ؛ ووعدته زيادة في إقطاعه ،  
فأجلب وحلف .

(١) ورد في (الروضتين ، ج ١ ، ص ١٧٣) وصف كامل لهذه الخلع التي خلعت على صلاح  
الدين مند تواريخ الوزارة ، وقد آثرنا نقله هنا لأهميته : « وكانت خلع الوزارة : محامة  
بيضاء تيسى بطرز ذهب ، وثوب ديبق بطرازي ذهب ، وجبة تحتها - قلاطون بطرازي ذهب ،  
وطبلسان ديبق بطراز دقبق ذهب ، وعقد جواهر قيمته عشرة آلاف دينار ، وسيف على  
مجوهر قيمته خمسة آلاف دينار ، وفرس حجر صفراء من مراكب العاضد قيمتها ثمانية  
ألف دينار لم يكن بالديار المصرية أسبق منها ، وطوق ، ومخنت ، وسرفسار ذهب مجوهر ،  
وفي رقبة الحجر مشدة بيضاء ، وفي رأسها مائتا حبة جواهر ، وفي أربع قوائم الفرس أربع  
عقود جواهر ، وقصبة ذهب في رأسها طالمة مجوهر ، وفي رأسها مشدة بيضاء بأعلام ذهب ،  
ومع الخلع عدة بقيق ، وعدة من الخيل ، وأشياء أخر » .  
(٢) في الأصل : « إلا مع » وقد حذف « إلا » ليستقيم المعنى . راجع : (التنجوم  
الزاهرة ، ج ٦ ، ص ١٧) .

ثم اجتمع بالياروقى — وكان أكبر الجماعة وأكثرتهم جمعا — ، فلم ينفع فيه رقاؤه ولا نفث فيه سحره ، وقال : « أنا لا أخدم يوسف أبدا » . وعاد إلى نور الدين ومعه غيره ، فأنكر عليهم فراقه له .

وذكر عماد الدين الأتني في كتابه المعروف بالبرق السامى : « أن أسد الدين لما توفى ومضت له التعميرية اختلفت آراء الأمراء واختلفت آراؤهم ، ثم اجتمعت كلمتهم على عقد الأمر لصالح الدين ، وألزموا العاضد — صاحب القصر — بتوليته ، فولاه وزارته ، وكتب له منشور<sup>(١)</sup> بالإشياء الفاضلى ، من جلته :

« فأنت راضعُ دَرَّةٍ وناشئةُ حَجْرِهِ ، وظهور الخليل مواطنك ، وظلال الخيام مساكنك ، وفي ظلمات قساطله<sup>(٢)</sup> تجلى محاسنك . وفي أعقاب نوازلته تفتى مناقبك<sup>(٣)</sup> ، فشمر له عن ساق من القنأ ، وخض فيه بجوافر<sup>(٤)</sup> الظبأ ، واحلل في عقد كلمة الله وثيقات الجبى<sup>(٥)</sup> ، وأسل الوهاد بدم العدا ، وارفع بره ومهم الربأ ، حتى يأتى الله بالفتح الذى يرجو أمير المؤمنين أن يكون مذخوراً لأيامك ، ومشهوداً لك يوم مقامك .

وكتب العاضد لدين الله فى طرته<sup>(٦)</sup> بخطه :

« هذا عهدُ أمير المؤمنين إليك ، وحجته عند الله سبحانه عليك ، فأوف بهمديك ويمينك ، وخذ كتاب أمير المؤمنين بيمينك ، وبمن مضى بجدنا رسول الله

(١) هذه فقرة قصيرة من المنشور ، وقد أوردتها بينها ( أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ص ١٦١ ) أما نس للنشور كاملاً فقد ورد فى : ( صبح الأعشى ، ج ١٠ ، ص ٩١ — ٩٨ ) فراجع هناك فهو وثيقة هامة . وورد فى : ( الروضتين ، ج ١ ، ص ١٧٣ ) أن منشور الوزارة هذا كان ملفوفاً فى ثوب من الأطلس الأبيض .

(٢) فى صبح الأعشى : « مشاكاه » .

(٣) فى صبح الأعشى : « ميامنك » .

(٤) فى المرجع السابق . « بحر من » .

(٥) فى نفس المرجع : « واحلل فيه عقدة كلمات الله سبحانه وثيقات الجبى » .

(٦) ورد نس ما كتبه العاضد فى الطرته فى : ( الروضتين ، ج ١ ، ص ١٦١ — ١٦٢ )

و ( صبح الأعشى ، ج ٩ ، ص ٤٠٧ ) .

— صلى الله عليه وسلم — [أحسن] (١) أسوة ، [ولمن بقى بقربنا سلوة] (١) وَتِلْكَ الدَّارُ  
الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (٢).  
وهذا آخر منشور كتب عنهم ، وانقرض أمرهم ، وانفصمت عرى دولتهم .  
وفي هذا التاريخ ابتداء الدولة الأيوبية ، وأخذت الدولة المصرية في الوهن  
والضعف والانحطاط إلى أن انقرضت بالكلية بعد سنتين على ما سنذكره  
— إن شاء الله تعالى —

ورثى عماد الدين الكاتب أسد الدين — رحمه الله — بقصيدة عزى بها أخاه  
نجم الدين [٦ - ١] أيوب وولده الأمير ناصر الدين محمد بن شيركوه ، وهنأها بملك  
الملك الناصر صلاح الدين الديار المصرية :

ما بعد يَوْمِكَ للمعنى المَدْنَفِ      غيرُ العويلِ وحسرةِ الْمُتَأَسِّفِ  
ما أجزأ الحدنان ! كيف عدا (٣) على الآ      سد الخوف سـطاً ، ولم يتوقَّفِ  
مَنْ ثَابِتٌ دون الكفاةِ سواء ؟ إن      زَلَّتْ بهم أقدامهم في التوقِّفِ  
من ذا رأى الأسدَ المصورَ فريسةً      أم أبصرَ الصبحَ المنيرَ وقد خَفِيَ ؟  
ما كان أسنى البدر لو لم يستترا      ما كان أبهى الشمس لو لم تُكسِفِ !  
أيامُ عمرك لم تزلْ مقسومةً      لله : بين تَعَبُدٍ وتَمَرُّفِ  
متهدداً لعبادةٍ ، أو تالياً      من آيةٍ ، أو ناظراً في المصحفِ  
فجِعَ النداءُ والبأسُ منك بجاتمهم      وبجَئِدِ ، والملمُّ منك بأحنفِ  
بالملكِ فُزْتَ ، وَحُرَّتَهُ عن قُدْرَةٍ ،      ومضيتَ عنه بسيرةِ المتعَمِّفِ  
ووصفتَ يا أسداً لدين محمد      مدحاً بما مَلِكٌ به لم يُوصَفِ

(١) أضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة المرجعين السابقين .

(٢) السورة ٢٨ (القصص) ، الآية ٨٣ ك .

(٣) ق : (الروضتين ، ج ١ ، ص ١٦٢) «سطا» .

وَقَفَّوَتْ آثَارَ الشَّرِيعَةِ كُلِّهَا ، وقد اهتدى من للشريعة يقفني  
أَفِئْتِ مِنْ دُنْيَاكَ حِينَ عَرَفْتَهَا ؟ فَلَوَيْتَ وَجْهَ الْعَارِفِ الْمُسْتَكْفِ (١)  
يَا نَاصِرَ الدِّينِ اسْتَعِذْ بِتَصَبُّرِ مُدْنٍ إِلَى مَرْضَاةِ رَبِّ مَرْزَلِ  
وَلَعَزَّ نَجْمَ الدِّينِ عَنْهُ مُهْنًا أَبَدَ الزَّمَانِ بِمَلِكِ مِصْرَ ، وَبُؤْسِ  
لَا نَسْتَطِيعُ سِوَى الدَّعَاةِ ؛ فَكَلْنَا — إِلَّا بِمَا فِي الْوُسْعِ — غَيْرُ مُكَلَّفِ

ولما ملك الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب — رحمهما الله — مصر

كتب إلى بعض أصدقائه وأودائه بالشام كتابا أوله :

« أَيُّهَا الْغَائِبُونَ عَنِّي وَإِنْ كُنْتُ لَمْ لَقَّبِي بِذِكْرِكُمْ جِيرَانًا  
إِنِّي مَذْفُوقَتِكُمْ لِأَرَاكُمْ بَعِيُونَ الضَّمِيرَ عِنْدِي عِيَانًا »

فأجابه ، والشعر والترسل لهما الدين الأصفهاني :

[١٠٧] « أَيُّهَا الظَّاعِنُونَ عَنَّا (٢) وَقَلْبِي مَعَهُمْ (٣) مَا يَفَارِقُ الْأَشْجَانَا (٤)  
مَلِكُوا مِصْرَ مِثْلَ قَلْبِي ، وَفِي هَذَا مَلِكُوا مِصْرَ مِثْلَ قَلْبِي ، وَفِي هَذَا  
فَاعْدِلُوا فِيهَا ، فَإِنَّكُمْ الْيَوْمَ مَلِكُوا مِصْرَ مِثْلَ قَلْبِي ، وَفِي هَذَا  
لَا تَرَوْعُوا بِالْمُهْجَرِ قَلْبَ حُبِّ أَوْرَثْتُهُ أَوْصَابَهُ (٦) أَنْخَلَقْنَا  
حَبْدًا مَعَهُدٌ قَضِينَا بِهِ الْعِيدِ شِ ، وَكُنَّا بِرَيْعِهِ جِيرَانًا (٧)

- (١) في الروضتين : « المتكف » .
- (٢) في الروضتين : « عني » .
- (٣) في الروضتين : « لا » .
- (٤) في الروضتين « الاطمئنان » .
- (٥) في الروضتين « وهاتيك » .
- (٦) في الروضتين : « روعاته » .
- (٧) هذه المقطوعة ينقصها بيتان يبيان هذا البيت الأخير ، أوردهما صاحب الروضتين (ج ١ ، ص ١٦٢) ، وهما :

إِذْ وَجَدْنَا مِنَ الْمَوَادِّ أَمَانًا وَأَخَذْنَا مِنَ الْخَطُوبِ أَمَانًا  
وَرَتْنَا مِنَ الْمَنَى فِي رِيَاضِ وَسَكْنَا مِنَ الْمَنَى جِنَانًا

وبعد : فإن وفود الهناء ، وأمداد الدماء ، متواصلة على الولا ، صادرة عن محض الولا ، إلى على جنابه المأنوس ، ومنيع كنفه المحروس ، فليهنه الظفران بالملك وبالعدو ، وفرع هضاب المجد والعلو ، وكيف لا يكون النصر مساوفاً لدين هو صلاحه ، والتأييد موافقا لعزم هو (١) نجاحه وفلاحه .

فالشامُ يُغَبِّطُ مصرًا مُذْ حَلَّتْ بِهَا كَمَا الْفِرَاتُ عَلَيْكُمْ بِحَسَدُ النِّيْلَا  
رَلْتُمْ مِنَ الْمُلْكِ عَفْوًا مَا الْمُلُوكُ بِهِ عُنُوا قَدِيمًا وَرَامُوهُ فَمَا نِيْلَا «

وثبتت قدم الملك الناصر صلاح الدين في الملك ورسخ ملكه ، وانخطبة مع ذلك على المنابر بالديار المصرية للخليفة العاضد ، وبعده للملك العادل نور الدين ؛ فالملك في الظاهر له ، ولا يتصرف صلاح الدين إلا عن أمره ، والمكاتبة ترد عليه من نور الدين : « بالأمير الاسفهلار (٢) » ، ويكتب نور الدين اسمه قبل علامته (٣) تعظيما لنفسه ، ولا يُفردده بالمكاتبة ، بل يكتب إليه : « الأمير الاسفهلار صلاح الدين ، وكافة الأمراء بالديار المصرية يفعلون كذا » .

(١) الأصل : « موافقا به نجاحه » ، والتصحيح عن الروضتين .

(٢) انظر ما فات هناس ٢ ، هامش ١ .

(٣) العلامة مصطلح خاص يكتبه الخليفة أو السلطان بيده على الرسائل أو الأوامر أو السجلات الصادرة عنه ، ولا تصدر هذه الوثائق على اختلافها إلا بعد كتابة هذه العلامة ، وكان كل خليفة أو سلطان أو ملك يتخذ لنفسه مصطلحاً خاصاً ليكون علامته ، وقد يكون توقيماً باسمه أو آية قرآنية أو قولاً مأثوراً إلخ . . وهذه العلامة هي التي تطورت في أواخر العصر الملوكي وفي العصر العثماني فأصبحت تعرف « بالظفر » . انظر : ( القرزى ، الخطط ، ج ٣ ، ص ٣٦٧ — ٣٦٨ ) حيث يشير إلى « الظفر » و « العلامة » بقوله : « وكان في الدولة السلجوقية يسمى ديوان الانشاء بديوان الظفر » ، وإليه ينسب مؤيد الدين الظفراني . والظفر هي طرة الكتوب ، فيكتب أعلى من البسملة بقلم غليظ ألقاب الملك ، وكانت تقوم عندم مقام خط السلطان بيده على المناشير والكتيب ويستغنى بها عن علامة السلطان ، وهي لفظة فارسية .

انظر أيضا : La : Cahen : *la Tughrā Seljukide. Journal Asiatique, 1945* ; *Correspondance de Diyā ad-Din Ibn al-Athir. B. S. O. S. V. XIV. Part 1.*

(١) القرزى : السلوك ، ج ١ ، ص ٣٤٤ ، هامش ١ .

ثم شرع صلاح الدين في استمالة قلوب الناس إليه ، وبيذل من الأموال ما كان  
أسد الدين جمعه ، وطلب من العاضد شيئاً يخرج به ، فلم يمكنه منعه ، فقال الناس  
إليه وأحبوه ، وقويت نفسه على القيام بهذا الأمر والثبات فيه ، ووضف  
أمر العاضد .

ثم بلغ نور الدين أن الفرنج قد اجتمعت لتسير إلى مصر ، فأمد نور الدين  
صلاح<sup>(١)</sup> الدين بمسكر فيهم الملك المعظم شمس الدولة توران شاه بن أيوب  
— وهو أكبر من صلاح الدين — وقال له نور الدين لما أراد أن يسيره إلى أخيه :  
« إن كنت تسير إلى مصر [ ١٠٨ ] وتنظر إلى أخيك أنه يوسف الذي كان يقوم  
في خدمتك وأنت قاعد ، فلا تسر ، فإنك تفسد البلاد ، وأحضر ك حينئذ وأعاقبك  
بما تستحقه ، وإن كنت تنظر إليه أنه صاحب مصر وقائم فيها مقامي ، وتخدمه  
بنفسك كما تخدمني ، فسر إليه ، واشدد أزره ، وساعده على ما هو بصدده » ؛  
فقال : « أفعل معه من الخدمة والطاعة ما يصل إليك إن شاء الله تعالى » ،  
فكان كما قال .

### ذكر وقعة السودان بالقاهرة

وكان بالقاهرة حصى<sup>(٢)</sup> يقال له مؤمن الخلافة<sup>(٣)</sup> ، وكان متحكما في القصر ،  
ولما ثقلت وطأة الملك الناصر على أهل القصر ، وعلوا أن دولتهم زائلة بسببه ،  
أحبوا الراحة منه ، فأجدوا على مكاتبة الفرنج ليصلوا إلى البلاد ، فإذا خرج  
صلاح الدين إلى لغاتهم قبضوا على من بقي من أصحابه بالقاهرة ، واجتمعوا هم والفرنج

(١) في الاصل : « صلاح » .

(٢) اسمه الكامل : « مؤمن الخلافة جوهر » وكان أحد الأستاذين المحنكين بالقصر .

انظر : ( الفرزى ، الخطاط ، ج ٣ ، ص ٢ ) .

على حربه وحرب أصحابه واستئصالهم ، ويكون بعد ذلك البلاد بينهم وبين الفرنج  
يقدمونها ، فسيبر مؤتمن اخلافة رجلا وحمله (١) كتابا إلى الفرنج ، فخرز عليه نعله ،  
وظنوا أن ذلك يخفى عن صلاح الدين والمسلمين (٢) ، « وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُبَيِّنَ تَوْرَهُ  
وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٣) » .

فاتفق أن ذلك القاصد لما عبر بالبئر البيضاء (٤) رآه رجل تركاني وعلى القاصد  
خلفان ، وفي يده النملان اللذان (٥) أخفيت فيهما المكاتبه ، وليس فيهما أثر شيء ،  
فأنكرها التركاني ، فأخذها ، وأحضرها إلى صلاح الدين ، ففتقهما فوجد مكاتبه  
الفرنج فيهما من أهل القصر ، فأخذ صلاح الدين الكتاب ، وقال : « دلوني على كاتب  
هذا الخط » ، فدلوه على رجل يهودي ، فلما أحضروه ليسألوه ويعاقبوه ويقابلوه ،  
فطلق بالشهادتين واعتصم بهما ، واعترف أنه كاتب الكتاب عن أهل القصر ،  
فأخفى صلاح الدين الحال ، واستشعر مؤتمن اخلافة ، وخاف على نفسه ، ولازم القصر  
لا يخرج منه ، فإذا خرج لم يبعد ، وصلاح الدين معرض عن ذكره البتة ، مغض عنه ،  
لا يأمر فيه ببسط ولا قبض ، فاسترسل حينئذ وظن أنه لا يقدم عليه ، وكان له قصر

(١) في الأصل : « وأصحابه » ولا يستقيم الذي بها ، وقد صححت بعد مراجعة : (ابن الأثير :

الكامل ، ج ١١ ، ص ١٢٩) و (أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ١٧٨) .

(٢) بين كلمة « المسلمين » والآية القرآنية لفظ « دبابا » ولا معنى لها لحذفت .

(٣) السورة ٩ (التوبة) ، الآية ٣٢ (م) .

(٤) ذكر (الفريرزي : المخطوط ، ج ٣ ، ص ٢) أنها قريبة من بلبيس ، وهذا ويستفاد

مما ورد في (صبح الأعشى ، ج ١٤ ، ص ٣٧٦) عند الكلام عن مراكز البريد

وعن الطريق بين القاهرة وعزرة أن هذه البئر كانت واقعة بين بلدتي الخانكة وبلبيس ، وقد حقق

الرحوم محمد رمزي بك موقعها ، قال في : (الجوامع الزاهرة ، ج ٨ ، ص ٤٤ ، هامش ٢) :

« وبالبحث عن موقعها تبين لي أن مكانها اليوم عزبة أبي حبيب الواقعة في حوض البيضاء بأراضي

ناحية الزوامل بمركز بلبيس ، ولا يزال اسم البيضاء والمنسوب إليه هذه البئر يطلق

على الحوض المذكور » .

(٥) في الأصل : « الذين » .

بقرية على شاطئ النيل بقرب قليوب تعرف [١٠٩] بالخرقانية<sup>(١)</sup> ، ذات منزله  
وبساتين ، فخرج إليها للقتله ، فلما علم صلاح الدين أرسل إليه جماعة من أصحابه  
فاغتالوه من مأمنه ، وقتلوه وأثوا برأسه ، وذلك يوم الأربعاء لحس بقين من ذى القعدة  
من هذه السنة — أعنى سنة أربع وستين وخمسمائة — .

فلما قُتل غار السودان<sup>(٢)</sup> عبيد القصر وثاروا ، وكانوا يزيدون على خمسين ألفاً ،  
وكانوا إذا قاموا على وزير قتلوه واجتاحوه ؛ فلما ثاروا أنهض<sup>(٣)</sup> إليهم الملك الناصر  
صلاح الدين أبا الهيجاء السمين ، ووقعت الحرب بين الفريقين — بين القصرين  
بالقاهرة — واشتد القتال بين الفريقين ، واستمر ذلك يومين ، وصاروا كلما لجأوا  
إلى محلة أحرقت عليهم ، وكانت لهم محلة عظيمة على باب زويلة ، تعرف  
بالمنصورة ،<sup>(٤)</sup> فأرسل صلاح الدين إليها من أوقع الحريق فيها على أموالهم وأولادهم  
وحرهم ، فلما أتاهم الخبر بذلك ولوا منهزمين ، وركبهم السيوف ، وأخذت عليهم

(١) ذكر (على مبارك : الحطاط التوفيقية ، ج ١٠ ، ص ٩٧) أنها قرية صغيرة من مديرية  
القليوبية من قسم قليوب واقعة على الشاطئ الشرق للنيل في شمال الغربي لقرية أبي النيظ بنحو  
نصف ساعة ، ومنها إلى القناطر الخيرية نحو ثلثي ساعة ، وأبنيتها ريفية وبها جامع بمئذنة  
وذكر أنها كانت تسمى في العصر الفاطمي « الخاقانية » .

(٢) أشار (الفريرزي في الحطاط ، ج ٣ ، ص ٣) إلى بعض الفرق السودانية التي شاركت  
في هذه الثورة ، وهي : « الطائفة الريحانية » ، « الطائفة الجبوشية » ، « الطائفة الفرجية » ، وغيرهم  
من الطوائف السودانية ، ومن أقدم إليهم بين القصرين .

(٣) في الأصل « نهض » ولا يستقيم بها المعنى . وقد صححت بعد مراجعة : (الروضتين ،  
ج ١ ، ص ١٧٨) ، قال من هناك قفلا عن العباد : « ثار أصحاب صلاح الدين إلى الهيجا ،  
ومقدمهم الأمير أبو الهيجا » .

(٤) ذكر هذه المحلة (الفريرزي في الحطاط ، ج ٣ ، ص ٢٩) باسم « الحارة المنصورة » .  
قال : « هذه الحارة كانت كبيرة منسمة جداً ، فلما عدت مساكن السودان ، فلما كانت واقعهم  
في ذى القعدة سنة ٥٦٤ أمر صلاح الدين يوسف بن أيوب بتخريب المنصورة هذه وتعبئة أثرها  
تخرابها خطيباً بن موسى الملقب صارم الدين ، وحملها ستاناً » ثم حدد مكانها في (ص ٣٠)  
قال : « وكان موضع المنصورة على يمين من تلك الشارع خارج باب زويلة . هي إلى جانب الباب  
الحديد الذي يمر في اليوم بالقوس عند رأس التنجبية فيما بينها وبين الهلالية » .



أفواه السكك ، فطلبوا الأمان بعد أن كثر فيهم القتل ، فأجيبوا إلى ذلك ؛ وذلك يوم السبت لليلتين بقيتا من ذى القعدة ، فمضوا إلى الجزيرة ، فعبر إليهم الملك المعظم شمس الدولة توران شاه بن أيوب — أخو السلطان — في طائفة من المسكر فأبادهم بالسيف ، فلم يبق منهم إلا الشريد ، وضعف أمر العاضد بالكليية وتلاشى أمره ؛ وأمر صلاح الدين بتخريب محلة السودان ، وأعنى أثرها ، فخرَّبها بعض الأمراء واتخذها بستانا ؛ وأصبح أمر السودان كأن لم يكن قط (١) ؛ ففي ذلك يقول عماد الدين الكاتب بمدح صلاح الدين ، وسبِّرها إليه من الشام :

بالمملكِ الناصر استنارتُ — في عصرنا — أوجه الفضائل  
على من حقه فروضٌ — شكراً لما جاد من نوازل  
يوسف مصرَ الذي إليه — تشدُّ آمالنا الرواحل  
أجريتَ نيلين في زاهَا : — نيل نجيع ، ونيل ناقل  
وما نفيتَ السودانَ حتى — حكمتَ البيضَ في المقاتل  
[١١٦] صيرتَ رَحْبَ الفضاءِ ضيقاً — عليهم كفه بمجائل (٢)  
وكلُّ رأى منهم كراء — وأرضُ مصرَ كلام واصل  
وقد خلَّتْ منهمُ المغاني — وأقفرتُ منهمُ المنازل

(١) أورد القرزى في كتابه (المخطوط ، ج ٣ ، ص ٢٩) نصاً هاماً يشير إلى مكانة السودانيين في الجيش الفاطمي ومبلغ ما كان لهم من نفوذ ، وكيف تتبعهم صلاح الدين في الصعيد بعد هذه الواقعة إلى أن قضى على نفوذهم نهائياً ، قال : « وكان لسودان بديار مصر شوكة وقوة ، فتبهم صلاح الدين ببلاد الصعيد حتى أقام بعد أن كان لهم بديار مصر في كل قرية ومحلة وضيفة مكان مفرد لا يدخله وال ولا غيره ، احتراماً لهم ، وقد كانوا يزيدون على خمسين ألفاً ، وإذا ثاروا على وزير قتلوه ، وكان الضرر بهم عظيماً لامتداد أيديهم إلى أموال الناس وأهاليهم ، فلما كثر بينهم وزاد تمددهم أهلكتهم الله بذنوبهم . . الخ » .

(٢) الأصل : « كفة الحابل » ، وما هنا عن : (الروضتين ، ج ١ ، ص ١٧٨) ، وقد وردت هذه القصيدة أيضاً في : (القرزى : المخطوط ، ج ٣ ، ص ٢٩ — ٣٠) ، وهي هناك أكثر أياتنا فانظرها

وما أُصِيبُوا إِلَّا بِطَلٍّ فَكَيْفَ لَوْ أَمْطَرُوا بِوَابِلٍ !  
وَالسُّودُ بِالْبَيْضِ قَدْ أُبِيحُوا (١) فَهِيَ بِوَادِيهِمْ نَوَازِلُ  
مُؤْتَمِنُ الْقَوْمِ خَانَ حَتَّى غَالَتْهُ مِنْ شَرِّهِ غَوَائِلُ  
عَامِلِكُمْ بِأَخْلَانَا فَأَضْحَى وَرَأْسُهُ فَوْقَ رَأْسِ عَامِلِ  
يَا مَخْجَلِ الْبَحْرِ بِالْأَيْدِي قَدْ آتَى أَنْ تَفْتَحَ السَّوَاهِلُ  
فَقَدْسُ الْقَدْسِ مِنْ خَبَاثِ أَرْجَاسِ كَفَرِ غُتْمِ أَرَاذِلِ

وزكر عمار الربيع أنه وصل في هذه المدة كتاب من الملك الناصر صلاح الدين

إلى بعض أصحابه بدمشق ، وضمنه هذا البيت :

وانثر دُرَّ الدَّمْعِ مِنْ قَبْلِ أَيْبُضَا وَقَدْ حَالَ مِنْ غَيْبَتِهِمْ فَأَصْبَحَ يَاقُوتَا

فَنظَمْتُ فِي الْجَوَابِ أَيْبَاتَا مِنْهَا :

هَنِيئًا لِمِصْرَ كُونَ يَوْسُفَ مَلِكُهَا بِأَمْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ قَدْ كَانَ مَوْقُوتَا

وَمَا كَانَ فِيهَا قَتْلُ يَوْسُفَ شَاوِرَا يِمَائِلُ إِلَّا قَتْلُ دَاوُودَ جَالُوتَا

وَقَلْتُ لِقَلْبِي أَبْشُرِ الْيَوْمَ بِالْمَنَى قَدْ نَلَّتْ مَا أَمَلْتُ ، بَلْ حَزَّتْ مَا شِيقَا

ولما وقعت هذه الواقعة تلاشى أمر الداود خليفة مصر ، إلا أن الخطبة باقية له ،

وبنده لنور الدين ، فحكى لى الأمير حسام (٢) الدين بن أبى على قال :

« كان جدى فى خدمة الملك الناصر صلاح الدين ، فحكى أنه لما وقعت هذه

الواقعة شرع صلاح الدين كل يوم يطلب من العاضد شيئاً من الخليل والرقيق

(١) الأصل : « الجوا » وما هنا عن الروضتين ، وفى الخطط : « تنحوا » .

(٢) كان الأمير حسام الدين بن أبى على قائداً من كبار قواد الدولة فى عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب ونائب السلطنة فى عهده ، كما كان صديقاً حميماً للمؤلف ابن واصل ، وينقل عنه فيما يلى الكثير من أخبار الدولة وأسرارها وخاصة فى عهد الصالح نجم الدين ، وهذا أول حديث ينقله عنه ، وهو من الأخبار التى ينفرد ابن واصل بإيرادها ، وقد نقله عنه ( أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٣٣٩ ) .

والأموال ، ليقوى بذلك ضعفه ، قال : فسيرني يوماً إليه أطلب منه فرساً ، ولم يبق عنده إلا فرس واحد ، فأتيت [ ١١١ ] إليه وهو راكب في بستانه المعروف بالكافوري (١) ، الذي يلي القصر الغربي (٢) ، قلت : صلاح الدين يعلم عليك ، ويطلب منك فرساً ، فقال : ما عندي إلا الفرس الذي أناراك به ؛ ووزل عنه ، وشقَّ خفيته ، ورمى بهما ، وسلم إلى الفرس ، فأتيت به صلاح الدين ؛ ولزم العاضد بيته ، ولم يعد لركوب حتى كان منه ما كان .

### ذكر منازل الفرنج دمياط وعودتهم عنها خائبين

ولما ملك صلاح الدين — رحمه الله — الديار المصرية ، واستقرت قدمه بها ، واستقرت بها المساكن النورية ، أيقن الفرنج بالهلاك ، وأيقنوا أن بلاد الساحل من المسلمين على شفا جرف هار ، وأنهم إن لم يتداركوا الأمر وإلا ذهبت البلاد

(١) ذكر هذا البستان (المقرزي : المخطوط ، ج ٣ ، ص ٣٩) عند كلامه عن « خط الكافوري » ، قال : « هذا الخط كان بستاناً من قبل بناء القاهرة وتمتكت الدولة الفاطمية لديار مصر ، أنشأه الأمير أبو بكر محمد بن طنج الاخشيد ، وكان بجانبه ميدان فيه الخيول وله أبواب من حديد ، فلما قدم جوهر القائد إلى مصر جعل هذا البستان من داخل القاهرة وعرف ببستان كافور ، وقيل له في الدولة الفاطمية البستان الكافوري ، ثم اختط مساكن بعد ذلك . وقد حقق المرحوم محمد رمزي بك مكان هذا البستان في القاهرة الحالية في تعليقاته على كتاب النجوم الزاهرة ( ج ٤ ، ص ٤٨ ، هامش ٢ ) فقال إنه كان بستاناً كبيراً واقماً قبل إنشاء القاهرة في المنطقة التي تحدها اليوم من الشمال بشارع أمير الجيوش الجواني ، ومن الغرب بشارع الخليج المصري ، ومن الجنوب بشارع السكة الجديدة ، ومن الشرق بشارع الخردجية وبين القصرين والنحاسين . ولما خرب هذا البستان وبني في مكانه الدور والمساكن وغيرها أصبح خط الكافوري قاصراً فيها بعد على المنطقة التي تحدها اليوم من الشمال بشارع أمير الجيوش الجواني ، ومن الغرب بشارع الشعراوى البرانى ، ومن الجنوب بشارع الخرنفش ، ومن الشرق بحارة برجوان .

(٢) كان موضعه حيث البهارستان المنصوري (ومستشفى فلاوون مرمد يشغل جزءاً منه الآن) وكل المساكن التي تجاوره إلى الخليج . انظر : (النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ٦٦ ، هامش ١) .

من أيديهم ، فكاتبوا فرنج صقلية [والأندلس] (١) وغيرهم ، واستمدوهم واستنصروهم  
لدين النصرانية ، وأمدوهم بالأموال والرجال والسلاح ، واعتدوا للنزول على دمياط ،  
فوصل إلى دمياط الفرنج والروم من داخل البحر ، واستصحبوا معهم المنجنيقات (٢)  
والدبابات (٣) وآلات الحصار وغير ذلك ، واشتد أمر الفرنج بالشام لما قدم فرنج

(١) ما بين الحاصرتين عن الكامل لابن الأثير ، والروضتين . والمعروف أن أموري عندما  
أدرك خطورة استيلاء نور الدين على مصر أرسل يستنجد بمسيحي أوروبا جميعاً . ولكنهم تقاعسوا  
عن نجده لأسباب مختلفة . فلجأ إلى مانويل امبراطور الدولة البيزنطية ، فهي دعوته ،  
ولهذا كانت الحملة على دمياط تتكون من جيش أموري الصليبي وأطول بزنطى ضخ . لمعرفة  
أخبار هذه الاتصالات وموقف البيزنطيين في الحملة انظر : (حسن حنبلي : نور الدين  
والصليبيون ، ص ١٣٤ — ١٤٠) .

(٢) المنجنيق — بفتح الميم وكسرها — أو المنجنوق ، أو المنجنيق ، والجمل : مجاثيق  
ومناجيق ومنجنيقات ، لفظ أعجمي معرب فهو في اللاتينية (Mangonellus) ، وفي الفرنسية  
(Mangonneau) وفي الإنجليزية (Mangonel) ، وهو آلة من آلات الحصار في العصور  
الوسطى ، يقوم مقام المدفع الحالى ، وإن كانت قذائفه من الحجارة ، وقد وصفه صاحب صبح  
الأعشى (ج ٢ ، ص ١٤٤) بأنه «آلة من خشب له دفتان قائمتان بينهما سهم طويل رأسه  
ثقيل وذنبه خفيف ، تجمل كفة المنجنيق التي يجمل فيها الحجر يجذب حتى ترتفع أسافله الأعلى  
أعلى ، ثم يرسل فيرتفع ذنبه الذى فيه السكفة فيخرج الحجر منه ، فأصاب شيئاً إلا أهلكته . وقد  
ذكر (مرضى بن على بن مرضى الطرطوسى) في مخطوطته «تبصرة أرباب الأبواب في كيفية النجاة  
في الحروب من الأسواء .. الخ» التي ألفها خصيصاً لسلطان صلاح الدين الأيوبي أن المنجنيقات  
على عهده كانت ثلاثة أنواع : «فأما العربية وهو أيقن مصنوعاتها ، وأوثق ممولاتها ، ومنها  
التركي وهو أقلها كفة وأحصرها مؤونة ، ومنها الفرنجى » ثم وصف هذه الأنواع جميعاً وصفاً  
دقيقاً مشفوعاً بالرسوم . وقد نشر مقتطفات من هذه المخطوطة مع ترجمة فرنسية وتعليقات قيمه  
الأستاذ كودكا هن . انظر : (Claude Cahen: *Un Traité D'Armurerie Composé pour Saladin. Extrait du Bulletin d'Études Orientales, Damas, Tome XII. 1947-1948.*)  
هذا ويوجد أيضاً في : (الحسن بن عبد الله : آثار الأول ، ص ١٩١ — ١٩٣) وصف  
ممتع للمنجنيق وطرق استعماله . انظر كذلك : (الجواليقي : المغرب ، ص ٣٠٥ — ٣٠٧)  
(نعمان ثابت : الجندية في الدولة العباسية ، ص ١٩٠ — ١٩٣) و (المقريزى : اتعاظ  
الحفا ، نشر الشيبان ، ص ١١٩ ، هامش ٣) .

(٣) جاء في (الاصان) أن «الدبابة آلة تتخذ من جلود وخشب ، يدخل فيها الرجال ويقربونها  
من الحصن المحاصر لينقبوه وتقيم ما يرمون به من فوقهم ، سميت بذلك لأنها تدفع فتدب ،  
وقد قرن (مرضى بن على) بينها وبين الأبراج والستائر ، ووصفها جميعاً وطرق صنعها في كتابه =

الغرب إلى دمياط ، فسرقوا حصن عكار من المسلمين ، وأسروا صاحبها ، وكان  
ملوكا لنور الدين يقال له خطليخ (١) الجمدار ؛ وكان وصول الفرنج إلى دمياط في صفر  
سنة خمس وستين وخمسمائة .

وكان سبق إلى دمياط الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب  
ابن أخى السلطان ، وكذا شهاب الدين خاله ، فدخلا دمياط ، وتابع إليهما  
صلاح الدين الأمداد والنجم في البحر ، وأمدهما بالسلاح والمال والذخائر ، واتصل  
على دمياط حصار الفرنج وضايقوها ، وتابع صلاح الدين رسله إلى الملك العادل  
نور الدين - رحمه الله - يشكو إليه ما هو فيه من المخاوف ، وأنه إن تخلف  
عن دمياط ملكها الفرنج ، وإن سار إليها خافه المصريون في مخلفيه ومخلفى عسكره  
بالسوء ، وخرجوا عن طاعته ، وصار الفرنج أمامه والمصريون خلفه ، فجهز إليه  
نور الدين العساكر أرسالا ، كلما تجهزت طائفة أرسلها ، فسارت إليه يتلو بعضها بعضا .

ثم سار نور الدين فيمن عنده من العساكر ودخل بلاد الفرنج ، [ ١١٢ ] قهبا  
وأغار عليها واستباحها ، لتتحرك الفرنج إلى حفظ البلاد الشامية ويشتغلوا عن دمياط ؛  
وذكر أنه بلغ من اهتمام نور الدين بأمر المسلمين حين نزل الفرنج على دمياط أنه قرئ

= السالف الذكر . انظر : (C. Cahen: Op. Cit. P.18-19) كذلك وصفها (الحسن عبد الله :  
آثار الأول ، ص ١٩٢ ) بقوله : « هي آلة سائرة تتخذ من الخشب النخين المنلرز ، وتغلف  
بالقود والجلود المنقعة في الحبل لدفع النار ، وتركب على عجل مستديرة ، وتحرك فتتجر ، وربما  
جعلت برجا من الخشب ، ودبر فيها هذا التديير ، وقد يدفعها الرجال فتندفع على البكر » وقد  
وصف (المعاد الأصفهاني : الفتح القوي) بأحدى دبابات الفرنج بأنها « كانت دبابة عظيمة هائلة  
ولها أربع طباق ، وهي خشب ورسامس وحديد ونحاس » . انظر المراجع المذكورة في الحاشية  
السابقة ؛ ( المقرئ في السلوك ، ج ١ ، ص ٩٦ ، حاشية ٨ ) و (Dozy: Supp. Diet. Arab.)  
هذا وقد كتب قارئ في هامش الأصل معنى هذا اللفظ باللاتينية وهو (mufculos machinas  
bellicas) .

(١) في الأصل : « خطليخ » وقد صحح الاسم بعد مراجعة (الروضتين ، ج ١ ص ١٨٠)  
وهو يسميه هناك « الجمدار » لا « الجمدار » .

بين يديه جزء من حديث كان له به رواية ، فجاءه في جملة تلك الأحاديث حديث  
مسلسل بالتبسم ، فطلب منه بعض طلبية الحديث أن يتبسم ليم السلسلة على ما عرف  
من عادة أهل الحديث ، فغضب من ذلك ، وقال : « إني لأستحي من الله تعالى  
أن يراني مبتسماً والمسلمون محاصرون بالفرنج » .

وذكر أن إماماً لنور الدين رأى ليلة رحل الفرنج عن دمياط في منامه النبي  
— صلى الله عليه وسلم — وقال له : « أعلم نور الدين أن الفرنج رحلوا عن دمياط  
في هذه الليلة » ، قال : فقلت : « يارسول الله لا يصدقني ، فأذكر لي علامة يعرفها » ،  
[ قال ] : فقل له « بعلامة ما سجدت على تل حارم ، وقلت : يارب انصر دينك (١) ،  
ولا تنصر محموداً ، من محمود الكلب حتى ينصر ! » قال : « فانتبهت ، ونزلت  
إلى المسجد ، وكان من عادة نور الدين أن ينزل إليه بفلس ، ولا يزال يركع فيه حتى  
يصلى الصبح » ، قال : « فتعرضت له ، فسألني عن أمرى ، فأخبرته بالمنام ،  
وذكرت له العلامة كلها ، إلا أنني لم أذكر لفظ الكلب » ؛ فقال نور الدين :  
« اذكر العلامة كلها » وألح عليّ ، فقلت لها ، فبكي ، وصدق الرؤيا . وأرخت تلك  
الليلة ، فجاء الخبر برحيل الفرنج بعد ذلك في تلك الليلة » .

ولما رأى الافرنج تتابع الأمداد إلى دمياط من القاهرة والشام ، ودخول  
نور الدين إلى بلادهم ونهبها وإخراؤها (٢) رجعوا خائبين ؛ وكان مدة مقامهم

(١) في الأصل : « دبك » وهو خطأ واضح ، لم يكن تصحيحه يحتاج إلى الإشارة إليه  
في الهامش ، لولا أن القارئ الفرنجي الذي اعتاد أن يسجل بعض شروحه باللاتينية على هوامش  
المخطوطة لم يفضل للقراءة الصحيحة لفظ ، وفهمه على أنه « دين » ، وشرحه باللاتينية هكذا :  
(Caula gregis, mandre) ؛ وفي (اللسان) : الدين حظيرة من قصب تعمل للفحم ، قال كانت  
من خشب فهي زرب . فتأمل ! !

(٢) في الأصل : « وخربها » والتصحيح عن الروضتين .

على دمياط خمسين يوما ، وكان رحيلهم لتسع بقين من ربيع الأول سنة  
خمس وخمسين وخمسمائة .

وأفق صلاح الدين في هذه النوبة أموالا عظيمة ، وذُكر عنه أنه قال :  
« ما رأيت أكرم من العاضد ، أرسل إلى مئة مقام الفرنج على دمياط ألف ألف دينار  
مصرية سوى الثياب وغيرها » ، وسُيِّرت الكتب إلى الشام بالبشارة برحيل الفرنج ،  
فكتب نور الدين إلى العاضد صاحب مصر يهنئه برحيل الفرنج عن دمياط ، وكان  
قد ورد عليه كتاب [ ١١٣ ] من العاضد يستقبل فيه من الأتراك خوفا منهم ،  
ويطلب الاقتصار على صلاح الدين وخواصه وأزواجه ، فكتب إليه (١) نور الدين  
يمدح (١) الأتراك ، ويذكر أنه ما أرسلهم واعتمد عليهم إلا لعله بأن قنطاريات (٢)  
الفرنج ليس لها إلا سهام الأتراك ، وأن الفرنج لا يخافون إلا منهم ، ولولاهم  
لزاد طمعهم في الديار المصرية ، ولعل الله سبحانه وتعالى يُيسر بهم فتح  
بيت المقدس .

ومما مُدح به الملك الناصر صلاح الدين بعد رحيل الفرنج ما كتب إليه به  
عماد الدين الكاتب — رحمه الله — من قصيدة (٣) مخلصها :

كَانَ قَلْبِي وَحُبَّ مَالِكُهُ مِصْرٌ وَفِيهَا الْمَلِيكُ يُوسُفُهَا

(١) في الأصل : « إلى » و « مدح » ، والتصحيح عن : ( الروضتين ج ١ ، ص ١٨١ ) .  
(٢) القنطارية نوع من الرخ ، وهي لفظ من أصل يوناني ( κοντόριον = Kontarion ) ومبت  
هكذا لأنها تصنع من نوع من الخشب يحمل هذا الاسم باليونانية . وقد وصفها ( مرضى بن علي )  
وصفاً دقيقاً في كتابه السالف الذكر ، قال : « وبنو الأصغر ومن جالسهم من الروم يمتدون  
رماحا من الخشب الزان والشوح وما شاكله ويسمون القنطاريات ، وليست بالطويلة ، ويضعون  
بها ، ومن فرسانهم من تقرين بها ، وهو أن يجعل طرفها في قربوس سرجه ويطن ، وأستها  
قصار عرض كهينة البلطية وما جرى مجراها » . أنظر : ( C. Cahen : Un Traité :  
D'Armurerie Composé pour Saladin P.P 11, 155 ) : 3 ( Dozy. Supp. Dict. Arab )

(٣) وردت هذه الأبيات في : ( الروضتين ، ج ١ ، ص ١٨٢ ) ، أما القصيدة كاملة  
فوجوده في : ( المهاد الأصفهاني : الخريدة ، قسم شعراء مصر ، ج ١ ، ص ٩ — ١١ ) وقد  
استغنا هذين المرجعين لتصحيح الأبيات وضبطها وشرحها .

هذا بسلب الفؤاد يظلمني ، وهو بقتل الأعداء يُنصفها  
الملكُ الناصرُ الذي أبدًا بعزُّ سلطانه يُشرفها  
قام بأحوالها ، فدبرها حسنا ، وأثقلها يُخففها  
بعمله والصلاح يعمرها ، وبالندی والجميل يكنفها  
من دنس الغادرين يرحضها ، ومن خبث المدى ينظفها  
وإنه في السماح حاتمها ، وإنه في الوقر أحففها  
يوسف مصر التي (١) ملاحها جاءت بأوصافه تُعرفها  
كُتبُ التواريخ لا يُزيدها — إلا بأوصافه — مُصنفا  
وحطت (٢) دمياط إذ أحاط بها من يرجوم (٣) البلاء يقذفها  
لاقت غواة الفرج خيبتها فزاد — من حصرة — تأسفها  
أوردت قلب (٤) القلوب أرشيتها من القنا للدماء تترفها (٥)  
وليتها سفكها فعاملها عاملها (٦) والسنان مشرفها (٧)  
يُمضي لك الله في قتالهم عزيمةً للجهاد تُرهفها

(١) في الأصل : « الذي » .

(٢) في الأصل : « وحط » ، والتصحيح عن المرجعين السابقين .

(٣) في الأصل : « من رجوم » والتصحيح عن المرجعين السابقين .

(٤) القلب جمع قلب وهو البئر ؛ والأرشية الجباك ، وهي جمع رشاء .

(٥) في الأصل : « تصرفها » ، وما هنا عن المرجعين السابقين .

(٦) حامل الرمح صدره ؛ والعامل الوالي .

(٧) مشرف الشيء ما يملوه ؛ والمشرف كذلك القائم على الأمر .



## ذكر وصول الملك الأفضل نجم الدين أيوب بن شاذي

والد السلطان إلى مصر

[١١٤] ثم أرسل السلطان الملك الناصر صلاح الدين إلى الملك العادل نور الدين — رحمه الله — يطلب أن يرسل إليه والده نجم الدين أيوب ، فجهزه نور الدين وصير معه عسكراً ، واجتمع معهم من التجار خلق كثير ، وانضاف إليهم من كان له مع صلاح الدين أنس وصحبة ، ثم خاف نور الدين عليهم من الفرنج ، فسار إلى الكرك في عساكره ، فحصره وضيق عليه ، ونصب عليه المجانيق ليشغل الفرنج عنهم ، فاتاه الخبر أن الفرنج قد جمعوا وحشدوا وساروا إليه ، فسار نور الدين نحوهم ، فرجعوا عنه القهقري ، وسلك نور الدين وسط بلادهم يحرق وينهب ما على طريقه من القرى ؛ إلى أن وصل إلى عسثرا (١) ، فخيّم بها وأقام ينتظر حركة الفرنج ليلقاهم ، فلم يبرحوا مكائهم ، وأقام هو حتى أتاه خبر الزلزلة العظيمة التي وقعت في هذه السنة ، فرحل .

وهذه الزلزلة (٢) هي المعروفة بزلزلة حلب التي هدت أكثر منازلها ، وكانت عظيمة جداً ، وكان تأثيرها في حلب وبلادها نظير تأثير الزلزلة التي كانت بحماة سنة اثنين وخمسين وخمسمائة — التي قدمنا ذكرها —

ووصل الملك الأفضل نجم الدين أيوب — رحمه الله — إلى القاهرة في الرابع والعشرين من رجب من هذه السنة — أعني سنة خمس وستين وخمسمائة — ، وخرج العاضد — صاحب القصر — لاستقباله ، وبالغ في احترامه والإقبال عليه .

(١) هكذا ضبطها ياقوت وقال إنها موضع بحوران من أعمال دمشق .

(٢) حدثت هذه الزلزلة في ثاني عشر شوال . انظر أخبارها بالتفصيل في : ( ابن الأثير :

الكامل ج ٢ ، ص ١١ ، ص ١٣٢ — ١٣٣ ) و ( الروضتين ، ج ١ ، ص ١٨٤ ) .

واتفق لايوب مع ولده صلاح الدين يوسف شبيهه ما اتفق ليعقوب مع ابنه يوسف — عليهما السلام — حين قدم على ولده ، ووجده متملكا للديار المصرية ، وقال : « ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ (١) » . وذكر أنه لما خرج ولده الملك الناصر صلاح الدين والخليفة العاضد إلى لقائه ، واجتمعا به قرأ بعض المقرئين : « وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هُنَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ (٢) » — الآية —

ولما اجتمع صلاح الدين بأبيه سلك معه من الأدب ما جرت به عادته ، وقوض إليه الأمر كله ، فأبى ذلك عليه أبوه وقال له : « يا ولدي ما اختارك الله لهذا الأمر إلا وأنت كفو له ، فلا ينبغي أن تغير مواقع السعادة » [ ١١٥ ] فحكّمه في الخزائن بأسرها ، وأنزله اللؤلؤة (٣) المطلة على خليج القاهرة ، فأنشده يوما ابن أبي حصينة (٤) وغضّ من خلفاء مصر :

(١) السورة ١٢ ( يوسف ) ، الآية ٩٩ ك .

(٢) السورة ١٢ ( يوسف ) ، الآية ١٠٠ ك .

(٣) اللؤلؤة منظرة من مناظر الفاطميين كانت تعرف بقصر اللؤلؤة ، ويشرف من شرقيه على البستان الكافوري ، ومن غربيه على الخليج ؛ وصفه (المقريزي : الخطط ، ج ٢ ، ص ٣٤٨ إلى ٣٥٠) بأنه كان من أحسن التصور وأهنظها زخرفة ، أنشأ هذه النظرة العزيز بالله ثم هدمها الحاكم ثم جددتها الظاهر ؛ ومكانها اليوم تبعا لتحقيقات محمد رمزي ( النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ٤٦ ، هامش ٢ ) مدرسة الفرير التي بشارع الشعرائي البراني على رأس شارع الخرنفش بقم الجمالية . أنظر أيضاً : ( على مبارك : الخطط التوفيقية ، ج ٢ ، ص ١٢٨ ) .

(٤) هو يحيى بن سالم بن أبي حصينة الأهدب ، ترجم له (المعاد الأصفهاني : الخريدة ، قم شعراء مصر ، ج ٢ ، ص ١٥٧) فقال إنه من أهل مصر ، وجده من أهل العمرة بالشام ، من نسب الشاعر المعروف ، ثم أورد له بعض شعره ، وقد ذكر ناشر الخريدة أن لهذا الشاعر ترجمة في ( ابن سعيد : المغرب ، الجزء الثاني ، الورقة ١٧٣ ) و ( ابن حجر : التجريد ، الورقة ٢٥٧ ) . وقد ترجم صاحب الخريدة لأبيه سالم بن مفرج بن أبي حصينة في ( نفس المرجع ، ص ١٠٧ — ١٠٨ ) . أنظر أيضاً : ( همارة : النكت المصرية ، ص ٢٩٢ ) ، و ( النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٧٥ ) ترجمة لشاعر آخر من نفس الأسرة ، فقد قال في وفيات سنة ٤٥٦هـ : « توفي الحسن بن عبد الله بن أحمد أبو الفتح الحلبي الشاعر المعروف بابن أبي حصينة ، كان قاضيا شجاعا فصيحاً يخاطب بالأمر » .

يا مالك الأرض لا أرضي له طرفاً  
قد عجل الله هدى اندار تسكنها ،  
تشرفت بك عمن كان يسكنها  
كانوا بها صدفاً ، والدار لؤلؤة ،  
فرد عليه عمارة (١) بن علي اليمني الشاعر ، وكان يتعصب لخلفاء مصر ،

لاصطناعهم إياه وإحسانهم إليه ، فقال :

أئمت (٢) يا من هجا السادات والخلفاء  
جعلتهم صدفاً حلوا بلؤلؤة  
وإنما هي دار ، حلّ جوهرهم  
فقال : لؤلؤة ! عُجِباً يبهجتها ،  
فهي بسكانها (٦) الآيات إذ سكنوا  
والجوهر الفرد نور ، ليس يرفه  
لولا تجسّمه فيهم (٧) لكان على  
فالكاب - ياكلب - أسنى منك مكرمة ، (٨) لأن فيه حفاظاً دائماً ووفاً

(١) أشير إلى اسم الشاعر — في الأصل — بعلامة ، وكتبت أمامه في الهامش هذه الجملة اللاتينية : (Vide plura de hoc poeta infra pag. 128.) ويشير كاتب هذه الجملة من الفرنج إلى قصيدة أخرى لمهارة وردت في ص ١٢٨ من المخطوطة وهي القصيدة التي رثى بها عمارة الفاطميين .

(٢) في الأصل : « أئمت » والتصحيح عن : ( عمارة : النكت المصرية ، ص ٢٩٢ ) و ( الفرزي : المخطوط ، ج ٢ ، ص ٣٥١ ) .

(٣) في الأصل : « كن » والتصحيح عن المرجعين السابقين .

(٤) في الأصل : « بها » ، والتصحيح عن المرجعين السابقين .

(٥) في الأصل : « حلت » والتصحيح عن المرجعين السابقين .

(٦) في الأصل : « فهم بسكانها » ؛ وفي المخطوط « فهم بسكنام » ؛ وما هنا صيغة « النكت » .

(٧) كذا في الأصل وفي ( النكت ) ؛ وفي ( المخطوط ) : « فيه » .

(٨) كذا في الأصل وفي ( المخطوط ) ؛ وفي ( النكت ) : « معروفة » .

وفي هذه السنة — أعني سنة خمس وستين وخمسة — سار الأمير شهاب الدين محمد بن إلياس ابن إياغازي بن أرْتُق — وكانت له البيرة — في عسكره ، — ومم مائتا (١) فارس — إلى خدمة الملك العادل نور الدين محمود — رحمه الله — ، وهو نازل بَعَثَرَا ، فلما وصل إلى اللبوة من أعمال بملبك ، وكان قد ركب متصيّباً ، فصادف ثلاثمائة فارس من الفرنج قد ساروا للإغارة على بلاد الإسلام ، فوقع بعضهم على بعض ، واقتتلوا ، وصبر الفريقان ، وكثر القتل فيهم ، فانهزم الفرنج ، واستولى عليهم القتل والأسر ، فلم يسلم منهم من يُعتد به ، ثم سار شهاب الدين بالأسرى ورؤوس القتلى إلى نور الدين ، فركب هو وعسكره إلى لقائه ، واستعرض الأسرى ورؤوس [ ١١٦ ] القتلى ، فرأى فيها رأس مقدّم الاستتارية (٢) ، صاحب حصن الأكراد ، وكان معظماً عند الفرنج .

## ذكر وفاة قطب الدين مودود بن زنكي

### صاحب الموصل

وفي ذى الحجة من هذه السنة توفي قطب الدين مودود بن زنكي بن آق سنقر — صاحب الموصل — وكان مرضه حاداً ، ولما اشتد مرضه أوصى بالملك بعده لولده عماد الدين زنكي بن مودود ، فلم يتم أمره ، على ما سنذكره إن شاء الله تعالى .

(١) في الاصل : « مائتي » .

(٢) هذه هي التسمية العربية لطائفة الفرسان المسيحيين ، وهو تحريف ظاهر لفظ الانجليزي (Hospitalliers) أو الفرنسي (Hospitalliers) ، وكان يطلق في عصر الحروب الصليبية على طائفة من الفرسان الدينيين ، وقد أسس هذه الطائفة (Blessed Gerard) في سنة ١٠٩٩ م بعد استيلاء الصليبيين على بيت المقدس . وكانت الدار التي يسكنها هؤلاء الرهبان (Hospice) موجودة قبل ذلك في بيت المقدس وتتخذ مأوى للحجاج والمرضى من المسيحيين ، وتشبه هذه الطائفة في كثير طائفة فرسان المعبد (Templiers) التي عرفها العرب باسم « الداوية » ، وقد لعب فرسان هاتين الطائفتين دوراً خطيراً في الحروب الصليبية انظر: (king: Knights Hospitalliers) و (محمد فريد أبو حديد : صلاح الدين الأيوبي وعصره ، ص ١٠٤ ، هامش ١) .

ذكر سيرته - رحمه الله -

كان من أحسن الملوك سيرة ، وأعفهم عن أموال الرعية ، محسناً إليهم ، كثير الإيثار عليهم ، محبباً عند الصغير والكبير منهم ، وكان سريع الانفعال للخير ، بطيئاً عن الشر ، جم المناقب ، قليل المعائب ، وجرت واقعة عجيبة ينبغي أن نتعظ بها ، هربت السبخ عن الرين بنو الأبر عن والره ، قال : « كنت أتولى جزيرة ابن عمر لقطب الدين كما علمتم ، فلما كان قبل موته بيسير ، أتاني كتاب من الديوان (١) بالموصل ، يأمرون بمساحة جميع بساتين العميقة ، وهي قرية تحاذي الجزيرة وبينهما دجلة ، ولها بساتين كثيرة ، بعضها يُسح فيؤخذ منه عن كل جريب (٢) شيء معلوم ، وبعضها عليه خراج ، وبعضها مطلق من الجميع ، وكان لي فيها ملك » ، فكتبت أقول : « إن المصلحة أن لا يُغير على الناس شيء ، وما أقول لأجل ملكي ، فإنني أنا أمسح ملكي ، وإنما أريد أن يدوم الدماء من الناس لهذه الدولة » ؛ فجاءني كتاب النائب يقول : « لا بد من المساحة » ؛ قال : فأظهرت الأمر ، وكان بها قوم صالحون ، لي بهم أنس ، وبيننا وبينهم مودة ، فجاءني الناس كلهم ، وأولئك معهم ؛ يطلبون المراجعة ، فأعلمتهم أنني راجعت ، وما أجبت إلى ذلك ؛ فجاءني منهم رجلان أعرف صلاحهما ، وطلبا مني معاودة المخاطبة ثانية ؛ ففعلت ،

(١) كان لفظ « الديوان » يطلق أحياناً في ذلك العصر على موظف أو موظف الديوان كما يتضح من النص هنا .

(٢) الجريب هنا مقياس للأرض ، ومقداره عشر قصبات في عشر قصبات ، على أنه قد يختلف باختلاف السكان والزمان ؛ والجريب في الأصل مكبال ، وسمته ما يكفي من الحب لبذر مساحة معينة ، ومن هنا سميت تلك المساحة باسم الجريب . انظر : ( المارودي : الأحكام السلطانية ) و ( المقرئ ، إضافة الأمة ، ص ٥١ و ٦٣ ) و ( Enc. Isl. Art: Djarib ) وما بها من مراجع .

فأصروا على المساحة ، ففرقهما الحال ، قال : « فمضى إلا عدة أيام وإذا قد جاءني  
الرجلان ، فلما رأيتهما ظننت أنهما يطلبان المعاودة ، فعجبت منهما ، وأخذت  
أعتذر إليهما ، فقالا : ما جئنا إليك في هذا ، وإنما جئنا نعرفك أن حاجتنا  
قد قضيت » ؛ قال : « فظننت أنهما قد أرسلنا إلى المحصل من يشفع لهما » ؛ قلت :  
« من الذي خاطب في هذا [ ١١٧ ] بالموصل ؟ » فقالا : « إن حاجتنا قد قضيت من  
السما ، ولكافة أهل العقيمة » ، فظننت أن هذا مما حدثنا به نفوسهما ، ثم قاما  
عنى ، فلم يمض غير عشرة أيام ، وإذا قد جاء كتاب من الموصل ، يأمران فيه بإطلاق  
المحبسين والمساحة والمكوس ، ويأمران بالصدقة . ويقال إن قطب الدين  
— يعنى السلطان — مريض على حال شديدة ، ثم بعد يومين أو ثلاثة جاءنا الكتاب  
بوفاته ، فعجبت من قولها ، واعتقدته كرامة لها ، قال : فصار والذى بعد ذلك  
يكثر إكرامها واحترامها ويزورها .

## ذكر استيلاء سيف الدين غازى بن مودود بن زنكى

### على الموصل

كان النائب بالموصل والقيم بأموار الدولة بعد زين الدين على كوجك فخر الدين  
عبد المسيح ، وكان خادما لقطب الدين ، وكان يكره عماد الدين لأنه (١) كان طوغ  
عمه (١) نور الدين ، لكثرة مقامه عنده ، ولأنه كان زوج ابنته ؛ وكان نور الدين  
يُبغض فخر الدين عبد المسيح ؛ واتفق فخر الدين والخاتون (٢) ابنة حسام الدين  
تيمرتاش [ بن ] إيلغازى — والدة سيف الدين — على صرف الملك عن عماد الدين

(١) الضمير هنا مودود على قطب الدين .

(٢) هى صفية خاتون وكانت زوجة لقطب الدين مودود ، انفقر عنها وعن أيتها :

(Zambaur Op. Cit. PP. 33, 136, 227).

إليه ، فأجلس في الملك سيف الدين بن غازي بن قطب الدين مودود ، ورحل  
عماد الدين زنكي بن مودود إلى عمه نور الدين مستنصراً به ؛ وكان عمر قطب الدين  
لما توفي قريباً من أربعين سنة ، ومدة ملكه إحدى وعشرين سنة وخمسة  
أشهر ونصفاً .

وفي هذه السنة توفي الأمير مجد الدين بن الداية ، وهو رضيع نور الدين ،  
وكان أعظم الأمراء منزلة عنده ، وكان له من الإقطاع حارم ، وقلمة جعبر ، فرد  
ما كان إليه إلى أخيه شمس الدين بن الداية .

### ذكر استيلاء الملك العادل نور الدين — رحمه الله —

على الموصل ، وإقرار ابن أخيه سيف الدين عليها

ولما بلغ نور الدين — رحمه الله — وفاة أخيه قطب الدين بالموصل ، واستيلاء  
عبد المسيح واستبداده بالأمور أنف من ذلك وعظم عليه ، وكان شديد البغض  
لعبد المسيح — كما ذكرنا — فقصد الرقة ، في سنة ست وستين وخمسمائة ، فسلمها  
على عوض أعطاه النائب بها .

ومكي عماد الدين الطائب — رحمه الله — قال : « استدعاني نور الدين  
— ونحن بظاهر الرقة — ، وقال لي : قد أنست بك ، وأمنت إليك ، وأنا غير مختار  
للفرقة ، لكن المهم [ ١١٨ ] الذي عرّض لا يبلغ الغرض فيه غيرك ، فتمضى  
إلى الديوان العزيز جريدة ، وتنهى إليه أني قصدت بيتي وبيت والدي ، فأنا كبيره  
ووارثه ، وتأخذ لي منه إذناً في ذلك ، وأنا ممثّل لما يرد عليّ منه ؛ وأمر الأمير  
فاصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه أن يسيرني إلى الرحبة في رجال من عنده ،

٥٦٦

العماد

وسمرت منها إلى البرية غربى الفرات بخفير من بنى خفاجة ، فوصلت ، وقضيت الحاجة ، ورجعت من عند الخليفة المستنجد بالله — وهو يحاصر سنجار — .

ولما ملك نور الدين الرقة سار إلى الخابور فملكه جميعه ، ثم ملك نصيبين ، وأقام بها بجميع العساكر ، فأتاه نور الدين محمود بن قرا أرسلان الأرتقى — صاحب الحصن — ، واجتمعت عليه العساكر ، ثم سار إلى سنجار فحاصرها ، ونصب عليها المجانيق ، وكان بها عسكر كثير من الموصل ، فكاتبه عامة الأمراء الذين بالموصل يحثونه على السرعة إليهم ليسلموا البلد إليه ، وأشاروا بترك سنجار ، فلم يقبل منهم ، وأقام حتى ملك سنجار وسلمها إلى ابن أخيه عماد الدين زنكى بن مودود ، ثم سار إلى الموصل فأتى إلى بلد ، وعبر دجلة من مخاضة عندها إلى الجانب الشرقى ، ثم سار حتى وصل شرقى الموصل على حصن نينوى ، ودجلة بينه وبين الموصل ، وبوصوله — أعنى وصول نور الدين — سقط من سور الموصل بدنة كبيرة .

وكان نخر الدين عبد المسيح قد سيّره عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود إلى أتابك إيلدكز — صاحب بلاد الجبل وأذربيجان — ، وأراد يستنجدوه ، فأرسل إيلدكز رسولا إلى نور الدين ينهائه عن قصد الموصل ، ويقول له : إن هذه البلاد للسلطان ، ولا سبيل لك عليها ، فلم يلتفت نور الدين إلى رسالته ، وكان بسنجار ، فسار إلى الموصل ، وقال للرسول : « قل لصاحبك أنا أرفق بيني وأخي منك ، فلا تدخل نفسك بيننا ، وعند الفراغ من إصلاحهم يكون الحديث معك على باب همذان ، فإنك قد ملكت نصف بلاد الإسلام ، وأهملت الثغور ، حتى غلب الكرج<sup>(١)</sup> عليها ،

(١) الكرج أمة من المسيحيين ، كانت مساكنها بجبال القوقاز المجاورة لتفليس ، ثم استولوا على تفليس من المسلمين سنة ٥١٥ هـ ، ولم يزالوا متمسكين لها إلى أن أغار عليهم جلال الدين خوارزمشاه سنة ٦٢١ هـ واسترد تفليس منهم . انظر : *Allen: History of the Georgian People PP. 87-112.*



وبليتُ أنا بأشجع الناس — الفرنج — ، وأخذتُ بلادهم ، وأسرتُ ملوكهم ،  
فلا يجوز لي أن أتركك على ما أنت عليه ، فإنه يجب علينا الحفظ لما أهدمتُ  
من بلاد الإسلام ، وإزالة الظلم [ ١١٩ ] عن المسلمين . وعاد الرسول بهذا الجواب .

ثم إن الأمراء الذين بالموصل كاتبوا نور الدين وأعلموه عزمهم على الوثوب  
بمعد المسيح وتسليم البلد إليه ، ولما علم عبد المسيح بذلك راسله في تسليم البلد إليه  
وتقريره على سيف الدين ، ويطلب الأمان وإقطاعا يكون له ، فأجابه إلى ذلك ،  
وقال : « لا سبيل إلى لقاءك بالموصل ؛ بل تكون عندى بالشام ، فإنى لم آت لأخذ  
البلاد من أولادى . وإنما جئت لأخلص الناس منك ، وأتولى أنا تربية أولادى » ؛  
واستقرت القاعدة على ذلك ؛ وتسلم نور الدين الموصل ، ودخلها لثلاث عشرة ليلة  
مضت من جمادى الأولى من هذه السنة — أعنى سنة ست وستين وخمسمائة — ،  
ونزل فى القلعة ، وولى بالقلعة سعد الدين كُشْتِكِين ، وأبقى بالموصل سيف الدين  
غازى بن مودود ، واسم الملك له ، وقسم تركة قطب الدين بين أولاده بمقتضى  
الفريضة .

### ذكر وفاة الخليفة المستنجد بالله (١)

أبى المظفر يوسف بن المقتنى وسيرته

كنا ذكرنا وفاة المقتنى لأمر الله فى سنة خمس وخمسين وخمسمائة ، ومصير  
الخلافة إلى ولده المستنجد بالله أبى المظفر يوسف ، وأنه أقام يوزارته عون الدين

(١) أنظر ترجمته فى : ( ابن الجوزى : المنتظم ، ج ١٠ ، ص ١٩٢ — ١٩٤ و ٢٣٦ )  
و ( ابن الأثير : الكامل ، ج ١١ ، ص ١٣٤ — ١٣٥ ) و ( سبط ابن الجوزى : مرآة  
الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ٢٨٢ — ٢٨٣ ) و ( ابن طباطبا : الفخرى ، ص ٢٧٩ — ٢٨٢ )  
و ( السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص ٢٩٣ — ٢٩٤ ) و ( ابن دحية : النبراس ، ص ١٥٨ — ١٥٩ ) .

أبا (١) المظفر يحيى بن هبيرة (٢) — وزير والده — ، وكان عنده معظماً كما كان عند والده ، ثم بعد ذلك جرت مشاحنة بين الوزير عون الدين وأستاذ الدار عضد الدين محمد بن عبد الله بن المظفر بن رئيس الرؤساء ، واشتد الأمر بينهما (٣) ؛ وكان عضد الدين هذا متمكناً عند الخليفة المستنجد بالله ، فبقي عون الدين مدارياً له مستوحشاً منه [ وطلب الإقالة من الخليفة فأقاله ، ولزم بيته (٤) ] ، إلى أن توفي الوزير عون الدين ليلة الأحد ثالث عشر جمادى الأولى سنة ستين وخمسمائة .

وكان من أعيان الوزراء ، وكان إقطاعه في ديوان الخلافة (٥) في كل سنة ما يقارب مائة ألف دينار ، ومات وعليه ديون جمة ، ولم يدخر ملكاً ولا ديناراً ولا درهماً ؛ وكان ابتاع داراً من (٦) صدقة بيباب العامة ، فقيل له : باسم من تكتبه ؟ فقال : باسم الوكلاء — أجاهم الله تعالى — يعني وكلاء الخليفة ؛ فقيل له في ذلك ، فقال : « إن كنت في الوزارة فهذه الدار لي وغيرها ، وإذا عُرِزْتُ عنها فأرجو أن أمكن من الإقامة ببعض المساجد » .

وكانت مدة وزارته للخليفين المقتفي والمستنجد ، ست (٧) عشرة سنة (٨) .

(١) في الأصل : « أبو » .

(٢) أنظر ترجمته في : ( ابن الجوزي : المنتظم ، ج ١٠ ، ص ٢١٤ — ٢١٧ )

و ( ابن خلكان : الوفيات ، ج ٥ ، ص ٢٧٤ — ٢٨٧ ) .

(٣) بهذا اللفظ تبدأ ص ( ١٣٠ ) من نسخة س . وبذلك نمود للمقارنة بين نصي

اللسختين : ( ك ، س ) .

(٤) ما بين الحاصرتين زيادات عن س ( ص ١٣٠ ) .

(٥) في س : « الخليفة » .

(٦) في س : « دارين صدقة » .

(٧) في س ( ١٣٠ ) : « سبع » .

(٨) يوجد في س ( ص ١٣٠ ) بعد هذا اللفظ الجملة الآتية : « وقد ذكرناه في تاريخ

القاضي شهاب الدين على غير هذه الصورة » .

ثم توفي الخليفة المستنجد [ ١٢٠ ] بالله يوم الجمعة سابع ربيع الآخر من هذه السنة - أعنى سنة ست وستين وخمسمائة - فكانت خلافته إحدى عشرة سنة ، وشهراً ، وأحد عشر يوماً ، وكان يقظاً (١) شهماً عادلاً حسن السيرة ، وله شعر حسن ، ذكرنا بعضه ، ومما أنشده وزيره عون الدين بن هبيرة له [ من قصيدة يقول (٢) ] :

كُنْ عدوّاً مبرزاً صفحتَه      أو فسالمنى إذا لم تكُ قرينى  
فى اشتباه الناس ود بينهم      ومناوأة إليها سوء ضغن  
كم عدوٍ زلّ (٣) من ظهر أبى      وصديق أمّه ما ولدتنى

### ذكر البيعة بالخلافة للمستضى بنور الله

ابن المستنجد بالله

ولما توفي المستنجد بالله ببيع بالخلافة ولده الإمام المستضى بنور الله أبو محمد الحسن بن المستنجد [ بالله (٤) ] بن المتقى [ لأمر الله (٤) ] بن المستظهر فى عصر اليوم الذى توفى فيه أبوه - وهو يوم الجمعة سابع ربيع الآخر - البيعة الخاصة ، وعمره إذ ذاك تسع (٥) وعشرون سنة وثمانية أشهر وثمانية أيام ، لأن مولده فى ثالث عشر شعبان سنة ست وثلاثين وخمسمائة ، وبيع يوم السبت غداً هذا اليوم البيعة العامة ،

(١) مكان هذا اللفظ فى س : « شجاعا » .

(٢) ما بين الحاصرتين عن س .

(٣) س ( س ١٣٠ ) : « نازل » .

(٤) ما بين الحاصرتين زيادات عن س .

(٥) فى س ( س ٣٠ ب ) : « سبع » ، وما هنا هو الصحيح ، فقد ولد المستضى

سنة ٥٣٦ ، أنظر : المتن هنا و ( السيوطى ، تاريخ الخلفاء ، ص ٢٩٤ ) .

وأخذ له البيعة على الناس ووزيره (١) عضد الدين بن رئيس الرؤساء ، وأقطعه  
(٢) المستضىء ما كان يجرى في إقطاع ابن هبيرة ، وأقطع قايمارز — مملوك والده (٢) —  
الحلة وأعمالها ، (٣) وأقطع تماش وأخاه أردن — نسيب قايمارز (٣) — واسطا وقوشان ؛  
وطوق (٤) قايمارز ولقبه ملك العرب ، وسوره (٤) ؛ ولم يكتب لهم بذلك حتى حمل  
إليهم من الأموال ما زاد على أمانهم وآمالهم (٢) .

وبعث إلى الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي خلمة — وكان بظاهر  
الموصل — فلبسها ، ثم بعد دخوله الموصل خلمها على ابن أخيه سيف الدين .

وأطلق نور الدين المكوس بالموصل كلها ، وكذلك فعل في سائر ما فتحه  
من البلاد ؛ وأمر بإنشاء الجامع النورى بالموصل ؛ وأقطع جزيرة ابن عمر لابن أخيه  
سيف الدين غازى ، وكان مدة مقام نور الدين بالموصل سبعة عشر يوما ، ثم رحل  
إلى الشام ، وفي صحبته نحر الدين عبد المسيح ، فغير اسمه نور الدين ، وسماه عبد الله .

ووصل [ ١٢١ ] [ نور الدين ] إلى حلب في شعبان ، وزوج سيف الدين غازى  
ابنته ، وقوض القضاء بسنجار وصيدية وانطاياور إلى الشيخ شرف الدين عبد الله  
ابن أبي عصرون ، فولى بها نوابه ؛ ثم رحل نور الدين إلى دمشق وصام بها شهر  
رمضان من هذه السنة ؛ ثم خرج بعد العيد إلى الحميم ثم مبار إلى عشترا .

(١) في الأصل : « وأخذ له البيعة على الناس كما كان وزيره ووزير أبيه بعده ابن هبيرة  
عضد الدين الخ » ، وفي س ( ص ٣٠ ب ) : « وأخذ له البيعة على الناس ووزيره ووزير  
أبيه عضد الدين الخ » وهو نفس مضطرب المعنى في كليهما ، وقد حذفنا بعض الألفاظ ليستقيم  
المعنى ، أنظر ترجمة هذا الوزير في : ( ابن طباطبا : الفخرى ، ص ٢٨٠ — ٢٨٢ ) ،  
واسمه بالكامل : « عضد الدين أبو الفرج محمد بن أبي الفتح عبد الله بن رئيس الرؤساء » .

(٢) ما بين الرقبن غير موجود في س .

(٣) أنظر أخبار قايمارز وأقاربه في : ( ابن الجوزى : المنتظم ، ج ١٠ ، ص ٢٥٣ — ٢٥٥ ) .

(٤) أى ألبسه الطوق والسوار .

وقد ذكر عمار الدين [الطائب] في البرق أن السرية (١) التي خرجت (٢) لصاحب البيرة باللوبة كانت في هذه السنة بعد نزول نور الدين عشترا، وروى ابن الأثير أنها كانت في السنة الماضية، وكان هذا هو الأقرب. والله أعلم بالصواب.

## ذكر الأحداث الكائنة بمصر في هذه السنة

— أعني سنة ست وستين وخمسة —

وفي هذه السنة حرر (٣) صلاح الدين داراً كانت للمعونة (٤) بمصر مدرسة للشافعية، ولم يكن بمصر للشافعية ولا لغيرهم مدرسة، لأن الدولة كانت إسماعيلية،

(١) في س (٣٠ ب) : «السيرة»، وما هنا هو الصحيح.

(٢) في الأصل : «جرت»، وما هنا عن س، انظر أخبار هذه السرية بالتفصيل في : (ابن الأثير، ج ١١، ص ١٣٢).

(٣) في س (٣٠ ب) : «خرّب صلاح الدين داراً كانت للمعونة وبنّاها مدرسة لشافعية».

(٤) أشار المقرئ عند كلامه عن السجون إلى حبسين كان كل منهما يسمى «حبس المعونة» أو «دار المعونة»، الأول كان بالقسطاط : (المخطوط، ج ٣، ص ٣٠٤)، والثاني كان بالقاهرة : (المخطوط، ج ٣، ص ٣٤٢)، والأول هو المقصود هنا، وقد سميت هذه الدار بالمعونة لأنها بنيت بمعونة الساميين بنزلها ولاتهم، ثم عرفت بدار الفلفل، وكان مكانها قبلي جامع عمرو بن العاص بالقسطاط، ثم جعلت داراً لشرطة واستمرت كذلك إلى أن حولها يانس المقرئ صاحب الشرطة في عهد العزيز — إلى حبس عرف بالمعونة وذلك في سنة ٣٨١ هـ. ثم حول صلاح الدين أول توليته على مصر إلى مدرسة لشافعية، وقد عرفت هذه المدرسة أول إنشائها «بالمدرسة الناصرية» نسبة إلى الناصر صلاح الدين، ثم عرفت باسم «مدرسة ابن زين التجار» وهو أول فقيه تولى التدريس بها، ثم عرفت بعد ذلك «بالمدرسة الشريفة» نسبة إلى الشريف القاضي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الحسين الأرموي قاضي العسكر، أحد من تولوا التدريس بها. انظر أخبار هذه المدرسة بالتفصيل في : (المقرئ : المخطوط، ج ٤، ص ١٩٣) و (ابن دقان : الانتصار، ج ٤، ص ٩٣)، وقال محمد رمزي في تحقيقاته في (النجوم الزاهرة، ج ٥، ص ٣٨٥، هامش ١) ان هذه المدرسة زالت، ومحلها اليوم أرض بضاء في الجنوب الشرقى من جامع عمرو بن العاص بمصر القديمة مشغولة بأقنان الجبر والفواخير.

ولم يكن لهم ميل إلى شيء من هذه المذاهب ؛ ثم بنى — رحمه الله — دار الغزل (١) مدرسة للمالكية .

وقوض القضاء بالديار المصرية إلى قاضي القضاة صدر الدين عبد الملك بن درباس الهذباني (٢) الشافعي ، فجعل صدر الدين القضاة في سائر الديار المصرية شافعية ، فاشتهر مذهب الشافعية (٢) واندرس مذهب الإسماعيلية بالكلية ، وانحى أثره ، ولم يبق أحد من أهل البلاد يمكنه التظاهر به .

### خروج الملك الناصر صلاح الدين إلى الغزاة

ثم خرج صلاح الدين إلى جهاد الفرنج ، وأغار على الرملة وعسقلان ، وهجم ربض غزة ، ثم عاد إلى القاهرة ، ثم وصله الخبر بخروج قافلة من دمشق فيها أهله ، فأشفق عليها (٣) وخاف عليهم من الفرنج ، فخرج في النصف من ربيع الأول ، [فالتقى بالقافلة ، وخرمهم إلى مصر بما معهم سالمين ، ثم رد على عقبه (٤) ] .

(١) ذكر (القرنزي : الخطط ، ج ٤ ، ص ١٩٣ — ١٩٤) أن موضع هذه المدرسة يعرف بدار الغزل لأنه كان قيسارية يباع فيها الغزل ، ثم هدمها صلاح الدين وبني مكانها مدرسة لفقهاء المالكية وأوقف عليها الأوقاف الكثيرة أهمها ضيعة باليوم ، كان يجمع منها قحح كثير يوزع على فقهاء المدرسة ، ولهذا عرفت بعد ذلك « بالمدرسة القمحية » . انظر عنها أيضا : ( ابن دقاق : الانتصار ، ج ٤ ، ص ٩٥ ) . وقال محمد رمزي في تحقيقاته ( المرجع السابق ) إن هذه المدرسة زالت ، ومكانها اليوم أرض فضاء في الجهة الشرقية من جامع عمرو بن العاص بمصر القديمة بجوار أقنان الجبير والفواخير .

(٢) هذه النسبة تدل على أن هذا القاضي كردي كصلاح الدين ومن نفس القبيلة التي ينتمي إليها ، وتحويل القضاء في مصر إلى المذهب الشافعي وتعيين قاضي قضاء كردي — والخليفة الفاطمي — لازال حيا — إجراء له دلالة سياسية الواضحة .

(٣) في ص : « عليهم » .

(٤) ما بين الحاصرتين زيادة عن ص ( ١٣١ ) .

## ذكر فتح قلعة أيلة

وكانت بأيلة (١) قلعة في البحر قد حصنها الكفار من الفرنج ، فعمّر لها مراكب ،  
وحملها إلى ساحل أيلة على الجبال ، وركبها الصناعات هناك ، وشحنها بالمقاتلة ، وزحف  
إلى القلعة ، ففتحت في العشر الأول من ربيع الآخر ، واستباح أهلها قتلاً وأسراً ،  
وملاها (٢) بالمعدّ والمعدّ واجتمع (٣) بأهلها عليها ، ثم سار بهم إلى القاهرة (٣)  
فدخلها في السادس والعشرين من جمادى الأولى .

ثم سار في [ ١٢٢ ] الثالث والعشرين من شعبان إلى الإسكندرية (٤) ليشاهدا  
ويرتب قواعدها ، وأمر بعمارة أسوارها وأبراجها .

وفي النصف من شعبان في هذه السنة اشترى الملك المظفر تقي الدين عمر بن  
شاهنشاه (٥) بن أيوب بن أخي صلاح الدين منازل العز (٦) وجعلها مدرسة للشافعية ،  
ووقف عليها وقوفاً جليلية .

(١) في س (١٣١) : « أيلة » .

(٢) في س : « وملاها من العدد والصلاح » .

(٣) مقابل هذا النص في س : « ثم رجع إلى القاهرة » .

(٤) عن الإسكندرية في عصر صلاح الدين انظر : ( جمال الدين الشيبان : الإسكندرية ،

طبوغرافية المدينة وتطورها ، ص ٢٢١ — ٢٢٦ ) .

(٥) في الأصل : « شاهان شاه » .

(٦) ذكر ( القرظي : المخطوط ، ج ٢ ، ص ٣٧٦ ) أن منازل العز بنها السيدة تغريد  
أم العزير بآلة ، ولم يكن بمصر أحسن منها ، وكانت مطلة على النيل لا يحجبها شيء عن نظرها ،  
وما زال الخلفاء من بعد العز يتداولونها وكانت ممددة أنزمتهم . ثم قال عند كلامه عن « مدرسة  
منازل العز » في : ( المخطوط ، ج ٤ ، ص ١٩٤ — ١٩٥ ) أن تقي الدين عمر سكن منازل  
العز ممددة ثم اشتراها من بيت المال في شعبان سنة ٥٦٦ هـ ، وبنها مدرسة للشافعية . وقال محمد  
رمزي في تحقيقاته : ( النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٣٨٦ ، هامش ١ ) إن مكانها اليوم مجموعة  
البياني التي تحده من الغرب مصر القديمة ، ومن الجنوب مدخل شارع المرحومي ، وحارة  
الشرافوة وعطفة زاهر ، ومن الشرق جنبنة المجمع وعطفة الأسرلي ، ومن الشمال شارع القيوته .  
وأما المدرسة نفسها فتعرف اليوم باسم جامع شهاب الدين أحمد المرحومي الذي يتوسط هذه المنطقة  
بشارع المرحومي بمصر القديمة .

## ذكر إقامة الدعوة العباسية بمصر

وانقراض الدولة العلوية بها

كان الملك العادل نور الدين — رحمه الله — لما تحقق ضعف الدولة المصرية ، وأنه لم يبق لهم منعة كتب إلى صلاح الدين يأمره أن يقطع خطبة العاضد ويخطب للخليفة من بني العباس ، فاعتذر <sup>(١)</sup> صلاح الدين بن أيوب بالخوف من وثوب أهل مصر وامتناعهم من الإجابة إلى ذلك لميلهم إلى العلوية <sup>(٢)</sup> ، فلم يصغ نور الدين إلى قوله ، وأرسل إليه يلزمه ذلك إلزاماً لا فسخة فيه ، ثم اتفق مرض العاضد ، فاستشار صلاح الدين الأمراء في قطع الخطبة له ، وكيف يكون الابتداء بالخطبة العباسية ، فمنهم من أقدم على المساعدة وأشار بها ، ومنهم من خاف من الإقدام على ذلك ، إلا أنه لم يمكنه إلا امتثال [ أمر <sup>(٣)</sup> ] نور الدين ، وكان قد رحل إلى ديار مصر رجل أعجمي يعرف بالأمير العالم <sup>(٤)</sup> ، فلما رأى ما بهم من الإحجام ، قال : « أنا أبتدى بها » .

(١) الصيفة في س ( ٣١ ب ) مختلف قليلاً عنها هنا ، ونفسها هناك : « فاعتذر صلاح الدين من وثوب أهل مصر عليه ، وامتناعهم من ذلك لميلهم إلى العلويين » .  
(٢) أضيف ما بين الحاهرتين عن : ( الروضتين ، ج ١ ، ص ١٩٤ ) .  
(٣) ذكر ( ابن الأثير : الكامل ، ج ١١ ، ص ١٣٨ ) أن هذا الرجل هو أول من خطب للمستضيء وذكر أنه رآه بنفسه بعد ذلك في الموصل . انظر أيضاً : ( الروضتين ، ج ١ ، ص ١٩٤ ) . ولكن ( ابن الديلمي : تاريخه باختصار الذهبي ، ونشر الدكتور مصطفى جواد ، ج ١ ، ص ١٤٢ ) ذكر أن أول من خطب لعباسيين رجل آخر اسمه « محمد بن الحسن بن الحسين بن أبي الضياء البعلبكي أبو عبد الله » المتوفى سنة ٥٧٢ هـ . فقد قال في ترجمته له : « وعاد إلى مصر ، واتصل بصلاح الدين سلطان مصر ، وهو الذي خطب للإمام المستضيء بمصر ، ونقذه صلاح الدين رسولاً إلى بغداد ، ثم رجع إلى دمشق فبات بها » . انظر أيضاً : ( الروضتين ، ج ١ ، ص ١٩٣ ، ١٩٥ ) حيث أورد نص رسالة بقلم القاضي الفاضل ، مرسلة من صلاح الدين إلى الخليفة المستضيء ، يتبث فيها بإقامة الخطبة له بمصر وأن من قام بالخطبة هو حامل الرسالة الخطيب شمس الدين بن أبي الضياء . انظر أيضاً : ( النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٣٤٣ ) و ( القرظي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٦٠ ) .



٥٦٧ فلما كان يوم الجمعة (١) من المحرم سنة سبع وستين وخمسة صعد المنبر قبل الخطيب ، ودعا للخليفة الإمام المستضيء بنور الله ، فلم ينكر [ ذلك (٢) ] أحد عليه ، فلما كانت الجمعة الآتية أمر صلاح الدين بمصر والقاهرة بقطع خطبة العاضد ، وإقامة الخطبة للمستضيء بنور الله ، ففعلوا ذلك ، فلم يتحرك مخالف لذلك ولا منكر له ، وانتظم الأمر ، وكتب الخطباء في ذلك في سائر الإقليم فخطبوا ؛ وكان العاضد قد اشتد مرضه ، فلم يعلمه أهله وأصحابه بذلك ، وقالوا : « إن سلم فهو يعلم ، فلا ينبغي أن ننص عليه هذه الأيام التي قد بقيت من أجله (٣) » .

### ذكر وفاة العاضد

٥٦٧ ثم توفي العاضد [ ١٢٣ ] في يوم عاشوراء من السنة ، وهو آخر خلفاء مصر ، وانقضت منهم ، ولشكل شيء آخر ، فسبحان المتفرد بالأزلية والأبدية .

ورأى كرامين الشُّعْبَرِ أَنَّهُ لما اشتد مرض العاضد أرسل إلى صلاح الدين يستدعيه ليوصيه ، فظن أن ذلك خديعة ، فلم يرض إليه ، فلما توفي علم صدقه ، فندم على تخافه عنه .

(١) في س ( ٣١ ب ) : « أول جمعة » . وكذلك في الروضتين .

(٢) أصيب ما بين الحاصرتين عن : ( الروضتين ، ج ١ ، ص ١٩ ) .

(٣) اختلفت الآراء في أسباب موت العاضد ، وهل مات قبل أن تقطع الخطبة باسمه أم بعد ذلك وقد أورد ( أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ١٩٦ ) — نقلا عن ابن أبي طي — موجزا لهذه الآراء ، قال : « . . . وقيل إن العاضد لما اتصل به ما فعل من قطع اسمه من الخطبة ، قال : لمن خطب ؟ قيل له : لم يخطب لأحد مسمى ، قال : في الجمعة الأخرى يخطبون لرجل مسمى . واتفق أنه مات قبل الجمعة الثانية . قيل إنه افكر واستولى عليه الفكر والمم حتى مات . وقيل إنه لما سمع أنه قطعت خطبته اهتم وقام ليدخل إلى داره فمتر وسقط ، فأقام متعللا خمسة أيام ومات . وقيل إنه امتن من فص خاتمه وكان تحت سم فمات . ولما اتصل موته بالملك الناصر قال : لو علمنا أنه يموت في هذه الجمعة ما نصصناه برفع اسمه من الخطبة ، لحسكي أن القاضي الفاضل قال للسلطان : لو علم أنكم ما ترفعون اسمه من الخطبة لم يموت ، أشار إلى أن العاضد قتل نفسه . . . » .

وأما مؤلف كتاب الروضتين (١) فإنه حكى في كتابه أنه اجتمع بالأمير أبي الفتوح ابن العاضد وهو محبوس مقيد سنة ثمان وعشرين وستمائة ، فأخبره أبو الفتوح أن أباه في مرضه استدعى صلاح الدين فحضر ، قال : « وأحضرنا — يعني أولاده — ونحن صفار ، فأوصاه بنا ، فالتزم إكرامنا واحترامنا » ؛ ولما توفي العاضد جلس الملك الناصر للعزاء وأظهر البكاء والحزن عليه . ومشي في جنازته إلى قبره ؛ ثم تسلم القصر بما فيه من الخزان [ والذخائر (٢) ] ، والدقائر والدواوين .

وكان لما جرى لمؤمن الخلافة ما جرى وقتل ، وكل صلاح الدين بالقصر الأمير بهاء الدين قراقوش (٣) الأسدي ، وجعله زمام القصر مقام مؤتمن الخلافة فترتب في القصر فما كان يدخل إلى القصر شيء ولا يخرج منه شيء إلا يمرأى منه ومسمع ، فضاق خناق (٤) أهل القصر بسببه ؛ فلما مات العاضد احتيط على أهله وأولاده في موضع خارج القصر في مكان أفرد لهم (٥) ، وقرّر لهم شيئاً يرسم الكسوة والنقطة

(١) انظر ( الروضتين ، ج ١ ، ص ١٩٤ ) .

(٢) ما بين الحاصرتين من ص ( ١٣٢ ) .

(٣) قراقوش كلمة تركية معناها الطائر الأسود ، وإن كان ابن خلكان قد ذكر أن معناها « العقاب » ، انظر ترجمته في : ( ابن خلكان : أوثيات ، ج ٣ ، ص ٢٥٤ — ٢٥٥ ) و ( ابن أبي الوفاء : الجواهر المضية في طبقات الحنفية ، ج ٢ ، ص ٤٤٣ — ٤٤٤ ) ، ( النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ١٧٦ — ١٧٨ ) . و ( الدكتور عبد اللطيف حمزة : كتاب حكم قراقوش ) و ( القرظي : الخطط ، ج ٣ ، ص ٢ — ٤ ) .

(٤) كتب كاتب أمام هذا اللفظ بالهوامش من الأصل معناه باللاتينية هكذا « خناق

« funis

(٥) روى صاحب الروضتين ( ج ١ ، ص ١٩٤ ) عن الأمير أبي الفتوح بن العاضد أن قراقوش « جعلهم في دار برجوان في الحارة للفسوة إليه بالقاهرة ، وهي دار كبيرة واسعة ، كان عيشهم فيها طيباً ، ثم نقلوا إلى الدولة الصلاحية منها ، وأبعدوا عنها » .

وما يحتاجون إليه ، وجمع الباقين من عمومهم وعِثرتهم<sup>(١)</sup> في القصر في إيوان ، واحترز عليهم في ذلك المكان ، وأبعد عنهم النساء لئلا يتفاسلوا ، ثم عرض من بالقصر من الجوارى والعبيد والعدد والآلات والذخائر النفيسة ، فأطلق من ثبتت حرية ، ووهب الباقي من الرقيق ، وأخلى الدور ، وأغلق القصور ، وأخذ ما صلح له ولأهله ولأمرائه وخواص مماليكه وأصحابه من نفائس الذخائر والملابس ؛ ومن جملة ذلك : الدرّة اليقينة ، والياقوتة الغالية القيمة ، والمصنوعات المنبرية ، والأواني الفضية ، والصواني الصينية ، والمنسوجات المغربية<sup>(٢)</sup> ، [ ١ ٣ ٤ ] والمزوجات<sup>(٣)</sup> الذهبية ، وغير ذلك مما لا يقع عليه الاحصاء ؛ وأسرف في العطاء والبذل ، وأطلق البيع بعد ذلك فيما دون ذلك ، واستمر البيع مدة عشر سنين .

وكانت خزانة الكتب<sup>(٤)</sup> لهم تزيد على مائة ألف وعشرين ألف مجلدة ، وفيها النفائس من الكتب التي لا يكاد يوجد مثلها ، ومنها ما هو مكتوب بالخطوط المنسوبة التي لا توجد في خزانة أحد من الملوك ، فحمل من الكتب إلى الشام ثمانية أجمال ، وترك الباقي فبيع بعضه ، وأطلق البعض لمن يختص به .

وتملك صلاح الدين الأملاك التي لهم ، وضربت الألواح على رباعهم ودورهم ،

(١) كتب أمام هذا اللفظ بهامش الأصل معناه باللاتينية هكذا : « عِثرة » .  
• *proganies familia*

(٢) في س ( ٣٢ ب ) : « الغربية » .

(٣) في الأصل : « المهورجات » وما هنا عن : « الروضتين ، ج ١ ، ص ١٩٤ » .  
والمزج نوع من القماش الثمين المنسوج بالذهب . هكذا عرفه ( Dozy : *Suppl. Dict. Arab.* )

بأه : « nom d'une étoffe precieuse, brocarat d'or » .

(٤) لاستيفاء الكلام عن هذه المكتبة وقبضها انظر : ( القرظي : المخطوط ، ج ٢ ، ص ٢٥٣ — ٢٥٥ ) و ( ابوشامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ٢٠٠ ) و ( الدكتور حسن

ابراهيم حسن : الفاطميون في مصر ، ص ١٤٠ — ١٤١ ) .

ثم ملك بعضها خاصته وأمرأؤه ، وبعضها أذن ببيعه ، وتمعت آثارهم بالكلمية ،  
إن في ذلك لموعظة وذكري لأولى الألباب ، [ كما قال بعضهم (١) ] :

إذا امتحن الدنيا لبيبٌ تكشفت له عن عدوِّ في ثيابِ صديقٍ

وكان جميع من ولي الخلافة منهم بمصر أحد عشر خليفة (٢) ، وولى منهم بالمغرب

ثلاثة ، فكانت عدتهم أربعة عشر خليفة (٣) ، عدة خلفاء بني أمية بالمشرق .

وقد تكلم الناس في أنسابهم فأكثرُوا وأطالوا ، فمن مصحح ومبطل ،

والله أعلم بغيبه ؛ وقد ذكرت ما قيل في ذلك في التاريخ الكبير (٤) ، إلا أن الذي

اعتقدته وحققته من تواريخ كثيرة أن القوم أذعيا للاحظ لهم في النسب الهاشمي ،

فمن المؤرخين من قال إن جدهم يهودي (٥) ، ومنهم من قال إنه من الفرس ؛ والنسابون

(١) ما بين الحاصرتين عن س ( ٣٢ ب ) .

(٢) في الأصل : « رجلا » ، وما هنا عن س .

(٣) المعروف أن ابن واصل ألف في التاريخ كتابين اثنين : أحدهما مفرج الكروب هذا ،  
والثاني ألفه الصالح نجم الدين أيوب ، وسماه « التاريخ الصالح » لأنه كان ينوي تقديمه  
إليه ، والمرجح أن هذه الإشارة إلى التاريخ الكبير يقصد بها التاريخ الصالح . وهو تاريخ  
عام مختصر أرخ فيه ابن واصل للعالم الإسلامي منذ عهد الرسول إلى سنة ٦٣٧ هـ . وهي السنة  
التي تولى فيها الصالح عرش مصر . انظر : ( الدكتور جمال الدين الشياح : جمال الدين بن واصل  
وكتابه مفرج الكروب ) . وهو بحث لم ينشر بعد . و ( C. Cahen : La Syrie du nord )

à l'Époque de Croisades. p. 70—71 )

(٤) تردد القول بانتساب الفاطميين إلى أصل يهودي في كثير من المصادر التاريخية القديمة  
وناقش هذا القول كثيرون من المؤرخين المحدثين ، أنظر مثلا : ( ابن مالك الحمادي البني :  
كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ، ص ١٧ — ٢٠ ) و ( الجندي أخبار القرامطة —  
ضمن تاريخ اليمن لمهارة — ص ١٤٠ ) و ( ابن تفرى يردى : النجوم الزاهرة ، ج ٤ ،  
ص ٧٥ ) و ( السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٣ ) و ( القرزى : تماط الخفا ، نشر جمال الدين  
الشياح ، ص ٥٥ — ٥٦ ) و ( O'Leary : The Fatimid Caliphate. p. 33—34 ) و  
( B. Lewis : The Origins of Ismailism. p. 68. ) و

من الفاطميين قد أظنوا في ذلك وذ كروه في كتبهم ، وكتب الشريف المرتضى (١) الموسوى تقيب العلويين وأخوه الرضى (٢) خطهما بالقدح في نسبهم ، وأنهم ليسوا من ولد على بن أبي طالب — رضوان الله عليهم — ، وشهد بذلك أيضاً جماعة من أكابر العلويين (٣) ، ومما يشهد بذلك أن القوم كانوا لا يوصلون نسبهم ، بل ينسبون أنفسهم إلى عبید الله المهدي ، ثم يقولون : « ابن الأئمة المستورين » ؛ ولو كان نسبهم صحيحاً لصرحوا كما صرح بنو العباس بنسبهم ، وأى حاجة بهم إلى الغنمة ؛ وغاية ما يقولون إن الثلاثة المستورين كانوا يسترون أنفسهم خوفاً من بني العباس ، فهم لما ملكوا وقهروا وزال عنهم الخوف كان ينبغي [ ١٢٥ ] أن يصرحوا بأسماء أولئك ولا يكتفونهم ، إذ قد زالت العلة المقتضية للكتف ، ولقد حُكي أن رجلاً رمى ورقة إلى بعض خلافتهم (٤) وهرب فلم يعرف ، وكان في الورقة :

(١) أبو القاسم على الشريف المرتضى ، ولد سنة ٣٥٥ وتوفى سنة ٤٣٦ ، تولى نقابة الطالبين نيابة عن أبيه — مدة حياته — ثم ولها وحده سنة ٤٠٦ ، بعد وفاة أخيه الشريف الرضى ، كان شاعراً مجيداً كأخيه ، وله ديوان ومؤلفات في المذهب الشيعي ، انظر : ( ابن خلكان : الوفيات ، ج ٣ ، ص ٣ — ٦ ) و ( ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٥٣ ) وانظر بيان مؤلفاته الطبوعة في : ( معجم سر كيبس ) .

(٢) أبو الحسن محمد الشريف الرضى ، ولد سنة ٣٥٩ وتوفى سنة ٤٠٦ ، كان شاعراً ممتازاً ، وطبع ديوانه مرتين . انظر ترجمته بالتفصيل في : ( ابن خلكان : الوفيات ، ج ٤ ، ص ٤٤ — ٤٨ ) و ( ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٣ — ٤ ) و ( المقرئ : تماظ الخنفا ، ص ٣٨ ، هامش ١ ) .

(٣) انظر أسماء الذين وقعوا على هذا المحضر العباسي بالقدح في نسب الفاطميين في : ( المقرئ : تماظ الخنفا ، نشر الشياخ ، ص ٥٥ — ٤٦ ) .

(٤) حدث هذا في عهد الخليفة العزيز بالله ، أول ولايته على مصر . انظر : ( النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ١١٦ ) .

[ إنا ممعنا نسباً مُفكراً يُنتلى على المنبر في الجامع ] (١)

إن كنت فيما تدعى صادقاً فاكشف لنا عن جدك السابع (٢)

[ وإن تُرد تحقيق ما قلته فانسب لنا نفسك كالطائع ] (٣)

أو قدر (٤) الأنساب مستورة وادخل بنا في النسب الواسع

فإن أنساب بني هاشم يقل (٥) فيها طمع الطامع

ولقد صدق كاتب هذه الورقة ، فإنما نجد الأشراف من بني هاشم والعباس (٥) يصلون أنسابهم ويصرحون بها ، وهؤلاء يكتبونها ، فللكتمان علة لا محالة ، وما أظن إلا أن غرضهم أنهم متى صرحوا بالنسب بان زيفهم عند النقاد ، فهذا ما يتعلق بنسبهم .

[ أما (٦) ] مذاهبيهم ، فدعوتهم باطنية إسماعيلية ، وعنهم انتشر دعاة الملاحدة الباطنية في الآفاق ، وهذه المقالة معروفة في كتب المقالات والأصول ، فلامعنى لإيداعها كتب التاريخ .

ورأى القوم في الإمامة بعد النبي — صلى الله عليه وسلم — لعلي بن أبي طالب — رضوان الله عليه — ثم للحسن بن علي ، ثم للحسين ، ثم لعلي — بن الحسين —

(١) أضفنا هذين البيتين من : ( ابن خلكان : وفيات الأعيان ) و ( النجوم ، نفس الجزء والصفحة ) وإضافتهما ضرورية إذ بهما يتضح المعنى المقصود من الآيات مكتملة .  
(٢) كذا في الأصل ، والمقصود « بالسابع » هنا : الأئمة الثلاثة المستورين والأئمة الأربعة الذين حكموا في المغرب . وصيغة المرجعين السالفين : « فاذكر أبا بعد الأب الرابع » وهذه الصيغة فيما أرى أصح لأن آباء العزيز إلى الأب الرابع وهو المهدي معروفون . وقصد الشاعر أن يسأله عن الأئمة المستورين المجهولة أسماءهم .  
(٣) في النجوم : « فدع » .  
(٤) في النجوم : « يقصر عنها » .  
(٥) هذا اللفظ غير موجود في س .  
(٦) ما بين الحاصرتين عن س ( ١٣٣ ) ، وهو ضروري لإيضاح المعنى .

زين العابدين ، ثم لابنه محمد الباقر ، — وفارقوا في ذلك الزيدية ، الذاهبين إلى إمامة زيد — ، ثم لابن محمد جعفر الصادق بن محمد ، ثم لابنه إسماعيل بن جعفر — ، وفارقوا بذلك الإمامية الاثني عشرية القائلين بإمامة موسى بن جعفر ، وغيرهم من أصناف الإمامية — ، ثم لابن إسماعيل محمد بن إسماعيل ، ثم أنهم اعتقدوا أن الإمامة صارت بعد محمد بن إسماعيل في ثلاثة يسمونهم أئمة ستر ، ولا يبوحون بأسمائهم ، ولا ينطقون بذكرهم ، والثلاثة من ولد محمد بن إسماعيل ؛ وقد اختلف في أسمائهم اختلافاً كثيراً ثم إنهم قالوا : صارت بعد ذلك للمهدي عبيد الله (١) الظاهر بسجلماسة (٢) من بلاد إفريقية ، وقالوا إن بينه وبين محمد بن إسماعيل ثلاثة آباءهم أئمة الستر ، لم يظهروا أمرهم خوفاً من أعدائهم بني العباس ، ثم قالوا : إن الإمامة صارت بعد ذلك لابنه القائم بأمر الله [ ١٢٦ ] أبي القاسم محمد ، ثم لابن القائم المنصور بالله إسماعيل ؛ وتوفي المهدي وهذان بالمغرب ، ثم صارت لابن المنصور المعز لدين الله أبي تميم مَعَدَّ (٣) ، وهو أول من ملك الديار المصرية منهم ، دخلها غلامه جوهر في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، وشرع في بناء القاهرة وقصور الخلافة بها .

ثم قدم المعز من الغرب واستقر بقصره في القاهرة في سنة اثنتين وستين وثلاثمائة ، ثم صارت بعده لابنه العزيز بالله أبي المنصور نزار بن مَعَدَّ ، ثم لابنه الحاكم بأمر الله أبي علي المنصور ، ثم لابنه الظاهر لإعزاز دين الله أبي الحسن علي ، ثم لابنه المستنصر بالله أبي تميم مَعَدَّ بن الظاهر بن الحاكم ؛ وطالت مدة خلافته حتى بلغت ستين سنة ، ولم يلب الخلافة أحد هذه المدة ؛ وهؤلاء كلهم على عمود النسب

(١) في س ( ٣٣ ب ) : « ابن عبد الله » ، وما هنا هو الصحيح .

(٢) ذكر ( ياقوت : معجم البلدان ) ان سجلماسة مدينة في جنوب المغرب في طرف بلاد

السودان ، بينها وبين فاس عشرة أيام .

(٣) في س : « بمصر » وما هنا هو الصحيح .

ثم اختلفت الباطنية من هنا وافترقوا ، (١) وسبب افتراقهم (١) . أن أحد الدعاة  
المسمى الحسن الصباح (٢) قدم على المستنصر بالله بمصر ، وطالب أن يكون داعياً له  
ببلاد المعجم ، فأجابه إلى ذلك ، فسأله عن الإمام بعده ، فذكر أنه قال : إنه ولده  
نزار ؛ ولم يكن للمستعلي (٣) إذ ذاك ولد ، فمضى الحسن الصباح (٢) إلى بلاد المعجم  
فدعا للمستنصر وبعده لولده نزار ، وبث دعوة الباطنية هناك ، فلما توفي المستنصر  
كانت الدعوة ببلاد المعجم لنزار بن المستنصر وتسمى هذه الفرقة من الباطنية  
« النزارية » ، ودعوتهم ببلاد الآلموت (٤) بالمعجم ، وببلاد الشام بمصيف (٥)

(١) ما بين الرقنين غير موجود في س .

(٢) في الأصل : « الحسن بن الصباح » . انظر : ( الدكتور طه شرف : دولة النزارية  
أجداد أفاخان كما أسماها الحسن الصباح ، القاهرة ، ١٩٥٠ ) و ( محمد عبد الله عنان : تراجم  
إسلامية ، شرقية وأندلسية ، ص ٤٢ — ٦٠ ) ( Von Hammer : Geschichte der Assassinen )  
ففيها جميعاً صورة واضحة للحسن الصباح ودعوته وملكوته وجهاده في سبيل نشر الدعوة  
وإقامة الملك .

(٣) كذا في الأصل ، وهو غير واضح المعنى . إذ أن الحسن الصباح وصل إلى مصر  
سنة ٤٦٩ هـ وغادرها في أوائل سنة ٤٧٢ هـ . وكان عمر المستعلي وقتذاك سنتين أو ثلاث  
( فقد ولد سنة ٤٦٧ هـ ) فكيف يكون له ولد أولاً يكون له في ذلك الحين . وإذا قرئ النص  
على أنه « ولم يكن للمستعلي إذ ذاك ولد » فإن المعنى ينال غامضاً كذلك .

(٤) آلموت قلعة جبلية في الشباك الشرق من بحر قزوين ، ومعنى آلموت عنى النسر . وكانت  
هذه القلعة مقر الإسماعيلية النزارية إلى أن قضى عليهم المغول هناك سنة ٦٥٤ هـ . انظر ( دائرة  
المعارف الإسلامية ، مادة « ألموت » ) .

(٥) هي عند ( ياقوت : معجم البلدان ) : « مصيبات » ثم يقول : « وبمضمم يقول :  
مصيفات » ويعرفها بأنها حصن حصين مشهور للإسماعيلية بالساحل الشامى قرب طرابلس . ولكن  
( R. Dussaud : Topographie Historique de la Syrie ... etc. p. 148 et suiv ) يذكر  
أن الرسم « مصيبات » الوارد في ( ياقوت ) وحده خطأ . إذ لم يشاركه فيه غيره ، ولكنه  
اعتماداً على المراجع الجغرافية الأخرى وعلى النصوص والوثائق التاريخية يذكر أنها  
تنطق غالباً « مصيبات » ولكنها تكتب في أشكال مختلفة : « مصيبات masyath »  
و « مصيبات masyat » .



وقلاعها لنزار بن المستنصر<sup>(١)</sup> وولده ، وإمامهم الذي يمتقدون إمامته يقولون إنه من ولد نزار بن المستنصر<sup>(١)</sup> ، والله أعلم بذلك

ولم يزل هؤلاء الذين ينتسبون إلى نزار ببلاد العميم إلى أن انتهى الأمر إلى آخرهم ، وهو ركن الدين خورشاه<sup>(٢)</sup> بن علاء الدين محمد بن الحسن ، فحاصره هلاووا<sup>(٣)</sup> ملك التتار<sup>(١)</sup> — خذلهم الله تعالى — سنة خمس وخمسين وستائة ، ثم ظفر به هلاووا<sup>(١)</sup> فقتله ، وقتل من معه من الباطنية الملاحدة ، وبقيت لهم حصون بالشام ، ففتحها السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس ملك الإسلام والمسلمين ، وطهر البلاد منهم كما طهرها من سائر الشرك ، وكان نزار [ ١٢٧ ] الذي تنسب إليه النزارية ظهر بعد أبيه بالاسكندرية ، فقبض عليه وقتل .

وأما الباطنية المصريون فخالفوا هؤلاء في الإمام بعد المستنصر ، فقالوا : صارت الإمامة بعده للمستعلي بالله أبي القاسم محمد ، ثم لابن المستعلي الأمر بأحكام الله أبي علي المنصور ، ثم لابن عمه الحافظ لدين الله أبي الميمون عبد المجيد بن أبي القاسم أحمد بن المستنصر ، ثم لابن الحافظ الظافر بالله إسماعيل ، ثم لابن الظافر الفائر بنصر الله عيسى ، ثم لابن عمه العاضد لدين الله أبي محمد عبد الله بن يوسف بن الحافظ .

(١) ما بين الرقين غير موجود في س .

(٢) في الأصل : « خسرو » وقد صحح بعد مراجعة : ( دائرة المعارف الإسلامية : مادة « الاسماعيلية » ) ، وركن الدين خورشاه هو ابن علاء الدين محمد الثالث بن جلال الدين حسن الثالث . وقد ولي الحكم في آلوت من ذي القعدة سنة ٦٥١ هـ إلى سنة ٦٥٤ هـ ( ١٢٥٦ م ) حيث استولى المنول — أثناء تقدمهم نحو الخلافة العباسية — على ملكه ، وقبضوا عليه وقتلوه في نفس السنة : انظر أيضاً : ( الدكتور مصطفى طه بدر : محنة الإسلام الكبرى أو زوال الخلافة العباسية على أيدي المنول ، ص ١٠٨ ، ١١٦ ) ، ( ابن القوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٣١٢ — ٣١٤ ) .

(٣) كذا في الأصل ، والمقصود به « هولاكو » ويرسم هذا الاسم في بعض الكتب العربية الأخرى هكذا : « هلاون » .

ثم لما توفى العاضد وزالت دولتهم قالت دعائهم : إن الإمامة بعده لابنه داوود  
ابن العاضد ، ولقبوه « الحامد لله <sup>(١)</sup> » ، ثم توفى داوود هذا في أيام الملك العادل  
سيف الدين أبي بكر بن أيوب في الحبس ، ثم قالوا إنها صارت بعده لابنه سليمان <sup>(٢)</sup>  
ابن داوود بن العاضد ، وكان هذا سليمان قد أدخلت أمه إلى داوود في الحبس سرّاً  
فوطئها داوود فحبلت بسليمان ، ثم نُحلت الجارية إلى الصعيد فولدت سليمان ، وترعرع <sup>(٣)</sup>  
وختفى أمره من الدولة الأيوبية عند بعض الدعاة ، فأعلم السلطان به ، وأظنه <sup>(٤)</sup> الملك  
الكامل بن الملك العادل ، فظفر به وجبسه بقلمة الجبل <sup>(٥)</sup> ، وسافرت إلى مصر  
سنة إحدى وأربعين وستائة ، وكان سليمان هذا حياً ، وصممت أن دعوة الإسماعيلية  
المصريين له ، ولم فيه اعتقاد عظيم ، ورأيت من اجتمع به <sup>(٦)</sup> وتحدث معه ،  
فسألته عنه ، فأخبر <sup>(٧)</sup> أنه في غاية الجهل والغباوة ؛ ثم توفى هذا سليمان بن داوود  
ابن العاضد بقلمة الجبل في شهر شوال سنة خمس وأربعين وستائة في أيام السلطان  
الملك الصالح بن الكامل — رحمه الله — ولم يخلف ولداً ذكراً فيما نعلمه ، وصممت

(١) لم تفتت الأسرة الفاطمية بموت العاضد ، بل بقي منها أفراد لبثوا زمناً في أسر الأيوبيين  
وم يستقرون بأحقيتهم في الخلافة ، ولتعرف على هؤلاء الأفراد وعلى الجهود الفاشلة التي بذلت  
في سبيل إعادتهم للحكم في بعض الأحيان انظر :

(Casanova : *Les Derniers Fatimides. Mémoires de La Mission  
Archéologique Française du Caire. Tome VI, 1893. P. P. 415-445* ;

(S. M. Stern : *The Succession of the Fatimid Imam Al-Āmir, The  
Claims of the Later Fatimids to the Inamate, And the Rise of Tayyibi  
Ismailism. Oriens, Vol. 4, no. 2, P P. 193 ff.*

(٢) في الأصل : « ونزع » ، وما هنا عن س (١٣٤)

(٣) في س (٣٤ ب) : « وتطلبه » .

(٤) في س (٣٤ ب) قبل هذا اللفظ الجملة الآتية : « قال صاحب الكتاب جمال الدين

ابن واصل قاضي القضاة بحجة المخروسة »

(٥) ما بين الرقبن يقابله في س : « وتحدثت معه فسألته عنه فأخبرت . . إلخ » وما هنا  
هو الصحيح إذ به يستقيم المعنى ولاحظ ما لهذه الجملة من أهمية ، فهي تنص على وجود المؤلف  
في القاهرة في سنة ٦٤١ هـ ، وزيارة بقلمة أثناء مقامه بها .

بعض من ينتمى إلى مذهبهم يدعى أن له ولداً ذكراً قد أخفى أمره حسب ما كان يخفى سليمان والده ، والله أعلم بحقيقة ذلك .

ويبقى منهم رجلان محبوبان بقلعة الجبل بالقاهرة المحروسة ، شيخان ، جدما (١) العاضد ، [ ١٢٨ ] وكان أحدهما واسمه القاسم قد بلغه أنى صنفت تاريخاً (٢) للسلطان الملك الصالح ، وذكرت فيه أخبار هؤلاء القوم وما قاله النسائيون فيهم ، وأن بعضهم قال إن أصلهم من اليهود ، فطاعت يوماً إلى القلعة المحروسة ، ودخلت على باب الحبس والقاسم بن ابن العاضد هذا قاعد على يابه ، فسأل عنى ، فعرف بي ، فاستدعانى ، فأتيته ، فقال : « أنت ذكرت أن نسبنا يرجع إلى اليهود ؟ » فخرجت منه ، وما أمكنتنى له إلا الاعتراف بذلك ، وأحلت الأمر على أقوال المؤرخين [ فسكت (٣) ] .

وبالجملة فذهاب القوم رديئة مخالفة لكتاب الله تعالى وسنة رسوله — صلى الله عليه وسلم — وما كان عليه السلف الصالح ، واعتقادهم فى الإلهيات ينزع إلى رأى المتفلسفة ، وإنما سموا باطنية ، لأنهم ينزلون القرآن على معانٍ موافقة لأهيم ، ويصرفونه عن ظاهره ، ولهم فى هذا الباب حديث كثير وخبط طويل ، وقد انتقد جماعة من أعيان العلماء للرد عليهم ، منهم : الشيخ أبو حامد الغزالي — رحمه الله —

(١) فى الأصل وفى س ( ٣٤ ب ) : « أحدهما » ، وقد صححت كما بالمتن ليستقيم المعنى . وهذا نس نادر هام انفرد ابن واصل فيه بذكر بعض الحقائق عن بقايا الأسرة الفاطمية بعد زوال الدولة ، وفى ( الروضتين ) و ( الخطط للمقرئى ) نصوص أخرى تتصل بالموضوع ، وقد أقاد من هذه النصوص جميعاً ( Casanova ) فى بحثه السالف الذكر ،  
(٢) يشير إلى ( التاريخ الصالحى ) وهو الكتاب التاريخى الثانى المؤلف .  
(٣) ما بين الحاصرتين عن س ( ٣٤ ب ) .

فإنه رد عليهم في كتاب له سماه : « المستظهرى (١) » ، حكى فيه صورة مذهبهم ،  
وبالغ في الرد عليهم والنقض لآقاويلهم .

وكان عمارة بن على البيني شديد التعصب لهم ، لأنه قدم عليهم من اليمن  
فأحسنوا إليه وخولوه ، فرعى ذلك ووفى لهم ، والإنسان — كما قيل — صنية  
الإحسان ، ولم يكن على مذهبهم ، وإنما كان شافياً سنياً ، فلما زال أمرهم وثامم  
بأحسن (٢) الشعر ، وذب عنهم باللسان إذ لم يمكنه الذب عنهم باليد ، ثم لما تحرك  
جماعة في عود الأمر إليهم ، كان من جملة المساعدين على ذلك ، شكراً  
لهم على إحسانهم إليه ، فأدى به ذلك إلى أن شفق — على ما سنذكره  
إن شاء الله تعالى — ، فمن جملة قوله فيهم برئهم بقصيدة (٣) ، ذكرتها بجملة ما  
لفرط حسنها وهي :

رَمِيَتْ يَادَهُرُ كَنْتَ الْمَجْدِ بِالشَّلْلِ وَجِيْدُهُ بَعْدَ حُسْنِ الخَلِي بِالْمَطَلِّ  
سَعِيَتْ فِي مَنْهَجِ الرَّأْيِ العُتُورِ فَإِنْ قَدَرْتَ مِنْ عَثْرَاتِ الدَّهْرِ (٤) فَاسْتَقِلِّ

(١) أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ، أصله من غزاة ، قرية من أعمال طوس ، وكان والده  
ينزل الصوف ويبيع . توفي سنة ٥٠٥ هـ . وله مؤلفات كثيرة ، منها هذا الكتاب المشار إليه  
هنا واسمه : ( فضائح الباطنية وفضائل المستظهرية ) أو ( المستظهرى ) ، أهداه إلى الخليفة  
المستظهر العباسي ، وقد نشر الاستاذ كولديهر قطعة كبيرة منه ومعها مقدمة طويلة في المذهب  
الباطني باللغة الألمانية - Goldziher: *Streitschrift des Gazali Gegen die Batinija-Sekte. Leiden. 1916* .

وانظر أيضاً ترجمة الغزالي في : ( ابن خلسكان : الوفيات ) و ( السبكي : طبقات الشافعية ،  
ج ٤ ، ص ١٠١ وما بعدها ) و ( الدكتور زكي مبارك : الأخلاق عند الغزالي ) و ( سركيس :  
معجم المطبوعات العربية ) .

(٢) في س : « بالشعر » .  
(٣) لتصحيح هذه القصيدة رجعنا إلى الكتب التاريخية المختلفة التي أوردتها ، وخاصة :  
( ديوان عمارة ) و ( الروضتين لأبي شامة ) و ( صبح الأعشى للقلقشندي ، ج ٣ ، ص ٥٢٦  
وما بعدها ) .

(٤) في ( الروضتين ) : « البني » .

جَدَعْتَ مَا رَنَكَ الْأَقْفَى ، فَأَنْفَكَ لَا  
 [١٢٩] هَدَمْتَ قَاعِدَةَ الْمَعْرُوفِ عَنْ مَجَلِّ  
 لَهْنِي وَهَنْفَ بَنِي الْأَمَالِ قَاطِبَةً  
 قَدِمْتُ مِصْرَ فَأَوْلَيْتَنِي خَلَائِفَهَا  
 قَوْمٌ عَرَفْتُ بِهِمْ كَسْبَ الْأَلُوفِ ، وَمِنْ  
 وَكُنْتُ مِنْ وَرَرَاءِ الدَّسْتِ حَيْثُ مِمَّا (٥)  
 وَنَلْتُ مِنْ عُظْمَاءِ الْجَيْشِ تَكْرِيمَةً  
 يَا عَاذِلِي فِي هَوَى أُنْبَاءِ قَاطِبَةٍ  
 بِاللَّهِ زُرْ سَاحَةَ التَّصْرِينَ وَأَبْكَ مَعِي  
 وَقُلْ لِأَهْلِيهِمَا : وَاللَّهِ مَا التَّحَمَّتْ  
 مَاذَا تُرَى كَانَتْ الْإِفْرَنْجُ فَاعِلَةٌ  
 [ هل كان في الأمر شيء غير قسمة ما

يَنْفُكَ مَا بَيْنَ أَمْرِ (١) الشَّيْنِ وَالخَلْجَلِ  
 سُقِيتَ مُهَلًّا (٢) ، أَمَا تَمَشِي عَلَى مَهَلٍ ؟  
 عَلَى فَجِيئَتِهَا (٣) فِي أَكْرَمِ الدُّوَلِ  
 مِنَ الْمَكَارِمِ مَا أَرْبَى عَلَى أَمَلِي (٤)  
 كَمَا لَهَا أَنهَا جَاءَتْ وَلَمْ أَسَلْ  
 رَأْسُ الْخِصَانِ يَهَادِيهِ عَلَى الْكَفَلِ  
 وَخُلَّةٌ حُرِسَتْ مِنْ عَارِضِ الْخَلَلِ  
 لَكَ الْمَلَامَةُ إِنْ قَصَّرْتَ فِي عَدَلِي  
 عَلَيَّهِمَا (٦) ، لَا عَلَى صِفَيْنِ وَالْجَلِّ  
 فِيكُمْ جُرُوحِي ، وَلَا قَرَحِي بِمَنْدَمَلِ  
 فِي نَسْلِ [ آل ] (٧) أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ ؟  
 مَلَسَكُمُو بَيْنَ حُكْمِ السَّبِيِّ وَالنَّفْلِ (٨) ؟

- (١) في (الروضتين) : « تقس » .  
 (٢) المهل ما ذاب من صفر او حديد ، وهكذا فسر في التذليل . (السان) ؛ وفي (صبح الأعتى) : « سقيت مهلا . . . الخ » وهو اجتهاد غير موفق في قراءة النص .  
 (٣) في (الروضتين) : « بلجيتنا » .  
 (٤) في (الروضتين) : « على الأمل » .  
 (٥) في س (١٣٥) : « أشا » .  
 (٦) في الأصل : « ونح عليها » ولا يستقيم بها الوزن ؛ وما هنا عن : (الروضتين) و (صبح الأعتى) .  
 (٧) ما بين الحاصرتين عن س (٣٥ ب) ، و (الروضتين) ، ج ١ ، ص ٢٢٤ .  
 و (صبح الأعتى) .  
 (٨) هذا البيت غير وارد في الأصل ، وإنما ورد في (الديوان) وفي (الروضتين) و (صبح الأعتى) .

وقد حصلتُم عليها واسمُ جدِّكم محمدٌ ، وأبوكم خَيْرٌ مُنتَقِلٌ (١)  
 مررتُ بالقصرِ ، والأركانُ خاليةٌ من الوفودِ ، وكانتُ قبلةَ القبيلِ  
 فَمِلْتُ عنها بوجهي (٢) ، خَوْفَ مُنتَقِدٍ من الأعداءِ ، ووجهُ الودِّ لم يعلِ  
 أسبَلتُ من أسنى دَمْنِي غداةَ خلتُ رحابكم ، وغدَّتْ مَهْجُورَةَ السُّبُلِ  
 أبكى على ما تُرَاتِ (٣) من مكارمكم ، حالَ الزمانِ عليها ، وَهِيَ لم تحلِ  
 دارُ الضيافةِ كانتُ أنسَ وإفدِكم واليومَ أوحشُ من رَسْمِ ومن طللِ  
 وفِطْرَةَ الصَّوْمِ إِن أَصْنَعْتُ (٤) مكارمكم تشكو من الدهرِ حَيْفًا غَيْرَ مُحْتَمَلِ  
 وكسوةِ الناسِ في الفَصْلَيْنِ قد دَرَسَتْ (٥) ورثٌ منها جَدِيدٌ عنهم (٦) وَبَلِي  
 وموسمٌ كان في يومِ الخليجِ لكم يأتى تجمُّلكم فيه على الجبلِ  
 وأولُ العامِ والعيدين (٨) كم لكم فيهنَّ من وبلِ جودِ ليس بالوشلِ  
 والأرضُ تهتزُّ في يومِ الغديرِ كما (٩) بهتزُّ ما بينَ قصرَيْكم من الأصلِ  
 [١٣٠] والخليلُ تُعرَضُ في وشي وفي شية (١٠) مثلَ العرائسِ في حلي وفي حلالِ

- (١) كذا في الأصل وفي (صبح الأعي) : وفي (الديوان) : (الروضتين) :  
 « غير منتقل » .  
 (٢) في «الروضتين» : « بوجهي » .  
 (٣) في الأصل وفي «الروضتين» و «الديوان» : « ما تراعت » ، وما هنا عن :  
 « صبح الأعي » .  
 (٤) في «الصبح» : « إذا صحت » .  
 (٥) في س : « دنست » .  
 (٦) في «الصبح» : « عندم » .  
 (٧) في «الروضتين» : « كسر » .  
 (٨) في «الروضتين» : « والعيدين كان لكم » .  
 (٩) في «الروضتين» : « عيد الغدير بما » .  
 (١٠) في «الروضتين» : « من وشي ومن شية » .

وما حملتم<sup>(١)</sup> قوى الأضياف من سعة ال  
وما خصصتم<sup>(٢)</sup> يبراً أهل مايتكم<sup>(٣)</sup>  
كانت رواتبكم للوافدين ، <sup>(٣)</sup> وللضية  
ثم الطراز<sup>(٤)</sup> بتئيس الذي عظمت<sup>(٤)</sup>  
وللجوامع من أحبائكم<sup>(٥)</sup> نعم  
وربما عادت الدنيا ، فمقلها<sup>(٦)</sup>  
والله لا فاز يوم الحشر مبيضكم ،  
ولا سقى الماء من حر ومن ظمأ  
[ ولا رأى الجنة الله التي خلقت  
أمتي ، وهديني ، والذخيرة لي ،  
تالله لم أوفهم<sup>(٨)</sup> في المدح حقهم  
ولو تضاعفت الأقوال واستبقت  
باب النجاة فهم ، دنياً وآخرة

أطباق بلا على الأكتاف والمعجل  
حتى عممتم به الأقصى من الملل  
فد المقيم ، وللطاري من الرسل  
منه الصلوات لأهل الأرض والدول  
لمن تصدّر في علم وفي عمل  
منكم ، وأنصحت بكم مخلولة العقل  
ولا نجاً من عذاب النار غير ولى  
من كرف خير البرايا خاتم الرسل  
من خان عهد الإمام المأيد بن علي<sup>(٧)</sup>  
إذا ارتهنت بما قدمت من عمل  
لأن فضلهم كالوابل المطل  
ما كنت فيهم بحمد الله بالخجل<sup>(٩)</sup>  
وحيهم فهو أصل الدين والعمل

(١) في (الروضتين) : « ولا حملتم » .

(٢) في (صبح الأعشى) : « أهل مملكة » .

(٣) في (الروضتين) : « لذمتين » .

(٤) في الأصل : « التي عظمت من » ، وفي س (٣٥ ب) : « يلبس القدي » ،

وما هنا عن (الديوان) و (صبح الأعشى) .

(٥) في (الديوان) : « إحسانكم » ، وفي (الصبح) : « احسانكم » .

(٦) كذا في الأصل وفي (الصبح) ، وفي (الديوان) : « لمقلها » .

(٧) أنصف هذا البيت عن (الديوان) .

(٨) في (الصبح) : « واقه لم نوفهم » .

(٩) في س (١٣٦) : « كالخجل » .

نور الهدى ، ومصابيح الدجى ومح  
سئل النبيث إن وُتت الأنوار في المحل  
أئمة خلِقُوا نُوراً ، فنورهم  
من نور خالص نور الله لم يقل  
والله لا زلت عن حبي لم أبداً  
ما أخرج الله لي في مُدَّة الأجل  
[ عمارة قلما المسكين وهو على  
خوف من القتل ، لاخوف من الزلزل (١) ]

ولما وردت البشارة على الملك العادل نور الدين - رحمه الله - بالخطبة بمصر  
للإمام المستضيء بنور الله أمير المؤمنين سرّاً بذلك ، وكتب إلى سائر الأطراف  
بالبشارة ، وندب القاضي شهاب الدين أبا المعالي المطهر بن الشيخ شرف الدين  
ابن أبي عصرون بهذه البشارة إلى الديوان العزيز ، وأمر كاتبه عماد الدين الأصفهاني  
بإنشاء بشارة تُقرأ في سائر البلاد الإسلامية ، وبشارة أخرى خاصة [ ١٣١ ] تُقرأ  
بحضرة الإمام في مدينة السلام .

ونظم عماد الدين قصيدة مشتملة على ذكر الخطبة للدولة العباسية ، ويمدح فيها  
الإمام المستضيء بنور الله :

قد خطبنا للمستضيء بمصر نائب المصطفى إمام العصر  
وخذلنا لنصرة الضد العاد والناصر الذي بالقصر  
واتبعنا بها شعار بني العبد ، فاستبشرت وجوه النصر  
وتركنا الدعوى يدعوا (٣) ثبوراً وهو بالذل تحت حجرٍ وحصر (٤)  
وتباهت منابر الدين بالخطبة للهاشمي في أرض مصر

(١) أضيف هذا البيت عن (الديوان) .  
(٢) في س (١٣٦) : « العاضل والناصر بالقصر » .  
(٣) في الأصل وفي س (١٣٦) : « يدعى » والتصحيح عن : (الروضتين) ج ١ ،  
ص (١٩٨) .  
(٤) في الأصل « وخسر » ، وما هنا عن : (الروضتين) .



وَلَدَيْنَا تَضَاعَفَتْ نِعْمُ اللَّهِ ، وَجَلَّتْ عَنْ كُلِّ عَدٍ وَحَصْرٍ  
 وَافْتَدَى الرَّيْنُ ثَابِتَ الرُّكْنِ فِي مَهْ ، مَحُوطَ الْجَمِيِّ ، مَصُونَةَ الثُّغْرِ  
 وَاسْتَنْارَتْ عَزَائِمُ الْمَلِكِ الْعَا ، دِلِ نُورِ الدِّينِ الْكَرِيمِ الْأَغْرُ  
 فَبَنُو الْأَصْفَرِ الْقَوَائِمُ (١) مِنْهُ ، فِي وَجْهِهِ - مِنَ الْخِيفَةِ - صَفْرُ  
 عَرَفَ الْحَقُّ أَهْلُ مِصْرَ ، وَكَانُوا ، قَبْلَهُ بَيْنَ مُنْكَرٍ وَمُفِئْرٍ  
 هُوَ فَتَحَ بَكْرُ ، وَدُونَ الْبَرَائِيَا ، خَصَّنَا اللَّهُ بِإِفْتِتَاحِ الْبِكْرِ  
 وَحَصَلْنَا بِالْحَمْدِ وَالْأَجْرِ وَالنَّهْ ، مَرِ وَطَيْبِ الثَّنَا وَحُسْنِ الذِّكْرِ  
 وَنَشَرْنَا أَعْلَامَنَا السُّودَ ، قَهْرًا ، لِلْعَدِيِّ الزُّرْقِ ، بِالْمَنَائِيَا الْحَمْرِ  
 وَاسْتَعَدْنَا مِنْ أَدْعِيَاءِ حَقُّوqَا ، تَدْعَى بَيْنَهُمْ لَزِيدٍ وَعَمْرٍو  
 وَالذِي يَدْعَى الْإِمَامَةَ بِالنَّ ، هِرَّةً انْحَطَّ فِي حَضِيضِ الْقَهْرِ  
 خَانَهُ الدَّهْرُ فِي مَنَاهُ ، وَلَا يَطُ ، مَعَ ذُو اللَّبِّ فِي وَقَاءِ الدَّهْرِ  
 مَا يُقَامُ الْإِمَامُ إِلَّا بِحَقِّ ، مَا تُحَازُ (٢) الْحَسَنَاءُ إِلَّا بِمَهْرِ  
 خَلْفَاهُ الْهُدَى ، سَرَاةً بِنِي الْعَبِّ ، سِ ، وَالطَّيِّبُونَ أَهْلُ الطَّهْرِ  
 بِهِمْ الدِّينُ ظَافِرٌ مُسْتَقِيمٌ ، ظَاهِرٌ قُوَّةً ، قَوِيٌّ الطَّهْرِ  
 [١٣٢] كَشْمُوسِ الضُّحَى ، كَمِثْلِ بُدُورِ ، سَمِّ ، كَالشَّجْبِ ، كَالنُّجُومِ الزُّهْرِ  
 قَدْ بَلَّغْنَا بِالصَّبْرِ كُلَّ مُرَادٍ ، وَبُلُوغِ الْمُرَادِ عُنُقِي الصَّبْرِ  
 لَيْسَ مُثْرِي الرِّجَالِ مِنْ بَيْتِكَ الْمَا ، لَ ، وَلَكِنَّمَا أَخُو اللَّبِّ مُثْرِي

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ فِي الرَّوْضَتَيْنِ ؛ وَهِيَ فِي س ( ٣٦ ب ) : « الْفَوَاجِرِ » .

(٢) فِي الْأَصْلِ فِي س : « نَخَارِ » ، وَمَا هُنَا عَنْ : ( الرَّوْضَتَيْنِ ، ج ١ ، ص ١٩٨ ) .

ولهذا لم يَنْتَمِعْ صَاحِبُ الْقَصْرِ وقد شَارَفَ الدُّنُورَ بِدَفْرِ  
دَامَ نَصْرُ الْهُدَى بِمَلِكِ بَنِي الْعَبَّاسِ حَتَّى يَقُومَ يَوْمَ الْخَشْرِ

ولما وصلت البشارة إلى الديوان العزيز النبوي قوبلت بالإكرام والإعظام  
والإنعام التام ؛ وكان وصول البشارة بذلك يوم السبت ثمان بقين من المحرم من هذه  
السنة - أعني سنة سبع وستين وخمسة - ، فجلس الوزير عضد الدولة ابن رئيس  
الرؤساء في الديوان ، واستحضر أرباب المناصب والدولة والخوفاص والأمراء وأشار  
إلى كاتب الإنشاء أبي الفرج ابن الأنباري (١) ، بقراءة مكتوب الملك العادل  
نور الدين ، ثم تثنى بمكتوب برز بخط الخليفة المستضيء بنور الله ، يتضمن الشكر لله  
على ما أباحه من عودة الحق إلى مستقره .

وكان مبدأ انقطاع الخطبة العباسية بها سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، وعادت  
الخطبة العباسية بها سنة سبع وستين وخمسة ، فكان مدة انقطاع الخطبة العباسية  
بمصر نحو من مائتي سنة وتسع (٢) سنين .

ووصل إلى الشام جواب البشارة مع عماد الدين صندل (٣) المقتنوي ، وهو إذ  
ذاك أستاذ الدار العزيزة ، ولم يرد من بغداد رسول مثله في جلالة وعظمة قدره ؛  
وورد صحبته التشريف الشريف لنور الدين مكلا بالأهبة (٤) السود والحلل الموشية ،  
والطوق الذهب الثقيل ، واللواء (٥) الجليل ؛ وحضر الرسول عند نور الدين ،  
وحضر أكابر الدولة والخوفاص ، وكان يوماً مشهوداً ؛ وقرأ موفق الدين خالد

(١) انظر ما فات هنا ، ص ٥٨ ، هامش ٣

(٢) في س : « سبع » ، وهو خطأ .

(٣) في ( الرضتين ، ج ١ ، ص ١٩٩ ) : « عماد الدين بن صندل » .

(٤) أهبة الحرب عدتها ، والجمع أمه . ( الاسان ) .

(٥) في س ( ١٣٧ ) : « الأولو » وما هنا هو الصحيح ، انظر : الرضتين ، ج ١ ،

ص ١٩٩ .

ابن محمد بن صغير القيسراني (١) كتاب الديوان ، ثم لبس نور الدين الفرّجّية (٢) ،  
وتقلد بالسيفين (٣) ، ووضع في عنقه الطوق (٤) ، وخرج راكباً من داخل القلعة  
واللواء الأسود منشور على رأسه ، وقُدّم له مركوبان ، أحدهما ركبه ، والآخر  
كان جنياً [ ١٣٣ ] بين يديه ، محلي بحليته ، وجمع له بين تقليدي السيفين  
الإشعار بتقليده الاقليمين : الشام والديار المصرية ، وخرج إلى ظاهر دمشق ،  
ونثر عليه الذهب ، وانتهى في تسييره إلى الميدان الأخضر ، ثم عاد إلى القاعة .

وكان صحبة الرسول تشریف للملك الناصر صلاح الدين جليل كثير ، لكنه  
دون تشریف نور الدين ؛ فسيره نور الدين — رحمه الله — إليه ، وسير أيضاً  
خلفاً من عنده يرسم الامراء من أصحابه .

(١) القيسراني نسبة إلى تيسارية بليدة بالشام على ساحل البحر ، وقد ذكر صاحب  
الروضتين — نقلاً عن البرق الشامي لهامد — أن خالداً هذا كان بمثابة الوزير لنور الدين ، ولم  
أعثر له على ترجمة وإنما ترجم ( ابن خلكان : الوفيات ، ج ٤ ، ص ٨٢ — ٨٥ ) لأبيه محمد  
ابن نصر بن صغير القيسراني ، وكان شاعراً مشهوراً ، وتوفى سنة ٥٤٨ هـ .

(٢) عرفها : (Dozy : Dictionnaire Détaillé des Noms des Vêtements. :  
p. p. 327-334 ; Supp. Dict. Arab). بأنها « نوع من القباء المسترسل ، ويصنع  
غالباً اليوم من الجوخ وله أكمام واسعة طوية تتمدى أطراف الأصابع ، وهي غير مفتوحة  
او مشقوفة ، "est une robe flottante, faite ordinairement aujourd'hui de drap,  
à manches amples et longues qui dépassent un peu l'extrémité des doigts,  
et qui ne sont point fendues" .

(٣) ذكر صاحب الروضتين ( ج ١ ، ص ١٩٩ ) — نقلاً عن البرق الشامي لهامد الكاتب —  
أن معنى إرسال الخليفة سيفين لنور الدين إنما هو رمز لتقليده ولاية مصر والشام معا فقد  
كان الهامد حاضراً الحفل الذي قدمت فيه هذه الخلع والتشاريق إلى نور الدين ، قال — فيها  
رواه عنه صاحب الروضتين — : « وسألت عن معنى تقليده السيفين ، فقيل لي : هما لشام  
ومصر ، ولجميع بين البلادين » وهو ما يؤكد المعنى هنا بعد سطور قليلة .

(٤) ذكر صاحب الروضتين ( ج ١ ، ص ١٩٩ ) — نقلاً عن البرق الشامي لهامد —  
أن وزن هذا الطوق مع أكرته كال ألف دينار من الذهب الأحمر ، هذا وتشابه النمس هنا  
وفي الروضتين بذلك دلالة واضحة على أن مصدرهما الذي ينقلان عنه واحد ، وهو البرق الشامي  
لهامد الأصفهاني ، وقد اعترف أبو شامة صراحة بالنقل عنه ، أما ابن واصل فقد نقل دون  
النمس على سرجه .

ولما وصل الشريف الخليفة إلى مصر لبسه الملك الناصر صلاح الدين — رحمه الله — وركب به ، وذلك في الحادي والعشرين من رجب من السنة المذكورة ، وهي أول خلمة عباسية دخلت مصر بعد انقراض دولة العلوية ؛ ووصل أيضاً إلى مصر أعلام ورايات سود ، وأهَبَ عباسية للخطباء بسائر الأعمال المصرية ، ففرقها صلاح الدين على الجوامع والمساجد والقضاة والعلماء ، واستقر قدم بني أيوب بمصر ، واستثبت الملك لهم ، ففي ذلك يقول عرقلة الدمشقي :

أَصْبَحَ الْمَلِكُ بَعْدَ آلِ عَلِيٍّ مُشْرِقًا بِالْمَلُوكِ مِنْ آلِ شَاذِي  
وَعَدَا الشَّرْقُ يَحْمِدُ الْغَرْبَ لِقْوَهُمْ ، وَمِصْرُ تَزْهُوٍ عَلَى بَعْدَاذِي  
مَا حَوَّوْهَا إِلَّا بِعَزْمٍ وَحَزْمٍ وَصَلِيلِ الْفُلُولَاذِي فِي الْفُلُولَاذِي  
لَا كَفِرْعَوْنَ وَالْعَزْبِيَّ ، وَمَنْ كَانَتْ بِهَا كَالْخَطِيبِ وَالْأُسْتَاذِي

وفي هذه السنة — أعني سنة سبع وستين وخمسةائة — خرجت من مصر مراكب ، إلى الشام فأخذ الفرنج في اللاذقية منها مركبتين مملوءتين من الأمتعة (١) والتجار ، وغدروا بالمسلمين ، وكانوا قد هادنوا نور الدين — رحمه الله — ونكثوا ، ولما بلغ ذلك نور الدين راسلهم في إعادة المركبتين فغالطوه ، واحتجوا بأن المركبتين كان قد دخلهما ماء البحر (٢) لكسر فيهما (٢) ، وكانت العادة جارية بأخذ كل مركب يدخله الماء ، وكذبوا في ذلك ، فلم يقبل مغالطتهم ، وجمع العسكر من الشام والموصل والجزيرة ؛ ووصل ابن أخيه سيف الدين غازي بن مودود إلى خدمته ، ثم بث السرايا نحو أنطاكية وطرابلس ، وحصر هو [ ١٣٤ ] حصن عرقا ، وأخرب روضه ، وأرسل طائفة من العسكر إلى حصن صافيتا وعزيمة ، فأخذوها

(١) في الأصل : « ائمة التجارة » ، وفي س ( ٣٧ ب ) : « الأمتعة والتجار » وما هنا عن : ( ابن الأثير ، ج ١١ ، ص ١٤٠ ) .  
(٢) هذان اللفظان غير موجودين في س .

عنوة ، [ وقتل كل من فيها وسي<sup>(١)</sup> ] ، وخرب ، وغنم المسلمون غنائم كثيرة ،  
وعادوا إليه وهو بعرقه .

وسار [ نور الدين ] بالعساكر نحو طرابلس فراسله الفرنج وبذلوا له إعادة<sup>(٢)</sup>  
ما أخذوه من المركبين ، وطلبوا تجديد الهدنة ، فأجابهم إلى ذلك ، [ وردت المركبان  
بما فيها إليه ولم ينفد منها شيء<sup>(٣)</sup> ] .

### ذكر ابتداء الوحشة بين نور الدين وصلاح الدين

- رحمهما الله تعالى -

وفي هذه السنة أرسل نور الدين إلى صلاح الدين يأمره بجمع العساكر المصرية  
والمسير بها إلى بلاد الفرنج ، والنزول بها على الكرك ومحاصرتها ، ويجتمعها هناك  
على حرب الفرنج والاستيلاء على بلادهم ، فبرز صلاح الدين من القاهرة في العشرين  
من المحرم من [ هذه<sup>(٣)</sup> ] السنة ، وكتب إلى نور الدين أن رحيله لا يتأخر ،  
وكان نور الدين قد جمع العساكر ونجهز<sup>(٤)</sup> ، فأقام ينتظر ورود<sup>(٥)</sup> الخبر من صلاح الدين  
ورحيله ليرحل هو ، فلما أتاه<sup>(٥)</sup> الخبر بذلك رحل من دمشق عازماً على قصد الكرك ،  
فوصل إليه ، وأقام ينتظر صلاح الدين ، فأناه كتابه يعتذر فيه عن الوصول باختلال  
أحوال البلاد<sup>(٦)</sup> ، وأنه يخاف عليها من البعد عنها ، فعاد إليها ، فلم يقبل نور الدين  
عذره ورجع .

(١) ما بين الحاصرتين عن س ( ١٣٨ ) ، ومكان هذه الجملة في الأصل : « وكذا  
غيرها » .

(٢) هذا اللفظ غير موجود في س

(٣) ما بين الحاصرتين زيادات عن س ( ١٣٨ ) .

(٤) في س : « ونجهزوا » .

(٥) هذه الجملة ساقطة من س .

(٦) في س ( ١٣٨ ) : « باختلال البلاد وأحوالها » .

قلت : هكذا ذكر بعضه المؤرخين ، ولم يذكر غيره أن نور الدين نازل الكرك في هذه السنة ، بل كلهم ذكر أن نور الدين كاتب صلاح الدين بالمسير إلى الكرك ، فخرج متوجهاً إليها ، ثم عاد ، وكان السبب في عود صلاح الدين أن أصحابه وخواصه خوَّفوه من الاجتماع بنور الدين (١) .

ولما لم يمثل صلاح الدين أمر نور الدين عظم ذلك عليه ، وعزم على الدخول إلى الديار المصرية وإخراج صلاح الدين عنها ، فبلغ الخبر إلى صلاح الدين فجمع أهله وفيهم والده نجم الدين أيوب ، وخاله شهاب الدين الحارمي ومعهما سائر الأمراء ، وأعلمهم بما قد عزم عليه نور الدين في قصده وأخذ مصر منه ، واستشارهم فلم يجبه أحد منهم بشيء ، فقام ابن أخيه الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه [ ١٣٥ ] بن نجم الدين أيوب ، وقال : « إذا جاء قاتلنا وصددناه عن البلاد » ، ووافقه غيره من أهله ، فستهمهم نجم الدين أيوب ، وأنكر ذلك عليهم غاية الإنكار ، وقال لصلاح الدين : « أنا أبوك وهذا شهاب الدين خالك ، أظن في هؤلاء كلهم من يحبك ويريد لك الخير مثلنا ؟ » فقال : « لا » ، فقال : « والله لو رأيتُ أنا وهذا خالك نور الدين لم يمكننا إلا أن نترجل إليه ، ولو أمرنا بضرب عنقك بالسيف لفعلنا ، فإذا كنا نحن هكذا فكيف يكون غيرنا ؟ وكل من نراه من الأمراء والعساكر لو رأى نور الدين وحده لم يتجاسر على الثبات على سرجه ، ولا وسعه إلا النزول وتقبيل الأرض بين يديه ، وهذه البلاد له ، وقد أقامك فيها ، فإن أراد عزك عزك (٢) ، وأي حاجة له إلى الحجى ؟ يأمر بكتاب مع نجاب حتى تقصد خدمته ، ويولى بلاده من يريد » ، وقال للجماعة كلهم : « قوموا عنا فنحن

(١) صيغة س مختلف قليلا ، وهي : « بنور الدين فعاد إلى مصر ولم يمثل أمر نور الدين ، فلما بلغ نور الدين ذلك عظم عليه . . . إلخ » .  
(٢) في س ( ٣٨ ب ) : « فان أراد عزك فأى حاجة . . . إلخ » .

ممالك نور الدين وعبيد: يفعل بنا ما يريد ، وتفرقوا على هذا الحال ، وكتب  
أكثرهم إلى نور الدين بالخبر ، ولما خلا نجم الدين بابنه صلاح الدين قال له :  
« أنت جاهل قليل المعرفة ، تجمع هذا الجمع الكثير وتظلمهم على ما في نفسك ، فإذا  
سمع نور الدين أنك عازم على منعه من البلاد جعلك من أهم أموره وأولاهها بالقصد ،  
ولو قصدك لم تر معك من هذا العسكر أحداً ، وكأثوا يسلمونك إليه ، وأما الآن بعد  
هذا المجلس سيكتبون إليه ويدرفونه قولى ، فتكتب إليه وترسل فى هذا المعنى ،  
وتقول : « أى حاجة إلى قصى ؟ نجاب يأخذنى بجبل يضعه (١) فى عنقى » ، فهو  
إذا سمع هذا عدل عن قصدك (٢) واشتغل بما هو أهم عنده ، والأيام تندرج ،  
والله كل يوم فى شأن » ؛ فعلم صلاح الدين صحة ما أشار به والده [ ففعل ما أمره  
به (٣) ] ، فلما رأى نور الدين الأمر هكذا عدل عن قصده ، واندرجت الأيام  
— كما قال نجم الدين (٤) — وكان ما سفد كره إن شاء الله تعالى .

(١) فى س : « بصوره » .

(٢) فى س : « قصده البك » .

(٣) ما بين الحاصرتين زيادة عن س ( ١٣٩ ) .

(٤) المصدر الأصيل لهذه القصة هو ( ابن الأثير : الكامل ، ج ١١ ، ص ١٣٩ ) وقد نقلها  
عنه مع تغييرات طفيفة ( أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ٢٠٣ — ٢٠٤ ) ، ونس  
ابن واصل هنا متفق مع نس أنى شامة . وللاستاذ محمد فريد أبو حديد رأى مخالف فى هذا  
الموضوع . أنظر كتابه : ( صلاح الدين الأيوبي وعصره ، ص ٧٣ — ٨١ ) . والذي نراه  
أن ابن الأثير يتلمس المناسبات أحياناً لفهم صلاح الدين وتقديمه وخاصة عند المقارنة بينه  
وبين نور الدين ، وقد يكون للشأنه فى الموصل — موطن نور الدين والبيت الأتابكي عمومًا —  
أثر فى هذا . أنظر رأى الأستاذ جب فى هذا الموضوع فى : ( H.A.H. Gibb : The  
Arabic Sources for the Life of Saladin. Speculum, vol. XXV, No. 1 January  
1950 pp. 58-74 ).

## ذكر منازلة السلطان الملك الناصر صلاح الدين

— رحمه الله — الكرك والشوبك

وفي سنة ثمان وستين وخمسمائة خرج صلاح الدين — رحمه الله — في النصف من شوال قاصداً الفزاة ، ومعه ما هو [ ١٣٦ ] برسم الهدية إلى نور الدين ، وهو : الفيل والحجارة المتأببية (١) وذخائر وأمتعة من القصر مستحسنة ، وآلات منمنة ، وقطع بلور (٢) ويسم (٣) ، وأوان لا يتصور وجود مثلها ، وثلاث قطع بلكش (٤) أكبرها نيف وثلاثون مثقالاً ، والثانية ثمانية عشر ، والأخرى دونها ، وممها لؤلؤ نفيس ، وستون ألف دينار ، وغرائب من المصنوعات ، وطيب وعطر ، وغير ذلك ؛ فوصل (٥) إلى بلاد الكرك والشوبك ، فنازلها ونازل غيرها من الحصون ، فأخرب عماراتها ، وشن الغارات على أعمالها .

(١) المقصود هنا أن هذه واحدة من حجر الوحش المحططة ، وقد ذكر ( ابن خلكان : الوفيات ، ج ٤ ، ص ٢٢ — ٢٣ ) و ( ابن الأثير : الباب في تهذيب الأنساب ) أن « المتأبب » نسبة إلى « المتأبب » وهي إحدى محال بغداد في الجانب الغربي منها ، وكانت إقطاعاً لتاب — أحد رجال بني أمية — فسميت باسمه ، وقد اشتهرت هذه الحلة بآنتاج نوع من النسيج المحطط ومن هنا كان يوصف هذا النوع من الجير بأنه عتابي تشبهاً له بهذا النسيج . انظر أيضاً ( Dozy : Suppl. Diet. Arab. ) .

(٢) وترسم أيضاً « بلور » وهي مصرية عن اليونانية « Beryllos » لحذف منها بين الاعراب ، ثم وقع فيها القلب . انظر : ( ابن الأثير : مخب الذخائر في أحوال الجواهر ، تعليقات الاب انستاس ماري الكرملي ، ص ٦٣ ، هامش ١ ) .

(٣) ويقال فيه « البشب » وهو حجر تميم قريب من الزرجد ، وعنه الأبيض ، والأصفر والزيتي — وهو أفضلها — . انظر : ( المرجع السابق ، ص ٧٢ ) و ( البيروني : كتاب الجواهر في معرفة الجواهر ، ص ١٩٨ ) .

(٤) جوهر أحمر شفاف يضاهي فائق الياقوت في اللون والروتق ، سمي هكذا نسبة إلى موطنه « بلخشان » حيث يكثر وجوده ، وأهل إيران يسمونه « بدخشان » وهو إقليم يقع في أقصى شرق أفغانستان . انظر : ( ابن الأثير : المرجع السابق ، ص ١٥ — ١٥ ) .

(٥) في ص ( ١٣٩ ) : « فنصد » .



## ذكر وصول الهدية المصرية إلى نور الدين

وسير الهدية إلى نور الدين ، وكتب إليه بالإشياء الفاضل : « سبب هذه الخدمة إلى مولانا السلطان الملك العادل أعز الله سلطانه ، ومدد أبدأ إحسانه ، ومكن بالنصر إمكانه ، وشيّد بالتأييد أركانه ، ونصر أنصاره وأعان أعوانه : علم المملوك بما يؤثره المولى بأن يقصد الكفار بما يقص (١) أجنحتهم ، ويقل (٢) أسلحتهم ، ويقطع موادهم ، ويخرب بلادهم ، وأكبر الأسباب المعينة على ما يرومه من هذه المصلحة أن لا يبقى في بلادهم أحد من العربان ، وأن يفتقلوا من ذل الكفر إلى عز الإيمان ، ومما اجتهد فيه عامة (٣) الاجتهاد ، وعدّه من أفضل (٤) أسباب الجهاد ، ترحيل كثير من أنفاسهم ، والحرص في تبديل دارهم ، إلى أن صار (٥) العدو اليوم إذا نهض لا يجد بين يديه دليلاً ، ولا يستطيع حيلة ولا يهتدى سبيلاً (٦) .

(١) في الأصل : « يمحس » ، وقد سمحت بمد مراجعة س والروشتين .

(٢) في الأصل ، وفي س ( ١٣٩ ) : « يقل » ، وفي ( الروشتين ، ج ١ ، ص ٢٠٦ ) : « يقلل » ، وما هنا قراءة ترجيحية يقتضها المعنى .

(٣) كذا في الأصل ، وفي س ( ١٣٩ ) : « من الاجتهاد » ، وفي ( الروشتين ، ج ١ ، ص ٢٠٦ ) : « غاية الاجتهاد » .

(٤) كذا في الأصل وفي س ، وفي ( الروشتين ) : « أعظم » .

(٥) في س : « إلى أن يصير العدو إذا نهض . الخ » .

(٦) هذه قطعة من رسالة بقلم القاضي الفاضل أرسلها صلاح الدين إلى نور الدين ليبين له فيها القصد من خروجه لمهاجمة الكرك والشوبك ، وكانت هذه أول غزوة غزاها صلاح الدين من مصر في أوائل سنة ٥٦٨ هـ وقد أوضح ( بهاء الدين بن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٣٦ ) الغرض من هذه الغزوة وأهميتها بقوله : « وإنما بدأ بها - أي الكرك والشوبك - لأنها كانت أقرب إليه ، وكانت في الطريق تمنع من يقصد الديار المصرية ، وكان لا يمكن أن تصل قافلة حتى يخرج هو بنفسه يبرها بلاد العدو ، فأراد توسيع الطريق وتسهيله لتتصل البلاد بعضها ببعض ، وتسهل على السابلة ، فخرج قاصداً لها لمخاصرها ، وجرى بينه وبين الأفرنج وقعات ، وواد عنها ولم يظفر منها بشيء » .

ولما وصلت الهدية والرسول إلى نور الدين استقلَّ الهدية واستنزرها ، ولم تقع منه بموقع ، ولكنه أظهر شكر صلاح الدين ، ووصف فضيلته ، وقال : « ما كان بنا حاجة إلى هذا المال ، وهو يعلم أنا ما أنفقنا الذهب في ملك مصر وبنا فقر إلى هذا الذهب ، وما لهذا المحمول في مقابلة ما جئنا به مقدار ، [ وتمثل بقول أبي تمام (١) ] :

لَمْ يُنْفِقِ الذَّهَبَ الرَّبِّيَ بِكَثْرَتِهِ عَلَى الْحِصَابِ بِهِ قَرَّرَ إِلَى الذَّهَبِ  
لكنه يعلم أن نفور الشام مفتقرة إلى وفور العدد من الجند ، وقد عمَّ البلاء بالفرنج ، فينبغي أن تقع المساعدة والمعونة بالامداد ، ثم أخذ يفكر فيما يفعله من هذا المهم .

[ ١٣٧ ] قال عماد الدين الطائب في البرق : « وصلت الحمار ، وكثرت لها النظارة ، والفيل وصل إلينا [ في سنة تسع وستين (٢) ] ونحن بحلب في الميدان الاخضر ، فأهداه نور الدين إلى ابن أخيه سيف الدين غازي بن مودود — صاحب الموصل — مع شيء من الثياب والعود والعنبر ، فسبَّره سيف الدين إلى الخليفة مع تحف وهدايا (٣) ؛ وسبَّره نور الدين الحمار المتأبَّية إلى الخليفة مع هدايا وتحف سنية (٤) . »

وفي هذه السنة أغار العدو على الجولان (٥) ونزلوا ممسكين (٦) ، وبلغ ذلك

- (١) أضفنا ما بين الحاصرتين عن : ( الروضتين ، ج ١ ، ص ٢٠٦ ) وذلك للايضاح .  
(٢) أضفنا ما بين الحاصرتين عن : ( الروضتين ، نفس الجزء والصفحة ) .  
(٣) في س ( ٣٩ ب ) : « مع هدايا وتحف سنية » .  
(٤) في س : « مع هدايا عظيمة » .  
(٥) في س ( ٣٩ ب ) : « الجولان » ؛ والجولان قرية . وقيل جبل ، من نواحي دمشق ، ثم من ممل حوران : ( ياقوت ، معجم البلدان ) .  
(٦) كذا في الأصل ، وفي س ، وفي ( الروضتين ) ، وفي : ( ياقوت : معجم البلدان ) : « ممسكين ناحية من أعمال دمشق من جهة حوران » .

نور الدين وهو نازل بالكسوة فرحل إليهم بمساكره ، فرحلوا إلى الفوار (١) ،  
ثم إلى الشلالة (٢) ، ونزل نور الدين عشرا ، وبعث عسكرياً إلى أعمال طبرية ،  
فأغارت عليها ، ولما عادت لحقتها الفرنج عند المحاضرة ، فوقفت المقاتلة في مقابلتهم  
إلى أن عبرت السرية (٣) ونجت ، ثم رحل نور الدين من عشرا ، ونزل بظاهر زراء ،  
وامتدحه عماد الدين بقصيدة أولها :

رُفِعَتْ (٤) بِنَصْرِكَ رَايَةُ الْإِيمَانِ      وَبَدَتْ لِعَصْرِكَ آيَةُ الْإِحْسَانِ  
يَا غَالِبَ (٥) الْقُلُوبِ الْمُلُوكِ وَصَائِدَ الْ      صَيْدِ الْبَيْوْثِ وَفَارِسَ الْفُرْسَانِ  
يَا صَالِبَ الْتَيْجَانِ مِنْ أَرْبَابِهَا      حُزَّتَ الْفَخَّارَ عَلَى ذَوِي الْتَيْجَانِ  
[ ومنها يقول (٦) ] :

كم وقعة لك في الفرنج ، حديثها      قد سار في الآفاق والبُلدانِ  
قَمَصْتَ (٧) قَوْمَهُمْ رِدَاءً مِنْ رَدَى      وَضَرَبْتَ رَأْسَ بَرْنِسِهِمْ بِسِنَانِ  
وَمَلَكْتَ رِقَّ مُلُوكِهِمْ وَتَرَّ كَتْمَهُمْ      بِالذُّلِّ فِي الْأَقْيَادِ وَالْأَشْجَانِ (٨)  
وجعلت في أعناقهم أغلالهم      وَسَحَبْتَهُمْ هَوْنًا عَلَى الْأَذْقَانِ (٩)

(١) في س : « الفرات » .

(٢) في س « اللاكة » وفي الأصل : « السلالة » ، وما هنا عن ( الروضتين ، ج ١ ، ص ٢٠٧ ) .

(٣) في س : « البرية » .

(٤) كذا في الأصل ، وفي س ، وفي : ( الروضتين ، ج ١ ، ص ٢٠٧ ) : « عقدت » .

(٥) كذا في الأصل ، وفي ( الروضتين ) ، وفي س ( ٣٩ ب ) : « يا غالباً غلب الملوك » .

(٦) ما بين الحاصرتين عن س ، والقصيدة كاملة موجودة في : ( الروضتين ، ج ١ ، ص ٢٠٧ - ٢٠٨ ) .

(٧) في س ( ١٤٠ ) : « قومصت قومهم ردى من ردى » .

(٨) في الأصل ، وفي س : « الأشجان » ، والتصحيح عن : ( الروضتين ) .

(٩) في س : « ارذقاني » و « السلطاني » .

وعلى غنَاءِ الْمَشْرِفِيَّةِ فِي الطَّلِيِّ      والهَامِ رَقَصَ عَوَامِلِ (١) الْمِرَانِ  
وَكَأَنَّ بَيْنَ النَّقْعِ لَمَعُ حَدِيدِيهَا      نَارٌ تَأْتِقُ فِي خِلَالِ دُخَانِ  
فِي مَازِقِ وَرْدِ الْوَرِيدِ مَكْفَلِ (٢)      فِيهِ بَرَى الصَّارِمِ الظَّمَانَ (٣)  
ومنها :

غَطَى (٥) الْمَجَاحَ بِهِ نَجْمَ مِمَائِهِ      لَتَنُوبِ عَنْهُ أَنْجُمُ الْخَرَّصَانِ  
أَنْتِ الَّذِي دُونَ الْمَلُوكِ وَجَدْتَهُ      مَلَانَ مِنْ عَرَفِ وَمِنْ أَيْمَانِ (٣)  
[١٣٨] فِي بَأْسِ عَمْرٍو، فِي بَسَالَةِ حَيْدَرِ،      فِي نُطْقِ قُوسٍ، (٤) فِي تَقَى (٥) سَلْمَانَ  
سَبْرٌ لَوْ أَنَّ الْوَحْيَ يَنْزِلُ أَنْزَلَتْ      فِي شَأْنِهَا سُورٌ مِنَ الْقُرْآنِ  
فَأَسْلَمَ طَوِيلَ الْعُمُرِ مُمْتَدًّا الْمَدَى (٦)      صَافَى الْحَيَاةَ مُخَلِّدًا السُّلْطَانَ (٧)

### ذِكْرُ غَزْوَةِ النُّوبَةِ

وَفِي جَمَادَى الْأُولَى مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ — أَعْنَى سَنَةِ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ وَخَمْسِمِائَةٍ —  
غَزَا الْمَلِكُ الْمَعْظَمُ شَمْسُ الدَّوْلَةِ فَخْرُ الدِّينِ تُوْرَانَ شَاهِ بْنِ أَيُّوبَ — أَخُو السُّلْطَانَ —

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ وَفِي س، وَفِي (الرُّوضَتَيْنِ) : « عَوَالِي » .

(٢) يُقَابِلُ هَذَا فِي س : « وَكَفَّلَ فِيهِ يَرُودِي الصَّادِي الضَّمَانِ » .

(٣) كَذَا فِي الْأَصْلِ : وَفِي س ؛ وَفِي (الرُّوضَتَيْنِ) : « عَمْرَقَانَ » .

(٤) فِي س « قَبَسَ » .

(٥) فِي الْأَصْلِ : « غَطَا » وَ « تَقَا » .

(٦) كَذَا فِي الْأَصْلِ ، وَفِي (الرُّوضَتَيْنِ) ، وَفِي س : « النَّدَى » .

(٧) فِي س : « السُّلْطَانِي » .

بلاد النوبة (١) ، وفتح حصناً لهم يدعى إبريم ، وسبى وغنم ، فوجدوها بلاداً قليلة  
الجدوى ، فجمع السبى وعاد به إلى أسوان ، وفرّق الغنائم في أصحابه .

(١) أورد صاحب الروضتين ( ج ١ ، ص ٢٠٨ — ٢٠٩ ) — نقلاً عن ابن أبي طي  
المؤرخ الحلبي — حديثاً منصلاً عن حملة تورانشاه إلى بلاد البن ، وهذا الحديث يتضمن  
معلومات فريدة وهامة جداً ، ولهذا آثرنا نقله هنا ، قال : « وفيها اجتمع السودان والصيد  
من بلاد النوبة ، وخرجوا في أمم عظيمة قاصدين مك مصر ، وصاروا إلى أعمال الصيد ، وصمموا  
على قصد أسوان وحصارها ونهب قراها ، وكان بها الأمير كثر الدولة ، فأنفذ يلم الملك الناصر ،  
وطاب منه نجدة ، فأنفذ قطعة من جيشه مع الشجاع البلبكي ، فلما وصل إلى أسوان وجد الصيد  
قد تادوا عنها بمد أن أخرجوا أرضها فأتبهم الشجاع والسكز ، لمرت حرب عظيمة قتل فيها  
من الفريقين عالم عظيم ، ورجع الشجاع إلى القاهرة وأخبر بفعال الصيد وتمسكهم من بلاد  
الصيد ، فأنفذ الملك الناصر اخاء شمس الدولة في عسكر كثيف ، فوجدم قد دخلوا بلاد النوبة ،  
فسار قاصداً بلادهم ، وشحن مراكب كثيرة في البحر بالرجال والميرة ، وأسرها بلحاقه إلى بلاد  
النوبة ، وسار إليها ، ونزل على قلعة إبريم ، واقتتحها بمد ثلاثة أيام وغنم جميع ما كان فيها  
من المال والسكر والغيرة ، وخلص جماعة من الأسرى ، وأسرى من وجده فيها ، وهرب صاحبها ،  
وكتب إلى السلطان بذلك ... ثم رجع شمس الدولة إلى أسوان ثم إلى قوس ، وكان في صحبته  
امير يقال له إبراهيم الكردي ، فطلب من شمس الدولة قلعة إبريم ، فأقطعه إياها ، وأنفذ معه  
جماعة من الأكراد البيطالين ، فلما حصلوا فيها تفرقوا فرقا ، وكانوا يشنون الغارة على بلاد  
النوبة حتى يرحوا بهم ، واكتسبوا أموالاً كثيرة حتى هفت أرزاقهم وكثرت مواشيهم ، وانفق  
انهم عدوا إلى جزيرة من بلاد النوبة تعرف بجزيرة فبدان ( ٢ ) ففرق أميرم إبراهيم وجماعة  
من أصحابه ، ورجع من بقى منهم إلى قلعة إبريم ، وأخذوا جميع ما كان فيها واخلوها بمد مقامهم  
بها سنتين ، فناد النوبة إليها وملكوها ، وأنفذ ملك النوبة رسولا إلى شمس الدولة وهو مقيم  
بقوس ، ومعه كتاب يطلب الصلح ومع الرسول هدية — عبد وجارية — فكتب له جواب  
كتابه ، وأعطاه زوجي نشاب ، وقال : « مالك عندي جواب إلا هذا » ، وجهز معه رسولا  
يرف بمسعود الحلبي ، وأوصاه أن يكشف له خبر البلاد ليدخلها ، فسار الحلبي مع الرسول  
حتى وصل دنقة — وهي مدينة الملك — قال مسعود : فوجدت بلاداً ضيقة ، ليس لهم زرع  
إلا القدرة ، وعندما نخل صغار ، منه أدامهم » ، ووصف ملكهم بأوصاف منها أن قال :  
« خرج علينا يوماً وهو عريان ، قد ركب فرساً عربياً ، وقد التفت في ثوب أطلس ، وهو أقرع ،  
ليس على رأسه شعر ، فأثيت فسادت عليه ، فضحك وتفاشى ، وأمرني أن تسكوي يدي فكوي  
عليها هيئة صليب ، وأسرى بقدر خمسين رجلاً من الدقيق ، ثم صرفني » ، قال : « وأما دنقة  
فليس فيها عمارة إلا دار الملك فقط وباقها أخصاص » . انظر أيضا :

(P. Casanova : *Les Derniers Fatimides. Mémoires de la Mission Archéologique Française du Caire. Tome VI, 3, p.p. 415-416.*)

## ذكر وفاة الملك الأفضل نجم الدين أيوب بن شاذى

والد الملوك (١) — رحمه الله —

وفى يوم الاثنين الثامن عشر من ذى الحجة من هذه السنة ركب الأمير نجم الدين أيوب بن شاذى — والد الملك الناصر صلاح الدين رحمه الله — بالقاهرة ، فشب به فرسه وتفتنر به ، فحمل عن فرسه ، وعاش ثمانية أيام ثم توفى يوم الثلاثاء لثلاث بقين من ذى الحجة من السنة ؛ وكان ولده صلاح الدين إذ ذاك غائباً فى بلاد الكرك والشوبك على ما ذكرناه ، فبلغه وفاة والده قبل وصوله إلى الديار المصرية ، فاشتد حزنه ، وتأسف حيث لم يحضر وفاته ، وكان [ نجم الدين ] مولماً باللعب بالكرة وشدة الركض ، فكان كل من رآه على هذه الصفة يقضى أنه لا يموت إلا [ من وقوعه (٢) ] عن ظهر الفرس .

## ذكر سيرته — رحمه الله (٣) —

كان رحباً جواداً ، كثير البذل ، حسن النية ، جميل الطوية ، وله صدقات وممروف كثير ، واتفقت له سعادة عظيمة ، ومآلات حتى رأى فى ذريته ما أحب من الملك لهم والسلطان ، ثم عظم ملكهم بعده وانتشر صيتهم ، ولم يملك أحد فى عصرهم مثل ما ملكوا ؛ ولما توفى دفن إلى جانب أخيه أسد الدين شيركوه فى بيت بالدار السلطانية ، ثم نقل بعد سنتين إلى مدرسة بنيت لها [ بالمدينة (٤) ]

(١) فى س : « والد الملك الناصر صلاح الدين » .

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة عن : ( الروضتين ، ج ١ ، ص ٢٠٩ ) .

(٣) هذا العنوان غير موجود فى س .

(٤) ما بين الحاصرتين عن س ( ٤٠ ب ) .

بازاء حجرة النبي — صلى الله عليه وسلم — وسعدا بجوار النبي — عليه السلام —  
قم لها بذلك سعادة الآخرة مضافة إلى ما نالاه [١٣٩] من سعادة الدنيا .  
ولما (١) حججت سنة تسع وأربعين وستمائة وقدمت المدينة — على ساكنها  
أفضل الصلاة والسلام — رأيت قبريهما بهذه المدرسة .

ورني (٢) عمارة بن علي اليميني — الشاعر — نجم الدين أيوب بقصيدة أولها (٢) :

هي الصدمة الأولى فمن بان صبره  
ولا بد من موت وفوت وفرقة  
وما يتسلى من يموت حبيبه  
ولكنه جرح يعز أندماله  
أذم صباح الأرباء فإنه  
أصاب الهدى في تجيه بمصيبة  
وأقر أهل الأرض من باذل الغنى  
عسماً أبا الإسلام والمملك والندی  
فلا تعدلونا واعذرونا ، فمن بكى  
رعى (٤) الله نجماً تعرف الشمس أنه  
وأبقى (٤) المقام الناصري فإنه

على هؤل ملقاها تضاعف أجره  
ووجد بماء العين يوقد جره  
بشيء ، ولا يخلو من الهم فكره  
وكسر زجاج لا يؤمل جيره  
تبسم عن نقر المنية فجره  
تداعى سماك الجوف فيه ونسره  
إذا قنط (٣) المحتاج واشتد قهره  
وفارقنا فرد الزمان وقوره  
على فقد أيوب فقد بان عذره  
أبوها ونور البدر منها وزهره  
لدولتكم كثر الرجاء وذخره

(١) قبل هذا اللفظ في س : « قال القاضي جاك الدين » . وهذه جملة من الجمل الكثيرة  
للتأثرة في هذا الكتاب والتي يعرفنا فيها المؤلف ببعض أخباره ، ومنها نعلم أنه حجج إلى مكة  
وزار المدينة في سنة ٦٤٩ هـ .

(٢) مقابل هذه الجملة في س : « ورننا على بن عمارة الشاعر بهذه الأبيات وهي من قصيدة  
طويلة أولها يقول » .

(٣) في س : « قبض » .

(٤) في الأصل : « رعا » و « ابقا » .

أفاضَ على الأيامِ أحسنَ سيرةٍ يموتُ بها جورُ الزمانِ وغدَرُهُ  
إذا كانتِ البلوى من الله فليكن من الحزمِ حمدُ الله فيها وشكرُهُ (١)

### ذكر المراسلة بين نور الدين وصلاح الدين

- رحمهما الله تعالى (٢) -

كان نور الدين - رحمه الله - من حين ملكت الديار المصرية يؤثر أن يقرر له حمل يحمل إليه منها يستعين به على كلف الجهاد ، والأيام تماطله ، وهو ينتظر من صلاح الدين - رحمه الله - أن يبتديه ذلك من تلقاء نفسه ، ويفعل في ذلك ما يؤثره ويريده ، فلما حمل صلاح الدين ما تقدم ذكره استقله ولم يعجبه ، فتقدم حينئذ نور الدين إلى موفق الدين خالد بن القيسراني متولى ديوان الاستيفاء (٣) أن يمضي إلى الديار المصرية ، ويتقاضى صلاح الدين ، ويعمل أوراقاً بارتفاع الأعمال المصرية ، ولا يترك في النفس حزاظة (٤) من [ ١٤ ] أمرها ، ثم سار الملك نور الدين إلى بلبيك ثم إلى حمص ثم إلى حلب .

(١) في ( الروضتين ، ج ١ ، ص ٢١٢ ) آيات أخرى من هذه القصيدة .

(٢) هذا العنوان غير موجود في س .

(٣) في س : « الانشاء » .

(٤) في س : « حرارة » . وابن واصل ينقل هنا عن ( البرق الشامى لعماد الأصفهاني ) .

انظر : ( الروضتين ، ج ١ ، ص ٢٠٦ ) ، ونص العماد يفسر معنى هذا اللفظ وهو : « وتقدم إلى موفق خالد بن القيسراني أن يمضي ويطلب ويقتضى ويعمل أيضاً بالأعمال المصرية جزاظة ، ولا يبق في نفوس ديوانه من أمرها حزاظة . . الخ » .



## ذكر قصد نور الدين — رحمه الله —

### بلاد قليج أرسلان

ثم سار نور الدين إلى مملكة السلطان عز الدين قليج أرسلان بن مسعود ابن قليج أرسلان بن سليمان [ بن (١) ] قُطْلُشِ السلاجوقي — صاحب قونية — عازماً على حربه وأخذ البلاد منه ، وسبب ذلك أن ذا النون بن الدائشمند (٢) — صاحب ماطية — قصده عز الدين ، وأخذ بلاده منه ، فسار ابن الدائشمند صاحب ماطية إلى نور الدين مستجيراً به ، وملتجئاً إليه ، فأكرم [ نور الدين (١) ] نزله ، وأحسن إليه ، وحمل إليه ما يليق أن يُحمل إلى الملوك ، وراسل (٣) قليج أرسلان يشفع في إعادة بلاد ذي النون إليه ، فلم يجبه إلى ذلك ، فسار نور الدين وابتدأ بكيسون (٤) ونهيه ، ومرعش (٥) ومرزبان فلحكما وما بينهما ، وكان ملكه لمرعش في ذي القعدة من هذه السنة (٥) ، ثم صير طائفة من عسكره إلى سيواس فلحكوها .

فراسل قليج أرسلان نور الدين واستمطفه ، فوقع الصلح بينهما ، وشرط

(١) ما بين الحاصرتين عن س (١٤١) راجع أيضاً : ( زامباور : معجم الأنساب والأشراف الحاكمة في التاريخ الاسلامي ، ص ٢١٦ ، الترجمة العربية ) .

(٢) في الأصل — هنا وفيها بلى — : « الدائشمند » وقد صحح الاسم بعد مراجعة : ( زامباور : معجم الأنساب ، الترجمة العربية ، ص ٢٢٠ — ٢٢١ ) وابن واصل ينقل هنا عن ( ابن الأثير : الكامل ، ج ١١ ، ص ١٤٦ — ١٤٧ ) وكذلك فعل صاحب الروضتين ( ج ١ ، ص ٢١٣ — ٢١٤ ) .

(٣) في س : « وأرسل إلى » .

(٤) كذا في الأصل ، وهي في س : « بلسون » وما هنا عن ابن الأثير والروضتين .

(٥) ما بين الرقنين ساقط من س .

رد المسند  
٧٥٦٨

[نور الدين عليه (١)] أن ينجده بعساكر إلى الفزاة ، ففعل (٢) ، وُسِّلت سيواس إلى ذى النون (٣) ، وبقى [ذو النون] في خدمة نور الدين إلى أن مات نور الدين ، فحينئذ عاد قليج أرسلان إلى البلاد فملكها ، وهي مع ولده إلى اليوم .

والمرتب اليوم بالبلاد وله اسم السلطنة صبي صغير (٣) ، هو ابن ركن الدين ابن غياث الدين كيخسرو بن علا الدين كيقيباز بن كيخسرو بن قليج أرسلان المذكور ، وكان التتر الملاعين قد استولوا على البلاد ، وأبقوا بها ركن الدين والد هذا الصبي ، وهرب أخوه عز الدين كيكاؤس بن كيخسرو إلى ملك الروم صاحب قسطنطينية وهو عنده إلى اليوم ، واستولى على ركن الدين معين الدين [سليمان] البرواناه (٤) ، ثم قتل معين الدين ركن الدين ، وقام بأتابكية ولده الصبي المذكور ، وخطب له بالبلاد ، وملك (٥) البلاد في الحقيقة التتر ، والبرواناه نائبهم بها (٥) .

(١) ما بين الحاصرتين عن س (٤١ ب) .

(٢) مقابل هذه الجملة في س : « وتعطى سيواس وغيرها لدى النون ففعل ذلك » .

(٣) هذا الصبي الصغير هو غياث الدين كيخسرو الثالث ، وقد ولي الحكم في سنة ٦٦٣ هـ وممر سنتان ونصف سنة ، ولهذا الاستطراد أهمية خاصة فهو يحدد الوقت الذي كان المؤلف — ابن واصل — يكتب فيه هذا الجزء من الكتاب ، وواضح أنه كان يكتبه بميد سنة ٦٦٣ هـ وهي السنة التي تولى فيها هذا الصبي . أنظر : ( زامباور : معجم الأنساب ، الترجمة العربية ، ص ٢١٨ )

(٤) أضيف ما بين الحاصرتين عن : ( القرظي : السلوك ، ج ١ ، ص ٥٧١ — ٥٧٢ ) والبرواناه لفظ فارسي معناه في الأصل الحاجب ، وقد أطلق في دولة سلاجقة الروم بآسيا الصغرى على الوزير الأكبر . ( تعليقات الدكتور زيادة في نفس الصفحة من نفس المرجع ) .

(٥) هذه الجملة في س ناقصة ومضطربة المعنى ونصها : « ومك البلاد في الحقيقة (٥) »

والبرواناه نايه » .

## ذكر الواقعة الكائنة بين مقدم الأرمن والروم

كان مليح بن لاون مقدم الأرمن قد التجأ إلى نور الدين ، وصار في طاعته ، وكانت الدروب وأذنة ومصيصة [ وطرسوس (١) ] بحميتها ملك الروم صاحب قسطنطينية (٢) [ ١٤١ ] ويضبطها بجنده ، فاستولى عليها مليح بن لاون ، وكسر الروم ، وقتل منهم وأسر ، وساق لنور الدين من مقدمي الروم ثلاثين أسيراً ، فسبّرهم نور الدين إلى الخليفة المستضيء بنور الله ، وكتب إليه كتاباً ، من جلته : « قسطنطينية (٢) والقدس يجريان إلى أمد الفتوح في مضار المنافسة ، وكلاهما في وحشة (٣) ليل الظلام المدلم على انتظار صياح المؤانسة ، والله تعالى بكرمه يُدنى قطاف الفتحين لأهل الإسلام ، ويوفق الخادم لحيازة مرضى الإمام » .

[ وفي آخره (٤) ] : ( فصل في فتح بلاد النوبة والمغرب ) : « ومن جملة حسنات هذه الأيلم الزاهرة ما تيسر في هذه النوبة ، من افتتاح بعض بلاد النوبة ، والوصول إلى مواضع منها لم تطرقها سنايك الخليل الإسلامية في العصور الخالية ، وكذلك استولى عساكر مصر أيضاً على برقة وحصونها ، وتحكموا في محكم معاقلمها ومصونها ، حتى بلغوا إلى حدود المغرب ، فظفروا من السؤل بعنقاء مغرب » .

(١) ما بين الحاصرتين عن س (٤١ ب) .

(٢) في الأصل : « قسطنطينية » .

(٣) س : « رجة » ، والتصحيح عن ( البرق الشامى لعماد ، في : الروضتين ، ج ١ ، ص ٢١٥ ) .

(٤) ما بين الحاصرتين زيادة عن المرجع السابق ، ولائياتها أهمية خاصة لأنها توضح أن النص التالي الخامس بفتح النوبة وبرقة جزء من نفس الخطاب المرسل إلى الخليفة . هذا وفي الروضتين قطعة أخرى من هذا الخطاب مكة ٤ .

## ذكر دخول قراقوش التقوى بلاد المغرب (١)

وفي هذه السنة مضى قراقوش - غلام الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه ابن أيوب - إلى المغرب في طائفة من الترك ، وانضم إليه جماعة من العرب ، واستولى على أطرابلس الغرب وكثير من بلاد إفريقية ، وانضم إلى قراقوش مسعود بن زمام - وهو من أعيان الغرب (٢) به هناك - وكان خارجاً عن طاعة عبد المؤمن بن علي - خليفة المغرب - وأولاده ، فاتفقا ، وكثر جمعهما ، وحكم قراقوش على تلك البلاد ، وصار معه عسكر كثير ، وجرت (٣) بينهم وبين المغاربة حروب كثيرة ليس هذا موضع ذكرها (٤) ، وقد ذكرتها مفصلة في التاريخ الكبير (٤).

(١) هذا العنوان غير موجود في س ، وقراقوش التقوى هذا هو غلام تقي الدين عمر بن شاهنشاه ، وهو غير بهاء الدين قراقوش الأسدي السابق ذكره .

(٢) س : « العرب » . ونس ( ابن الاثير : الكامل ، ج ١١ ، ص ١٤٦ ) - وهو المرجع الذي ينقل عنه ابن واصل هنا - : « مسعود بن زمام المعروف بمسعود البلاط ، وهو من أعيان الأمراء هناك » .

(٣) ما بين الرقبن ساقط من س ( ١٤٢ ) .

(٤) ذكرنا سابقاً ان المعروف أن لاین واصل كتاباً آخر والتاريخ هو ( التاريخ الصالحی ) وقد رجعت إليه فلم أجد هذه التفصيلات التي يشير إليها هنا بشأن فتوح قراقوش التقوى في بلاد المغرب ، وهذا يرجع أنه كان لاین واصل كتاب تاريخي ثالث ، يسميه هو هنا « التاريخ الكبير » غير أننا لانعرف عنه حتى الآن شيئاً . أنظر مناقات هنا ص ٢٠٤ ، هامش ٣ هذا والثابت من المراجع الأخرى أن غزوات قراقوش التقوى للمغرب تعددت في السنوات ٥٧١ و ٥٧٢ و ٥٧٥ و ٥٧٦ و ٥٧٨ و ٥٨٢ ؛ وأن تقي الدين عمر بن شاهنشاه فكر أكثر من مرة في الخروج بنفسه إلى المغرب لإقامة ملك له هناك . لهذا وذاك انظر : ( الروضتين ، ج ١ ، ص ٢٤٢ ، ٢٦٠ ، ٢٦٩ - ٢٧٠ - ج ٢ ، ص ١٦ ، ٢١ ، ٢٧ ، ٣٨ ، ٧٠ )

## ذكر دخول الملك المعظم شمس الدولة فخر الدين توران شاه

ابن أيوب اليمن وتملكه لها (١)

وفي سنة تسع وستين وخمسة مائة سبّر الملك الناصر صلاح الدين أخاه الملك المعظم شمس الدولة فخر الدين توران شاه بن أيوب إلى بلاد اليمن ليتملكها ؛ وكان السبب في ذلك أنه كان صلاح الدين هو وأهله من حين ملكوا مصر خائفين من نور الدين أن يدخل مصر فيأخذها منهم ، فشرعوا في تحصيل مملكة يقصدونها ويملكونها ، وتكون لهم عدة ، فإن أخرجهم نور الدين [ ١٤٢ ] من مصر ساروا إليها وأقاموا بها ، فافتضى رأى صلاح الدين أن يسبّر أخاه إلى النوبة ليملكها ، فسار إليها ولم تعجبه كما ذكرنا ، فلما عاد إلى مصر اقتضى رأيه أن يسبّره إلى اليمن (٢) ،

(١) هذا العنوان ساقط من س .

(٢) هذا الرأى القائل بأن السبب في فتح النوبة ثم اليمن إنما هو نخوف صلاح وأسرته من نور الدين أن يهاجمهم في مصر ويخرجهم منها . أقول إن هذا الرأى مصدره الأول ابن الأثير ، وابن الأثير — فيما يبدو — منهم في كثير مما يكتبه عن العلاقات بين صلاح الدين ونور الدين أنظر ما فات : س ٢٢٣ ، هامش ؛ وأنظر أيضاً (ابن الأثير : الكامل ، ج ١١ ، ص ١٤٥) فهو يقول عند حديثه عن سير شمس الدولة تورانشاه إلى النوبة : « وكان سبب ذلك أن صلاح الدين وأهله كانوا يملكون أن نور الدين كان على عزم الدخول إلى مصر ، فاستقر الرأى بينهم أنهم يتملكون إما بلاد النوبة أو بلاد اليمن ، حتى إذا وصل إليهم نور الدين لقوه وصدده عن البلاد ، فإن قورا على منعه أقاموا بمصر ، وإن عجزوا عن منعه ركبوا البحر ولحقوا بالبلاد التي انتتحوها » . وفي رأى أن هذا لا يتفق مع ما ذكره ابن الأثير نفسه في موضع آخر ( س ١٤٨ ) من أن تورانشاه « استأذن نور الدين في أن يسير إلى اليمن لقصد عبد النبي صاحب زيد لأجل قطع الخطبة العباسية فأذن في ذلك » وقد أكد هذه الحقيقة ابن واصل هنا في المتن بعد سطرين اثنين وإنما ذكر أن الذي استأذن نور الدين هو صلاح الدين . أما الأسباب الحقيقية لفتح اليمن فتجدها في النصوص الكثيرة التي نقلها (أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ٢١٦ — ٢١٧ و ٢٢٠) عن المهاد الأصفهاني وابن شداد ، وابن أبي طى . وفي : ( بدر الدين محمد بن حاتم : السمط الغالى الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن ) والكتاب الأخير لازال مخطوطاً ، وتوجد منه نسخة في دار الكتب المصرية رقم ٢٤١١ .

وكان بها خارجي يقال له عبد النبي ، واسمه فيها ذكر أبو الحسن عمارة :  
« علي بن مهدي (١) » ، [ و ] قد ملك زبيد ، وقطع الخطبة العباسية ، وخطب  
لنفسه ، فاستأذن صلاح الدين نور الدين في أن يسير عسكرياً إلى اليمن ويفتحها ،  
فأذن له في ذلك .

وكان بمصر عمارة بن علي اليمني — المقدم ذكره — فحسن للملك المعظم قصده  
اليمن ، ووصف بلادها له ، وعظّمها في عينه ، فزاده ذلك رغبة فيها ، فشرع بتجهز  
ويعدُّ (٢) الروايا والسلاح ، وغير ذلك من الآلات ، وجنّد الأجناد ، وجمع وحشد ،  
وكان لمهارة مدائح في الملك المعظم ، فما امتدحه به ، وحرّضه فيه على ملك اليمن  
قصيدته التي أولها :

العِلْمُ مُدٌّ كَانَ مَحْتَاجُ (٣) إِلَى الْعَلْمِ      وَشَفْرَةُ السَّيْفِ تَسْتَعْنِي عَنِ الْقَلَمِ

— هذا وقد انفرد مؤرخ يعني آخر ( بالخرمة : تاريخ ثمر عدن ، ج ١ ، ص ١٢٧ — ١٢٨ )  
بذكر سبب هام من أسباب الفتح الأيوبي لليمن ، وخلاصته أن بعض أمراء اليمن استعانوا  
بالخليفة العباسي من اعتداءات عبد النبي بن مهدي ؛ قال : « خرج ( عبد النبي بن علي بن مهدي  
صاحب زبيد ) في أصحابه إلى جهة أبين ، لحرق أبين ، وقتل أهلها ، وذلك في سنة ٥٥٩ .  
ثم رجع إلى زبيد ؛ ثم خرج في سنة ٥٦١ في عسكر جرار نحو الخلاف السليمانى ، فقاتلهم  
قتالاً شديداً ، وقتل منهم طائفة ظالمهم من الأشراف ، وفي جملة من قتله وهاس بن ظالم بن يحيى  
ابن حمزة بن وهاس السليمانى — أحد أمراء الأشراف وسادتهم — . . . ويقال إنه لما قتل  
الشريف وهاس خرج أحد أخوته إلى بغداد مستعصماً بالخليفة على عبد النبي بن مهدي ، فيقال  
إن الخليفة كتب له إلى الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بأن يجرد في نصرته عسكرياً  
لقنالك ابن مهدي ، فجرد الملك الناصر أخاه شمس الدولة توران شاه بن أيوب ، وأن ذلك كان سبب  
دخول الغزاليين . . إلخ » .

(١) الهمديون أسرة حكمت زبيد بين سنتي ( ٥٥٤ — ٥٦٩ = ١١٥٩ — ١١٧٣ ) ،  
وحكم من هذه الأسرة ثلاثة فقط : علي بن مهدي ، ومهدي بن علي ، وعبد النبي بن علي — وهذا  
هو اسمه الصحيح — انظر : ( St. Lane-Poole : *Mohammadan Dynasties* p. 96 ) .

(٢) س : « يمدك » .  
(٣) في الاصل : « محتاجاً » والتصحيح عن س و ( الروضتين ، ج ١ ، ص ٢١٦ )  
و ( النكت المصرية ، ص ٣٥٢ ) .

ومنها :

ثرى مسامعُ فخرِ الدين تَسْمَعُ ما  
 فَإِنْ أَصَبْتُ فلي حَظُّ المَصِيبِ ، وَإِنْ  
 كَمْ (١) تترك البيضَ في الأَجْفَانِ ظَامِئَةً  
 (٢) ومُقَلَّةُ الجِدِّ نحو العزمِ شَاخِصَةً  
 فَمَعَكَ المَلِكُ المَنصُورُ سَوْمَهَا  
 أَمَامَكَ الفَتْحُ مِنْ شَامٍ وَمِنْ بَعْنِ  
 فَخَلَقَ لِنَفْسِكَ مُلْكًا لَا تُضَافُ بِهِ  
 وَإِنَّهُ المُشِيرِينَ إِنْ جَلَّتْ نَصِيحَتُهُمْ  
 وَأَعَزِمَ (٤) وَصَمَّ فَقَدِ طَالَتْ وَقَدْ شَمَخَتْ (٥)  
 طَالَ التَّرَدُّدُ فِي إِبْرَامٍ مُنْتَقِضٍ  
 أَمَلَاهُ خَاطِرُ أَفكَارِي عَلَى قَلْبِي ؟  
 أَخْطَأْتُ قَصْدَكَ فَاعْذِرْنِي وَلَا تَلْمِ  
 إِلَى المَوَارِدِ فِي الأَعْنَاقِ وَالقِيمِ (٢)  
 فَاتْرِكْ قُودَكَ عَنِ إِذْرَا كَمَا وَقَمِ  
 مِنَ العِرَاقِ إِلَى مِصرَ بِلَا سَامِ  
 فَلَا تَرُدُّ رُؤْسَ الخَلِيلِ بِأَلْجَمِ  
 إِلَى سِوَاكَ ، وَأَوْرِدِ (٣) النَّارَ فِي العِلْمِ  
 أَوْ إِلا فَانْمِ عَلَى العِمْيَانِ بِالصَّمِ  
 قَضِيَّةٌ لَفَظَهَا || الأَسْنُ الأَمَمِ  
 فِي (٦) هَذِهِ الحَالِ أَوْ فِي تَقْضِ مُنْذَرِمِ

ومنها :

قَرُبُ أَمْرٍ يَخَافُ النَّاسُ غَايَتَهُ وَالأَمْرُ أَهْوَنُ فِيهِ مِنْ يَدِ لِقَمِ

(١) في الأصل : « لا » روى س : « لم » والتصحيح عن الروضتين .  
 (٢) خا ط صاحب النسخة الأصلية فوضع الشطر الثاني من البيت الثاني أمام الشطر الأول  
 من البيت الأول وبذلك جعل البيتين بيتاً واحداً بعد أن أسقط الشطرين المرقبين ، وقد صححنا  
 الوضع فيهما بعد مراجعة س (٤٢ ب) .  
 (٣) في الأصل : « واورى » ولى س : « واورى » وقد صححت بعد مراجعة : ( الروضتين  
 ج ١ ، ص ٢١٧ ) و ( ديوان عمارة ، ص ٦١٩ ) .  
 (٤) في الأصل : « وانم » ، وما هنا عن س (٤٢ ب) و ( عمارة : النكت المصرية ،  
 ص ٦٢٠ ) .  
 (٥) في الأصل : « سمجت » وما هنا عن س ، والنكت المصرية .  
 (٦) في الأصل : « من » وما هنا عن (س) والنكت المصرية .

هذا ابنُ ثُمُورٍ قد كانتِ بِدَايَتِهِ — كما يقولُ الوري — لِحَمَاءِ عَلَى وَصَمِ  
[ ١٤٣ ] والنَيْثُ وهو كما قد قيلُ أَوْلُهُ قَطْرٌ ، وَمِنْهُ خَرَابُ السَّدِّ بِالْعَرَمِ  
والبدر يبدو هلالاً ثم يَكشِفُ بال أنوارِ ما سَتَرَتْهُ قَسَمَةُ الظلمِ  
تنمو قُوَى الشىءِ بالتدرِجِ إن رُزِقَتْ لَظَى (١) وَيَقْوَى شَرَارُ الرَّانِدِ (٢) بِالضَّرَمِ  
حَاسِبٌ ضَمِيرُكَ عَنِ رَأْيِ (٣) أَتَاكَ وَقُلْ نَصِيحَةٌ وَرَدَّتْ مِنْ غَيْرِ مُنْهَمٍ  
أَقْسَمْتُ مَا أَنْتَ مِنْ جِلِّ هِمَّتِهِ مَا رَاقَ مِنْ نِعَمٍ أَوْ رَقَّ مِنْ نَعَمٍ  
وإنما أنت مَرَجُؤٌ لَوَاحِدَةٌ بنى بها الدهرُ بَجْدًا غَيْرَ مُنْهَدِمِ  
كَأَنِّي بِاللِيَالِي وَهِيَ هَاتِفَةٌ مُدْصَمٌ سَمِعُ رِجَالِ دُونَهَا وَعَسَى  
وَبِالْعَلَى كُلًّا لَأَقْتِكَ (٤) قَائِلَةٌ أَهْلًا بِمُنْشِرِ آمَالِي مِنَ الرَّمَمِ

ثم سار الملك المعظم شمس الدولة من مصر مستهل رجب من هذه السنة فوصل إلى مكة (٥) — حرسها الله تعالى — ومنها إلى زبيد ، فلما قرب منها قال عبد النبي

(١) في الأصل : « لطفاً » ، وما هنا عن : ( النكت المصرية ، ص ٣٥٤ ) .  
(٢) في الأصل : « النار » وما هنا عن ( س ) والنكت .  
(٣) في الأصل : « أمر » وما هنا عن النكت والروضتين .  
(٤) في الأصل : « لافيك » وما هنا عن س والنكت المصرية . هذا والتفصيذ أطول مما ورد هنا بكثير ، والآيات المكلمة يوجد بعضها في : ( مزار : النكت المصرية ، ص ٣٥٢ — ٣٥٥ و ٦١٩ — ٦٢٠ ) و ( الروضتين ، ج ١ ، ص ٢١٦ — ٢١٧ ) .  
(٥) أورد ( سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، الجزء الثامن ، القسم الأول ، ص ٣٠٠ — ٣٠١ ) وصفا شائقاً لما فعله توران شاه أثناء مقامه بمكة ولخطوات حملة اليمن بوجه عام ، وقد آثرنا نقل هذا الوصف هنا لأهميته ، ولأن رواه — سبط ابن الجوزي — يعتبر المؤرخ الثاني — بعد ابن واصل — المعاصر للأيوبيين ، قال : وقت على تاريخ بمصر ، فرأيت أن شمس الدولة لما سار إلى اليمن ، وكان أعيانها قد كتبوا إلى صلاح الدين يسألونه أن يمت بهم بعض أهله ، فلما وصل شمس الدولة إلى مكة سعد صاحبها إلى أبي قيس ، فتحصن عليه بقلمة بناها ، وأغلق باب السكبة ، وأخذ الفاتح ، فجاء شمس الدولة فطاف بالبيت ، وصلى ركعتين ، وسعد إلى باب السكبة وقال : اللهم إن كنت تعلم أني جئت إلى هذه البلاد لاصلاح البلاد وتمهدها ، —



لاهل زبيد: « كأنكم بهؤلاء وقد حمى عليهم الحرّ فهلكوا، وما هم إلا أكلة رأس<sup>(١)</sup> »؛ فخرج إليهم بمسكوه، فقاتلهم الملك المظلم ومن معه، فلم يثبت أهل زبيد وانهمزوا، ووصل المصريون إلى سور زبيد فلم يجدوا من يمنعهم، فنصبوا السلام، وصعدوا السور، فلكوا البلد عنوة، ونهبوه وأكثروا النهب، وأخذوا عبد النبي أسيراً وزوجته المدعوة بالحرة<sup>(٢)</sup>، وكانت امرأة سالحة

— فيسر على فتح الباب، وإن كنت تعلم أي جثث لنير ذلك، فلا تفتحه، ومد يده لمجذب القفل فانفتح، فدخل شمس الدولة إلى البيت، وصلى ودعا، فلما بلغ أمير مكة ذلك نزل إلى خدمته، وحمل للمفاتيح واعتذر؛ وقال: خفت منك، والآل فأنا تحت طاعتك، فقال: إذا أخذت منك مفاتيح مكة فمن أعطيا؟ ثم خلع عليه وعلى أصحابه، وطيب قلوبهم. وسار إلى اليمن، فانهزم عبد النبي بين يديه إلى زبيد، وكان أبوه السمي بالمهدى قد فتح البلاد وقتل خلقا كثيرا، وشق بطون الحوامل، وذبح الأطفال على صدورهن؛ وكان يرى رأى القرامطة، ويظهر أنه داعية لأهل مصر، ويستتر باليمن، وكان قد مات قبل دخول شمس الدولة اليمن بسنين، ومك يده ولده عبد النبي، فقتل باليمن ما فعله أبوه، وسبي نساءه، واستبدم. وكان أبوه لما مات بنى عليه قبة عظيمة، وصفح حيطانها بالذهب الأحمر والجواهر، ظاهرا وباطنا بحيث لم يعمل في الدنيا مثله، وجعل فيها قناديل الذهب وستور الحرير، ومنع أهل البلد من زبيد إلى حضرموت أن ينجسوا إلى الكعبة، وأمرم بالحج إلى قبر أبيه، وكانوا يحملون إليها من الأموال في كل سنة ما لا يحصى ولا يحصى، ويطوفون حولها مثلما يطوفون بالكعبة، ومن لم يحمل مالا قتله، وكانوا يقصدونها من الشجر، فاجتمع فيها أموال عظيمة، وأقام عبد النبي على الظلم والفسق والنجور، وذبح الأطفال، وسفك الدماء، وسبي النساء إلى أن دخل شمس الدولة اليمن، وجاء إلى زبيد، فيقال إنه حصر عبد النبي فيها وابنه وقبده وقتله...، ويقال إنه انهزم بين يديه، وجاء إلى قبة أبيه فهدمها، وأخذ ما فيها من المال والجواهر والفضة، وكان على ستائة رجل، ونبتش القبر، وأحرق عظام أبيه وذراها في الريح، ومضى إلى صنعاء، لحق شمس الدولة: لا ينتهي عنه حتى يقتله ويحرقه كما فعل بأبيه، وسار خلفه فرجع إلى زبيد، وحاد شمس الدولة إليها، فنظف به، فأخذ ما كان معه، وقتله وصلبه وحرقه، كما فعل بمنظام أبيه.

(١) المؤلف ينقل هنا عن ابن الأثير، والنس في (ابن الأثير: الكامل، ج ١١، ص ١٤٩): « كأنكم بهؤلاء وقد حمى عليهم الحرّ فهلكوا إلا أكلة رام » وهو خطأ مطبعي، وما بالمتن هنا هو الصحيح، فقد جاء في (الاسان): « ويقال: ما هم إلا أكلة رأس أي م قليل، يشبههم رأس واحد ».

(٢) في الأصل: « حرة » والتصحيح عن ابن الأثير. ويبدو أن لفظ « الحرة » كان لقباً تلقب به الأسرات الحاكمة في اليمن، فقد ظهرت بين نساء الصليبيين باليمن قبل هذا أكثر من سيدة كانت تلقب « بالحرة » أو « بالسيدة الحرة ».

كثيرة الصدقة ، وكانت إذا حجت وجد عندها فقراء (١) الحاج صدقة دارة  
ومعروفاً كثيراً

ولما أسر الملك المعظم عبد النبي بن محمد صلته إلى الأمير سيف الدولة مبارك  
ابن كامل بن منقذ (٢) ، وأمره أن يستخرج منه الأموال ، فأعطاه منها شيئاً  
كثيراً ؛ ثم إنه دلم على قبر كان قد صنعه لوالده ، وبني عليه بنية عظيمة ،  
وله هناك دفائن كثيرة ، وأعلمهم بها ، فاستخرجت الأموال من هناك ، وكانت  
جديدة المقدار ؛ ودلتهم [ زوجته (٣) ] الحرة على ودائع لها ، فأخذ منها مال كثير ؛  
ولما ملكت زبيد أقيمت بها . [ ١٤٤ ] الخطبة الباسية .

ثم سار العسكر إلى عدن ، وهي على البحر ولها مرمى عظيم ، وهي فرضة الهند  
والزنج والحبشة ونحمان وكرمان وكيش وفارس وغير ذلك ، وهي منيعة جداً  
من جانب البحر والبر ، وكان المتغلب عليها رجل يُقال له ياسر ، ولو (٤) امتنع  
بها لم يقدروا على أخذها (٤) ، لكنه حينه خرج إلى العسكر ، فباشر قتالهم ،  
فانهزم ، وسبقه بعض عسكر الملك المعظم فدخلوا البلد قبل أهله ، وملكوه ، وأخذوا  
صاحبه ياسر أسيراً ، وأرادوا نهب البلد فمنهم الملك المعظم ، وقال : « ما جئنا  
لنخرب البلاد ، وإنما جئنا لنملكها ونعمرها وننتفع بدخلها » .

ولما دخلوا عدن كان معهم عبد النبي [ صاحب زبيد (٥) ] مأسوراً ، فقال :

(١) في الأصل : « لفقراء » وما هنا عن س ( ١٤٣ ) .

(٢) في س : ( . . . بن كافل بن مسعد ) ، وما هنا هو الصحيح .

(٣) ما بين الحاصرتين عن س .

(٤) مقابل هذا في س : « وقد امتنع بها ولم يقدر أحد على أخذها منه » ، وما في الأصل

يقتضيه السياق فهو الصحيح .

(٥) ما بين الحاصرتين عن س ( ٤٣ ب ) .

« سبحان الله ! قد كُتبتُ أعلمتُ أني أدخل عدن في موكب عظيم ، فأنا أنتظر ذلك وأسرُّ به ، ولم أكن أعلم أنني أدخلها على هذه الحالة » .

ولما فرغ الملك المعظم من أمر عدن عاد إلى زييد ، وحصر ما في الجبل من الحصون ، فملك قلعة تعز ، وهي من أحسن القلاع ، وبها تكون خزائن صاحب (١) زييد ، وملك الجبل وغيرها من المعامل والحصون (٢) ، واستناب بـعدن الأمير عز الدين عثمان (٣) بن الزنجبيلي ، وبزييد سيف الدولة مبارك بن منقذ ، وهلك عبد النبي [ ويأسر (٤) ] في أسره ، وجعل [ الملك المعظم ] في كل قلعة نائباً من أصحابه ، وأحسن إلى أهل البلاد ، وعدل فيهم ، فعمرت البلاد وأمنت ، [ وأما الحرة زوجة عبد النبي فبلغه كثرة صدقتها وخيرها ، فأحسن إليها وأطلقها ، وأقطعها إقطاعاً يقوم بأودها وأرد من مهها (٥) ] .

## ذكر عزم جماعة من المصريين على إقامة الدعوة المصرية وما آل إليه أمرهم

وفي هذه السنة أراد جماعة من شيعة القصر الوثوب بمصر وإقامة الدعوة العلوية ، وردّها إلى ما كانت عليه ؛ وكان منهم عمارة بن علي اليمني ، وعبد الصمد الكاتب ،

(١) س : « أصحاب » .

(٢) نس س : « ومك ما في الجبل من القلاع والحصون » . وفي (ابن الاثير) : « ومك أيضا قلعة التمكر والجنند وغيرها من المعامل والحصون » .

(٣) س : « الامير عثمان عز الدين » فقط ؛ وهذا ويوجد القارىء وصفا تفصيلا شائفا لحظ سير الحملة الايوبية في اليمن وفتوحها هناك فيها رواه ابن أبي طي في (الروضتين ، ج ١ ، ص ٢١٧) وفي مخطوطة : (السمط العالي الثمن ، ص ١٣ — ٦ ب) .

(٤) ما بين الحاصرتين عن س (٤٣ ب) .

(٥) ما بين الحاصرتين عن س (٤٣ ب) ، وهذا مثل واضح يدل على أن نسخة س — رغم عيوبها الكثيرة ، أفادت بمش الأحيان في إقامة النص وتصحيحه وإكمال ما به من نقص .

والقاضي العويرس ، وداعي الدعاة ابن عبد القوي ، وغيرهم من جند المصريين  
ورجالهم السودان ، وحاشية القصر ، ووافقهم على ذلك جماعة من أمراء صلاح الدين  
وجنده ، فاطلعوا على أسرارهم ؛ وعينوا [ ١٤٥ ] الخليفة والوزير ، وتقاسموا الدور  
والأملاك ، واتفق رأيهم على استدعاء الفرنج من صقلية والشام إلى مصر ، وبذلوا  
لهم شيئاً (١) من المال والبلاد ، وكان مقصودهم وما انطوت عليه نيتهم الرديّة  
أن الفرنج إذا قصدوا البلاد وخرج إليهم صلاح الدين بنفسه ثاروا هم بالقاهرة ومصر ،  
وأعادوا الدعوة العلوية ، وعاد من معه من العسكر الذين واقبوه عليه ، فلا يبقى  
لهم مقام مقابل الفرنج ، وإن كان صلاح الدين يقيم ويرسل العساكر إليهم ، ثاروا به ،  
وأخذوه أخذاً باليد ، لعدم الناصر له والمساعد ، وقال لهم عمارة : « أنا قد أبعدت (٢)  
أخاه إلى اليمن خوفاً أن يسد مسده (٣) ، وتجتمع الكلمة عليه بعده » ؛ فأرسلوا  
إلى الفرنج بصقلية والشام ، وتقررت القواعد بينهم ، ولم يبق إلا إتمام أمرهم ،  
فكان ما قدره الله من فضيحتهم وانتهاك سر نيتهم (٤) ، — لما أراد الله تعالى  
من سعادة صلاح الدين وظهور أمره — ، أن الفقيه الواعظ زين الدين علي بن نجبا (٥)  
أدخلوه معهم في سرهم ، فداخلهم وأظهر لهم أنه على رأيهم ، فاطلع على جميع  
أمرهم ، وجاء إلى صلاح الدين وأظهره على جميع أمورهم ، وكشفها له ، وطلب

(١) في الاصل : « شيء » ، وما هنا من س .  
(٢) س : « انقدت » .  
(٣) س : « أن يشد عتيده » والمؤلف ينقل هنا عن ( ابن الأثير : الكامل ، ج ١١ ، ص ١٤٩ — ١٥٠ ) .  
(٤) س : « ستر سرهم » .  
(٥) هو زين الدين أبو الحسن علي بن إبراهيم بن نجبا الدمشقي الحنبلي الواعظ ، توفي بمصر في رمضان سنة ٦٠٠ هـ عن إحدى وتسعين سنة ، انظر ترجمته في : ( النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ١٨٣ — ١٨٤ ) و ( ابن العباد : شذرات الذهب ) .

منه ما لا ين كامل (١) الداعي من الدور والمقار وكلما له من الموجود والمذخور ،  
فبذل له صلاح كل ما طلبه ، وأمره بمخالطتهم ومواطنهم (٢) على ما يريدون  
أن يفعلوه ، وتعميره بالمتجدد من أمورهم أولاً فأولاً ، فصار يعلمه بكل (٣) ما يتجدد  
لهم ، ثم اتفق وصول رسول الفرنج بالساحل إلى صلاح الدين بهدية ورسالة ،  
وهو في الظاهر إليه ، وفي الباطن إلى أولئك الجماعة ، فكان يرسل إليهم بعض  
النصارى ، وتأتيه رسالهم .

وأتى الخبر إلى صلاح الدين من بلاد الفرنج بجمالية الحال ، فوضع صلاح الدين  
على الرسول بعض (٤) من ينثق إليه من النصارى ، فأخبره الرسول بالخبر  
على الحقيقة .

وقد ذكر في انكشاف [ ١٤٦ ] أمرهم أن عبد الصمد الكاتب كان إذا لقي  
القاضي الفاضل — رحمه الله — يخدمه ويتقرب إليه ، ويبالغ في التواضع له ، فلقبه  
يوماً فلم يلتفت إليه ، فقال القاضي الفاضل : « ما هذا إلا لسبب » ، وخاف أن يكون  
قد صار له باطن مع (٥) صلاح الدين ، فأحضر [ زين الدين ] علي بن نجبا الواعظ

(١) هو أبو القاسم هبة الله بن عبد الله بن كامل داعي الدعاة : ترجمته في : (المعاد الأصفهاني :  
الحريفة ، قسم شعراء مصر ، ج ١ ، ص ١٨٦ — ١٨٧) و ( ابن المعاد : شذرات الذهب ،  
ج ١ ، ص ٢٣٥ ) .

(٢) س : « وموافقهم » ، والمؤلف هنا ينقل عن (البرق الشامي للمعاد الأصفهاني) أنظر :  
(الروضتين ، ج ١ ، ص ٢١٩) .

(٣) س : « يعلم صلاح الدين بما يتجدد لهم » .

(٤) هذا اللفظ ساقط من س ؛ والمؤلف يختصر هنا عن رسالة بقلم القاضي الفاضل — أوردتها  
ابن أبي طي — مرسله من صلاح الدين إلى نور الدين يشرح له فيها قصة المؤامرة في تفصيل  
شيق هام ، انظر : (الروضتين ، ج ١ ، ص ٢٢١) .

(٥) في الأصل : « من » وما هنا عن س ( ٤١ ب ) والمؤلف يعود هنا فينقل عن ( ابن  
الأنثير : الكامل ، ج ١١ ، ص ١٥٠ ) .

وأخبره الحال ، وقال : « أريد أن تكشف الأمر لي » ، فسمى (١) في كشفه فلم يرَ له من جانب صلاح الدين شيئاً ، فعدل إلى الجانب الآخر ، فكشف الحال إليه ، فحضر عند القاضي الفاضل فأعلمه ، فقال له : « تحضر الساعة عند صلاح الدين وتُهيء الحال إليه » ، فحضر عند صلاح الدين وهو في الجامع ، وذكر الحال ، فأخذ الجماعة وقرروا ، فأقروا ، فحينئذ قبض عليهم ، وأمر بصلبهم .

وكان عمارة بينه وبين القاضي الفاضل عداوة من أيام العاضد وقبلها ، فلما أراد صلاح الدين صلبه قام القاضي الفاضل وخاطب صلاح الدين في إطلاقه ، فظن عمارة أنه يُحرِّض على هلاكه ، فقال لصلاح الدين : « يا مولانا ، لا تسمع منه في حقى » ؛ فغضب القاضي الفاضل وخرج ، وقال صلاح الدين لعمارة : إنه كان [ والله (٢) ] يشفع لك » ، فندم .

وأخرج عمارة ليصلب ، فطلب أن يمرَّ به على مجلس القاضي الفاضل ، فاجتازوا به عليه ، فأغلق بابه ، ولم يجتمع به ، فقال :

عبد الرحيم قد احتجب إن الخلاص من العجب

ثم صُلب هو والجماعة بين القصرين ، وذلك يوم السبت لليلتين مضتا من شهر رمضان من هذه السنة — أعني سنة تسع وستين وخمسمائة — وأفنى (٣) [ صلاح الدين ] بعد ذلك من بقي منهم .

قال عماد الدين الأصفهاني : « وكان فيهم داعي الدعاة ابن عبد القوي ، وكان عارفاً بنجبايا القصر وكنوزه ، فباد (٤) ولم يسمح بإبدائها ، وبقيت تلك الدفائن مخزونة ،

(١) في الأصل : « فسمي » .

(٢) ما بين الحاصرتين عن س .

(٣) في الأصل : « وأفنى » .

(٤) س : « فباد » .

وتلك الخزان مدفونة (١) ، قد دفن دافقها ، وخزن تحت الثرى (١) خازنها ،  
إلى أن يأذن الله تعالى في الوصول إليها ، والاطلاع عليها .

واحتيط على ولد العاضد وغيرهم (٢) من أهله ، وأما الذين ناقوا على صلاح الدين  
[ ١٤٧ ] من جنده فلم يعرض لهم ، ولا أعلمهم أنه علم بحالهم ، وجمع من أموال الذين  
قبض عليهم ما يحمل إلى الشام ليدتمين به نور الدين — رحمه الله — على الجهاد ؛  
[ وكان شيئاً كثيراً من الذهب والفضة وغير ذلك (٣) ] .

وكان من جملة الذين أمر صلاح الدين بصلبهم قبالة القصر العوريس وكان قاضي

(١) س : «مخزونة» و«التراب» ، وما بالمتن يتفق ونس الهاد ، أنظر : ( الروضتين ، ج ١  
ص ١٢٠ ) .

(٢) في الأصل : «غيرهم» وما هنا عن (١٤٥) .  
(٣) ما بين الحاصرتين عن س بعد تصحيحه لنويا ، والذي نلاحظه أن ابن واصل يعتمد هنا  
في حديثه عن هذه المؤامرة الخطيرة على الهاد الأصمغاني ، وابن الأثير ، وأبي شامة ؛ وهؤلاء  
جميعاً مؤرخون سنيون . ولأن أبي طي — وهو مؤرخ شيعي — رواية أخرى تتضمن حقائق  
وتفاصيل جديدة هامة عن هذه المؤامرة ، ولهذا آثرنا نقل روايته هنا ، قال : «وفي هذه السنة  
اجتمع جماعة من دعاة المصريين والمواف ، وتآمروا فيما بينهم خفية ، وبكوا على انقراض دولة  
المصريين ، وما صاروا إليه من الذل والفقر ، ثم أجموا آراءهم على أن يقيموا خليفة ووزيراً ،  
ويجمعوا م وجاعة عينوم من الاسراء وغيرهم ، وأن يكتبوا الفرنج ، وأن يثبوا بالملك الناصر ،  
وأدخلوا معهم في هذا الأمر ابن مصاك ، وأعدوا جماعة من شيعة المصريين ليلقة دينوها ، وكتبوا  
الفرنج بذلك ، وقرروا معهم الوصول إليهم في ذلك الزمان المقرر ، فخانهم ابن مصاك فيما طاهدم عليه ،  
ونكت في البين وكفرتها ، وصار إلى الملك الناصر وعرفه بجملة ماجرى ؛ قال : فأحضرهم واحداً  
واحداً وقرروا على هذه الحالة ، فأقرروا واعترفوا ، واعتذروا بكونهم قطعت أرزاقهم وأخذت  
أموالهم ، فأحضر السلطان الهاء واستفهام في أسرم ، فأفتوه بقتلهم وصلاحهم ونعيمهم ، فأمر بصلبهم ؛  
وقيل بأن الذي أذاع سرهم زين الدين على الواعظ ، وطلب جميع مالابن الداعي (كذا) من النصار  
والسك ، فأعطاه جميع ذلك ؛ وكان الذين صلبوا منهم : الفضل بن كامل القاضي ، وابن عبد القوي  
الداعي ، والموريس وكان قد تولى ديوان النظر ثم القضاء بعد ذلك ، وشيخ ما كاتب السر ، وعبد الصمد  
القشة — أحد الاسراء المصريين — وبجراح الحمى ، ورجل منجم نصراني أرمني كان قال لهم  
إن أسرم يتم بطريق علم النجوم ، وعمارة البني الشاعر .

القضاة لهم ، فحكى لى (١) القاضي تاج الدين — المعروف بابن بنت الأعرز — قاضي  
القضاة بالديار المصرية — رحمه الله (٢) — قال : « كان العوريس رأى فى منامه  
كأن المسيح عيسى بن مريم — عليه السلام — أخرج رأسه له من السماء ، فقال له  
العوريس : الصلب حق ؟ فقال المسيح — عليه السلام — : نعم الصلب حق ؛  
فقص العوريس رؤياه على معبر ، فقال المعبر : الذى رأى هذه الرؤيا يُصلب ،  
لأن المسيح معصوم ، فلا يقول إلا حقا ، ولا يمكن كون ذلك راجعا إلى المسيح  
عليه السلام ، لأن القرآن العظيم قد نصّ بأنه لم يُصلب ولم يُقتل ، فبقي أن يكون ذلك  
راجعا إلى الرأى ، فهو الذى يُصلب ، فكان الأمر كما قال المعبر . »

وسبّر صلاح الدين كتابا إلى نور الدين يتضمن ذكر القضية (٣) بخط المرتضى  
ابن قريش ، فاتفق وصول الكتاب إلى دمشق يوم وفاة نور الدين — رحمه الله —  
فنه فصل يقول فيه :

« لم نزل نتوسم من جند مصر ، ومن أهل القصر ، بعد ما أزال [ الله (٤) ]  
من بدعتهم ، وقصّ من عرى دولتهم ، وخفض من مرفوع كلمتهم ، أنهم أعداء  
وإن قعدت بهم الأيام ، وأضداد وإن وقعت عليهم كلمة الإسلام . »

(١) التحدث هنا هو المؤلف ابن واصل ، لأن القاضي ابن بنت الأعرز لم يكن معاصرا  
لصلاح الدين أو لهذه المؤامرة ، إنما ولد سنة ٥٦٤هـ وتوفى سنة ٥٦٥هـ . انظر أخبار هذا القاضي  
وترجمته فى : ( ابن تفرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ٧ ) و ( ابن العماد : شذرات الذهب ،  
وفيات ٥٦٥هـ ) .

(٢) هذا الدطاء يدك على أن ابن واصل كان يكتب هذا الجزء من تاريخه بعد سنة ٥٦٥هـ ،  
وهى السنة التى توفى فيها ابن بنت الأعرز .

(٣) س : « القصة » .

(٤) ما بين الحاصرتين عن : ( الروضتين ، ج ١ ، ص ٢٣٠ ) ، وقد أورد أبو شامة هناك  
فضولا من هذا الخطاب أطول بكثير مما أورد ابن واصل هنا .



ثم ذكر مكاتبتهم للفرنج وتردد رسالهم إليهم<sup>(١)</sup>.

فصل : « والمولى عالم أن عادة أوليائه الاستفادة من أدبه أن لا يبسطوا عقاباً<sup>(٢)</sup>. مؤلماً ، ولا يعذبوا عذاباً محكماً ، وهؤلاء القوم لا يزيدهم العفو إلا ضراوة ولا الرأفة عليهم إلا قساوة<sup>(٣)</sup> ، فقبضنا على طائفة مفسدة ، وجماعة من هذا الجنس متمردة ، قد اشتملت على الاعتقادات المارقة ، والسرير المناقفة ، فكلاً أخذ الله [ تعالى ] بذنبه ، فمنهم من أقر طائماً [ ١٤٨ ] عند إحضاره ، ومنهم من أقر عند ضربه ولم يقيم على إصراره ، فانكشفت لنا قرارات مختلفة في المراد ، متفكة في الفساد ، فمنهم من أقام رجلاً من بنى عم العاضد ، ومنهم من جعل ذلك لبعض أولاد العاضد ، واختاف هؤلاء في تعيين واحد من ولدين له ؛ وأما بنو رزيك وبنو شاور فكل منهم أراد الوزارة لبيهم<sup>(٤)</sup> من غير أن يكون لهم غرض في تعيين الخليفة » .

فصل : « وفي أثناء هذه المدة كتبوا سناناً<sup>(٥)</sup> صاحب الحشيشية بأن الدعوة واحدة ، والسكلمة جامعة ، وأنه ما بين أهلها خلاف يجب به قعود عن نصره ، واستدعوا منه من يقيم على الملوك غيلة ، ويثب عليه مكيدة وحيلة ، فقتل الله بسيف

(١) في الأصل : « إليه » وما هنا عن س ( ٥٥ : ب ) .

(٢) في الأصل : « عذاباً » ، وما هنا عن ( الروضتين ) : هذا والنص يختلف هنا أحياناً مما أورده أبو شامة في الروضتين ، لأن المؤلف هنا مختصر ، أما أبو شامة فيورد الفقرات التي ينقلها من نص الرسالة كاملة غير منقوصة .

(٣) س : « خسارة » .

(٤) س : « لبيتهم » وهو موافق لما في : ( الروضتين ، ج ١ ، ص ٢٣١ ) .

(٥) هو راشد الدين سنان بن سمان مقدم إسماعيلية الشام وكان يلقب بالشيخ أو شيخ الجبل ومعنى « الشيخ » هنا السيد أو الرئيس لا الرجل المسن . وقد عرفت هذه الفرقة « بالحشيشية » لأن أتباعها كانوا يتعاطون « الحشيش » . انظر : ( محمد عبد الله عنان :

تراجم إسلامية ، ص ٥٥ — ٦٠ ) و ( Casanova : *Les Derniers Fatimides. Mémoires* de la Mission Archéologique Française du Caire. Tome VI, 3, P. P. 415-445).

الشرع المطهر جماعة من الغواة الغلاة ، الدعاة إلى النار ، الحاميين لاثقالم وأنقال من أضلوه من الفجار ، وشُنقوا على أبواب قصورهم ، وصلبوا على الجذوع المواجهة لدورهم ، ووقع التبع لاتباعهم ، وشُرد طائفة الاسماعيلية ونُفوا ، ونودي أن يرحل طائفة كافة الأجناد وحاشية القصر ، وراجل (١) السودان إلى أقصى الصعيد ، وأما من في القصر فقد وقعت الحوطة عليهم ، ورأى المملوك إخراجهم من القصر فإنهم مهما بقوا (٢) فيه بقيت مادة لا تنحسم الأطاع عنها ، فإنه قبله (٣) للضلالة منصوبة ، ربيعة للبدع محجوجة (٤) .

« وما يظرف به المولى أن تُفر الإسكندرية على عموم مذهب السنة فيه ، اطلع البحث أن فيه داعية خبيثاً أمره ، محتقراً شخصه ، عظيماً كفره ، يسمى قديماً القفاص ، وأن المذكور مع خموله في الدير المصرية قد فشت في الشام (٥) دعوته ، وطبقت عقول أهل مصر ففتته ، وأن أرباب المعاش فيها يحملون إليه جزءاً من كذبهم ، والنساء يبعثن إليه شطراً [ وافيًا (٦) ] من أموالهن ، ووُجدت في منزله بالإسكندرية عند القبض عليه والهجوم إليه ، كتب مجردة (٧) ، فيها خلع العذار ، وصريح الكفر الذي ما عنه اندفاع واعتذار [ ١٤٩ ] [ ورقاع (٨) ]

(١) في الأصل : « ورحل » والتصحيح عن : س ( ١٤٦ ) و ( الروضتين ، نفس الجزء والصفحة ) .

(٢) في الأصل : « بقوا » والتصحيح عن س والروضتين .

(٣) في الروضتين : « حباله » .

(٤) كذا في الأصل ، وفي ( الروضتين ، ج ١ ، ص ٢٢١ ) ؛ وقد هاق عليها أبو شامة بقوله : « ولعلها محجوبة » .

(٥) كذا في الأصل ، وفي ( الروضتين ) ؛ وفي س ( ١٤٦ ) : « في البلد » .

(٦) ما بين الحاصرتين عن ( الروضتين ) .

(٧) هذا اللفظ ساقط من ( س ) .

(٨) ما بين الحاصرتين عن ( الروضتين ) .

يُنحاطب فيها بما تشعر منه الجلود ؛ وكان (١) يدعى النسب إلى أهل القصر ،  
وأنه خرج منه طفلاً صغيراً ، ونشأ على الضلالة كبيراً (٢) ؛ وبالجملة فقد كفى الإسلام  
أمره ، وحق به مكره ، وصرعه كفره .

### ذكر شيء من خبر عمارة وشعره

كان عمارة بن علي البني من الشعراء الفحول المجيدين ، ولم يكن شيعياً ،  
وإنما كان قفياً على مذهب الإمام الشافعي - رحمه الله - وقتله وقاتوه وحسن  
عهده لمن أحسن إليه ، وقد ذكر مباينته لمذهب القوم من قصيدة [ يقول (٣) ] :

أفعليلهم في الجود أفعال سنّة وإن خلفوني في اعتقاد التشيع

وذكر هو عن نفسه في كتاب صنفه (٤) : أنه أقام بزيب ثلاث سنين ، يُقرأ  
عليه (٤) مذهب الشافعي ، قال : « ولي في الفرائض مصنف يقرأ باليمن » ؛ وذكر أنه  
قدم مكة بعد ذلك في سنة تسع وأربعين وخمسمائة ، قال : « وفي موسم هذه السنة  
توفي أمير الحرمين الشريف هاشم بن قليظة (٥) ، وولي ولده القاسم بن هاشم ،  
والزمني السفارة عنه والرسالة منه إلى الديار المصرية ، قدمتها في شهر ربيع الأول

(١) هذه الجملة انفرد بها النس هنا ، ولا توجد في ( الروضتين ) .

(٢) ما بين الحاصرتين عن س . ومن المفيد أن نشير هنا إلى أن المستشرق « Derenbourg » قد ذيل كتاب ( النكت المصرية ) لمهارة بمقتبسات عن عمارة وحياته وشعره نقلها عن المراجع التاريخية المختلفة ، ومن بين هذه المقتبسات صفحات من ( مفرج السكروب ) وينتهي في نقله عن ابن واصل بهذا البيت من الشعر . انظر : ( عمارة النكت المصرية ، ص ٦٠٧ - ٦٢٩ )

(٣) الإشارة هنا إلى كتابه « النكت المصرية في أخبار الوزراء المصرية » .

(٤) النس في ( النكت ، ص ٢٣ ) : « وأقت في زيب ثلاث سنين وجماعة من الطلبة يقرؤون عندي مذهب الشافعي والفرائض في الوارث » .

(٥) حكم بين سنتي ١١٣٢ و ١١٥٤ م ، وحكم ابنه القاسم بين سنتي ١١٥٤ و ١١٦١ م . انظر : ( Gerald de Gaury : Rulers of Mecca PP. 62, 66 ) .

سنة خمسين وخمسة ، والخليفة بها يومئذ الفاضل الظافر ، والوزير له الملك الصالح  
طلّاح بن رزّيك ، فلما حضرت لاسلام عليهما في قاعة الذهب (١) من قصر الخليفة  
أنشدتهما [ قصيدة أولها (٢) ] :

الحمدُ لا ييسر بعد العزمِ والهيمِ      حمداً يقومُ بما أولتُ من النعمِ  
لا أجدُ الخلقَ ، عندى للركابِ يدُ      تمتُ اللجُمُ فيها رتبةً أخطمُ  
قرّينَ بُعدَ مزارِ العزِّ من نظري      حتى رأيتُ إمامَ العصرِ من أمِّهم  
ورُحْنِ من كعبةِ البطحاءِ والحرمِ (٣)      وفداً إلى كعبةِ المعروفِ والكرمِ (٤)  
فهل درى (٥) البيتُ أنى بعدَ قرّفتهِ (٦)      ما سرتُ عن (٧) حرمِ إلا إلى حرمِ  
حيثُ الخِلافةُ مضروبٌ (٨) مُرادُها      بينَ النقيضينِ من عفوٍ (٩) ومن قِهمِ  
وللإمامةِ أنوارٌ مقدّسة      تجلو البغيضينِ من ظلمٍ ومن ظلمِ

(١) قاعة الذهب ، ويقال لها أيضاً « قصر الذهب » ، ذكر ( ابن تفرى بردى : النجوم  
الزاهرة ، ج ٤ ، ص ١١٣ ) أن الذى بناها هو الخليفة العزيز بالله ، وهى إحدى قاعات القصر  
الشرقى الكبير ، وكان يدخل إليه من باب الذهب ومن باب البحر . وموضع هذه القاعة الآن  
— تبعاً لتحقيقات المرحوم محمد رمزى ، هامش ٢ من نفس الصفحة بالمرجع السابق — بمجموعة  
البناني الواقعة خلف مدرسة النحاسين الأُميرية التى بشوارع بين التصريفين بين شارع بيت القاضى  
وحارة بيت القاضى فى الجزء الواقع خلف المدرسة المذكورة .

- (٢) ما بين الحاصرتين زيادة عن : ( النكت المصرية ، ص ٣٢ )  
(٣) س : « الحرمى » .  
(٤) س : « المعروف بالكرم » .  
(٥) فى الاصل : « وهل درا » ، وفى س : « فهكذا البيت » ، والتصحيح عن :  
( النكت ، ص ٣٢ ) و ( الروضتين ، ج ١ ، ص ٢٢٥ )  
(٦) كذا فى الاصل وفى ( النكت ) ، ونص ( الروضتين ) : « زورته » .  
(٧) كذا فى الاصل ، وهى فى ( النكت ) و ( الروضتين ) : « من » .  
(٨) فى س ( ١٦ ب ) : « مضربى » .  
(٩) فى الاصل : « عمر » وفى س : « عم » ، والتصحيح عن ( النكت ، ص ٣٢ )  
( الروضتين ، ج ١ ، ص ٢٢٥ ) .

[١٥٠] وللنبوة آياتٌ تنصُّ (١) لنا  
 وللكارمِ أعلامٌ نُعلمنا  
 وللعلى أنسٌ تُثني محامدها  
 ورايةُ الشرفِ البذخِ ترفعها  
 أقسنتُ بالفائزِ المعصومِ معتقداً  
 لقد حمى الدينَ والدنيا وأهلها  
 اللابسُ الفخرَ لم تنسجْ غلائلهُ  
 وجودهُ أوجدَ الأيامَ ما اقترحتُ  
 قد ملكتهُ العوالي رِقاً مملكةً  
 أرى مقاماً (٥) عظيمَ الشأنِ أو همى  
 يومٌ من العمرِ لم يخطرُ على أملي  
 لئتَ الكواكبَ تدنو لي فأنظمها  
 ترى الوزارةَ فيه وهي باذلةُ  
 عواطفٍ علمتُنا (٦) أن يبينهما

على الحنفيين (٢) من حكمهم ومن حكم  
 مدحَ الجزيلين من بأسٍ ومن كرمِ  
 على الحميدين من قتلٍ ومن شيمِ  
 يدُ الرفيعين من بجدٍ ومن هممِ  
 فوزَ النجاةِ ، وأجرَ البرِّ في القسمِ  
 وزيرهُ الصالحُ الفراجُ للغمِ  
 إلا يدُ الصنعين (٣) السيفِ والقلمِ  
 وجودهُ أعدمَ الشاكينَ للعدمِ  
 تعيرُ أنفَ الثريا عزةً (٤) الشمِ  
 في يقظتي أنها من جملَةِ الحلمِ  
 ولا ترقّتْ إليه رغبةُ الهممِ  
 عقودُ مدحٍ ، فما أرضى لكم كلمي  
 عندَ الخلافةِ نُصحاً غيرَ مُتهمِ  
 قرابةً من جميلِ الرأي لا الرحمِ

(١) كذا في الأصل وفي س وفي (النكت) ؛ وفي الروضتين : « تفي » .

(٢) كذا في الأصل ، وفي الروضتين والنكت ، وفي س : « الحنفيين » .

(٣) في الأصل وفي الروضتين : « الصنعين » ، وما هنا عن : (النكت ، ص ٣٣)

(٤) في الأصل ، وفي الروضتين ، (ج ١ ، ص ٢٢٦) : « غرة » ، وما هنا عن : (النكت ،

ص ٣٣) .

(٥) في الأصل : « مقام » والتصحيح عن س (١٤٧) و (الروضتين ، ج ١ ،

ص ٢٢٦)

(٦) كذا في الأصل وفي (النكت) ؛ وهي في (س) و (الروضتين) : « أعلمتنا » .

خليفة ووزير مدد عندهما ظلاً على مفرق الإسلام والأمم  
زيادة النيل نقص عند فيضهما فما عسى تتعاطى منة الدائم

قال : « وعهدى بالملك الصالح وهو يستعيدها في حال النشيد مرارا ، والأستاذون  
والأمراء (١) يذهبون (٢) في الاستحسان كل مذهب ، ثم أفيضت على الخلع  
من ثياب الخلافة مذهبة ، ودفع إلى الصالح خمسمائة دينار ، وإذا بهض الأستاذين (٣)  
قد خرج من عند السيدة بنت الإمام الحافظ بخمسمائة دينار أخرى ، وحمل المال معي  
إلى منزلي ، وأطلقت لي من دار الضيافة (٤) رسوم لم تطلق لأحد قبلي ، وتهادتني  
أمراء الدولة [ ١٥١ ] إلى منازلهم للولائم ، واستحضرني الصالح للمجالسة ، ونظمتني  
في سلك [ أهل (٥) ] المؤانسة ، وانتالت على صلواته ، وغمرني برؤه ، ووجدت  
بحضرتيه من أعيان أهل الأدب : الشيخ الجليل أبا المعالي بن الحباب (٦) ، والموفق

المصري

(١) النص في (النكت ، ص ٣٤) : « وأعيان الأمراء والكبراء » .

(٢) هذا اللفظ ساقط من س .

(٣) كان كبار القواد من خواص الخليفة في العصر الفاطمي يسمون « بالأستاذين » ، يقول  
صاحب (صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٧٧) : « وأجلهم المحتكون وم الذين يدورون معاهم  
على أحناءهم كما تفعل العرب والفارسية ، وم أقربهم إليه ، وأخصهم به ، وكانت عدتهم تزيد  
على ألف » .

(٤) ذكر (القرنبي : المخطوط ، ج ٢ ، ص ٣٣٨) أن هذه الدار كانت بحارة برجوان  
وتعرف بدار الأستاذ برجوان ، وفيها كان يسكن ، ولما قدم بدر الجمالي إلى مصر بنى هناك  
دارا عظيمة سكنها ، ثم سكنها من بعده ابنه الظفر أبو محمد جعفر ، فمرفت بدار الظفر ، وبعد  
موته اتخذت دار ضيافة يرسم الرسل الواردين من اللوك ، واستمرت كذلك إلى أن انقرضت  
الدولة ، فأُنزل بها السلطان صلاح الدين أولاد العاضد . انظر أيضا (نفس المرجع ، ص ٣٤٣ —  
٣٤٤)

(٥) ما بين الحاصرتين عن س و (النكت ، ص ٣٤)

(٦) هو القاضي الجليل أبو المعالي عبد العزيز بن الحسين بن الحباب الأنجلي السعدي  
النيجي ، سمي بالجليس لأنه كان جليس الخلفاء الفاطميين مقربا إليهم ، وهو من ذرية بني الأغب  
البيمين أصحاب إفريقية ، مولى ديوان الانشاء بالاشتراك مع الموفق بن الخلال في عهد الخليفة  
الفاخر ووزارة الصالح طلائع بن رزيك ، وذكر عمارة في (النكت ، ص ٤٩٥) أنه دخل —

أبا الحجاج يوسف بن الخلال [صاحب ديوان الإنشاء<sup>(١)</sup>] ، والمهذب أبا محمد الحسن<sup>(٢)</sup> بن الزبير ، وما من هذه الحلبية [أحد<sup>(٣)</sup>] إلا ويضرب في الفضائل النفسانية والرئاسة الإنسانية<sup>(٤)</sup> بأوفر نصيب ، وما زلت أأخذو على طرائقهم حتى نظموني<sup>(٥)</sup> في سلك فرائدكم .

- اليمن . وتوفى سنة ٥٦١ هـ . انظر ترجمته في : (المهاد : الخريدة ، ج ١ ص ١٨٩ - ٢٠٠) و (أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ١٤١) و (ابن قلاؤس : الديوان ص ١٠٠ و ١١٥) و (ابن شاعر السكتي : فوات الوفيات ، ج ١ ، ص ٥٧٧ - ٥٧٩) و (ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٢٥١) و (ابن تفرى بردى : النجوم ، ج ٥ ، ص ٢٩٢ و ٣٧١) و (السيوطي : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٣٢٤) و (الدكتور محمد كامل حسين : في أدب مصر الفاطمية ، ص ٢١٥ - ٢١٨) .

(١) ما بين الحاصرتين (عن عمارة : النكت ، ص ٣٥) . والموفق أبو الحجاج يوسف ابن محمد بن الخلال كان آخر رؤساء ديوان الإنشاء في العصر الفاطمي ، وعليه تخرج القاضي القاضل ثم خلفه على رئاسة هذا الديوان . وقد لبث ابن الخلال متوليا لديوان الإنشاء إلى أن طعن في السن فلزم بيته ، وكان ذلك في عهد وزارة أسد الدين شيركوه للخليفة العاضد . وتوفى ابن الخلال سنة ٥٦٦ هـ . انظر ترجمته وأخباره في : (المهاد : الخريدة ، ج ١ ، ص ٢٣٥ - ٢٧٥) و (ابن خلكال : الوفيات ، ج ٦ ، ص ٢١٩ - ٢٢٤) و (ابن المهاد : شذرات الذهب ، ج ٤ ، ص ٢١٩) و (السيوطي : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٣٢٤) و (الدكتور محمد كامل حسين : في أدب مصر الفاطمية ، ص ٣٤٤ - ٣٤٧) .

(٢) في الأصل : «الحسين» والتصحيح من : س (٤٧ ب) و (المهاد : الخريدة ، ج ١ ، ص ٢٠٤) . وهو المهذب أبو محمد الحسن بن علي بن الزبير ، وقد كان هو وأخوه القاضي الرشيد أحمد بن علي بن الزبير من أشهر شعراء مصر في العصر الفاطمي . وموطنهما الأصلي أسوان ، وسافر كل منهما إلى اليمن . توفى سنة ٥٦١ هـ . انظر ترجمته في : (المهاد : الخريدة ، ج ١ ، ص ٢٠٤ - ٢٢٥) و (ياقوت : معجم الأدباء ، ج ٩ ، ص ٤٧) و (ابن شاعر السكتي : فوات الوفيات ، ج ١ ، ص ٢٤٣ - ٢٤٨) و (الادفوي : الطالع السعيد ، ص ١٠٠) و (الدكتور محمد كامل حسين : في أدب مصر الفاطمية ، ص ٢٠٣ - ٢١٠) .

(٣) ما بين الحاصرتين عن س و (النكت ، ص ٣٤) .

(٤) هذا اللفظ ساقط من س .

(٥) س : « . . على طريقهم حتى ينظموني » .

قال [ عمارة ] : وأنشدت الصالح وهو بالقبو (١) من دار الوزارة قصيدة منها  
[ أقول (٢) ] .

دعوا كُلَّ بَرِّقٍ شِئْمٌ غَيْرَ بَارِقٍ يَلُوحُ عَلَى الْفُسْطَاطِ صَادِقُ بَشْرِهِ  
وزوروا المقامَ (٣) الصالحى فكلُّ مَنْ عَلَى الْأَرْضِ يُنْسَى (٤) ذِكْرُهُ عِنْدَ ذِكْرِهِ  
ولا تجملوا مقصودكم طلب الغنى فتجنوا (٥) على مجئ الزمان وفخره  
ولكن سلوا منه العلى (٤) تظفروا بها فكل امرء برحى (٦) على قدر قدره

قال : ولما جلس شاور في دار الذهب قام الشعراء والخطباء ولغيف الناس  
إلا الأقل شاكون (٧) من بنى رزيك ، وضرغام نائب الباب ، ويحيى بن الخياط (٨)  
اسفسلار (٩) ، فأنشدته :

زالت ليالى بنى رزيك وانصرفت والحمد والنم فيها غير منصرم  
كان صالحهم يوماً وعاديتهم في صدر ذا اللست لم يقعد ولم يقم  
كنا نظن — وبعض الظن مائة — بأن ذلك جمع غير منصرم  
فقد وقعت وقوع النسرة (١٠) خاتمهم من كان مجتعماً في ذلك الرخم

(١) س : « بالقرب » وما هنا يتفق مع ( الروضتين ، ج ١ ، ص ٢٢٦ ) و ( النكت ، ص ٣٥ )

(٢) ما بين الحاصرتين عن س و ( النكت ، ص ٣٤ ) .

(٣) س ( ٤٧ ب ) : « مقام » ، وما هنا يتفق ونس الروضتين و ( النكت ، ص ٣٦ )

(٤) في الأصل : « ينسا » و « العلا » .

(٥) في س : « يقصر » ، وفي الروضتين : « فتخبوا » ، وما هنا يتفق ونس النكت

(٦) س : « يجرى » وما هنا يتفق ونس ( الروضتين ) و ( النكت ، ص ٣٦ ) .

(٧) كذا في الأصل ، وفي ( النكت ، ص ٦٩ ) : « ينالون » .

(٨) انظر ماقات ص ١٥٦ ، هامش ٢

(٩) انظر ماقات ص ٢ ، هامش ١

(١٠) س ( ٤٧ ب ) : « الفر » . وما هنا يتفق ونس ( الروضتين ) و ( النكت ، ص ٦٩ )



ولم يكونوا عدواً ذلَّ جانبه (١) وإعما غرقوا في سنيك العريم  
وما قصدتُ بتعظيمي عداك (٢) سوى تعظيم شأنك ، فاعذرتني ولا تلم  
ولو شكرتُ ليايهم محافظة لمدها لم يكن بالمهدر من قدم  
ولو فتحتُ في يوماً بدمهم لم يرض فضلك إلا أن يسد في  
والله يأمر (٣) بالإحسان عارفة منه ، وينهى عن الفحشاء في الكلام  
[ ١٥٢ ] قال : فشكرني شاوور وأبناؤه على الوفاء لبني رزيك .

### ذكر ورود الرسالة النورية إلى صلاح الدين

كما قد ذكرنا (٤) أن نور الدين - رحمه الله - سبَّ موقق الدين خالد بن  
القيسراي إلى صلاح الدين في منى الحمل إلى الشام ورفع (٥) أوراق بالأعمال المصرية ،  
ولما وصل (٦) إلى صلاح الدين ، وأنهى (٧) إليه رسالة نور الدين أطله  
[صلاح الدين] (٨) على أحوال البلد ، وقال (٩) : « هؤلاء الأجناد ، فأعرضهم وأثبت

(١) س : « جانبهم » وما هنا يتفق ونس ( الروضتين ، ج ١ ، ص ٢٢٦ ) و ( النسكت ، ص ٦٩ ) .

(٢) س : « عدك » وما هنا يتفق ونس ( الروضتين ، ج ١ ، ص ٢٢٧ ) ، و ( النسكت ، ص ٧٠ ) : « سواك سوى » .

(٣) في الأصل ، وفي س : « ماسر » والتصحيح عن : ( الروضتين ، ج ١ ، ص ٢٢٧ ) و ( النسكت ، ص ٧٠ ) .

(٤) أنظر ما فات هنا ، ص ٢٢٢

(٥) س ( ١٤٨ ) : « ووقع » .

(٦) س : « ورد » .

(٧) في الأصل ، وفي س : « أنها » بالألف .

(٨) ما بين الحاصرتين عن س .

(٩) ينقل ابن واصل هنا باختصار عن ( البرق الشامي للمهاد ) أنظر نصه في : ( الروضتين ، ج ١ ، ص ٢١٩ ) وفي نفس المرجع والصفحة رواية أخرى لأبن أبي طي ، آثرنا نقلها هنا لأهميتها وللمقارنة ، وهي : « قال ابن أبي طي : وفي هذه السنة وصل رسول نور الدين -

أخيارهم ، وما يُضبط مثلُ هذا الإقليم العظيم إلا بالمال العظيم ، ثم أنت تعرف مصر وعظماؤها ، وأنهم معتادون النعمة الواسعة ، وقد تصرفوا في أماكن لا يمكن انتزاعها منهم ، ولا يسمحون بأن يُنقص من ارتفاعها ؛ ثم أخذ [ صلاح الدين ] <sup>(١)</sup> في جمع مال يرفعه [ إلى نور الدين ] <sup>(١)</sup> ، وحصل لخالد من الأموال ما لم يكن في خلدته . ثم اتفقت وفاة نور الدين — رحمه الله — فكان ما سنذكره إن شاء الله تعالى .

## ذكر وفاة الملك العادل نور الدين

ابن زنكي بن آق سنقر — رحمه الله تعالى —

كنا ذكرنا أن نور الدين كان قد عزم على التجهز للدخول إلى الديار المصرية لأخذها من صلاح الدين ، فإنه رأى منه فتوراً في قصد الفرنج من ناحيته ، <sup>(٢)</sup> وكان يعلم <sup>(٢)</sup> أنه إنما يمتنع صلاح الدين من الغزو للخوف منه والاجتماع به ، وأنه يؤثر

— الوفاق بن القيسرائي إلى الديار المصرية ، واجتمع بالسلطان الملك الناصر ، وأنهى إليه رسالة نور الدين ، وطالبه بحساب جميع ما حصله وارتفع إليه من الغل فصعب ذلك على السلطان ، وأراد شق المعصي ، لولا ما تاب إليه من السكنية والمقل ، فأمر بعمل الحساب ، وعرضه على ابن القيسرائي ، وأراه جرائد الأجناد بمبالغ إقطاعهم ، وتعيين جامعياتهم ، ورواتب نفقاتهم ، فلما حصل عنده جميع ذلك أرسل منه هدية إلى نور الدين مع الفقيه عيسى . إلخ . ثم نقل ابن أبي طي بعد ذلك ثبنا بمفردات هذه الهدية التي أرسلها صلاح الدين إلى نور الدين ، ولهذا التبت أهميته لأن ابن أبي طي نقله كما ذكر من « خط الوفاق بن القيسرائي » ، ثم عقب عليه بقوله : « وخرجوا بهذه الهدية فلم تصل إلى نور الدين ، لأنهم اتصل بهم وقته ، فلما أعيد ، ومنها ما استهلك ، لأن الفقيه عيسى وابن القيسرائي وضعوا عليهم من نعمهم ، واستبدوا بأكثرها ، وقيل إنها وصلت جميعها إلى السلطان ، لأنه اتصل به خبر موت نور الدين ، فأتقذ من ردها ، قال : وحدثني من شاهد هذه الهدية أنه كان معها عشرة صناديق مالا لم يعلم مقداره » : انظر ( الروضتين ، ج ١ ، ص ٢١٩ ) .

(١) ما بين الحاصرتين عن س .

(٢) مكان هذين اللفظين في س : « وذلك » — والمؤلف ينقل هنا عن ( ابن الأثير : الكامل ، ج ١١ ، ص ١٥١ ) ، ولاحظ أن المصدر الأول لأخبار النفرة بين نور الدين وصلاح الدين هو ابن الأثير ، وهو يكرر الفكرة ويؤكددها كلما سنحت له فرصة .

كون الفرنج<sup>(١)</sup> في الطريق ليمتنع بهم على نور الدين ، فأرسل نور الدين إلى الموصل وبلاد الجزيرة وديار بكر وغيرها يطلب المساكن للفرزاة ، وكان عزمه أن يترك<sup>(٢)</sup> العساكر مع ابن أخيه سيف الدين غازي بن مودود بن زنكي — صاحب الموصل والشام<sup>(٣)</sup> — ، ويسير هو بمسكوه إلى مصر ، فعاقه القدر المحتوم عن قصده .

ولما كان يوم عيد الفطر من هذه السنة — أعنى سنة تسع وستين وخمسة — أمر نور الدين — رحمه الله — بتطهير ولده الملك الصالح إسماعيل ، فاحتفل لهذا الأمر ، وزينت دمشق أياما ، وهناه كاتبه عماد الدين الأصفهاني بقصيدة أولها :

عيدان : فِطْرٌ وَطَهْرٌ      فَتَحَ قَرِيبٌ وَنَصْرٌ  
كلامها لك فيه      حَقًّا هِنَاءٌ (٤) وَأَجْرٌ  
[١٥٣]      نَجَلٌ عَلَى الطَّهْرِ نَامُ      زَكَاهُ مِنْكَ نَجْمٌ (٥)  
عمودُ الملكِ العادِ      لُ الكَرِيمِ الأَعْرُ  
وبابنه (٦) الملكِ الصا      لِح العيونِ (٧) تَقْرُ  
مولى به اشتدَّ للدينِ      والشريعةِ أَرْزُ  
نورٌ تَجَلَّى (٨) عيانًا      ما دَوَّهَهُ اليَوْمَ سِتْرُ

(١) صيغة س : « وأنه يؤثر الفرنج كونهم في الطريق » .  
(٢) في الأصل : « ينزل » والتصحيح عن المرجع الذي ينقل عنه هنا حرفيا وهو ( السكامل لابن الأثير ) .  
(٣) في الأصل : « بالشام » والتصحيح عن ابن الأثير .  
(٤) في الأصل ، وفي س : « حق هناك » ، والتصحيح عن : ( الروضتين ، ج ١ ، ص ٢٢٧ ) .  
(٥) كذلك في الأصل وفي الروضتين ؛ وفي س : « طر » .  
(٦) س : « ونابيه » .  
(٧) في الأصل : « للعيون » وفي س : « به العيون » والتصحيح عن الروضتين .  
(٨) في الأصل وفي س : « تجلا » .

أَضَحَّتْ مَسَاعِيكَ غُرًّا كَمَا أَيَادِيكَ غُرُرًا (١)  
وَكَلُّ قَصْدِكَ رُشْدٌ وَكَلُّ فِعَالِكَ بَرٌّ  
وَإِنَّ حُبَّكَ دِينٌ وَإِنْ بُغْضَكَ كُفْرٌ  
لَنَا بِيَمِينِكَ يُمْنٌ كَمَا بِيَمِينِكَ يُسْرٌ  
وَلِلْمَوَالِبِينَ نَفْعٌ وَلِلْمَعَادِينَ ضُرٌّ

[ ومنها يقول ] (٢) :

تَمَلَّ تَطْهِيرَ (٣) مَلِكٍ لَهُ الْمُلُوكُ تَجْرِ (٤)  
وَكَيْفَ يُعْمَلُ لِلْعَالِيَةِ هَرِ الْمُطَهَّرِ طَهْرٌ  
يُزْهِى سَرِيرٌ وَتَاجٌ بِهِ وَدَسْتُ وَصَدْرٌ  
هَذَا الطَّهْوَرُ ظَهْوَرٌ (٥) عَلَى الزَّمَانِ وَأَمْرٌ  
وَذَا الْخَلْقَانِ (٦) خِتَامٌ بِمَسِكَ طَابَ نَشْرٌ  
رَزَقَتْ عُرًّا طَوِيلًا مَا طَالَ لِلدَّهْرِ عُمْرٌ

وفي يوم العيد — وهو في يوم الأحد — ركب نور الدين على الرسم المعتاد إلى الميدان الأخضر الشمالي بدمشق لطمع (٧) الخلق ، ورمى القيقق (٨) ، وأمر فضربت

- (١) في الأصل ، وفي س : « غر » ، وما هنا عن الروضتين .  
(٢) ما بين الحاصرتين عن س ؛ وانظر القصيدة كاملة في : (الروضتين ، ج ١ ، ص ٢٢٧)  
(٣) س : « بتطهير » .  
(٤) س : « تجر » .  
(٥) في الأصل : « طهور » وفي س : « ظهوراً » والتصحيح عن الروضتين .  
(٦) س : « الختام » .  
(٧) في الأصل . وفي س (١٤٩) : « ليطمن » والتصحيح عن الروضتين ، وقد نقل صاحب الروضتين (ج ١ ، ص ٢٢٧) خبر هذا اليوم عن المهاد الكاتب بألفاظه ووجه السجوة ، وابن واصل مختصر هنا نص المهاد .  
(٨) القيقق : أو القياق — لغة تركي ، منناه لغة نبات القرعة العسلية (une courgette) ومعناه اصطلاحاً الهدف الذي كان يستعمل في اللعبة التي هرفت في الشرق في المصور الوسيط =

له خيمة في الميدان القبلي الأخضر ، وأمر بوضع المنبر ، وخطب القاضي شمس الدين ابن الفراش (١) — قاضي المسكر — بعد أن صلى به ، ثم مدَّ السباط العام ، وأنبه على عادة الترك ، وعاد [ نور الدين ] إلى القلعة ، ومدَّ خواتمه الخاص .

وفي غد هذا اليوم — وهو يوم الاثنين [ ١٥٤ ] [ ثاني شوال ] — ركب في خواصه وأصحابه ، ودخل الميدان والأمير همام الدين مودود (٢) — وهو من أكبر أمرائه — يسايره ، فقال لنور الدين : « هل نكون هنا في مثل هذا اليوم في العام القابل ؟ » . فقال نور الدين : « قل هل نكون هنا بعد شهر ؟ فإن السنة بعيدة » فجرى على منطقتها (٣) ما جرى به القدر السابق ، فإن نور الدين لم يصل إلى آخر الشهر ، وهمام الدين لم يصل إلى آخر العام .

= بنفس الاسم — القبق — ، وكان طريقة لعب القبق كما وصفها (Dossy: Supp. Dict. Arab) أن ينصب صار طويل من خشب ، يكون في رأسه شكل قرعة من ذهب أو فضة بمثابة الهدف ، ويكون في القرعة طير حمام ، ثم يأتي اللاعبون للعبارة في رمي الهدف بالنشاب أو السهام وم على ظهور الخيل ، فن أصاب منهم القرعة وأطار الحمام حاز السباق وأخذ القرعة الممدنية لنفسه . غير أن ( المقریزی : الحطاط ، ج ٣ ، ص ١٨٠ ) وصف هذه اللعبة وصفا يختلف عن الوصف السابق بمض الشيء ، ويبدو أن وصف المقریزی هو الذي يعنيه المتن هنا ، فنص المتن : « اطعن الحلق ، ورمى القبق » . والمقریزی يقول : « والقبق عبارة عن خشبة طالية جدا ، تنصب في براح من الأرض ، ويمتلأ بأعلاها دائرة من خشب وتقف الرماة بقصها وترمي بالسهام جوف الدائرة لكي تمر من داخلها إلى غرض هناك ، ممرينا لهم على إحكام الرمي ، ويدير عن هذا بالقبق في لغة الترك » . ثم تحدث بعد ذلك في نفس الجزء والصفحة عن الميدان الذي كان بالقاهرة في العصر المملوكي لهذه اللعبة ، ويسمى « ميدان القبق » . انظر أيضا ( المقریزی : السلوك ، ج ١ ، ص ٥١٨ ، حاشية رقم ٦ للدكتور زيادة ) .

- (١) كذا في الأصل ، وفي س ، وفي الروضتين نقلًا عن المهاد : « ابن القدم » .
- (٢) عرف به صاحب الروضتين ( ج ١ ، ص ٢٢٨ ) نقلًا عن المهاد ، قال : « وكان قديما في أول دولته ( أي دولة نور الدين ) وإلى حلب » .
- (٣) س : « منطقتة » ، [ وما هنا يتفق ونص ( الروضتين ، ج ١ ، ص ٢٢٨ ) وهو الصحيح كما يدك عليه المتن فيما يلي .

ثم شرع نور الدين باللعب بالكرة مع خواصه ، فاعترضه برتقش — أمير آخر —  
وقال له : « باش » ، فحصل عنده غيظ على خلاف عادته في الكرم والحلم ، فزجره وزيره ،  
ثم ساق ودخل القاعة ، ولم يخرج منها إلا ميتا ، وأصابته (١) علة الخوانيق ، فبقي أسبوعاً  
في منزله مشغولاً بالنازلة التي نزلت به ، والناس مشغولون بزينة الختان والفرح ،  
وبالبلد مزين لظهور الملك الصالح ، فما انتهت الأفراح إلا بحلول المصيبة به رحمه الله .

وأشار عليه الأطباء بالفصد فامتنع ، وكان مهيباً فما روجع ؛ وحكى الطبيب  
جمال الدين الرحبي (٢) الدمشقي قال : « استدعاني نور الدين في مرضه الذي توفي فيه  
مع غيري من الأطباء ، فدخلنا عليه وهو في بيت صغير بقاعة دمشق ، وقد تمكنت  
الخوانيق به وقارب الهلاك ، فلا يكاد يُسمع صوته ، فقلت له : كان ينبغي  
أن لا يؤخر إحضارنا إلى أن يشتد بك المرض إلى هذا الحد ؛ فالآن ينبغي أن تنتقل  
إلى مكان فسيح فله أثر في هذا المرض ، وشرعنا في علاجه فلم ينفع فيه الدواء ،  
وعظم الداء ، ومات عن قريب » .

قال عماد الدين القاسم (٣) : « كان لنور الدين — رحمه الله — صفة (٤)

(١) ص (١٤٩) : « وكان سببه أنه أصابته . . الخ » .  
(٢) هو جمال الدين عثمان بن يوسف بن حيدرة الرحبي ، ولد ونشأ في دمشق ، وكان كما  
يذكر ( ابن أبي أصيبعة : طبقات الأطباء ، ج ٢ ، ص ٢٠١ ) : أوحده زمانه ، اشتغل  
بصناعة الطب على والده وعلى غيره ، وأتقنها إتقاناً لا مزيد عليه ، وخدم في البهارستان الكبير  
الذي أنشأه نور الدين وبقي به سنين ، وكان يحب التجارة ويمانها ويسافر بها في بعض  
الأوقات إلى مصر ، ويأتي من مصر بتجارة ، ولما وصلت النثر إلى الشام في سنة ٦٥٧ هـ توجه  
إلى مصر وأقام فيها ، ثم مرض وتوفي بالقاهرة في سنة ٦٥٨ هـ .

(٣) روى هذا الخبر أيضاً عن العماد صاحب الروضتين ( ج ١ ، ص ٢٢٨ ) .  
(٤) جاء في ( اللسان ) : صفة البنيان طرته ، ومن معانيها في ( محيط المحيط ) : السطحة  
المرتفعة تستعمل للجلوس عليها ، وهذا هو المعنى المقصود هنا ، ومن هذا اللفظ أخذت الكلمة  
الانجليزية ( sofa ) فقد ذكرت المعاجم الإنجليزية أنها من أصل عربي وأن معناها الأريكة أو المقعد  
الطويل ذي الظهر واليدين ( a long seat with stuffed bottom, back, and arms ) .  
انظر أيضاً : ( القرظي : السلوك ، ج ١ ، ص ٤٨٧ ، هامش ٢ و Twentieth Century  
Dictionary .

في الدار التي على النهر الداخل إلى القلعة من الشمال ، وكان جلوسه على تلك الصفة  
في أكثر (١) الأوقات ، فلما جاءت سنة الزلزلة بنى بإزاء تلك الصفة بيتاً من الأخشاب ،  
وهو بيت فيه [ ١٥٥ ] ويصبح ، ويخلو بعبادته ، فُدفن في ذلك البيت الذي اتخذ  
حجى من الحمام ، وكانت وفاته يوم الأربعاء حادي عشر شوال من هذه السنة  
— أعني سنة تسع وستين وخمسة — .

وكان صلاح الدين قد استشر بقصد نور الدين له ، فحكي عنه القاضي بهاء الدين  
ابن سُرار — قاضي حلب رحمه الله — قال : « كان يبلغنا عن نور الدين أنه ربما  
قصدنا بالديار المصرية ، وكانت جماعة أصحابنا يشيرون بأن (٢) نكاشف ويخالف  
ونشق عصاه ونلقى عسكره بمصاف نرده (٢) إذا تحقق قصده ، وكنت أنا وحدي  
أخالفهم وأقول : لا يجوز أن يقال شيء من ذلك ، ولم يزل النزاع بيننا حتى ورد  
الخبير بوفاته — رحمه الله — . »

قلتُ : ودفن نور الدين — رحمه الله — بالقلعة مدة ، ثم نقل إلى مدرسته  
التي أنشأها بدمشق ، ودفن بها (٣) ، وقبره بها معروف يزار .

صفته وسيرته — رحمه الله —

كان أصغر طويل [ القامة (٤) ] ليس له لحية إلا في حنكه (٥) ، وكان واسع  
الجبهة ، حسن الصورة ، حلوا المينين .

(١) س : « جميع الأوقات » ، والروستين : « جميع الأحوال » .  
(٢) الأصل : « يكاشف ويخالف ويشق عصاه ويلقى عسكره بمصاف نرده » ، والتصحيح  
عن ( ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٣٧ ) .  
(٣) هذان اللفظان ساقطان من س : « ... » .  
(٤) ما بين الحاصرتين عن س : وهذا الوصف منقول عن ( ابن الأثير ، ج ١١ ،  
ص ١٥١ ) ، وعنه نقل أيضاً صاحب الروستين ( ج ١ ، ص ٢٢٨ — ٢٢٩ ) .  
(٥) س : « لإقليل شمرات في ذقنه » ، وما هنا يتفق مع الأصل المنقول عنه ، وهو ابن الأثير ،  
كما أنه يتفق أيضاً ونس الروستين .

وكان مولده سنة إحدى عشرة وخمسة ، فكان عمره قريباً من ثمان وخمسين سنة .

وأما سيرته — رحمه الله — في عدله وزهده<sup>(١)</sup> ، وخوفه من الله تعالى ، وجهاده لعدو الدين ، وصدقاته ومعروفه وإحسانه ، وابتغائه لثواب الله تعالى ولدار الآخرة ، فهو أشهر من أن يذكر ، فإني لا أعلم ملكاً بعد الخلفاء الراشدين اجتمع فيه من الصفات الجميلة مثل ما اجتمع فيه — رحمه الله — ؛ ولذا كر ما نُقل إلينا من أخباره مما يستدل به على ما ذكرناه ، وإن كان قد بلغ في الوضوح والشهرة إلى حد التواتر .

وأما زهده فالشهور عنه أنه كان لا يأكل ولا يلبس ولا يتصرف إلا فيما يخصه من ملك كان قد اشتراه من سهمه من الغنيمة ، ومن الأموال المرصدة لصالح المسلمين ، يُحضر الفقهاء ويستفتيهم في أخذ ما يحلُّ له من ذلك ، فيأخذ ما يفتونه بحله ، ولا يتعداه إلى غيره ، ولم يلبس حريراً ولا ذهباً ولا فضة ، ومنع من شرب الخمر في جميع بلاده ، ومن إدخالها إلى بلد ما ، وكان يحجُّ<sup>(٢)</sup> [ ١٥٦ ] شاربها الحد الشرعي ، وكل الناس عنده فيه سواء .

وحدث شخص كان رضيع الخاتون ابنة مدين الدين أن زوجته نور الدين — وكان وزيرها — ، قال : «<sup>(٣)</sup> كان نور الدين إذا جاء إليها يجلس في المكان المختص به ، وتقوم في خدمته لا تتقدم إليه إلا أن يأذن في أخذ ثيابه عنه ، ثم تعزل عنه إلى المكان الذي يختص بها ، وينفرد هو ، تارة يطالع رقع أصحاب الأشغال ، أو مطالمة

(١) في الأصل : « ورده » وما هنا عن س ( ٤٩ ب ) .

(٢) س : « بجهد » .

(٣) هذه الأخبار عن نور الدين وسيرته منقولة عن : ( الروضتين ، ص ٦ وما بعدها ) . انظر أيضاً : ( ابن الأثير : الكامل ، ج ١١ ، ص ١٥١ — ١٥٢ ) و ( سبط ابن الجوزي : سيرة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ٣٠٧ وما بعدها ) .



كتاب آتاه ويحجب عنه ، ويصلى ويطيل الصلاة ، وله أوراد في النهار ، فإذا جاء الليل وصلى العشاء ونام يستيقظ نصف الليل ، ويقوم إلى الوضوء والصلاة إلى بكرة ، فيظهر للركوب ويشغل بمهام الدولة ؛ قال : فإنها قلت عليها النفقة ، ولم يكفها ما كان قرره لها ، فأرسلتني إليه أطلب منه زيادة في وظيفتها ، فلما قلت له تنكر واحمر وجهه ثم إنه قال : من أين أعطيها ، أما يكفيها مالها (١) ؟ والله لا أخوض نار جهنم في هواها ، وإن كانت تظن أن الذي بيدي من الأموال هو لي فبئس الظن ، إنما هي أموال المسلمين مرصدة لمصالحهم ، ومعدة لفتق إن كان من عدو الإسلام ؛ وأنا خازن (٢) عليها فلا أخونهم فيها ، ثم قال : لي بمدينة حمص ثلاثة (٣) دكاكين ملكا (٤) قد وهبتها إياها ، فلتأخذها ؛ وكان يحصل منها قدر قاييل .

وكان (٥) له صديق بالجزيرة من الصالحين ، وكان نور الدين يكتبه ويراسله ويرجع إلى قوله ، فبلغه أن نور الدين يدمن اللعب بالكرة ، فكتب إليه يقول له : « ما كنت أظنك تلهو وتلاعب وتعذب الخليل لغير فائدة دينية » ؛ فكتب إليه نور الدين بخط يده يقول له : « والله ما حملني على اللعب بالكرة اللهو والبطر ، إنما نحن في ثغر ، والمدو قريب منا ، وبيننا نحن جلوس إذ يقع صوت فنركب في الطلب ، ولا يمكننا أيضاً ملازمة الجهاد ليلاً ونهاراً ، شتاءً وصيفاً ، إذ لا بد من الراحة للجند ، ومتى تركنا الخليل على مرايتها صارت جماماً لا قدرة لها على إدمان

(١) في الأصل : « ما يكفيها » والتصحيح عن س بهد مراجعة الروضتين .

(٢) كذا في الأصل ، وفي س ( ٥٠ ب ) وفي الروضتين : « خازنهم » .

(٣) في الأصل : « ستة » ، والتصحيح عن س ، و ( الروضتين ، س ٦ ) و ( مرآة الزمان ، س ٣٠٧ ) .

(٤) في الأصل ، وفي س : « مك » والتصحيح عن الروضتين .

(٥) قبل هذا الخبر في س : « وقال أيضاً هذا الشخص ، وكان رضيع زوجة نور الدين ووزيراها » ، مما يفيد أنه ينقل هذا الخبر عن رضيع زوجة نور الدين ، أما صاحب الروضتين فيرويه منسوبا إلى ابن الأثير وإنما مع اختلاف يسير في النص .

السير في الطلب ، ولا معرفة لها بسرعة الانعطاف في الكر والفر في المعركة ، فنحن نركبها ونروضها بهذا اللعب ، فيذهب عنها جامها ، وتتهود [ ١٥٧ ] سرعة الانعطاف والطاعة لراكبها في الحرب ، فهذا والله هو الذي يبعثنى على اللعب بالكرة .

وحمل إليه من مصر عمامة من التصب الرفيع مذهبة ، فلم يحضرها عنده ، فوصفت له ، فلم يلتفت إليها ، وبينما هم معه في حديثها إذ قد جاءه رجل صوفى ، فأمر بها له ، فقيل له : « إنها لا تصالح لهذا الرجل ، ولو أعطى غيرها كان أنفع له <sup>(١)</sup> » ، فقال : أعطوها له ، فإني أرجو أن أعوض عنها في الآخرة ، فسلمت إليه ، فسار بها إلى بغداد ، فأباعها بستمائة دينار مصرية <sup>(٢)</sup> ، أو سبعمائة دينار <sup>(٣)</sup> .

وأما <sup>(٤)</sup> عدله فذكر أنه كان بدمشق ياعب بالكرة فرأى إنسانا يتحدث آخر ويشير بيده <sup>(٥)</sup> إليه ، فأرسل إليه وسأله عن حاله ، فقال : « لى مع الملك العادل حكومة ، هذا غلام القاضي ليحضره إلى مجلس الحكم يحاكنى على الملك الفلانى » ،

(١) كذا في الاصل ، وفي الروضتين ، وفي س : « كل أصوب » .

(٢) كذا في الاصل ، وفي س ؛ وفي الروضتين : « أميرى » .

(٣) وقد عقب صاحب الروضتين ( من ٦ ) على هذا الخبر بقوله : « قلت : قرأت في حاشية هذا المكان من كتاب ابن الأثير بخط ابن المصلى إياها ، قال أعطاها لشيخ الصوفية عماد الدين أبي الفتح ابن حوية بنير طلب ولا رغبة ، فبمها إلى همدان فبيعت بألف دينار » . انظر أيضاً : ( امرأة الزمان ، من ٣٠٨ ) .

(٤) روى صاحب الروضتين ( من ٧ ) هذا الخبر وغيره منسوبا إلى ابن الأثير ، وقد رجعنا إلى تاريخه الكامل فلم نجد هذه الأخبار به ، والرجح أنها نقلت من كتاب آخر لابن الأثير عن نور الدين ردولته عنوانه « الباهر » فقد قال ابن الأثير عند ترجمته لنور الدين في الكامل : « وقد طالعت سير الملوك المتقدمين فلم أر فيها بعد الحفاه الراشدين ومحمد بن عبد العزيز أحسن من سيرته ، ولا أكثر تحريما منه فمدك ، وقد أئينا على كثير من ذلك في كتاب ( الباهر ) من أخبار دولتهم ، ولذا كرها هنا نبذة لعل يقف هايجا من له حكم يقنندى به . . . إلخ » . والذي أرجحه أن ( الباهر ) عنوان آخر لكتاب ابن الأثير المعروف « تاريخ أتابكة الموصل » .

(٥) كذا في الأصل ، وفي س « به » ، والتصحيح عن ( الروضتين ) .

فعاد إليه ، ولم يتجاسر يعرفه ما قال ذلك الرجل ، وكتفه ذلك الأمر ، فلم يقبل منه [ نور الدين ] غير الحق ، فذكر له قوله ، فألقى الجوكان (١) من يده ، وخرج من الميدان ، وسار إلى القاضي ، وهو إذ ذاك كمال الدين بن الشهرزوري ، وأرسل [ نور الدين ] إلى القاضي يقول له : « إني قد جئت محاكاً ، فاسلك معي مثل ما تسلكه مع غيري » ، فلما حضر ساوي خصمه وحاكمه ، فلم يثبت عليه حق ، وثبت الملك لنور الدين ، فقال نور الدين حينئذ للقاضي ولمن معه : « هل ثبت له عندي حق ؟ » . فقالوا : « لا » ، قال : « اشهدوا أني قد أوهبته هذا الملك الذي حاكمني عليه ، وهو له دوني ، وقد كنت أعلم أنه لا حق له عندي ، وإنما حضرت معه لئلا يظن أني ظلمته ، فحين ظهر أن الحق لي وهبته له » .

وذكر (٢) أنه دخل يوماً إلى خزانة بيت المال ، فرأى فيها مالاً أنكره ، فسأل عنه ، فقيل : إن القاضي كمال الدين أرسله ، وهو من جهة كذا ، فقال : « إن هذا المال ليس لنا ولا لبيت المال في هذه الجهة شيء » ، وأمر برده وإعادته إلى كمال الدين ليرده إلى صاحبه ، فأرسله متولى الخزانة إلى كمال الدين ، فردّه إلى الخزانة ، وقال : « إذا سألك الملك العادل عنه فقل (٣) له عني إنه له » ، فدخل نور الدين إلى الخزانة مرة أخرى ، فرآه ، فأنكره على الدواب (٤) ، وقال : « ألم أقل

(١) الجوكان كلمة فارسية معناها المحجن أو العصا أو الصولجان الذي تضرب به السكره في اللعبة التي كانت تعرف باسم «السكره والصوالجة» والتي تعرف الآن باسم «البولو Polo» ؛ وكانت الجوكان عصي مدهونة طولها نحو من أربعة أذرع ، ورأسها خشبية مخروطية مقوفة تزيد نصف ذراع . وكان حامل الجوكان للسلطان يسمى «الجوكندار» . أنظر : (أحد تيمور باشا : لعب العرب ، ص ٥٥) و (صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٥٨) و (القريري : السلوك ، ج ١ ، ص ٤٣٥ ، هامش ١) و (Dozy : Supp. Dict. Arab) .  
(٢) هذا الخبر يرويه أبو شامة في (الروضتين ، ص ٧) أيضاً عن ابن الأثير ، ولا وجود له في السكامل .

(٣) في الأصل : « فقول » .

(٤) كذا في الأصل ، وفي الروضتين ، وفي س : « على متولى الخزانة » .

لكم إن المال [١٥٨] يعاد إلى أصحابه ؟ فذكروا له قول كمال الدين ، فرده إليه ، وقال للرسول : « قل لكمال الدين : أنت تقدر على حمل هذا ، وأما أنا فربقي رقيقة لا أطيق حملها والمخاصمة عليه بين يدي الله تعالى ؛ يُماد ، قولاً واحداً » . فأعاده (١) .

ونور الدين — رحمه الله — أول من بنى دار الكشف ، وسماها دار العدل ، وكان سبب بنائها أنه لما طال مقامه بدمشق ، وأقام [بها] (٢) أمراؤه — وفيهم أسد الدين شيركوه بن شاذي ، وكان قد عظم شأنه حتى صار كأنه شريك له في الملك — ، فاقتنوا الأملاك ، وأكثروا ، وتعدى كل واحد منهم على من يجاوره في قرية أو غيرها ، فكثر الشكاوى إلى القاضي كمال الدين ، فأ نصف بعضهم من بعض ، ولم يقدم (٣) على الإنصاف من أسد الدين شيركوه ، فأنهى الحال إلى نور الدين ، فأمر حينئذ ببناء دار العدل ، فلما سمع أسد الدين بذلك أحضر نوابه جميعهم ، وقال : « اعلموا أن نور الدين ما أمر ببناء هذه الدار إلا ببني وحدي ، وإلا من هو الذي يمتنع على كمال الدين ؟ والله لئن أحضرت إلى دار العدل بسبب أحدكم لاصلبته ؛ فامضوا إلى من كان بينكم وبينه منازعة في ملك (٤) ، فافصلوا الحال معه وأرضوه بأي شيء أمكن ، ولو أتى ذلك على جميع ما أملك » ، فقالوا له : « إن الناس إذا عدلوا بهذا اشتطوا في الطلب » ، فقال : « خروج أملاك عن يدي أسهل علي من أن يراني نور الدين بعين أذى ظالم ، ويساوي بيني وبين آحاد العامة في الحكومة » ، فخرج أصحابه من عنده وقبلوا ما أمرهم ، وأرضوا خصائهم ، وأشهدوا عليهم .

(١) كذا في الأصل ، وفي الروضتين ، وفي س (٥١ ب) : « فأعاده إلى القاضي ، فرده القاضي على من أخذ منه » .

(٢) ما بين الحاصرتين عن س و (الروضتين ، ج ١ ، ص ٨) ، وقد ذكر صاحب الروضتين أنه نقل هذا الخبر عن ابن الأثير .

(٣) كذا في الأصل ، وفي الروضتين ، وفي س : « بقدر » .

(٤) في الأصل : « ذلك » وما هنا صيغة س (٥١ ب) ، والروضتين .

فلما فرغت دار العدل جلس نور الدين فيها لنصل [ الحكومات و ] (١)  
الخصومات ، وكان يجلس في الأسبوع يومين (٢) وعند القاضي والفقهاء ، وبقى كذلك  
مدة فلم يحضر أحد يشكو من أسد الدين ، (٣) فقال نور الدين لكمال الدين : « مالي  
لا أرى أحداً يشكو من شيركوه ؟ » فرَّقه الحال (٤) ، فوجد شكراً لله تعالى ، وقال :  
« الحمد لله الذي جعل أصحابنا ينصفون من أنفسهم قبل حضورهم عندنا » .

وحكى (٤) معين الدين محمد بن أحمد بن خالد بن محمد بن القيسراني ، قال :  
« انكسر على ضامن (٥) دار الزكاة [ ١٥٩ ] مال جم ، وكان الضامن المذكور يُعرف  
بأبن شمام (٦) المحالي ، فحبس ، فباع ما كان يملكه من عقار بما بلغه ثمانية آلاف  
دينار صورية (٧) ، وحمله إلى الخزانة ، وبقى في الحبس مطالباً بما بقي عليه .

(١) في الأصل : « لفصل الخصومات » ، وفي الرضتين « لفصل الحكومات » وما هنا صيغة من .  
(٢) النص في : ( سبط ابن الجوزي : سرة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ) : « فكان نور الدين  
يقعد في دار العدل في كل أسبوع أربعة أيام أو خمسة ، ويحضر عنده العلماء والفقهاء ، ويأمر  
بإزالة الحاجب والبواب ، ويوصل إليه الشيخ الضيف والمجوز الكبيرة ، ويسأل الفقهاء  
عما أشكل عليه » .

(٣) ما بين الرقين ساقط من س ، وإنما اختصره بقوله : « فلم الحال ، فسجد  
شكراً . . . الخ » .

(٤) أوجز صاحب الرضتين (ج ١ ، ص ١١) هذه القصة في كلمات قليلة جدا ، قال :  
« ورأى له وزيره موفق الدين خالد بن القيسراني الشاعر في منامه أنه ينسل ثيابه ، وقص ذلك عليه  
ففكر ساعة ، ثم أمره بكتابة إسقاط المكوس ، وقال : هذا تفسير منامك » . وهذا مثل  
يحمل لفرج الكروب مكانة خاصة لما يرويه من أخبار مفصلة عن مراجع سابقة لم تصلنا ، وقد  
أهملت المراجع المطبوعة ذكر هذه الأخبار أو نقلتها باختصار لا يفيد الباحث كثيراً .

(٥) انظر التعريف بوظيفة الضامن في : ( ابن ممتق : قوانين الدواوين ، طبعة الوطن ،  
ص ١٠ ) .

(٦) في س : ( ١٥٢ ) « شمام » .

(٧) لعل المقصود بالدينار الصورية : الدينار الصورية ، وقد عرفها ( القلقشندي : صبح  
الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٣٧ ) بأنها دنانير يؤتى بها من البلاد الأفرنجية والروم ، وهي دنانير  
مشخصة على أحد وجهيها صورة الملك الذي تقرب في زمنه ، وعلى الوجه الآخر صورنا بطرس  
وبولس الحواريين ، ويبر عنها أيضا : بالأفرنجية — جمع إفرنجي — ، وربما قيل « إفرنجية » .

قال [معين الدين] (١) : وكان جدي خالد بن محمد قريب المنزلة من نور الدين إلى الغاية ، وإليه استيفاء دوواينه بأسرها ، وكتابة الإنشاء ، وإمرة مجلسه (٢) ، وهو المشير والوزير ، والأمور كلها عائدة إليه ، فاتفق أنه حضر بين يدي نور الدين — رحمه الله — يوماً بدمشق ، وقال : يا مولانا ، رأيت البارحة في نومي كأن المولى قد نزع ثيابه ودفنها إلي ، وقال : اغسلها ، فأخذتها وغسلتها ، قال : فأطرق (٣) طويلاً ، ولم يرفع رأسه إلي ، فندمت على ما قلت ، وخفت أن يكون قد تطير مني ، وتوهم من منامي ، فخرجت من بين يديه وأنا كئيب ضيق الصدر ، فبقيت بعد ذلك ثمانية أيام لا يطلبني ولا يسأل عني ، فساء [ عند ذلك ] (٤) ظني ، وفرح من كان يحسدني ، وظن العدو أنه قد ظفر بي ، فدخل على نور الدين رجل من خواصه يعرف بالشيخ إسماعيل المسكبي (٥) ، وكان نور الدين يحبه ويقربه كثيراً ، فقال : يا مولانا ، قد حضر من زاد في دار الزكاة خمسة آلاف دينار في السنة ، فانهره ، وقال : قد أصبحت على سجادتي بعد أداء فريضتي أذكر الله تعالى ، واستفتحت أنت النهار تبشرني بزيادة مكس ، فوجم الشيخ إسماعيل وبقى ساكناً ، ثم قال : اطلبوا لي خالداً ، قال : فحضرت لديه (٦) ، فالتفت إلي متبسماً ، وقال لي : قد تفسر منامك ، فقلت بخير إن شاء الله ، فقال [ هو خير ] (٧) [ لا تظن تركي لك وعدم استحضاري إياك في هذه الأيام لموجدة عليك أو لوم حصل عندي من منامك ، بل كنت مفكراً في المذام حتى فتح الله سبحانه وتعالى علي بتأويله ، اعلم أن غسل

- (١) ما بين الحاصرتين عن س .  
(٢) في س : « وأمره بجلس نور الدين نافذ » .  
(٣) س : « فأطرق نور الدين ساعة لما سمع هذا اللئام ساعة طويلاً » .  
(٤) ما بين الحاصرتين عن س ( ١١٥٢ ) .  
(٥) في س : « اللبس » .  
(٦) في س ( ٥٢ ب ) : « فحضرت بين يديه وأنا خائفاً » .  
(٧) ما بين الحاصرتين عن س ( ١٥٢ ) .

التياب غسل أوساخ الذنوب ، ولا ذنب أوسخ (١) من تناول أموال المكوس ، فلا تترك من يومنا هذا في بلد من بلادى مكساً ولا درهماً تلم أنه يؤخذ بغير حق إلا أسقطته ، واكتب بذلك توابع تكون مخلدة في البلاد المذكورة ، والتفت إلى الشيخ إسماعيل وقال له : مر أطاق ابن شمام المحالى من محبسه ، ومر (٢) بإعادة كل ما أخذ منه إليه واسترجاع أملاكه ، [ ففعل ذلك (٣) ] ولما عرف ابن شمام المحالى بذلك [ ١٦٠ ] اقترح بأن يجمل الذهب الذى أخذ منه فى أطباق ويزف بالطبول والبوقات والمنيين فى الأسواق ، ليعلم الناس كلهم ذلك ، وقيل ذلك لنور الدين فأجابه إلى ما تمسه ، وأن يخاع عليه ، فلبس الخلعة ، وزف المال بين يديه على ما اقترح .

قال معين الدين : وكتب جدى خالد بذلك توابع ، وجهازها إلى البلاد ، ونسختها كلها :

بسم الله الرحمن الرحيم

« الحمد لله فتح أبواب الخيرات بعد إغلاقها ، وناهج سبل النجاة لطلابها وطواقمها ، وفارج الكربات بعد ارتاجها (٤) وإطباقتها ، الذى منح أوليائه التوفيق وأوضح لهم دليله ، ونصر أهل الحق وأعان قبيله ، نحمده على جزيل مواهبه وجليل رزائه ، وبالغ هدايته وسابغ وقايته ، ونسأله أن يصلى على سيدنا محمد الذى أوضح الطرائق ، وفرج المضايق ، وأنجب (٥) المحجة ، وأوجب الحججة ، وخفف الله ببعثه كل إصر ، وجعل أمته خير أمة وعصره خير عصر ، وعلى آله الأكرمين ما أسفر بدر وأنار فجر .

(١) س : « أتبع » .

(٢) س : « وأمر » .

(٣) ما بين الحاصرتين عن س .

(٤) فى الأصل : « ارتجاجها » ، وما هنا صيغة س .

(٥) س : « وأوضح » .

وبعد ، فقد اتضح على الأفهام ، وصح عند الخالص والعالم ، ما نفاديه ونراوجه ،  
ونماسيه ونصابعه ، ونشتغل به عامة أوقاتنا ، ونعمل فيه رويقتنا وأفكارنا ،  
ونسقنقذ بالاهتمام به ساعاتنا ولحظاتنا من الاجتهاد في إحياء سنة حسنة (١) ، يكون  
لنا أجرها وأجر من عمل بها ، وإماتة سنة سيئة نخاص من عظيم وزرها ووخيم  
خزيبها ، وإزالة مظلمة مظلمة وظل الجور أسامها ، وبحو سيرة مؤلمة أهرم الخفيف  
أمر اسمها ، ليعم الرعايا لباس (٢) الفضل والامتنان ، ويفيض على البرايا سجال العدل  
والإحسان ، ليصبحوا من حياض الأمن دارعين (٣) ، وفي رياض الدعة وادعين ،  
لا يجدون للنعم عندهم تبديلا ولا تغييرا ، ولا يرون لصافي شربهم تصريدا ولا تكديرا  
ولا يُظلمون فقيرا ، فما يسفر صبح ، ولا يعتك جنج ، إلا والله عايينا نعمة لا نستطيع  
الإحاطة بشكرها ، ولا نطيق قدرها لحق قدرها ، فيما يوقتنا له من فعل الخيرات ،  
ويلمنا إياه من إزالة المنكرات ، ويهدينا إليه من الأعمال الصالحات ، وينقذنا به من  
الموارد المهلكات ، ويوضحه لنا من الطريق إلى رضاه (٤) ، ويبعثنا (٥) به على الجد  
في عبادته [ ١٦١ ] وتقاه ، فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا  
أن هدانا الله .

وقد علمت معاشر الرعايا — وفقكم الله ورعاكم — ما كان مرتبا من المظالم  
المجحفة بأحوالكم ، والمكوس المستولية على شطر أموالكم ، والرسوم المضيقه عليكم في  
أرزاقكم ، والمؤن التي (٦) تساهمكم في منافع أملاككم ، واستمرار ذلك عليكم

(١) هذا اللفظ ساقط من س .

(٢) س : « بالناس » .

(٣) س : « دارعين » .

(٤) س : « لنا إلى طريق ضارة » .

(٥) س : « ويبعثنا به على عبادته ونفاه » .

(٦) س : ( ٣٠ ب ) : « الذي » .



إلى أن فوّض الله عز وجل إلينا تدبير أموالكم (١) ، واسترعانا على كبيركم وصغيركم ، فأمرنا بإزالة ذلك عنكم أولاً فأولاً ، ولم نبتغ في إقراره على وجوهه شبهة ولا تأولاً (٢) ، وقد كان بقي من رسوم الظلم ومعالم الجور في سائر الأعمال يولايقتنا ما أمرنا بإزالته الآن ، وأضفنا ذلك إلى ما كنا أسقطناه أولاً (٣) ، رأفة بكم ولطفاً ، وتحنفاً عليكم وعطفاً ، الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً ؛ وسندكر ما أزلناه من المظالم والمكوس أولاً وآخراً (٤) من سائر أعمال ولايتنا — عمرها الله — في هذا السجل من الديوان .

قال : ثم كتب بقلم دقيق ما صورته :

« ذكر ما أطلق من الرسوم والمؤون والمكوس والضرائب في سائر أعمال الولاية المحروسة — عمرها الله — شامياً وجزيرتها في تواريخ متقدمة (٣) وفي تواريخ هذا السجل ؛ ورسم إطلاق ذلك كله ، وتمفية آثاره ، وإخماد ناره .

ومبلغ ما يحصل من ذلك كل سنة : خمسمائة ألف وستة وثمانون ألفاً وأربعمائة وسبعون ديناراً نقداً ، الشام ، فمن ذلك :

دمشق — بتواريخ متقدمة [ ما هي في هذا الإطلاق (٤) ] : مائتا ألف ، وعشرون ألفاً ، وخمسمائة وثلاثة وثمانون ديناراً .

دمشق — في تواريخ هذا الكتاب — : خمسون ألفاً ، وسبعمائة وثلاثون ديناراً .

(١) س : «أمورك» .

(٢) في الأصل : « تأويلاً » وما هنا عن س .

(٣) لهذا السجل أهمية بالغة إذ لم أبد له ذكراً في المراجع الماصرة الأخرى ، وقد تضمن بياناً تفصيلياً هاماً بالمكوس التي أسقطها نور الدين في سنوات حكمه المختلفة ، وقد وردت في الروضتين إشارات متعددة لحركة إسقاط المكوس سنة بعد أخرى في عهد نور الدين ، انظر : (الروضتين ، ج ١ ، ص ١١ ، ١٥ ، ١٦) .

(٤) ما بين الحاصرتين عن س (٥٣ ب) .

تَدْمُرُ : (١) خمسمائة دينار .

صَرَّخُد : سبعمائة وخمسون ديناراً .

الْقَرِيَّتَانِ (٢) والسُّخْنَةُ : خمسمائة دينار .

بَانِيَّاس : ألف ومائتا دينار .

بَعْلَبِكِ وَأَعْمَالِهَا : ستة آلاف وتسعمائة (٣) وعشرون ديناراً .

حَمَصِ وَأَعْمَالِهَا : ستة وعشرون ألفاً وأربعمائة وعشرون ديناراً .

حَمَاةِ وَأَعْمَالِهَا : ستة وعشرون ألفاً ، واثنان وتسعون (٤) ديناراً .

حَلَبِ وَأَعْمَالِهَا : ستة وتسعون ألفاً ، ومائة (٥) وستة وثمانون ديناراً (٦) .

سَرِّمِينَ (٧) : ألفان ، وثلاثمائة وستون ديناراً (٦) .

مَعْرَةَ النَّمْعَانِ : سبعة آلاف دينار .

[ ١٦٢ ] كَفَرُ طَاب (٨) : ألفا دينار .

(١) هكذا ضبطها (ياقوت : معجم البلدان) وقال إنها مدينة قديمة مشهورة في بركة الشام بينها وبين حلب خمسة أيام .

(٢) قال (ياقوت) هي قرية كبيرة من أعمال حمص في طرف البرية ، بينها وبين سبخة وأرك ، وبينها وبين تدمر مرحلتان .

(٣) س : « سبعمائة » .

(٤) س : « وسبعون » .

(٥) س : « ومائتي » .

(٦) في الأصل : « دينار » .

(٧) هكذا ضبطها (ياقوت) ولم يرفها بأكثر من قوله : هي بلدة مشهورة من أعمال حلب .

(٨) بلدة بين المرة ومدينة حلب (ياقوت) .

- عزاز (١) : ستة آلاف ، وخمسمائة دينار .  
تل باشر (٢) : ألف وخمسمائة دينار .  
عين تاب : تسعة وثمانون دينار .  
بالس (٣) : أربعة آلاف دينار .  
منبج (٤) وأعمالها : ثمانية عشر ألفاً ، وخمسمائة وستة وستون ديناراً (٥) .  
بُزاعة (٦) والباب : ثلاثة آلاف دينار .  
قلعة بنجم (٧) : ثلاثمائة دينار .  
قلعة جعبر (٨) : سبعة آلاف ، وستمائة وستة وتسعون (٩) ديناراً .  
الرقّة : ستة وعشرون ألفاً ، وسبعمائة وثلاثة وستون ديناراً .  
الرّها : ثمانية آلاف ، وخمسمائة دينار .

- (١) انظر ماقات هنا ، ص ٤٠ ، هامش ٢  
(٢) انظر ماقات هنا ، ص ٤٣ ، هامش ١  
(٣) عرفها ( ياقوت : معجم البلدان ) بقوله : « هي بلدة بالشام بين حلب والرقّة ، كانت على سفة الفرات الغربية ، فلم يزل الفرات يشرق عنها قليلاً قليلاً حتى صار بينهما في أيامنا هذه أربعة أميال » .  
(٤) انظر ماقات هنا ، ص ١٥٣ هامش ٢  
(٥) في الأصل : « دينار » .  
(٦) انظر ماقات هنا ص ١٥٥ هامش ١  
(٧) عرفها ( ياقوت ) بأنها قلعة حصينة مطلة على الفرات محر جبل منحها ريش طاسر ، وعندها جسر يعبر عليه ، وهي المعروفة بجسر منبج ، ويمبر على هذا الجسر القوافل من حران الى الشام وبينها وبين منبج أربعة فراسخ .  
(٨) انظر ماقات هنا ، ص ١٧ ، هامش ٥  
(٩) ص : ( ١٥٤ ) : « وسبعون » .

- حرَّان : ستة عشر (١) ألف ، وستائة واحد وسبعون ديناراً .  
سِنْجَار (٢) : سبعة آلاف ، وثمانية دنانير .  
المَوْصِل وأعمالها : ثمانية وثلاثون ألفاً ، ومائة وستة وأربعون (٣) ديناراً .  
نصيبين : عشرة آلاف ، وأربعمائة وستة (٤) وثمانون ديناراً .  
عَرَبَان (٥) : خمسة آلاف وسبعمائة دينار .  
بُطْنان (٦) — من أعمال الخابور (٧) — : مائتان وخمسون ديناراً .  
تَبْنين (٨) والارسل (٩) : سبعمائة وخمسون ديناراً .  
السَّمْسَانِيَّة (٩) — من أعمال الخابور — : ألف دينار .

(١) س : « ستة آلاف » .  
(٢) انظر ما فات هنا ، ص ١١٨ ، هامش ١ .  
(٣) س : « الموصل وأعمالها : ثلاثون ألف دينار ، وستة وأربعون ديناراً » .  
(٤) س : « وأربعمائة وثمانون دينار » .  
(٥) في الأصل : « عربان » ، وهذا الرسم والضبط عن (ياقوت) حيث عرفها بأنها بلدة بالخابور من أرض الجزيرة .  
(٦) في الأصل : « بطانات » ، وهذا الرسم والضبط عن (ياقوت) حيث قال إنه اسم واد بين منبج وحلب وبينه وبين كل واحد من البلدين مرحلة خفيفة ، فيه أنهار جارية وقرى متصلة ، قصبتها بزاعة .  
(٧) الخابور كما ورد في (ياقوت : معجم البلدان) اسم لنهر كبير بين رأس عين والفرات من أرض الجزيرة ، ولابة واسعة وبلدان حجة غالب عليها اسمه ، فنسبت إليه ، من بلاد : قرقيسياه ، وماكسين ، والمجدل ، وعربان .  
(٨) في الأصل : « تبنين » ؛ والتصحيح عن (ياقوت) حيث ذكر أنها بلدة في جبال بني طاسر الاطلة على بلد باناس بين دمشق وصور .  
(٩) كذا في الأصل ، ولم أجد لها ذكراً عند ياقوت .

- قر قيسية<sup>(١)</sup> : ألفا دينار .  
السكير<sup>(٢)</sup> : مائتا دينار .  
ما كسين<sup>(٣)</sup> : خمسة آلاف دينار .  
المجدل<sup>(٤)</sup> : ثلاثة آلاف وخمسة دنانير .  
ألحصين<sup>(٥)</sup> — بالخابور — : ستمائة وخمسة وثلاثون ديناراً .  
الجحشية<sup>(٦)</sup> — بالخابور — : مائة (٧) دينار .  
المحولية<sup>(٨)</sup> — بالخابور — : مائة وثلاثة وستون ديناراً .  
الرحبة<sup>(٩)</sup> : ستة عشر ألفاً ، وسبعمائة (١٠) وأربعون ديناراً .  
[ وغير ذلك ما عيناه خوفاً من الإطالة (١١) ] .

(١) ضبطت بمد مراجعة ( ياقوت ) حيث ذكر أنها بلد على نهر الخابور قرب رحبة مالك ابن طوق على ستة فراسخ ، وعندنا مصب الخابور في الفرات ، فهي في مثلث بين الخابور والفرات .  
(٢) اسمها مند ( ياقوت : معجم البلدان ) : « سكير العباس » ، وهي بلدة صغيرة بالخابور فيها منبر وسوق .

(٣) أنظر ماقات هنا ، ص ١١٨ ، هامش ٢

(٤) أنظر الصفحة السابقة ، هامش ٧

(٥) هكذا ضبطها ( ياقوت ) : وقال إنها بلدة على نهر الخابور ، ولم يزد .  
(٦) هكذا ضبطها ( ياقوت ) وقال إنها قرية كبيرة كالدين من قرى الخابور ، بينها وبين المجدل نحو أربعة أميال .

(٧) س : « مايتا » .

(٨) كذا في الأصل ، ولم يذكرها ( ياقوت ) .

(٩) ذكر ( ياقوت ) أن هذا اللفظ يطلق على أكثر من مكان ذكرها جميعاً في معجمه ، ويتضح من وصفه أن الرحبة المذكورة هنا هي رحبة مالك بن طوق ، وقد حدد موقعها بقوله : بينها وبين دمشق ثمانية أيام ، ومن حلب خمسة أيام ، وإلى بندا مائة فرسخ ، وإلى الرقة نيف وعشرون فرسخاً ، وهي بين الرقة وبندا على شاطئ الفرات ، أسفل من قرقيسيا .

(١٠) س : « وآسماية » .

(١١) ما بين الحاصرتين عن : س ( ١٣٥٤ ) ( ياقوت ) ، ص ٢٠٧ ( ٥ )

ثم كتب بعد ذلك بالقلم الجافى :

« تحقيقاً للحق ، وتمحيقاً للباطل ، ونشراً للعادل ، وتقديماً للصلاح الشامل ، وإيثاراً للنواب الآجل على الحطام العاجل ، وتأميلاً لحسن الخلف من الله الكافي الكامل ، وتخليصاً للذمة من درك المظالم ، وتنزيهاً للنفس من درن المآثم ، واستغناء من تحمل الأوزار ، واستغناء بما أولاه الله من سابغ المدرار (١) ، وشكراً لما أولاه من الفضل الجسيم والمنح العميم ، وهداية إلى الصراط المستقيم ، ذلك فضل الله يؤتية من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .

فاعلموا رعاكم الله ما أمرناه ، واسكنوا إلى ما قررناه ، واشكروا الله على ما سئله وسئاه ، وأجزله من فضله وأسناه ، [ ١٦٣ ] وأيقنوا أن ذلك [ الإنعام ] (٢) العام مستمر على الدهور ، وباق إلى يوم النشور ، « وَكُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ » (٣) ، وسبيل كل واقف على هذا المنال من الولاية والنواب والاصحاب والأعمال (٤) والعمال — أعزهم الله — حذف ذلك كله ، وتعفية رسومه ، ومحو آثاره ، ودحض أوزاره ، وإزالة أوضاره ، وصون جمال الدولة عن شين عاره ، وإطلاقه على الإطلاق من غير تبديل يحل عقده ، ولا فسخ يكدر ورده ، « فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا مَعِمَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ مَعِيمٌ عَلَيْهِمْ » (٥) .

والتوقيع الأعلى : « حُجَّةٌ لِمُضْمُونِهِ وَمُقْتَضَاهُ ، وَلِيُمْتَثِلَ الْأَمْرُ فِيهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

- (١) س ( ٥٤ ب ) : « سابغ الادرار والمديار » .  
(٢) ما بين الحاصرتين عن س .  
(٣) السورة ٣٤ ( سبأ ) ، الآية ١٥ ( ك ) .  
(٤) هذا اللفظ ساقط من س .  
(٥) السورة ٢ ( البقرة ) ، الآية ١٨١ ( م ) .

وكتب بالمشافهة الكريمة — شرفها الله تعالى — في مستهل شهر الله الأحب ،  
رجب سنة سبع وستين وخمسمائة .

قال معين الدين — رحمه الله — : « وكل بلد من البلاد المذكورة فُصلَّ  
في التوقيع جهات ما أطلق من مكوسه (١) ، ولكنني اقتصرت على ذكر الجمل  
طلباً للاختصار . »

وأما (٢) شجاعته وبسالته : فكان من أقوى الناس بدناً وقلباً ورأياً ومكيمة ؛  
وذكر أنه لم يُرَ على ظهر فرس أشد منه ، كأنما خلق عليه ، لا يتحرك  
ولا ينزل ، وكان من أحسن الناس لعباً بالكرة ، يجرى الفرس ويتناولها بيده  
في الهواء ويرميها إلى آخر الميدان ، وكانت يده لا ترى والجوكان (٣) فيها ، بل تكون  
في كم قبائه (٤) ، استهانة باللعب ، وكان إذا حضر الحرب أخذ قوسين وترَ كَشَيْنَ (٥)

(١) حبذا لو كان معين الدين هذا قد أورد تفاصيل المكوس التي ألفت ولم يكنف بالجمل ،  
فانه كان يقدم للباحثين وثيقة من أندر وأقيم الوثائق لدراسة هذا النوع من الفرائب في الشام  
قبل عصر نور الدين .

(٢) وردت أخبار شجاعته أيضا في : ( الروضتين ، ج ١ ، ص ٨ وما بعدها ) مع اختلاف  
يسير ، تقديماً أو تأخيراً ، إجمازاً أو إطناباً ؛ وفي ( سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ،  
ج ٨ ، ق ١ ، ص ٣٠٩ — ٣١٠ ) .

(٣) انظر ما فات من ٢٦٧ ، هامش ١

(٤) جاء في ( محيط المحيط ) أن القباء ثوب يلبس فوق الثياب ، وقيل يلبس فوق القميص ،  
ويشتملق عليه ، جمه أقبية ؛ والقباء المندار ، وقد كان نحر الدين بن شيخ الشيوخ — أحد  
كبار رجال الدولة في عهد المنكبين الكامل والصالح الأيوبيين — أول من ترك لبس العمامة  
ولبس الثربوش والقباء . انظر أيضا : ( المقرئى : السلوك ، ج ١ ، ص ٢٦١ )  
و ( المقرئى : نحل عبر النحل ، نشر الشيبان ، ص ٨٥ هامش ٥ ) .

(٥) كذا في الأصل ، وهي في س ( ١٥٥ ) : « تركاشين » ، والرمان صبيحان ؛  
« ترَ كَشَيْنَ » و « تركاش » ، والجمع « تراكيش » . والتركش لفظ فارسي معناه الجمبة أو  
السكانة التي توضع فيها النشاب أو القوس . انظر ( Dozy : Supp. Dict. Arab ) و ( المقرئى :  
السلوك ، تعليقات الدكتور زيادة ، ج ١ ، ص ٣٧١ ) . ويقال أيضا « جنود متركشة »  
أى يحملون جعبات النشاب .

يباشر القتال بنفسه ، فكان يقول : « طالما تعرضتُ للشهادة فلم أدركها » ؛ ومعه الفقيه قطب الدين النيسابوري يقول ذلك ، فقال له : « بالله لا تخاطر بنفسك وبالإسلام والمسلمين ، فإنك عمادهم ، ولئن أصبت والعباذ بالله في معركة ، لا يبقى من المسلمين أحد إلا أخذه السيف ، وأخذت البلاد والإسلام » . قال له : « يا قطب الدين ، ومن محمود حتى يقال له هذا ؟ قبل من حفظ البلاد والإسلام ؟ ذلك الله الذي لا إله إلا هو » .

ومن آرائه الحسنة ما كان يعتمد في أمر أجناده ؛ فإنه كان إذا توفي أحدهم وخلف ولداً ذكراً أقرّ الإقطاع عليه ، فإن كان الولد كبيراً استبد بنفسه ، وإن كان صغيراً رتب معه رجلاً عاقلاً يثق إليه ، فيتولى أمره إلى أن يكبر ، فكان الأجناد يقولون : [ ١٦٤ ] « هذه أملاكنا يرثها الولد عن الوالد ، فنحن نقاتل عليها » ، وكان ذلك من أعظم الأسباب لصبر الجند في المشاهد والحروب بين يديه ؛ وكان أيضاً يثبت أسماء أجناد كل أمير في ديوانهم : دوايهم وسلاحهم خوفاً من حرص بعض الأمراء وشحه أن يحمله ذلك على أن يقتصر على بعض ما هو مقرر عليه من المدد ، وكان يقول : « نحن كل وقت في النفير ، فإذا لم يكن أجناد كافة الأمراء كاملي المدد دخل الوهن على الإسلام » (١) .

(٢) وأما صدقته ومعروفه وإحسانه فذكر عماد الدين الطائب ، قال : « حسبنا ما تصدق به على الفقراء في شهر فزاد على ثلاثين ألف دينار » ؛ وكانت عادته في الصدقة أن يحضر جماعة من أمائل البلد من كل محلة ويسألهم عن يعرفون في جوارهم

(١) هذا نص هام وقيم لدراسة نظام الإقطاع ونظام الجيش في دولة الأتابكة بوجه عام ، وفي دولة نور الدين بوجه خاص .

(٢) وردت أخبار صدقته وإحسانه في : ( الروضتين ، ج ١ ، ص ١١ ) نقلًا عن عماد الكاتب وابن الأثير ؛ وفي ( سبط ابن الجوزي ، المرجع السابق ، ص ٣١٢ ) .



من أهل الحاجة ، ثم يصرف إليهم صدقاتهم ، وكان يرسم نفقته انخاصة (١) في كل شهر من جزية أهل الذمة مبلغ ألني قرطاس مصرية (٢) في كسوته ونفقته وحوادثه المهمة ، حتى أجرة خياطه ، وجامكية طباخه ، ويستفضل منه ما يتصدق به في آخر الشهر .

وأما ما كان يهدى إليه من هدايا الملوك وغيرهم ، فإنه كان لا يتصرف في شيء منه لا قليل ولا كثير ، بل كان إذا اجتمع منه شيء يصرفه ، ويخرجه إلى مجلس القاضي ، فيحصل ثمنه (٣) ، ويصرف في عمارة المساجد المهجورة ؛ وتقدم بإحصاء ما في محال دمشق من المساجد [ الخراب ] (٤) فأناف على مائة مسجد ، فأمر بعمارة ذلك كله ، وعين له وقوقاً ، ولما أسقط نور الدين الجهات المحظورة (٥) والمكوس — غير السجن — وقال لكامل الدين القاضي : « انظر أنت في ذلك ، فأهل أمور الناس فيها على الشريعة » ؛ ولم يكون نور الدين يحاسب القاضي كمال الدين على شيء من الوقوف ، ويقول : « أنا قد قلّدتُه أن يتصرف فيها بما يجب ، ثم ما فضل من مصارفها وشروط واقفيها يصرف في بناء الاسوار وحفظ الثغور » .

و بنى (٦) — رحمه الله — أسوار بلاده جميعها وقلاعها ، فمنها : حلب ، وحماة ، وحمص ، ودمشق ، وبارين ، وشيبر ، ومنبج ، وغيرها من القلاع والحصون ، وحصنها

(١) في الأصل : « نفقة الخاص » والتصحيح عن ( مرآة الزمان ج ٨ ، ق ١ ، ص ٣١٢ )

(٢) هذا اللفظ غير موجود في س ولا في الروضتين .

(٣) س ( ٥٥ ب ) : « فيبيته ويحصل ثمنه » .

(٤) ما بين الحاصرتين عن س ، وفي ( الروضتين ، ج ١ ، ص ١١ ) و ( مرآة الزمان ،

ج ٨ ، ق ١ ، ص ٣١٢ ) : « المساجد المهجورة » .

(٥) في الأصل ، وفي س : « المحظورة » وما هنا عن الروضتين .

(٦) أخبار ما بناء من الحصون والقلاع وارده في : ( الروضتين ، ج ١ ، ص ٩ — ١٠ )

تقلا عن ابن الأثير .

وأحكم بناها، وأخرج عليها الأموال [١٦٥] الجلييلة، وبني المدارس الجلييلة  
للحنفية والشافعية، فمن ذلك :

المدرسة النورية (١) بدمشق التي فيها قبره (٢).

وكذلك بحلب (٣) وبحمص (٤)، وبحمزة (٥) له مدرستان : إحداهما للحنفية ،  
والأخرى للشافعية .

وبني الجوامع في أكثر البلاد . فجامعه بالموصل (٦) في نهاية الحسن والانتقان .

(١) ذكر ( النعمي : المدارس في تاريخ المدارس ، ج ١ ص ٦٠٦ ) هذه المدرسة  
باسم المدرسة النورية الكبرى مميّزاً لها عن مدرسة أخرى أنشأها نور الدين كذلك في دمشق  
وتعرف باسم المدرسة النورية الصغرى ( ص ٦٤٨ ) . وذكر النعمي أن نور الدين بنى  
المدرسة الكبرى في سنة ٥٦٣ هـ ثم عقب على ذلك بقوله : « وفيه فطر ، إنما أنشأها والده  
الملك الصالح إسماعيل ، ثم نقله من القلعة بعد فراغها ، ودفعه بها » . وقال ناشر الكتاب  
الأستاذ جعفر الحسني في تعليقاته إن هذه المدرسة لا تزال صامدة إلى يومنا ، وهي في سوق  
الحياطين ، وفيها ضريح نور الدين . انظر أيضاً : ( محمد كرد علي : خطط الشام ، ج ٦ ، ص  
٩٧ ) و ( Souvaget : *Monuments Historiques de Damas* , p. 58 ) .

(٢) وصف ( ابن جبير : الرحلة ، ص ٢٨٤ ) مدرسة نور الدين وقبره وصفاً طريفاً ،  
قال : « ومن أحسن مدارس الدنيا مدرسة نور الدين — رحمه الله — ، وبها قبره  
— نور الله — وهي قصر من القصور الأنيقة ينصب فيها الماء في شاذروان وسط نهر عظيم  
ثم يمتد الماء في ساقية مستطيلة إلى أن يقع في صهريج كبير وسط الدار ، فتتبارق الأبصار في حسن  
ذلك المنظر ، فكل من يبعثه يجدد الدماء لنور الدين — رحمه الله — » .

(٣) كانت مدرسته في حلب تعرف كذلك باسم « النورية بناها سنة ٥٤٤ هـ ( كرد علي :

خطط الشام ، ج ٦ ، ص ١٠٥ ) وانظر أيضاً : ( ابن جبير : الرحلة ، ص ٢٥٣ ) .

(٤) ذكر ( ابن جبير : الرحلة ، ص ٢٥٨ ) أنه لم يكن بحمص أثناء زيارته لها غير مدرسة  
واحدة قلعتها هذه .

(٥) انظر ( ابن جبير : الرحلة ، ص ٢٥٧ ) و ( كرد علي : خطط الشام ، ج ٦ ،  
ص ١٢٧ ) .

(٦) قال ( ابن جبير ، ص ٢٣٥ ) عند كلامه عن الموصل : « وللمدينة جامعان ، أحدهما  
جديد ، والآخر من عهد بني أمية » .

و بنى الجامع (١) الذى على شط العاصى بحماة — وهو جامع حسن — وإلى جانبه  
بهارستان (٢) من إنشائه .

و بنى بدمشق وحلب بهارستانين (٣) فى غاية الحسن، ووقف عليهما الوقوف الجليلة  
و بنى الربط والخانات للصوفية فى جميع البلاد ، وأدرّ عليهم الإدراتات  
الجليلة الكثيرة ، وكان يُحضر مشايخ الصوفية ويُقر بهم ويدنيهم ويتواضع لهم .  
و بنى أيضاً الخانات فى الطرق ، فأمن الناس ، وحفظت أموالهم ، وباتوا فى الشتاء  
فى كن من المطر .

و بنى أيضاً الأبراج على الطرق بين المسلمين والفرنج ، وجعل فيها من يحفظها ،  
ومهم الطيور الهوادية ، فإذا رأوا من العدو أحداً أرسلوا الطيور ، فأخذ الناس  
حذرهم ، واحتاطوا لأنفسهم ، ولم يبلغ العدو منهم غرضاً .

وكان — رحمه الله — عنده أهل العلم فى محل عظيم ، وكان يجمعهم عنده للبحث  
والنظر ، واستقدمهم إليه من البلاد الشاسعة ، فمن جملة من قدم عليه : الفقيه  
قطب الدين الشافى ، فبالغ فى إكرامه والاحسان إليه ، فحسده بعض الأمراء عنده ،  
فقال منه [ يوماً عند نور الدين ] (٤) ، فقال له نور الدين : « يا هذا إن صح ما تقول  
فله حسنة تغفر له كل زلة تذكرها ، وهى العلم والدين ، أما أنت وأصحابك ، ففيم  
أضعاف ما ذكرت ، وليست لكم حسنة تغفرها ، ولو عقلت (٥) لشنك عيبك

(١) انظر وصف هذا الجامع فى ( كرد على : خطط الشام ، ج ٦ ص ٦١ ) .

(٢) قال ( كرد على ، ج ٦ ، ص ١٦٦ ) عند كلامه عن هذا البارستان : « وهو الآن  
شبيه بالمندرس يستعمله بعضهم السكنى ، وذهبت أوقافه إلا قليلاً » .

(٣) انظر وصف بهارستان النورى بدمشق فى المرجع السابق ( ص ١٦٢ ) ، ووصف  
البيهارستان النورى بحلب فى نفس المرجع ( ص ١٦٥ ) .

(٤) ما بين الحاصرتين عن الروضتين ، وقد أضعناه للإيضاح .

(٥) فى س : « ولو تثبت » .

عن غيرك ، وأنا أحتمل سيئاتكم مع عدم حسناتكم ، أفلا تحتمل سيئة هذا إن صحت مع وجود حسنته ؟ مع أنني والله لا أصدقك فيما تقول ، وإن عدت ذكرته أو غيره بسوء (١) لا وذينك ، فكف عن أذيته .

وبني بدمشق داراً للحديث (٢) ، وأوقف عليها وقوفاً كثيرة ؛ وهو أول من بنى داراً للحديث فيما سمعنا به .

وبني في كثير من بلاده مكاتب للأيتام ، [ ١٦٦ ] وأجرى عليهم وعلى معلمهم الجرايات الوافرة .

وبني مساجد كثيرة ، ووقف عليها وعلى من يقرأ [ بها ] (٣) القرآن [ وقوفاً جليلة ] (٤) . وحكى ابن الأثير [ في تاريخه الكامل ] (٥) : أنه أحصيت أوقاف نور الدين فكانت في كل شهر تسعة (٥) آلاف دينار صورية ، ليس فيها غير ملك صحيح شرعى باطنا وظاهراً ، وأنه وقف ما انتقل إليه [ من إرث والده ] (٦) أو وزن ثمنه ، أو ما غلب عليه من بلاد الفرنج وصار سهمه .

(٧) وكان مع هذه الفضائل شديد الوقار ، عظيم الهيبة ، ضابطاً لناموس الملك مع أصحابه وأجناده إلى غاية لا مزيد عليها .

(١) هذا اللفظ ساقط من س .

(٢) أنظر أخبار هذه الدار في ( النجمي : الدارس في تاريخ المدارس ، ج ١ ، ص ٩٩ وما يليها ) .

(٣) ما بين الحاصرتين عن : ( الروضتين ، ج ١ ، ص ١٠ ) .

(٤) ما بين الحاصرتين عن س ( ٥٦ ب ) ، وانظر أيضاً : ( ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ١٥٢ ) .

(٥) كذا في الأصل ، وفي : ( ابن الأثير ، نفس الجزء والصفحة ) ، وفي ( الروضتين ص ١٠ ) ، أما س ففيها : « تسع عشر ألف دينار مصرة » .

(٦) ما بين الحاصرتين عن س ، ولا وجود له في ابن الأثير أو في الروضتين .

(٧) وردت أخبار هيبته ووقاره في الروضتين ( ص ١٠ ) نقلاً عن ابن الأثير ، ولا وجود لها في الكامل .

وكان إذا جلس لا يجلس أحد إلا بإذن ، إلا الامير نجم الدين أيوب بن شاذي  
— رحمه الله — ، وأما من عداه كأسد الدين شيركوه ، ومجد الدين بن الداية ،  
وغيرهما ، فإنهم كانوا يقفون بين يديه إلى أن يتقدم إليهم بالعود ؛ وكان (١) مجلسه  
— فيما روى — كصفة مجلس رسول الله — صلى الله عليه وسلم — مجلس حكم  
وحياء ، وهكذا كان مجلسه لا يذكر فيه إلا العلم والدين ، وأحوال (٢) الصالحين ،  
والمشورة في أمر الجهاد ، وقصد بلاد العدو .

ولو أخذنا نعدد ذكر مناقبه (٣) ومآثره لطال الكلام واتسع الشرح ،  
وفيما أوردناه من ذلك كفاية .

ولما توفي نور الدين — رحمه الله — رثاه عماد الدين الكاتب بقوله :

عجبتُ من الموت كيف اهتدى (٤) إلى مَلِكٍ في سَجَايا مَلِكٍ  
وكيف نوى الفَلَكُ المستديرُ في الأرضِ ، والأرضُ وَسَطُ الفَلَكِ ؟  
وبقوله :

يا مَلِكاً أياهُ لم تَزَلْ لِنُضْلِهِ فاضِلَةٌ فاخرة  
غاصتْ بِجورِ الجودِ مُدْ غِيْبَتِ أُمْلُكِ القابضةِ الزاخرة  
ملكْتَ دنياءَ وخَلَقْتَهَا وميرتَ حتى تملكِ الآخرة

(١) وردت في هامش س ( ٥٦ ب ) بخط مخالف لأحد قراء النسخة هذه الجملة : « أخطأ  
الناقل لهذا اللفظ ، فان مجالس الأنبياء أجل وأعظم من أن تشبه بمجالس الملوك » .  
(٢) س : « أقوال » .

(٣) توجد ترجمة طويلة وافية لنور الدين في ( التعميم : المدارس في تاريخ المدارس ، ج ١ ،  
ص ٦٠٦ — ٦١٦ ) وقد اتمد فيها المؤلف على كثير من المؤرخين السابقين له ومنهم ابن واصل  
في كتابه هذا مفرج الكروب .

(٤) كذا في الأصل ، وفي س ، وفي ( الرضتين ، ج ١ ، ص ٢٢٨ ) : « أتى » .

وبقوله من قصيدة:

لفقِدِ المَلِكِ العَا دَلِ يَبْكِي المَلِكُ والعَدْلُ  
 وَقَدِ أَظْلَمَتِ الآفَاقُ لَا شَمْسٌ وَلَا ظِلٌّ  
 وَمَا غَابَ نَورُ الدِّينِ عَنَّا أَظْلَمَ الخُفْلُ  
 [١٦٧] وَزَالَ الخِصْبُ والخِيارُ وَزَادَ الشَّرُّ والمُحِلُّ  
 وَمَاتَ البِئْسُ والجُودُ وَعَاشَ اليَأْسُ والبُخْلُ  
 وَعَزَّ النَقْصُ لِمَا هَا نَ أَهْلُ الفَضْلِ والفَضْلُ  
 وَهَلْ يَنْفَقُ ذُو العِلْمِ إِذَا مَا نَفَقَ الجَهْلُ  
 وَمَا كَانَ لِنُورِ الدِّينِ لَوْلَا تَجْمَلُهُ (١) مِثْلُ

أظلمت الأفاق لأنه يظلم ما لا يرى من الليل والشمس والظل  
 والخبث والخييار والشر والمحل والبيس والجود وعاش اليأس  
 والبخل وعزز النقص لما هنا ن أهل الفضل والفضل  
 وهل ينفق ذو العلم إذا ما نفق الجهل وما كان لنور الدين  
 لولا تجمله (١) مثل

مع أسماء وأحد رجل غاب لا يرى من الليل والشمس والظل  
 والخبث والخييار والشر والمحل والبيس والجود وعاش اليأس  
 والبخل وعزز النقص لما هنا ن أهل الفضل والفضل  
 وهل ينفق ذو العلم إذا ما نفق الجهل وما كان لنور الدين  
 لولا تجمله (١) مثل

(١) كذا في الأصل، وفي: (الروضتين، ج ١، ص ٢٣١): وفي س (١٥٧): «فقدته».

فهرس الموضوعات

## فهرس الموضوعات

للجزء الأول

من

كتاب مفرج الكروب في أخبار بني أيوب

لابن واصل

وغيره من قصائد

بقية من تلك النسخة  
 ونفسه أنت الألف لا نفس ولا نفس  
 ولما ظن أن نور القوس على العلم انظر  
 [١٦٧] ودان الحبيب والطيب وواد قسروا  
 ونفسه أنت الألف لا نفس ولا نفس  
 نور نفس لسانها من نور العلم ونفس  
 وكل نفس في سائر النسخ إذا ما نطق العلم  
 وما كل نفس في سائر النسخ إذا ما نطق العلم

ببعضها في نسخة ما به نسخة ونفسه بال

راسمها زوكا

(٥) كتاب الأمل، وورد في الروضتين، ج ١، ص ١٢١، كتاب من (١٠٧) و١٠٨



## فهرس الموضوعات

صفحة	
٢	مقدمة المؤلف . . . . .
٦	ذكر نسب بني أبوب . . . . .
١٠	ذكر ابتداء أمر نجم الدين أبوب وأخيه أسد الدين شيركوه . . . . .
١٨	ذكر ابتداء الدولة الأتابكية . . . . .
٢٠	ذكر استيلاء الأمير قسيم الدولة آق سنقر الحاجب على مدينة حلب . . . . .
٢٥	منازلة قسيم الدولة حمص واستيلاؤه عليها . . . . .
٢٧	ذكر مقتل الأمير قسيم الدولة آق سنقر . . . . .
٢٧	ذكر سيرة الأمير قسيم الدولة — رحمه الله — . . . . .
٣١	ذكر أخبار عماد الدين زنكي بن قسيم الدولة آق سنقر — رحمه الله — . . . . .
٣١	ذكر تولى الأمير عماد الدين زنكي شحنة بغداد . . . . .
٣٤	ذكر استيلاء عماد الدين زنكي على الموصل . . . . .
٣٥	ذكر استيلاء عماد الدين على جزيرة ابن عمر . . . . .
٣٦	استيلاء عماد الدين زنكي على نصيبين . . . . .
٣٦	استيلاء عماد الدين زنكي على سنجار والخابور . . . . .
٣٦	استيلاء عماد الدين زنكي على حران . . . . .
٤٠	ذكر استيلاء الشهيد عماد الدين زنكي على مدينة حلب . . . . .
٤٣	ذكر استيلاء الأمير عماد الدين على مدينة حماة . . . . .
٤٦	ذكر قبض الأمير عماد الدين على ديس بن صدقة المزيدي صاحب الحلة . . . . .
٥٢	ذكر الوقعة الكائنة بين الخليفة المسترشد بالله وبين عماد الدين زنكي . . . . .
٥٣	ذكر منازلة الخليفة المسترشد بالله مدينة الموصل . . . . .
٥٣	استيلاء شمس الملوك صاحب دمشق على حماة وأخذها من عماد الدين . . . . .

صفحة	
	ذكر الوقعة بين عماد الدين وصاحب حصن كيفا سنة
٥٤	ثمان وعشرين وخمسة
٥٤	استيلاء عماد الدين على قلعة الصور
٥٥	استيلاء عماد الدين على قلاع الأكراد الحميدية
٥٧— ٥٥	استيلاء عماد الدين على قلاع الهكارية
٥٨— ٥٧	منازلة عماد الدين دمشق
٦٤— ٥٨	ذكر مقتل المسترشد وخلافة الراشد بالله
	ذكر قدوم السلطان محمود بن مسعود بن محمد إلى بغداد وهروب
٦٦— ٦٥	الراشد بالله وعماد الدين زنكي إلى الموصل
٧١— ٦٧	ذكر البيعة بالخلافة للمعتق لأمر الله بن المستظهر بالله
٧٢— ٧١	منازلة عماد الدين مدينة حمص
٧٤— ٧٢	ذكر فتح قلعة بارين وكمر الفرج — لعنهم الله —
٧٥— ٧٤	ذكر فتح المعرة وكفر طاب
٧٦	ذكر خروج ملك الروم إلى بلاد الاسلام
٧٧— ٧٦	ذكر استيلاء عماد الدين على حمص
٧٩— ٧٧	ذكر منازلة الروم حلب ثم شيزر
	ذكر توجه القاضي كمال الدين بن الشهرزوري إلى السلطان مسعود
٨١— ٧٩	في معنى الروم واستجاده به عليهم
٨٣— ٨١	ذكر تخذيل عماد الدين بين الفرج والروم حتى رحلوا خائبين
٨٤	ذكر استيلاء عماد الدين زنكي على حران ثانيا
٨٥— ٨٤	ذكر استيلاء عماد الدين زنكي على شهرزور وأعمالها
٨٦— ٨٥	ذكر استيلاء عماد الدين زنكي على بعلبك
٩٠— ٨٧	ذكر منازلة عماد الدين زنكي دمشق
٩٢— ٩٠	ذكر الاتفاق بين السلطان مسعود بن محمد وبين عماد الدين زنكي
٩٤— ٩٣	ذكر فتح الرها
٩٦— ٩٥	ذكر مقتل نصير الدين جقّر النائب بالموصل
٩٦	ذكر رحيل عماد الدين عن البيرة وتملك المسلمين لها

صفحة

- ٩٧ . . . . . ذكر استيلاء زين الدين على كوتك على إربل . . . . .
- ٩٩ — ٩٨ . . . . . ذكر مناظرة عماد الدين قلعة جعبر . . . . .
- ٩٩ — ١٠٠ . . . . . ذكر مقتل الشهيد عماد الدين أتابك زنكي بن آق سنقر . . . . .
- ١٠٠ — ٩٩ . . . . . — رحمه الله — . . . . .
- ١٠٦ — ١٠٠ . . . . . ذكر سيرته وصفته — رحمه الله — . . . . .
- ١٠٩ — ١٠٦ . . . . . ذكر ما كان من الملك ألب أرسلان الخفاجي ولد السلطان بعد قتل عماد الدين . . . . .
- ١١٠ — ١٠٩ . . . . . ذكر أخبار الأيام التورية . . . . .
- ١١٤ — ١١٠ . . . . . ذكر عصيان الرها وعودها إلى المسلمين . . . . .
- ١١٤ . . . . . ذكر استيلاء نور الدين محمود بن زنكي — رحمه الله — على حصن العزيمة . . . . .
- ١١٥ — ١١٤ . . . . . كسرة الفرنج ينفري . . . . .
- ١١٦ . . . . . ذكر وفاة سيف الدين غازي بن زنكي بن آق سنقر — رحمه الله — . . . . .
- ١١٧ — ١١٦ . . . . . ذكر سيرة سيف الدين — رحمه الله — . . . . .
- ١١٨ — ١١٧ . . . . . ذكر استيلاء قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي على الموصل . . . . .
- ١١٩ — ١١٨ . . . . . ذكر استيلاء نور الدين محمود بن زنكي على سنجار . . . . .
- ١٢٠ — ١١٩ . . . . . ذكر الصالح بين قطب الدين وأخيه نور الدين ، ورد سنجار إلى قطب الدين . . . . .
- ١٢٢ — ١٢٠ . . . . . ذكر قتل البرنس صاحب أنطاكية وكسرة الفرنج . . . . .
- ١٢٢ . . . . . ذكر فتح أفامية . . . . .
- ١٢٣ . . . . . ذكر انهزام نور الدين من الفرنج . . . . .
- ١٢٤ — ١٢٣ . . . . . ذكر وقوع جوسلين في أسر نور الدين — رحمه الله — . . . . .
- ١٢٥ — ١٢٤ . . . . . ذكر فتح تل باشر . . . . .
- ١٢٥ . . . . . ذكر كسرة الفرنج بدلوك وفتحها . . . . .
- ١٢٧ — ١٢٥ . . . . . ذكر استيلاء محمود بن زنكي على مدينة دمشق ، وخروج الملك عن بيت طفتكين . . . . .
- ١٢٨ — ١٢٧ . . . . . ذكر مناظرة نور الدين — رحمه الله — حارم . . . . .
- ١٢٩ — ١٢٨ . . . . . ذكر استيلاء نور الدين على بعلبك . . . . .
- ١٣٠ — ١٢٩ . . . . . ذكر استيلاء نور الدين على مدينتي بصرى وصرخد . . . . .

صفحة	
١٣٠—١٣١	ذكر خروج أمير أميران بن زنكي على أخيه نور الدين
١٣١—١٣٣	ذكر وفاة المقتدى لأمر الله وسيرته
١٣٤	ذكر حصر نور الدين مدينة حارم
١٣٧—١٣٥	ذكر هزيمة نور الدين من الفرنج
١٣٧—١٣٩	ذكر مسير أسد الدين شيركوه الأول إلى مصر
١٣٩—١٤٠	ذكر وصول الفرنج إلى الديار المصرية ، ومحاصرتهم أسد الدين بيلبيس
١٤٠—١٤٣	ذكر وقوع الصلح بين أسد الدين والمصريين والفرنج
١٤٣—١٤٦	ذكر فتح حارم وكسر الفرنج
١٤٦—١٤٧	ذكر فتح بانياس
١٤٨	ذكر فتح حصن المنيطرة
١٤٨—١٤٩	ذكر مسير أسد الدين شيركوه بن شاذي المسير الثاني إلى مصر
١٥٠—١٥١	ذكر واقعة البابين
١٥١	ذكر استيلاء أسد الدين شيركوه على الاسكندرية
١٥١	ذكر محاصرة الفرنج لصلاح الدين يوسف بالاسكندرية
١٥٢	ذكر وقوع الصلح بين أسد الدين والفرنج والمصريين
١٥٢—١٥٤	ذكر فتح صافينا والعزيمة
١٥٤	ذكر فراق الأمير زين الدين على كوجك قطب الدين مودود بن زنكي صاحب الموصل
١٥٤	ذكر استيلاء الملك المادل نور الدين على قلعة جعبر
١٥٥—١٥٦	ذكر مسير أسد الدين شيركوه إلى الديار المصرية المسير الثالث
١٥٧	ذكر مناظرة الفرنج بلبليس وملكهم لها
١٥٧	ذكر مناظرة الفرنج القاهرة
١٥٧	ذكر إحراق مصر
١٥٨—١٦٠	ذكر وقوع الصلح بين شاور والفرنج
١٦٠—١٦١	ذكر قدوم أسد الدين شيركوه مصر ، ورحيل الفرنج عنها
١٦١—١٦٣	ذكر مقتل شاور
١٦٣—١٦٧	ذكر استيلاء أسد الدين شيركوه على الديار المصرية ، وتقلده وزارة العاضد

صفحة	
١٦٨—١٦٧	ذكر وفاة أسد الدين شيركوه بن شاذى — رحمه الله —
١٧٤—١٦٨	ذكر استيلاء صلاح الدين يوسف بن أيوب — رحمه الله — على الديار المصرية وتقلده وزارة العاضد
١٧٩—١٧٤	ذكر وقعة السودان بالقاهرة
١٨٤—١٧٩	ذكر منازلة الفرنج دمياط ، وعودتهم عنها خائبين
١٨٨—١٨٥	ذكر وصول الملك الأفضل نجم الدين أيوب بن شاذى — والد السلطان — إلى مصر
١٨٨	ذكر وفاة قطب الدين مودود بن زنكى صاحب الموصل
١٩٠—١٨٩	ذكر سيرته — رحمه الله —
١٩١—١٩٠	ذكر استيلاء سيف الدين غازى بن مودود بن زنكى على الموصل
١٩٣—١٩١	ذكر استيلاء الملك العادل نور الدين — رحمه الله — على الموصل ، وإقرار ابن أخيه سيف الدين عليها
١٩٥—١٩٣	ذكر وفاة الخليفة المستنجد بالله أبى المظفر يوسف بن المقتدى وسيرته
١٩٧—١٩٥	ذكر البيعة بالخلافة للمستنجد بنور الله بن المستنجد بالله
١٩٨—١٩٧	ذكر الأحداث السكائنة بمصر فى هذه السنة — أعنى سنة ست وستين وخمسة —
١٩٨	خروج الملك الناصر صلاح الدين إلى الغزاة
١٩٩	ذكر فتح قلعة أيلة
٢٠١—٢٠٠	ذكر إقامة الدعوة العباسية بمصر ، وانقراض الدولة العلوية بها
٢٢١—٢٠١	ذكر وفاة العاضد
٢٢٣—٢٢١	ذكر ابتداء الوحشة بين نور وصلاح الدين — رحمهما الله تعالى —
٢٢٤	ذكر منازلة السلطان الملك الناصر صلاح الدين — رحمه الله — الكرك والشوبك
٢٢٨—٢٢٥	ذكر وصول الهدية المصرية إلى نور الدين
٢٢٩—٢٢٨	ذكر غزوة الثوبة
٢٣٠	ذكر وفاة الملك الأفضل نجم الدين أيوب بن شاذى والد الملوك — رحمه الله —

صفحة	
٢٣٠-٢٣٢	ذكر سيرته - رحمه الله - . . . . .
٢٣٢	ذكر المراسلة بين نور الدين وصلاح الدين - رحمهما الله تعالى -
٢٣٣-٢٣٤	ذكر قصد نور الدين - رحمه الله - بلاد قليج إرسال
٢٣٥	ذكر الواقعة الكائنة بين مقدم الأرمن والروم . . . . .
٢٣٦	ذكر دخول قراقوش التقوى بلاد المغرب . . . . .
	ذكر دخول الملك المعظم شمس الدولة نجر الدين توران شاه ابن أيوب وتملكها . . . . .
٢٣٧-٢٤٣	ذكر عزم جماعة من المصريين على إقامة الدعوة المصرية وما آل إليه أمرهم . . . . .
٢٤٣-٢٥١	ذكر شيء من خبر عمارة وشعره . . . . .
٢٥١-٢٥٧	ذكر ورود الرسالة التوربية إلى صلاح الدين . . . . .
٢٥٨-٢٦٣	ذكر وفاة الملك العادل نور الدين بن زنكي بن آق سنقر - رحمه الله -
٢٦٣-٢٨٦	صفته وسيرته - رحمه الله - . . . . .
٢٨٩-٢٩٤	فهرس الموضوعات للجزء الأول من الكتاب . . . . .

تم طبع هذا الكتاب بمطبعة جامعة فؤاد الأول  
في ١٨ يونيو سنة ١٩٥٣ م

محمد زكي خليل  
مدير مطبعة جامعة فؤاد الأول

# MUFARRIJ AL-KURUB

BI AKHBAR BANI AYYUB

(THE HISTORY OF THE AYYUBIDS)

BY

GAMAL EL-DIN MOHAMMED IBN SALIM IBN WASIL

(D. 571 A.H. / 1176 A.D.)

VOLUME I

Edited for the First Time

From the Manuscripts of Cambridge, Paris and Istanbul

AND ANNOTATED BY

GAMAL EL-DIN B. SHAYYAT, M. A. D. Litt.

Assistant Professor of Islamic History, American University

Publication of the Section of Arabic Manuscripts

Library of the American Oriental Society, Boston

Harvard University Press

1933

# MUFARRIJ AL-KURUB

FI AKHBAR BANI AYYUB

(THE HISTORY OF THE AYYUBIDS)

BY

GAMAL ELDIN MOHAMMED IBN SALIM IBN WASIL

(Ob. 697 A.H. / 1298 A.D.)

VOLUME I

*Edited for the First Time*

*From the Manuscripts of Cambridge, Paris and Istanbul.*

AND ANNOTATED BY

GAMAL ELDIN EL-SHAYYAL, M. A. D. LITT.

*Assistant Professor of Islamic History, Alexandria University.*

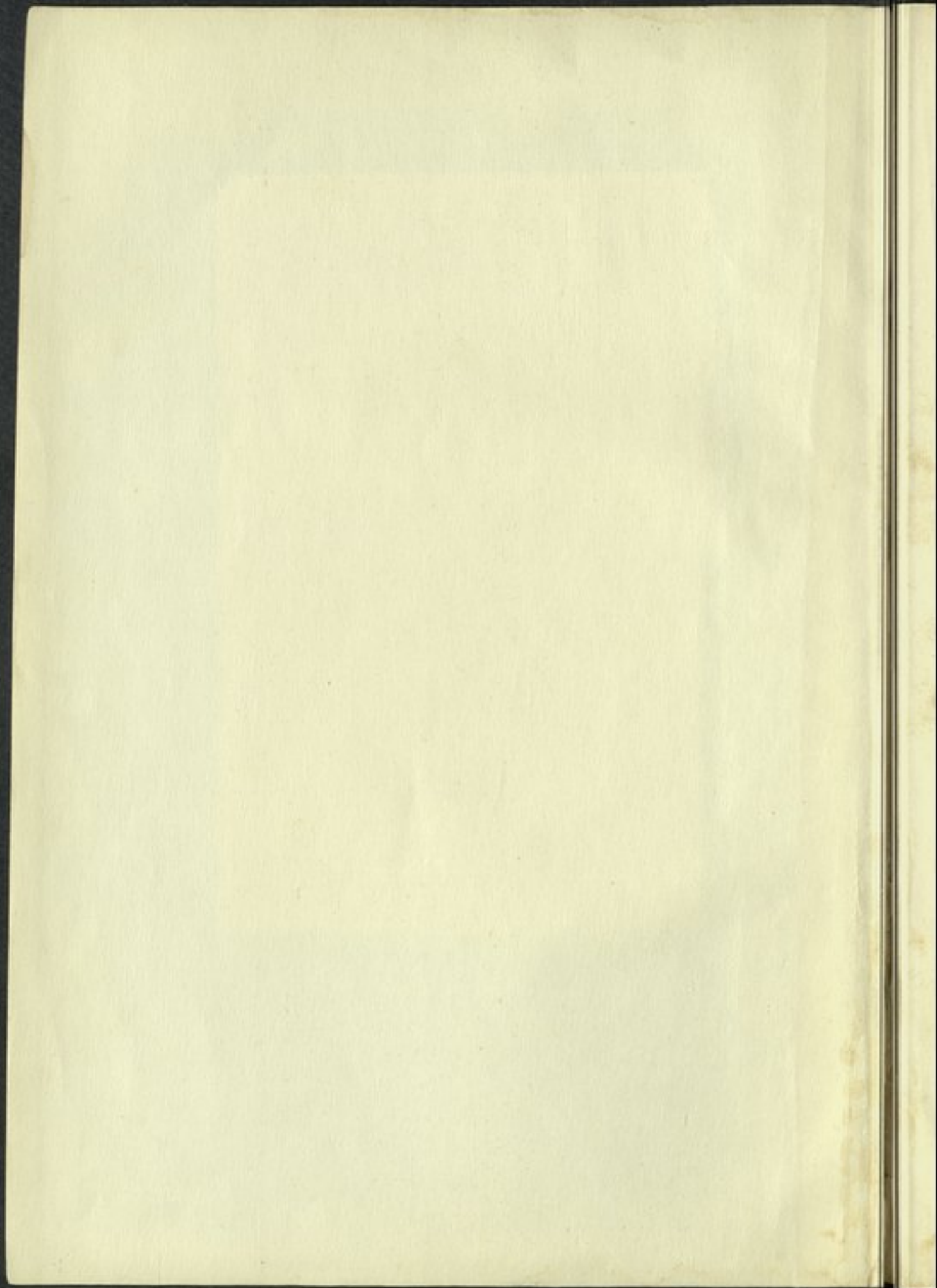
*Publications of the Section of Arabic Manuscripts.*

*Ministry of Education. General Culture Administration.*

FOUAD I UNIVERSITY PRESS

1953







297.09:1138mA:v.1:c.1

الشميل، جمال الدين

مفرج الكروب في اخبار بني ايوب

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01001221



